دليل خارطة بغداد المفصل
في خطط بغداد قديماً وحديثاً

مدينة المنصور المدورة



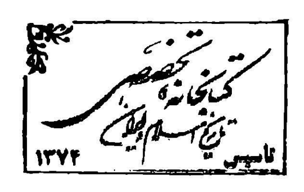
تاليف

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور احمد سوسة

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

دليل خارطة بغداد المفصل

في خطط بغداد قديماً وحديثاً



تأليف

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور احمد سوسة



مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٣٧٨ — ١٩٥٨

التصدير

بغداد ، هـــــذه المدينة الخالدة ، ذات المجد الأثيل ، والتمدن الأصيل ، وملاذ العروبة والاسلام ، ومقر الامامة العباسية ، عدة عصور ، بقيت منذ عصر أبي بكر الخطيب البغدادي وهو القرن الخامس للهجرة بل منذ عصر مَنْ ألف «مختصر مناقب بغداد »[1] وأصله لابن الجوزي ، إلى سنة ١٣٧٨ هـ عديمة من كتاب عربي جامع لخططها قديمها وحديثها ، ولا نغلو إذا قلنا إنهـا لبثت طوال هذه المدة عـديمة أيضاً من تاريخ عربي جامع ، غير ناسين كتاباً « مشكلاً » للشيخ ياسين العمري ، ومختصراً لتاريخها جدّ مفيد ، ألفه الأستاذ علي ظريف الأعظمي ـ رح ـ سنة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م وكتيباً جمعـه الأستاذ السيد محمـد صادق الحسني الإيراني سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) سماه « عِمران[2] بغداد » ، وآخر جمعه العالم أنستاس ماري الكرملي سماه « الفوز بالمراد في تاريخ بغداد » ، ورسالة في تاريخ بغداد موسومة ببغداد مدينة السلام كتبها العلامـة طـه الراوي ـ رح ـ ونشرتها دار المعارف للطباعـة والنشر بمصر ، وكتاب « حضارة الاسـلام في دار السلام » لجميل نخلة المتوفى سـنة « ١٩٠٧ م » وهو كشكول حوى أخباراً مصنفة وأنباءاً مؤلفة في حضارة بغداد ، ولم يُراعَ فيه اختلاف الزّمن ولا تطوّر الحضارة .

---

(١) نشره الأستاذ محمد بهجة الأثري ببغداد سنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣ م قال مؤلفه في أوله : « نقلت من كتاب (مناقب بغداد) الذي ألفه الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي » .

(٢) كذا بـكسر العين ، والصواب « ضمها » .

وقد ألف في مساجدها ومعابدها ومدارسها العتيقة وسقاياتها القائمة العلامة السيد محمود شكري الآلوسي ـ رح ـ كتابه الموسوم بمساجد بغداد وآثارها [1] ، ونشره مهذباً له الأستاذ محمد بهجة الأثري سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) .

وأما كتاب الشيخ ياسين بن خير الله العمري الوصلي المتوفى في الثلث الأول من القرن الثالث عشر للهجرة فهو « غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام » وقد نقل فيه أكثر ما قرأه من خطط بغداد في معجم البلدان لياقوت الحموي وأضاف إليه من مسموعاته ومقروآته الأخرى ، ولم يقتصر على بغداد وقراها بل تعداها إلى مدن عراقية أخرى كالنجف وكربلاء وسلمان پاك « المدائن العتيقة » وسامرا والحلة ، وغيرهن ، وذكر العلماء والأدباء والشعراء لمدة بلدان عراقية وجزرية ، فضلاً عن جغرافيتها وتاريخها ، وذكر أحداث بغداد وحوادثها وأغراقها [2] والزلازل التي أصابتها ، والنوائب التي نابتها وسرد تاريخاً على السنين منذ احتلال العثمانيين لبغداد إلى سنة « ١٢٢٠ هـ » ، وذكر الجماعة الأولى من الأمراء الأدباء والعلماء والشعراء الذين عاصروه ودخلوا بغداد ، ثم قال : « يقول جامع هذه الأوراق : هذا الذي بلغنا ، وأثبته سمعنا ، على قدر الطاقة (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) وأما هذا العصر فان فضلاء بغداد أكثر من ذلك ، لكن لم نطلع عليهم لأني أعترف بالتقصير ، عن ذكر كل فاضل خبير ، وحيث إني ما سافرت من بلدي ولا بعدت عن سورها مقدار فرسخ ، هذا في حالة الشباب فكيف الآن وقد ضعفت القوة ، وذهبت

---

(١) وردت في أثناء الكتاب سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) (كما تراه الصفحة ٦١) . وكان الشيخ مرتضى النظمي البغدادي المتوفى في الثلث الأول من القرن الثاني للهجرة ألف كتاباً باللغة التركية في أخبار بغداد سماه « جامع الأنوار في مناقب الأخيار » ثم ترجمه الى العربية الشيخ صفاء الدين عيسى البندنيجي المتوفى سنة « ١٢٨٣ هـ » . (راجع ص ٣٠٣ من هذا الكتاب) .

(٢) جمع غرق كأطراب جمع طرب وأفراح جمع فرح

الهمة، وقلت النعمة[1] ؟! .. » .

وأول من ألف فى خطط بغداد كتاباً، متبعاً فى كثير منه الطرائق العلمية هو المستشرق البارع « كي لِسترنج Guy Le Strange المتوفى سنة ١٩٣٣، ألّفه باللغة الانكليزية ووسمه بـ (بغداد فى عصر الخلافة العباسية) وقد نشره وكتب مقدمته بلندن سنة « ١٩٠٠ م ». وعدة صفحاته « ٣٥٦ » صفحة وسطاً بالحرف الوسط، باستثناء المقدمة والفهرست . وقد أوضح هذا المستشرق كتابه بثماني خارطات تقريبية، متقنة التخطيط مقاربة التحقيق[2] .

إن عمل الأستاذ كي لسترنج فى تأليفه هذا الكتاب كان شاقاً، ومجهوده الثقافي كان جليلاً، يقدره حق قدره كل من منصف ومؤلف، ويؤخذ عليه أنه لم يزر بغداد بل اعتمد فى تطبيق خارطاته على خارطات بغداد الحديثة، وقد وجه أكثر أنهار الجانب الغربي وجهة خاطئة كما لوكانت مدينة المنصور المدورة التي سماها مؤسسها « مدينة السلام » منشأة قبل شق تلك الأنهار، فجعل الأنهار ممتدة بحسب ما تقتضيه مصالح المدينة المدورة، وأخطأ فى تعيين موضع المدينة المذكورة فجعلها فى موضع أسفل من موضعها الحقيقي، فاختلت عليه المواضع الخططية الأخرى اختلالاً بيناً . وقد علمنا من تدقيق النظر فى كتابه أنه كان يجمع النصوص الخططية ثم يقرؤها وفي أثناء القراءة يرسم خارطة ثم يصف الخارطة كأنها حقيقية ويؤلف كتابه من ذلك الوصف، فلا غرابة فى أنه وقع فى أوهام مختلفة نبهنا على قسم منها فى هذا الكتاب، وكان من أغربها وضعه موقع المدرسة النظامية الذي هو اليوم سوق الخفافين (المتصل بسوق البزازين العريض الموازي لشارع السموءل) فى آخر محلة السنك على شاطئ نهر دجلة، وكذلك فعل بموضع المدرسة البهائية، المجاورة للمدرسة النظامية، التي قدرنا موضعها فى الخان والقهوة المقابلين لقهوة المصبغة أي قهوة الشط التي هي في آخر شارع السموءل ،

---

(١) من نسخة مخطوطة من الكتاب منقول منها فى « أصول التاريخ والأدب » ج ٢٢ ب ص١٧٢ لأحد المؤلفين الدكتور مصطفى جواد .

(٢) أعيد طبع هذا الكتاب سنة ١٩٢٤ . وقد ترجمه الى العربية الأستاذ بشير يوسف فرنسيس سنة ١٩٣٦ .

ومعنى ذلك فى خطط بغداد القديمة أنه نقل موضع المدرستين المذكورتين فى محلة سوق الثلاثاء فى شمال دار الخلافة إلى آخر محلة باب الأزج فى جنوبها ، والمسافة بين الموضعين أكثر من كيلو مترين ونصف وهو أمر لا يغتفر فى علم الخطط ، ومن أغربها أيضاً أنه مدّ « سوق الثلاثاء » من باب السلطان المعروف اليوم بباب المعظم إلى محلة باب الأزج أي محلة السنك وما حولها ، مع أنّ سوق الثلاثاء كان يمتد من سوق الحيدرخانة فى شارع الرشيد الحالي إلى محلة باب الآغا التي هي محلة سوق الثلاثاء فى عصر بني العباس ، ولعله — نعني سوق السلطان — اتصل بسوق الثلاثاء فيما بعد العصور العباسية ، فيكون الخطأ الذي ارتكبه الأستاذ گي لسترنج أنه طوّل سوق الثلاثاء نحو الشرق ثم الجنوب مسافة كيلو مترين ونصف أيضاً ، فى أقل تقدير ، فعَمَل ذلك بدلاً من أن يوجه سوق الثلاثاء وجهته الصحيحة ، وهي الامتداد نحو الغرب فى موضع سوق البزازين العريض فالسوق المعروف بسوق الكبابجية (١) ويمتد من هناك صُعداً ، وفى عطفته وركنه كانت تقوم المدرسة النظامية ، ويمتد شمالاً حتى تكون فى نهايته الثانية « المدرسة المستنصرية » ، ويوضح هذا حق الايضاح خبر أورده ابن أبي أصيبعة فى « عيون الأنباء فى

(١) سوق الكبابجية كان يعرف في العصور العباسية بسوق العطر ، قال ابن أبي أصيبعة في ترجمة أمين الدولة ابن التلميذ الحكيم الأديب الطبيب نقلا عن عبد اللطيف بن يوسف البغدادي « ومن مروءته أن ظهر داره كان يلي النظامية فاذا مرض فقيه نقله إليه ، وقام في مرضه عليه ، فاذا أبل وهب له دينارين وصرفه » . وقال ابن أبي أصيبعة : « وكانت دار أمين الدولة هذه التي يسكنها ببغداد في سوق العطر مما يلي بابه المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظمة بالمشرعة النازلة الى شاطيء دجلة » ، « عيون الأنباء ١ ، ٣٦ ، ٢٦٢ » فباب الغربة هو باب شارع المستنصر الحالي ، والمشرعة هي مشرعة المصبغة الحالية عند قهوة المصبغة أي قهوة الشط التي كانت رباط الوالي بهروز ، وكانت تعرف بمشرعة سوق المدرسة النظامية ، وسوق العطر هو سوق الكبابجية الحالي ، وسوق الكمرك العتيق هو سوق المدرسة النظامية الذي فيه المدرسة المذكورة ، ولا صلة لسوق العطر هذا بسوق السلطان المقدم ذكره ، كما ظن من لا علم له بخطط بغداد أصلا .

طبقات الأطبـاء » ونقلناه فى الحاشية . والظاهر أن الأستاذ كي لسترنج لم يطلع عليه ، ولكنه اطلع على قول ابن بطوطة : « ذكر الجانب الشرقي من بغداد : وهذه الجهة الشرقية من بغداد حافلة الأسواق ، عظيمة الترتيب ، وأعظم أسواقها سوق يعرف بسوق الثلاثاء ، كل صناعة فيه على حدة ، وفى وسـط هذا السوق المدرسـة النظاميـة العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنهـا ، وفى آخره المدرسة النظاميـة [1] ... » . أفلا ساءل لسترنج نفسه : لماذا لم يجعل فى خارطته المدرسة المستنصرية فى آخر سوق الثلاثاء وهي أي المدرسة لا تزال قائمة رصينة البناء ؟ لقد أشكل عليه الأمر فلم يوفق لحـلّه .

ونشر بعد الأستاذ كي لسترنج الأستاذ « جورج سالمون الفرنسي Georges Salmon » فى موضوع خطط بغداد مقدمة ومدخلاً لترجمته « مقدمة تاريخ الخطيب » وكان ذلك فى سنة « ١٩٠٤ » . وقد تكلم فيها على مؤرخي بغداد ورواة أخبارها وأنهار بغداد وأنهار السواد ، وتأسيس مدينة السلام ومنها الرصافة والكرخ ، ومباني الأولى في الجانب الشرقي ومنها دار الخلافة وفيها دار الطواويس والدار المثمنة والدار المربعة ودار الريحانيين ومنظرة الريحانيين وحريم دار الخلافة وأبوابها . وظن كلمة « شاهق » بمعنى عالٍ وشامخ اسم رجل فعد من أبوابها « باب شاهق » ولم يكن له وجود ، وقد اعتمد على قسم من خارطات لسترنج ، إلا أنه فى خارطة دار الخلافة وحريمها عكس مواضع الأبواب فجعل عاليها سافلها . وتكلم على خطط الجانب الغربيّ ومقدار هذا المدخل « ٧٣ » صفحة .

وأشار جورج سالمون إلى دراسة ماكسيمليان ستريك Maximilien Streck لخطط بغداد سنة ١٩٠١ مستهديا بنظام ترويتها وأنهارها ، وذكر أن ستريك لم يحل مشكلاتها ، وقد أوضحنا الأخطاء التي وقع فيها هذا المؤلف نتيجـــة لارتباكه فى تثبيت اتجاهات مجاري نهر عيسى ويجد القاريُ فى ص ٧١ ـ ٧٢ من هذا الكتاب تفصيل ذلك . وفى الحق أن مشكلات خطط بغداد كثيرة عسيرة ، وأن قسماً منها غير محلول ، لقلة المراجع الخططيّـة

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار « ١ : ١٤١ » ، طبعه بمطبعة التقدم بالقاهرة سنة ١٣٢٢ » .

والمصادر التاريخية ، وهذه القلة أصلية لندور المؤلفين فى خطط هذه المدينة المجيدة .

وألف بعد ذلك الأستاذ العلامة « لويز ماسنيون Louis Massignon » سنة ١٩٠٨ كتاباً في وصف آثار العراق ومنها آثار بغداد ومعابدها ومشاهدها ومساجدها ، وسمّى كتابه « بعثة إلى العراق Mission en Mesopotamie » وقد عُني بوصف المشاهد أكثر من غيرها لمشربه الصوفى ، أمّا استنتاجاته الخططية فجاءت مؤيدة لاستنتاجات ستريك (ص٧١ من هذا الكتاب) . وقد استفدنا من كتاب ماسينيون خارطة مهمة للجانب الغربي من بغداد مستندة إلى مسح أجراه أيام زيارته لبغداد فى تلك الرحلة . واستفدنا أيضاً من قائمة القائد « فيليكس جونس Felix Jones » لمحلات بغداد فى زمانه ، وقد طبعت فى كتابه سنة ١٨٤٦ .

وقد وضعنا ـ نحن مؤلفي هذا الكتاب ـ بمشاركة « الأستاذ حامد الصراف » خارطة لبغداد « قديماً وحديثاً » وتفضل المجمع العلمي العراقي بطبعها بنفقته سنة (١٩٥١) . ولما كانت الخارطة تحتاج إلى دلالة وشرح وإيضاح عهد إلينا المجمع بوضع دليل مفصّل لتلك الخارطة ، وقد وضعناه بتوفيق الله ـ تعالى ـ وهو هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء .

وكان أحدنا وهو الدكتور أحمد سوسه قد وضع « أطلساً » لبغداد أوضح فيه ما لم يكن بالوسع تثبيته على الخارطة المتقدم ذكرها لضيق المجال فوضع خرائط مفصلة لكل من أدوار بغداد التاريخية ، وقد أحلنا عليه فى الكتاب غير مرّة ، تخفيفاً للأعباء مع ضمان الفائدة جماء . هذا ولا ندعي أننا استوفينا البحث وأستقصيناه ، ولا استغنينا عن نقد مفيد ، ورأي جديد ، مبرأ من التفنيد ، والله — تعالى — المسؤول أن يوفقنا لخدمة العلم والأمة العربيّة ، والعراق العزيز ، وعاصمته بغداد ، رمز الحضارة والحرية والجهاد .

المؤلفان

بغداد — ١٦ ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ
٣٠ تشرين الأول ١٩٥٨ م

محتويات الكتاب

صفحة

الملاحق

صفحة

قائمة المرسومات

قائمة الصور الفوتوغرافية

الفصل الأول

بغداد قبل المنصور (الجانب الغربي)

أهمية الري بالنسبة الى دراسة تاريخ بغداد القديمة ــ النهر الرئيس المتشعب من الفرات ، وارواء منطقة بغداد الغربية — « دور كوريكالزو » ونهر انليل — نهر الصراة والرفيل وتنظيم المياه بينهما — بلدة المحول — نهر الصراة العظمى — نهر الصراة الصغرى — قنطرة الصراة — رحى البطريق — مزرعة المباركة — قرية الخطابية — دير بستان القس — قرية الشرفانية — دير قرن الصراة (دير مارفثيون) ــ عمر صليبا ــ قرية سونايا « المنطقة » ــ دير كليليشوع (دير الجاثليق) ــ قرية قطفتا ــ قصر الملك سابور والجسر على نهر دجلة — نهر كرخايا — رستاق الفروسبج — نهر طابق — قرية الكرخ — قرية براثا — قرية سال — قرية ورثالا — قرية بناورا — ديرمديان — قرية سوق بغداد — قرية الوردانية — أصل تسمية بغداد — طسوج قطربل وطسوج بادوريا — نهر دجيل القديم — المدائن وسلوقية وصلتها بقرية سوق بغداد — آثار بابلية في منطقة بغداد .

يُعد الدور الذي مرّ على منطقة بغداد فى المدّة التي سبقت تأسيس مدينة المنصور فيها فى سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) أمراً مهماً جديراً بأن يبحث فيه قبل الدخول فى دراسة تاريخ بغداد ، وذلك لسببين ، أحدهما أن الوقوف على هذا الدور يوضح العوامل التي حدت الخليفة المنصور على اختيار هذا الموضع ليتخذه عاصمة لمملكته ، والآخر هو أن الوقوف على حوادث هذا العهد يسهّل تتبع التطور الذي طرأ على خطط المدينة وربط ماضيها بحاضرها والعكس

بالعكس . وعلى هذا الأســاس وضعت خارطة خاصة تبين الوضع الخططي « الطوبوغرافي » لمنطقة بغداد قبل أن يشيد المنصور مدينته عليها [١] . وقد ساعدت على ذلك الدراسة الدقيقة للأنهار القديمة وتتبع آثارها الباقية خارج مدينة بغداد الحديثة للتوصل الى تعيين مجاريهــا الصحيحة كما كانت عليه فى الزمن القديم . ولا نبالغ إذا قلنا إن أنهار بغداد القديمــــة كانت الأساس الذي شيدت عليه المدينة فى مختلف أدوارها التاريخية ، لأن العمران اقتفى أثر الأنهار فى كل خطوة من خطوات حياة المدينة ، وما من عمارة أو محلة ذات شأن شيدت فى دور من أدوار المدينة إلاّ رافقها مشروع إرواء مشى إلى جنبها وذلك لترويه حدائقهــا وبساتينها وتهيئة مياه الشرب لساكنيها ، وذلك لعــدم تيسر وسائط الضخ الآلية فى ذلك العهد . لذلك نستطيع أن نجزم بأن دراسة تأريخ أنهار بغداد يجب أن تكون السناد الذي يُستند اليه فى دراسة خطط هذه المدينة القديمة ، وعليه تصبح كل دراسة ، لا تأخذ بنظر الاعتبار وضع تخطيط الأنهار بدايةً لها ، معرضة للخطأ ، وهذا ما وقع فيه جماعة ممن بحثوا فى تأريخ هذه المدينة كالمستشرق الأستاذ كاي لسترانج مؤلف كتاب « بغداد فى عهدالخلافة العباسية » فقد اتخذ تخطيط المدينة المدوّرة أساساً بنى عليه اتجاهات الأنهار وذلك هو الأمر الذي أدّاه الى أن يرسم شكلاً هندسياً غريباً لمجاري الأنهار يخالف الواقع مخالفة تامة ، وهذا الخطأ وخطؤه فى تعيين مدينة المنصور قد جرّاه إلى أخطاء أخرى فيما يتعلق بتعيين جملة من الأماكن الأثرية رسمها فى غير مواضعها الحقيقية ، وسنرى تفاصيل ذلك فى مجرى بحثنا فى خطط بغداد فى أول أدوارها العباسية [٢] . ولو كان لسترانج اتبع الناحية العملية فى دراسته

---

(١) راجع خارطة منطقة بغداد في أواخر العهد الساساني وأوائل العهد الاسلامي في « أطلس بغداد » لأحد المؤلفين الدكتور أحمد سوسه ص ٢ — ٣ .

(٢) راجع البحث الآتي في الفصل الثالث — « بغــداد في أول أدوارها العباسية — الجانب الغربي » .

لتاريخ خطط بغداد وعقّب آثار الأنهار القديمة الباقية لسرّه أن يجد أن النهر الرئيس الذي كان يروي منطقة بغداد الغربية (وهو النهر الذي كان يعرف باسم نهر عيسى في العهد العباسي) لا تزال بقاياه مسمّاة باسمه القديم وهي تعرف باسم « العيساوي » وتسمى أيضاً بالداودي .

ونظرة الى خارطة منطقة بغداد القديمة المار ذكرها آنفاً ترينا كيف جعلت شبكة الأنهار ، التي كانت تخترق هذه المنطقة في العهد الذي سبق إنشاء مدينة المنصور ، منها بقعة من أجمل وأزهى البقاع التي كانت في أرض سواد العراق في ذلك العصر . ولا عجب من أن سحرت المنصور بمناظرها الخلابة وجذبته إليها بجمالها الطبيعي وحياتها الضاحكة المطمئنة ، وما أصدق قوله تعالى في كتابه العزيز « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

كان الجانب الغربي لهذه المنطقة يُروى معظمه من نهر عظيم واسع يتفرع من الجانب الأيسر لنهر الفرات من جنوب الفلوجة بقليل فيقطع أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة فيسقي هو وفروعه المزارع والبساتين الواقعة على أطرافه وينتهي إلى دجلة جنوب بغداد الحالية . وكان هذا النهر يتفرع من تحت الأنبار (١) فيسير في اتجاه جدول الصقلاوية

---

(١) تقع أطلال مدينة الأنبار على ضفة نهر الفرات اليسرى جنوب قرية الصقلاوية الحالية ، وعلى بعد زهاء ستة كيلو مترات من جنوب صدر جدول الصقلاوية الحالي . وكان الفرس يسمونها فيروز سابور باسم بانيها الملك سابور (٢٤١ — ٢٧٢ م) ، وفي العهد العربي اصبح اسم فيروز سابور يشمل معاملة الأنبار بما فيها من القرى على أن من مؤرخي العرب من اعتبرها من مدائن كورة سامراء . وقد أطلق أميان مرقلان على المدينة اسم بيريسابوراس (Pirisaboras) وذلك عند وصفه لحملة يوليانس (٣٦٣ م) كما انه وصف سورها المضاعف المنيع . وقد كان للأنبار مكانة سامية في العهد العربي إذ اتخذها الخليفة العباسي الأول عبد الله السفاح (١٣٢ هـ — ٧٥٠ م) عاصمة لملكته وبنى فيها قصراً سماه « الهاشمية » يعني المدينة الهاشمية ، وقد توفي في القصر الذي شيده فيها ، وقد سكنها أبو جعفر المنصور ردحاً من الزمن قبل أن يشيد العاصمة الجديدة بغداد . وزعم المستوفي وقد زارها في القرن الرابع عشر الميلادي أن طول سورها يبلغ زهاء خمسة آلاف خطوة . .وذكر ابن شاكر الكتبي في ترجمة السفاح من فوات الوفيات « ١ : ٤٨٦ » أن السفاح بنيت له الهاشمية إلى جانب الأنبار وبها قبره وأن الهاشمية أخذت اسم الأنبار =

ونهر المدحتية الحاليين ويصب في دجلة عند « تلول خشم الدورة » الحالية الواقعة على طريق بغداد الى المحمودية . ولا تزال آثار هذا النهر العظيم وفروعه العديدة من جانبيه ظاهرة يمكن تتبع مجاريها على الرغم من تداخل المزارع والأنهار الحديثة فيها . ولا تزال آثار بركة واسعة على هذا النهر باقية الى الآن وذلك قبل مصب النهر بقليل وهي تقع قرب تل الرمي الحالي وطريق بغداد الى المحمودية ، ولعلها من البرك التي أنشئت على النهر في العهد العربي لاتخاذها بحيرة للتنزه واصطياد الطيور فيها ، ولا سيما بعد شيوع نظام الفتوة ودخول رمي الطيور في مذاهبها العملية . ومما يلفت النظر أن هذه البركة لا تزال مملوءة ماءاً وذات عمق كبير ، وقد نبتت حولها أجمة غلباء من القصب والبردي[1] . ويلاحظ أن الأقدمين كانوا يستفيدون من الأراضي التي تقع في ذنائب الجداول عند مصباتها في الأنهار حيث تكثر المياه وينبت القصب والبردي فيتخذونها مناطق لصيد الطيور فيها ، ومن أمثلة ذلك أن منطقة الصليخ الحالية التي كان يصب فيها أحد فروع نهر الخالص الى دجلة في الناحية الشرقية من منطقة

= وأن الأنبار الأولى درست ، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة « ٢ : ١٧٤ » سنة ٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م ومنها سافر الى هيت والحديثة وعانة . واستولى عليها سنة ٨١٤ هـ = ١٤١١ م الأمير عجل ابن نعير الطائي بعد أن كسره الأمير قره يوسف القره‌قويلي وأخرجه من عانة ، على ما ذكر ابن حجر في إنباء الغمر بأنباء العمر في حوادث سنة ٨١٤ والمقريزي في تاريخه السلوك للسنة نفسها ، وآخر ذكر وقفنا عليه للأنبار في حوادث تاريخ العراق سنة « ٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م فقد ذكر الغياث البغدادي في تاريخه الغياثي « ص ١٨٧ » أن أبا علي خرج من الأنبار مع أخيه ناصر الدين علي وذهب الى الحلة لاستيفاء أموال فيها وحكم في الحلة ثلاثة أشهر وعشرين يوماً . والظاهر أن الأنبار بدأ خرابها بعد هذا التاريخ لكثرة الحروب واختلال الأمن فيها وقد انتقل قوم من أهل الأنبار الى المسيب ثم انتقل فوج منهم الى الكاظمية ولا تزال محلتهم تعرف فيها بمحلة الأنباريين .

(١) إن الوصف للبركة المذكورة الوارد في أعلاه كان قد دون قبل زهاء ست سنوات أما الآن فقد زال بعض مظاهر البركة ومظاهر تلول خشم الدورة بسبب اختراق الطريق العام الجديد تلك المنطقة وانشاء معامل للآجر فيها .

بغداد كانت ذات أجمة من القصب والبردي وكانت تصاد فيها الطيور على اختلاف أنواعها .

أما تاريخ حفر هـذا النهر الـكبير فغير معروف كما أنه ليست لدينا معلومات عن الاسم الذي كان يعرف به عند إنشائه في العصور القديمة على الرغم من أنه كان واسطة نقل نهريـة مهمة لنقل البضائع فيـه بين الفرات ودجلة مضافاً إلى كونه سبباً لاحياء الأراضي وترويتها وزراعتها ، على أن في الأمر دلائل أثرية تدل على أنه يرجع الى عهد قديم جـداً بدلالة أن المدينة الـكشية « دوركوريـكالزو » التي أسست في أوائل القرن الخامس عشـر ق . م . وهى الأطلال المعروفة اليوم باسم « تل عقرقوف » كانت تروى منه بقناة واسعة تتفرع من جانبه الأيسر وقد عرفت فى العصور الاسلامية باسم « الورّادة » ، ولا تزال آثار هذه القناة فى الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة « دوركوريـكالزو » على مسافة ٣٠٠ متر منهـا ، وهناك تنقسم إلى فرعين يتجهان نحو المدينة . وقد وردت إشارات في النصوص المسماريـة من العصر الـكشي إلى نهر باسم « نهر انليل » كان يتصل بمدينة كوريكالزو .

وقد أشار إلى هذا النهر الـكاتب الروماني « أميان مرقلان » فى رحلته صحبة قيصر يوليانس الروماني سنة « ٣٦٣ م » المقدمُ ذكره في « ص ٣ » .فقد ذكر فى رحلته أن هـذا القيصر بعـد أن رد هجوماً للفرس على الفرات تقدم نحو أرباض « ماسيپرا كيتا » وهنـاك يتفرع من الفرات قنوات عريضة يجري الماء فيها إلى داخل مملـكة بابل لتروية المزارع والحقول وشرب سكان المدن والقرى الواقعة على تلك القنوات .

وقد صار هـذا النهر الـكبير يعرف فى العهد العربي باسم « نهر عيسى الأعظم » نسبة الى عيسى بن علي عم المنصور وقد سمي نهر عيسى الأعظم لتميزه عن أكبر فروعه اليسرى الذي كان يعرف أيضاً باسم نهر عيسى وهو الفرع الذي كان ينتهي الى بغداد الغربية ويصب فى دجلة هناك . وكان هذا الفرع يعرف فى الدور الذي سبق العهد العربي باسم « نهر الرفيل» ثم سميّ باسم نهر عيسى نسبة الى الأمير عيسى بن علي عم المنصور كما تقدم . والرفيل الذي

ينسب اليه هذا النهر هو اسم دهقان [1] من الفرس أسلم على يد سعد بن أبي وقاص . ولا يزال قسم من المواضع والمواقع التي كان يجري فيها النهر المذكور يعرف باسم عيسى كتل عيسى مثلا الذي يقع في ذنائب جدول الصقلاوية وشاخة البو عيسى « آل أبي عيسى » المتفرعة من الضفة اليمنى من فرع الكصاوي (أحد فروع جدول الصقلاوية الحالي) والميساوية (إحدى شاخات فرع علي السليمان الحالي) الخ ... ولعل لبعضها صلة بالاسم القديم ولا تزال آثار نهر عيسى تعرف حتى اليوم باسم الميساوي كما قدمنا وسيأتي البحث فيه .

وكانت معظم أراضي منطقه بغداد الغربية يسقى من هذا النهر الكبير بمجرى فرع الرفيل ومجرى فرع آخر ينساب شماله كان يعرف باسم « نهر الصراة » فيجريان متوازيين نحو الشرق ثم ينتهيان الى نهر دجلة فيصبان فيه داخل بغداد بعد أن يسقيا الأرض المجاورة لهما بين النهر الرئيس ونهر دجلة . وكان نهر الصراة الذي بقي محتفظاً باسمه الى ما بعد تشييد مدينة المنصور يسمى « نهر الصَّراة العظمى » وقد سمّي بهذا الاسم لتمييزه عن نهر آخر يتفرع منه كان يعرف باسم « الصراة الصغرى » ، وكان هذا النهر الأخير يتفرع من عمود الصراة العظمى فيسقي قسماً من البساتين الواقعة على الجانب الأيسر من الصراة العظمى ثم يعود فيصب في النهر الذي تفرع منه .

وكان قد أنشيء سد من الحجر على النهر الرئيس عند صدري فرعي الصراة والرُّفيل وهو « شاذروان » في اصطلاح القدماء ، وذلك لرفع مستوى المياه وتحويلها الى الفرعين المذكورين (الرفيل والصراة العظمى) ، وكان السد والناظمان المشيدان في صدريهما لتقسيم المياه بينهما تحول دون وصول السفن إلى دجلة ، لذلك كانت تنقل البضائع من السفن التي تصل الى هذا الموضع الى سفن أخرى وراء السد لمواصلة نقلها الى بغداد التي كانت مركزاً

---

(١) الدهقان وجمعه الدهاقين والدهاقنة وهي لفظة فارسية يقصد بها زعيم الفلاحين من نبلاء الفرس الذين كانوا ملاكين وأصحاب ضياع ، ومثله بالعربية « التانيء » وجمعه التناء والدهقنة : التناءة والتناية .

تجارياً رئيساً في ذلك العصر . وقد نشأت في زمن العرب بلدة في هـــذا الموضع سمّيت «المحوّل» أي الموضع الذي تحوّل فيه البضائع وغيرها من شحن السفن .

وكان على نهر الصراة العظمى قنطرة متينة ذات عقود من الآجر والجص يعود تاريخها إلى العصر الفارسي وصارت تعرف هذه القنطرة بعد أن شيد المنصور مدينته المدوَّرة في شمال نهر الصراة بالقنطرة العتيقة . وقد ذكر ابن عبد الحق في مراصد الاطلاع « ان أهل الاثر يقولون: الصراة العظمى هي التي بالعراق نهر حفره فيروز بن جدليس النبطي والصراة الصغرى حفرها بنو ساسان بعد ما أبادوا النبط » .

وكانت على نهر الصراة العظمى في الزاوية المكونة من مصب نهر الصراة الصغرى بنهر الصراة العظمى طاحونة تسمى « رحى البطريق » وقد روي أن صاحب هذه الرحى كان من جملة الذين استدعاهم المنصور ليستطلع رأيهم في المواضع التي كانوا فيها . وفي رواية أن الرحى تنسب الى بطريق رومي جاء وافداً من القسطنطينية فبناها للخليفة المهدي ، ومهما كان الأمر فنحن لا نشك في أن الرحى كانت منشأة قبل عهد المنصور وعهد المهدي .

ونستخلص مما تقدم أن القدماء كانوا قد اعتادوا أن يضيفوا كلمة « الأعظم » أو « العظيم » الى اسم الجدول الرئيس للتمييز بينه وبين الفرع الذي يتفرع منه ويحمل اسم الجدول نفسه أيضاً ، كما كانوا يضيفون هذه الكلمة إلى الشارع إذا كان أعظم شارع في المدينة ، وهكذا فقد سمّي نهر الصراة الرئيس باسم « نهر الصراة العظمى » للتمييز بينه وبين الفرع الذي يتفرع منـه وصار يعرف باسم « نهر الصراة الصغرى » وكذلك سمي نهر عيسى الرئيس باسم « نهر عيسى الأعظم » للتمييز بينه وبين الفرع المتفرع منه الذي صار يعرف باسم « نهر عيسى » . وقد أكدّنا القول في هذا الأمر بصورة خاصة لأهميته في دراسة نظام الأنهار القديمة التي كانت تروي منطقة بغداد . وقد وقع جماعة من الباحثين الأجانب في أغلاط كثيرة لعدم التفاتهم الى هـذه الناحية ، وسنرى كيف ارتبك نفر منهم في هذا الأمر فقد حسب المستشرق الألماني الدكتور ستريك مثلاً الجدول الرئيس والفرع نهراً واحداً

فرسم المواضع التي كانت على نهر عيسى (الفرع) على النهر الرئيس (نهر عيسى الأعظم) وهو الأمر الذي أدّى الى تثبيتها فى غير مواضعها الحقيقية بأن جعلها بعيدة كل البعد عن مواقعها الأصلية فى مدينة بغداد كما سنذكره في الفصل الثالث « بغداد في أول أدوارها العباسية — الجانب الغربي » .

ويلاحظ أن المسلمين العرب قد استوطنوا فى بعض أراضي هذه المنطقة بعد احتلالهم للعراق إذ يذكر المؤرخون أن البقعـــة التي تقع فى شمال نهر الصراة العظمى امتلكها قوم من المسلمين العرب ولقبت بلقب عربي فسميت « مزرعة المباركة » وهي عين البقعة التي شيد عليها المنصور مدينته المدورة وقد عوضهم المنصور عنها كما سنرى .

وكانت فى الجنوب الغربي من مزرعة المباركة قريه كانت تعرف باسم « قرية الخطابية » فوصف الطبري موقعها من مدينة المنصور بعد إنشائها قال : « كان حول مدينة أبي جعفر قرى قبل بنائها وكان الى جانب باب الشام قرية يقال لها الخطابية على دربالنورة الى درب الأقفاص وكان بعض نخلها فى شارع باب الشام الى أيام المخلوع [محمد الأمين] فى الطريق حتى قطع فى أيام الفتنة » والمقصود بهذا أن نخيل القرية ظلت قائمة حتى أواخر القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي) فى عهد الأمين . وقد وصف اليعقوبي « درب الأقفاص» بقوله : « إنه يقع بين باب الشام وباب الكوفة فوق شارع طريق الأنبار » [1] . وذكر صاحب المراصد « أن الخطابية كانت تقع على ضفة الصراة الصغرى » .

وكان شمال قرية الخطابية دير يعرف بدير بستان القس . وكان صاحب هذا الدير أحد الذين استدعاهم المنصور واستنار برأيهم فى معرفة المواضع التي كانوا يسكنون فيها .

وكانت فى هذه المنطقة أيضاً قرية تسمّى « الشَرَفانية » كانت لدهقان فارسي يكنى بأبي الجون وقد أنشئت فى موضع هـذه القرية « دار سعيد الخطيب » بعـد تشييد مدينة

---

(١) راجع البحث الذي يلي هذا عن بغداد في أول أدوارها العباسية (الجانب الغربي) .

المنصور [1] . وكان حسب رواية اليعقوبي دير كبير عند « قرن الصراة » أي مصب الصراة في دجلة ، وهوالدير الذي كان يعرف باسم « ديرمارفثيون » ثم صار يعرف بعد إنشاء مدينة بغداد في عهد المنصور باسم « الدير العتيق » ، للتمييز بين ابنيته العتيقة وابنيته الجديدة ، وقد ذكرت جماعة من المؤرخين أن المنصور أقام قليلاً في هذا الدير عند مجيئه الى هذه المنطقة لوضع تصميم عاصمته الجديدة ، ويقول آخرون إن دير النصارى الذي حل فيه الخليفة كان قرب هذا الموضع وليس هو الدير الذي عند قرن الصراة . وبعد إنشاء مدينة المنصور شيد عند هذا الدير القصران المشهوران المعروفان بقصر الخلد وقصر القرار .

وكان الى جانب دير مارفثيون هذا دير آخر على نهر الصراة يسمّى « عمر صليبا » وقد جاء وصف هذين الديرين في كتاب « فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متى الطيرهاني » (ص ٦٩) وهو مما يؤيد أنهما يرتقيان الى عهد ما قبل إنشاء مدينة بغداد العباسية : ذكر في أخبار الجاثليق سبر يشوع الثاني (المتوفى سنة ٨٣٩ م) أنه « نزل بالدير الكبير وأحب تجديد بناء دير مارفثيون في العتيقة [2] وكان بناؤه في أيام الفرس قبل بناء بغداد مجاوراً لعمر صليبا ، وبنى جماعة فيه بنياناً وأقاموا فيها فلما بنى المنصور مدينة بالقرب منه ونزلها الناس طالب النصارى لمن كان من المسلمين نازلاً في الدير بالانتقال منه فامتنعوا وقالوا هذا إرثنا من آبائنا فنقلوا عنه كرهاً بأمر المنصور ، فهدم سبر يشوع تلك الأبنية العتيقة ... وجدد بناء بيت الشهداء والأروقة وعمل موضعاً يسكنه ونصب فيه أسكولاً وجمع المعلمين فيه وصار مقام الفطرك فيه ورسم أن يدفع من دخله إلى رهبان عمر صليبا الذي على نهر صرصر في كل شهر أربعة دنانير » .

---

(١) راجع البحث الذي يأتي عن بغداد في أول أدوارها العباسية (الجانب الغربي) .

(٢) راجع ما يلي حول قرية العتيقة (سونايا) المعروفة أيضاً بالمنطقة .

وكان في الزاوية الجنوبية التي تقع بين ضفة دجلة ومصب نهر الصراة العظمى شرقي مزرعة المباركة قرية تعرف باسم « سونايا » بقيت في موضعها بعدانشاء مدينة بغداد وصارت تعرف بالعتيقة ، وقد أنشيء فيها المشهد المسمّى مشهد العتيقة (مسجد المنطقة الحالي) . وقد وصفها ابن عبد الحق بقوله : « سونايا قرية قديمة كانت ببغداد ينسب العنب الأسود اليها ويبكر على سائر العنب ولما عمّرت بغداد دخلت في العمارة وصارت محلة من محالها وهي العتيقة وبها مشهد لعلي بن أبي طالب يعرف بمشهد المنطقة » .

وكان على نهر الرفيل دير قديم يقع بجوار الشيخ معروف الكرخي يعرف باسم « دير كليليشوع » ، وهي لفظة سريانية ومعناها إكليل يسوع وقد حرفت هذه اللفظة في مراصد الاطلاع الى اكليليسع ، وهذا هو المصدر الاسلامي الوحيد الذي ذكر الدير بهذه التسمية وجاء فيه : « دير كليليسع ومنهم من يسميه دير البقال ملاصق مقبرة معروف ولهذا تسمّى المقبرة « مقبرة باب الدير » . وكان هذا الدير يسمّى أيضاً « دير الجاثليق » نسبة الى الجاثليق طيماثاوس الذي جدد بناءه وأقام فيه ودفن في الدير في سنة دخول المأمون بغداد .

وكان في القسم الأسفل من نهر الرفيل في الزاوية الجنوبية التي تقع بين ضفة دجلة ومصب نهر الرفيل قرية تعرف باسم « قَطُفتا » بقي موضعها يعرف بهذا الاسم نفسه بعد إنشاء مدينة المنصور فقد أنشئت هناك محلة باسم « محلة قطُفتا » . ويذكر بعض العلماء أن « قَطُفتا » كلمة آرامية معناها ما يقتطف أو قطافه وسميت كذلك لما كان فيها من وفرة البساتين والثمار (١) . وقد جاء في كتاب « الامامة » المنسوب الى المسعودي المؤرخ أن الامام علي بن أبي طالب مرّ بقرية قطفتا وشكا أهلها إليه كثرة الخراج الموضوع عليهم (٢) .

وكان عند مصب نهر الرفيل في دجلة قصر ساساني يعرف باسم « قصر سابور » وكان قد نصب عنده جسر يصل الجانب الشرقي بالغربي من دجلة ، وقد ذكر البلاذري أن

---

(١) مجلة لغة العرب ٨ : ٥٨٣ . (٢) كتاب الامامة « ص ١١٦ » .

المسلمين عبروا هذا الجسر عند غزوهم لهذه المنطقة ، وكان عبورهم سنة ١٢ هـ (٦٣٣ م) بقيادة النسير بن ديسم فقد عبروا أولاً من الجانب الغربي من دجلة الى الجانب الشرقي ثم من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي ، وجرت بين المسلمين والفرس وقعة قرب تل عقرقوف كان النصر فيها للعرب . وقد أنشأ عيسى عم المنصور قصراً في موضع قصر سابور المذكور فسمّي « قصر عيسى » ، وقد ذكر ياقوت أنه أول قصر بناه الهاشميون في أيام المنصور ببغداد وكان على شاطيء نهر الرفيل عند مصبه في دجلة وكان قرب موضع مسجد قرية الحالي .

وكان يتشعب من الضفة اليسرى لنهر الرفيل في موضع يبعد نحواً من ميل تحت صدره نهر كان يعرف باسم « نهر كرخايا » فيمتد بموازاة نهر الرفيل من الشمال مؤلفاً شبكة من القنوات بين نهر الصراة ونهر الرفيل بعضها يصب في الصراة والبعض الآخر في دجلة وفي نهر الرفيل ثم يعود فيصب في نهر الرفيل بعينه . وكان « نهر كرخايا » هذا يسقي المنطقة الواقعة بين نهر الصراة ونهر الرفيل ، وهي المنطقة التي كانت تعرف يومئذ باسم « رستاق الفروسيج » [(١)] . وقد روي أن القسم الأسفل من هذا النهر كان قد حفره بابك بن بهرام بن بابك وهو القسم الذي صار يعرف بعد إنشاء مدينة المنصور باسم « نهر طابق » . [(٢)] وللايضاح تراجع خارطة بغداد في العهد الساساني في أطلس بغداد .

ومن أهم القرى في هذه المنطقة التي تناقل المؤرخون أسماءها من العهد القديم « قرية الكرخ » ، وهي القرية التي نسبت إليها محلة الكرخ الواسعة التي أنشئت غربي بغداد في العهد العباسي حتى أخذ يعرف غربي بغداد كله باسم الكرخ في الزمن الأخير . ويظهر من وصف المؤرخين أن الكرخ كانت في هذا العهد أشبه بقرية منعزلة ، ويذكر المؤرخ الفارسي حمد الله المستوفي أن الذي أسسها هو الملك الساساني سابور الثاني الذي

---

(١) الرستاق وحدة زراعية كانت تطلق في زمن الفرس على الصقع الذي يشتمل على مزارع وقرى .
(٢) راجع البحث الذي يأتي عن بغداد في أول أدوارها العباسية (الجانب الغربي) .

يلقبه العرب « ذا الأكتاف » وكان حكمه من سنة ٣٠٩ الى سنة ٣٧٩ م . ويرى ياقوت أن أصل كلمة « كرخ » نبطي إلاّ أن من الباحثين من يرى أنه آرامي أو سرياني مشتق من فعل فى هذه اللغة يعني « ساق الماء إلى مواضعه » . وهناك من يرى أن الكرخ مشتقة من كرخا وهي كلمة آرامية معناها « المدينة المحصنة » ، كما أن منهم من يرى أنها لفظة يونانية أصلها (Charax) ثم عربت بكلمة الكرخ وتعني مكاناً مسيّجاً ، وقد عرفت بهذا الاسم أمكنة مختلفة منها كرخ سامرا وكرخ باجدا وهي بمعنى الدور أو كل ما كان حوله سور أو سياج . وهذا المعنى يؤيد كونها كلمة آرامية .

وكان على نهر كرخايا عند البقعة التي ينفصل فيها نهر كرخايا عن نهر الرُّفيل قرية مهمة أخرى تسمى « قرية براثا » يرتقي تاريخها الى هذا العهد القديم أيضاً ، وكان لهذا الموضع شهرة قبل الاسلام وقد انتهى أمرُه الى أن اندمج ببغداد واشتهر فى العهود العباسيّة أيضاً لوقوع جامع براثا فيه ، وهو الجامع الذي يقدسه الشيعة بناءاً منهم على رواية تشير الى ان الامام علي بن أبي طالب صلى فى هذه البقعة التي شيد فيها الجامع ، واغتسل بالقرب منه وذلك فى سيره الى الخوارج سنة ٣٧ للهجرة (٦٥٨ م) ، ورواية أخرى تذكر أن صلاته واغتساله كانا في قرية سونايا التي قدمنا ذكرها ونقلنا أن فيها مشهداً لعلي بن أبي طالب وقد عرف بمشهد المنطقة ولا يزال قائماً بين بغداد والكاظمية ومسمّى بهذا الاسم . وقد هدم جامع براثا على عهد المقتدر بالله ٢٩٥ — ٣٢٠ هـ (٩٠٨ — ٩٣٢ م) لسبب مذهبي ثم أعيد بناؤه على عهد الراضي بالله ٣٢٢ — ٣٢٩ هـ (٩٣٤ — ٩٤٠ م) ، وسنذكر زواله وعفاءه حتى لقد جهل موقعه .

وكان فى رستاق الفروسيج ثلاث قرى تقع بين نهر كرخايا ونهر الصراة كانت تعرف الأولى باسم « قرية سال » وقد أقيمت فى هذا الموضع بركة فى العهد الذي عقب إنشاء مدينة بغداد صارت تعرف باسم « بركة زلزل » ، أما القرية الثانية فكانت تعرف باسم « قرية

ورثالا » وكانت تسقى من نهر يتفرع من نهر كرخايا وقد شيدت في عهد المنصور « محلة نهر القلائين » في موضعها ، وكانت القرية الثالثة تعرف باسم « قرية بناورا » وهي القرية التي أصبحت بعد إنشاء مدينة المنصور من ضمن قطيعة الربيع الواسعة التي أقطعها المنصور حاجبه الربيع بن يونس .

وكان على ضفة نهر كرخايا أحد الديارات العتيقة المهمة كان يعرف باسم « دير مديان » ويذكر صاحب المراصد أنه كان يعرف أيضاً باسم « ديرسرجيس » ووصفه بقوله إنه « دير حسن نزه يقصده أهل اللهو » ولفظة مديان سريانية معناها المعترفون ، وقد وصفه الشابشتي قال : « وهـذا الدير على نهر كرخايا ببغداد . وهو دير حسن نزه حوله بساتين وعمارة ، ويقصد للتنزه والشرب ، ولا يخلو من قاصد أو طارق ، وهو من البقاع الحسنة النزهة . وللحسين بن الضحاك أبيات شعر فيه :

« يادير مديان ، لاعرّيت من سكن ... ما هجت من سقم يا دير مديانا

هل عند قسّك من علم فيخبرني ... أن كيف يسعد وجه الصبر من بانا

سقياً ورعياً لكرخايا وساكنه ... بين الجنينة والرّوحاء من كانا »

وكان في الجنوب من نهر الصراة موضع يسمى « سوق بغداد » يجتمع فيه التجار في رأس كل سنة وتقوم به للفرس سوق عظيمة مما جعله مركزاً تجارياً عالمياً . وظل الامر كذلك إلى عهد الفتح الاسلامي ، ولسوق بغداد هذا أهميته التاريخية وذلك من حيث تسمية المدينة التي أضيف إليها وعرفت ببغداد حتى يومنا هذا . وقد اشتهر ذكر هذا الموضع بالفوز الذي ناله العرب عند هجومهم عليه في سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م) . وقد وصف الخطيب وابن الجوزي هذا الحادث في كتابيهما بقولهما : « إن اسم بغداد كان يعرف به قديماً قبل المنصور ، وكانت بغداد في أيام مملكة العجم قرية تقوم بها للفرس في كل سنة سوق عظيمة ويجتمع بها في ذلك الموسم التجار فلما توجه المسلمون الى العراق وفتحوا أول السواد ذكر للمثنى بن حارثة الشيباني أمر سوق بغداد فقصدها وهو أول من حارب الفرس في خلافة أبي بكر الصديق (رض)

وسبب ذلك أن أهـل الحيرة قالوا له : ألا ندلك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى وتجار السواد ويجتمع بها فى كل سنة من أموال الناس مثل خراج العراق ، وهذه أيام موسمهم الذي يجتمعون به فان أنت قدرت على أن تعبر إليهم وهم لايشعرون أصبت بها أموالاً يـكون بها عز للمسلمين وقوة على عدوهم وبينها وبين مدائن كسرى عامة يوم ، فسار الى الأنبار وأخذ منها من يدله الطريق ثم سار حتى صبحهم في أسواقهم فوضع فيهم السيف وقال لأصحابه : لا تأخـذوا الا الذهب والفضـة ومن المتاع ما يقدر الرجل على حمله على دابته ففعلوا ذلك وعادوا الى الأنبار وقد غنموا أموالا كثيرة » . « تاريخ بغداد ١ : ٢٥—٧» و « مختصر مناقب بغداد ص ٦ ، ٧ » .

وقد وصف ياقوت هذا الحادث نفسه قال : « قال أهل الحيرة للمثنى إن بالقرب منا قرية تقوم فيها سوق عظيمة فى كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد يقال لها بغداد وكذا كانت إذ ذاك ، فأخذ المثنى على البر حتى الأنبار فتحصن فيها أهلها منه فأرسل الى سفروخ مرزبانها ليسير اليه فيكلمه بما يريد وجعل له الأمان ، فعبر المرزبان اليه فخلا به المثنى ، وقال له : إني أريـد ان أغير على سوق بغـداد وأريد أن تبعث معي أدلاء فيدلوني الطريق وتعقد لي الجسر لأعبر عليه الفرات ، ففعل المرزبان ذلك ، وقد كان قطع الجسر قبل ذلك لئلا تعبر العرب عليـه ، فعبر المثنى مع أصحابه وبعث معه المرزبان الأدلاء فسـار حتى وافى السوق ضحوةً فهرب النـــــاس وتركوا أموالهم ، فأخذ المسلمون من الذهب والفضة وسائر الأمتعة ما قدروا على حمله ثم رجعوا الى الأنبار ، ووافى معسكره غانماً موفوراً وذلك في سنة ١٣ للهجرة » . وقد ذكر آخرون أن الحادث وقع في سنة اثنتي عشرة من الهجرة إذ جاء في تاريخ الطبري أن خالد بن الوليد أتى الأنبار وأغار في السنة المذكورة «على سوق بغداد من رستاق العال وأنه وجه المثنى على سوق فيها جمع لقضاعة وبكر فأصاب ما في السوق ثم سار الى عين التمر ففتحها عنوة » . ويؤيد هذا القول ما ذكرناه في الكلام على قصر سابور

نقلاً من كتاب فتوح البلدان للبلاذري وعبور القائد النسير بن ديسم دجلة من الغرب الى الشرق ثم من الشرق الى الغرب عند القصر المذكور .

وقد ورد ذكر سوق بغداد بعد ذلك في حوادث سنة ست وسبعين في الحرب بين شبيب بن يزيد بن نعيم الشيباني والجزل بن سعيد وكان الجزل قد أوفده الحجاج لمقاتلة شبيب ابن يزيد فجرح في هذه المعركة ثم أقبل من المدائن الى بغداد فجاء الكرخ بعد أن عبر دجلة اليها ، ويروى أنه أرسل الى أهل سوق بغداد فآمنهم ، وكان يوم سوقهم وبلغه أنهم يخافونه واشترى أصحابه منهم دواب وأشياء أخرى يحتاجون اليها .

وكان لصاحب بغداد قرية تقع في الشمال الشرقي من قرية الشرفانية تسمى « الوردانية » وهي القرية التي أقيمت فيها في العهد الذي عقب إنشاء بغداد مربعة أبي العباس الفضل بن سليمان الطوسي . وكان صاحب بغداد هذا أحد الدهاقين لقرى هذه المنطقة الذين استدعاهم المنصور عنده ليسألهم عن المواضع التي كانوا فيها ، وقد اختاره المنصور من دون الدهاقين الآخرين ليستطلع رأيه في ملاءمة الموضع لانشاء عاصمته فيه .

ومما يؤيد وقوع قرية بغداد على نهر الصراة ما جاء في تاريخ الطبري نقلاً عن حماد التركي من « أن المنصور بعث رجالاً يطلبون له موضعاً يبنى فيه المدينة فوقع اختيارهم على موضع بغداد قرية على شاطىء الصراة مما يلي الخلد » . وقد ذكر بعض المؤرخين وقوع بغداد جنوب نهر الصراة بدلالة ذكرهم أنها من قرى منطقة بادوريا وهي المنطقة الواقعة جنوب نهر الصراة (١) .

وكان قد امتلك بعض الاكاسرة جملة من البساتين الواقعة في جوار قرية بغداد هذه لقضاء بعض الوقت فيها لما كانت تتميّز به من جودة المناخ وطيب الهواء . ويستفاد مما رواه بعض المؤرخين العرب أن المنطقة المجاورة لموضع المشهد الكاظمي الحالي من جهة الشرق

---

(١) راجع البحث الآتي عن منطقة بادوريا في هذا الفصل نفسه .

كانت قبل إنشاء مدينة المنصور بستاناً لبعض ملوك فارس ثم أقطعها المنصور عمارة بن حمزة أحد مواليه ، وقد ذكر المستوفي أنه كان لكسرى أنوشروان بستان فی جوار قرية بغداد سمّاه « بستان العدل » ، وهذه أقوال نحن ننقلها للاحاطة بما ذكر في التواريخ لا لأنّها من الحقائق الخطيّة ، فان المؤرخين الفرس يجب أن تؤخذ أقوالهم بتحفظ وحذر ، لأنهم نسبوا كثيراً من الأشياء الى ملوكهم ولم تكن لهم .

وكان موضع بغداد قبل أن يفتح الطريق البحري الى الشرق الأقصى مركزاً مهماً للمواصلات بين الشرق والغرب ، فكانت تتوسط طرق القوافل العامة التي تمتد بين الهند وايران ومنطقة البحر المتوسط . وكان الرافدان ، دجلة والفرات ، يؤلفان واسطة نقل مائية تربط المدينة بالمناطق الشمالية والجنوبية من العراق ، وذلك مما جعل موضع بغداد محطة عالية مرتبطة بروابط تجارية قوية مع الشرق والغرب . أما بعد أن طوّرت وسائط النقل فاخذت تجارة إيران مع الغرب تسير فی طريق ميناء الخليج العربيّ المعروف بالخليج الفارسي كما أن تجارة الهند اتصلت مع الغرب بطريق قناة السويس .

ومما استخلصه الاستاذ يوسف غنيمة فی هذا الصدد فی كتابه « تجارة العراق » قوله : « وكانت بغداد قبل أن مصرها المنصور قرية تقوم فيها سوق عظيمة فی كل شهر مرة فيأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد كما أن سوق الثلاثاء كانت سوقاً لأهل كلواذا يقيمونها فی أول ثلاثاء من كل شهر قبل أن يمصّر المنصور بغداد(١) . فنستنتج من هاتين الروايتين أنّ بغداد كانت حلبة التجار قبل أن عصرها المنصور . وقد عرف العرب أهمية موقعها نظراً الى التجارة والسياسة فأشاروا على المنصور أن يتخذ هذه البقعة حاضرة المملكة »(٢) .

---

(١) راجع البحث الآتي عن سوق الثلاثاء في الفصل الذي يلي هذا .

(٢) « تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ٤٥ » . وراجع « سوق الثلاثاء » من معجم البلدان .

أمّا تسمية بغداد ففي التاريخ دلائل كثيرة تدل على أنها ترتقي الى عهد قديم جداً ، فقد ورد ذكر مـدينة باسم « بكدادا » من زمن الملك حمورابي (القرن ١٨ ق . م .) وذلك في لوح وجـد في « سيپار » المعروفة اليوم باسم « أبي حبة » وورد ذكر إقليم باسم « بغـــدادي » في لوح يرجع الى زمن الملك الـكشي « نازي — ماراتاش » (١٣٤١ — ١٣١٦ ق . م .) ، وقد ورد أيضاً اسم أرض واقعة قرب بغـداد في حجر حدود يعرف باسم « ميشو » يرجع الى القرن الثاني عشر ق . م . وقد عثر على هذا الحجر طبيب أوروبي في سنة ١٧٨٠ م قرب إيوان كسرى ، وهناك حجر حدود من زمن الملك الـكشي (مردوخ بلادان الأول) يرجع تاريخه الى القرن الثاني عشر ق . م . أيضاً ورد فيه ذكر مواضع في مقاطعة (بكدادي) .

وذكرت بغداد في وثيقة وجـدت في نينوى يرقى تاريخها الى القرن السابع ق . م . وقد ورد ذكر بغداد في كثير من الروايات التاريخية التي دونها الفردوسي في الشاهنامة في أخبار العهد الساساني منها أن الملك بهرام جور (بهرام الخامس) (٤٢٠ — ٤٣٨ م) توجه الى بغداد بعد انصرافه من الصيد فأقام فيها مدة أسبوعين ترويحاً للنفس ، وأن أحد قواد الملك هرمز الرابع (٥٧٤ ـ ٥٩١ م) أعلن عصيانه في آذربايجان على الملك الذي كان يقيم في طيسفون (المدائن) [1] فأرسل مع تجار بغداد بنقودٍ نقش عليها اسم كسرى إبرويز ابن الملك هرمز لنشرها بين سكان بغداد وطيسفون ، وكان ذلك تمهيداً لاحداث خلاف بين الملك وابنه ، ثم إن قباذ الأول بن فيروز (٤٨٨ — ٥٣٦ م) مكث قليلاً في بغداد . كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن تسمية بغداد كانت راسخة في أذهان سكان هذه المنطقة منذ أقدم العصور بحيث بقي اسمها محافظاً على مكانته حتى يومنا هذا مع طول تلك الأزمنة الواغلة في القدم ومحاولة المنصور استبدال « مدينة السلام » به .

---

(١) راجع البحث الآتي عن المدائن في آخر هذا الفصل .

وقد يكون من المفيد أن نستعرض مختلف النظريات والآراء لعدد من المؤرخين الذين بحثوا فى أصل تسمية بغداد فقد ذهب بعضهم الى أن بغداد محرفة عن (بعل جاد) ومعناها « معسكر البعل » على اعتبار أنها كانت معسكراً للجيش البابلي ومحط ذخائره ومعداته الحربية ، وقال البعض الآخر إنها تحريف « بعل داد » أي مدينة الآله الشمس ، ولعلها بنيت لعبادة البعل (الآله الشمس) فسميت باسمه . ومنهم من يرى أن اسم مدينة بغداد لفظ كلداني فى الأصل وهو « بلداد » مشتق من « بل » وهو اسم الآله الكلداني و « داد » وهي لفظة آرامية قديمة معناها « فتك » ، ويذهب هؤلاء أنه جرى في هذه البقعة ملحمة عظيمة فى عهد نبوخذنصر « بختنصّر » انتصر فيها على أعدائه ، فتخليداً لهذا الفتح والظفر الباهر بنيت المدينة ، ودعيت باسم الصنم « بل » تيمناً به ، وقال بعضهم : إن أصل بناء بغداد قد يرتقي الى عهد حمورابى المعاصر لابراهيم الخليل ، وهو المذكور فى سفر التكوين من التوراة باسم امراقل . ومن الذين يدعمون النظرية القائلة بأن اسم بغداد آرامي الأصل يذكرون أن أكثر سكان هـــذه المنطقة كانوا من العنصر الآرامي بدلالة أسماء الأماكن الآرامية الأصل فيها وكثرة الديارات النصرانية التي كانت مشيدة فيها أيضاً ، وبغداد مؤلفة من كلمتين من (ب) المقتضبة من كلمة (بيت) وكانت تقع فى أوائل أسماء المدن مثل (بعقوبا وباعشيقا وباقوقا) وغيرها ومن لفظة « كدادا » بمعنى غنم أو ضأن فيكون معنى (بكدادا) بيت الغنم أو الضأن ، ومن المحتمل أنهم كانوا يبيعون فى سوق بغداد الغنم أو الضأن فى أول الأمر . وقد توصل الأستاذ المحقق السيد توفيق وهبي بنتيجة تتبعاته الشخصية إلى أن كلمة بغداد آرية الأصل وقد استعملها الكشيون أول مرة فى بلاد بابل فى مستهل الألف الثاني قبل الميلاد وأن معناها عطية الآله [١] .

---

(١) راجع « القصد والاستطراد في أصول معنى بغداد » لمعالي الأستاذ توفيق وهبي ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول ، ايلول ١٩٥٠ ، ص ٤٦ — ٩٤ .

ولما كانت تسمية بغداد أعجمية الأصل فقد وردت بأشكال مختلفة فقيل « بغــــداد وبغداذ وبغداذ ومغداد ومغدان ومغداذ وبغدان » وهي تذكر على اسم البلد وتؤنث على اسم المدينة ، ومما ذكره ياقوت في هذا الصدد نقلاً عن ابن الأنباري قال : « أصل بغداد للأعاجم والعرب تختلف في لفظه إذ لم يكن أصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم ، قال بعض الأعاجم تفسيره (بستان رجل) فباغ ، بستان ، وداد: اسم رجل ، وبعضهم يقول : بغ اسم للصنم ، فذكر انه أهدي الى كسرى خصيّ من المشرق فاقطعه إياها وكان الخصيّ من عبّاد الأصنام ببلده فقال (بغ دادي) أي الصنم اعطاني، وقيل: بغ هوالبستان وداد أعطى، وكان كسرى قد وهب لهذا الخصيّ هذا البستان فقال بغ داد فسمّيت به » . ثم ذكر نقلاً عن حمزة بن الحسن الاصبهاني أن « بغداد اسم فارسي معرّب عن (باغ داذويه) لأن بعض رقعة مدينة المنصور كان باغاً لرجل من الفرس اسمه داذويه ، وبعضها أثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل » . وقد ذهب ياقوت الى أن اسم بغداد مشتق من اسم ملك الصين فقال : « وكان اسم ملك الصين (بغ) فكان تجار الصين اذا انصرفوا الى بلادهم بأرباحهم الطائلة من سوق بغداد قالوا : « بغ داد » أي إن هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك » . ومما قاله حمد الله المستوفي في كتابه « نزهة القلوب » في تسمية بغداد أنه كان في زمن الاكاسرة في موضع بغــــداد قرية في الجانب الأيمن من النهر ، تسمّى (الكرخ) أنشأها سابور الثاني ، وقرية في الجانب الشرقي تسمّى (ساباط) وهي من قرى النهروان . وفي السهل الواقع في الشمال من هذه القرية أنشأ كسرى أنو شروان بستاناً سمّاه « بستان العدل » أو « باغ أي داد » فصار الموضع يعرف على مر الزمن بهذا الاسم .

وكانت المنطقة التي تقع فيها قرية بغداد تقسم الى قســـمين ، القسم الشمالي والقسم الجنوبي ، وكان يسمّى القسم الشمالي « طسوج قُطْرَبُّل » والقسم الجنوبي « طسوج

باد وْرَيا »[1]. وكان نهر الصراة الفاصلَ بين الأول والثاني ، فما كان على يسار نهر الصراة في القسم الأعلى من منطقة بغداد (أو كما يسميه العرب ما كان من غربي الصراة) هو قطربل . وما كان على يمين نهر الصراة في القسم الأسفل والأوسط من منطقة بغداد (أو كما كان يُدعى عند العرب ما كان من شرقي الصراة) هو بادوريا . وكانت قرية سوق بغداد التي مر ذكرها تقع في طسوج بادوريا أي في جنوب نهر الصراة كما سبق بيانه ، ووقوع القرية في هذا الموضع مؤيد بوصف اليعقوبي حيث قال : « ولم تكن بغداد مدينة في الأيام المتقدمة نعني أيام الأكاسرة والأعاجم وانما كانت قرية من قرى طسّوج بادوريا » . وقد نقلنا في السالف من بحثنا أن المنصور لما طلب موضعاً لبناء مدينة وقع اختيار مستشاريه على موضع بغداد وهي قرية على شاطيء الصراة مما يلي الخلد .

وكانت منطقة قطربل الشمالية [2] تسقى من جدول قديم كان يتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة في جوار منطقة بلد الحالية فيسقي أكثر المنطقة الشمالية الواقعة بين الفرات ودجلة ، التي من ضمنها طسّوج قطربل، وصار يعرف هذا النهر في العهد العربي باسم نهر دجيل . ويمكن اليوم تتبع فروع هذا النهر العظيم في أرض الجزيرة بين بلد على نهر دجلة والمقاطعات المحادّة لمقاطعات الفلوجة وكانت تصل فروع هذا النهر الى حدود مزارع نهر عيسى وهو النهر الذي يتفرع من الفرات وينتهي الى دجلة في بغداد ، وقد سبق البحث فيه [3] . وكان يتشعب من نهر دجيل هذا فرع خاص يسير في موازاة نهر دجلة وتنتهي فروعه في القسم الشمالي من منطقة بغداد فتسقي هذه الفروع قسم طسوج قطربل الواقع في شمال نهر

---

(١) الطسوج لغة في الطسوق بفتح الطاء المهملة وتشديد السين عن الفارسية بمعنى المنطقة الزراعية أو الموضع الزراعي .

(٢) اسم قطربل يوناني الأصل نسبة الى نقطربل ثم حذفت النون فصارت قطربل وبهذه الصورة ورد ذكرها في جميع المصادر العربية .

(٣) راجع ما تقدم عن هذا النهر في ص ٣ وما بعدها .

الصراة ، وكان هذا الفرع الذي صار يعرف فى العهد العربي باسم نهر بطاطيا يسقى مزرعة المباركة وقرى الوردانية وشرفانية والخطابية [1]، وقد استفاد المنصور من وجود هذا النهر عندما أنشأ مدينته المدوّرة فى شمال نهرالصراة فمد ثلاثة فروع من نهر بطاطيا الى مدينته الجديدة . أمّا قسم منطقة بغداد الواقع فى منطقة بادوريا فى جنوب نهر الصراة ، وهو القسم الذي كانت تقع فيه قرية سوق بغـــداد ، فـكان يؤلف شبه مثلث يحده من الغرب النهر الرئيس المتفرع من الفرات ونهر الرفيل من الشمال ونهر دجلة من الشرق ، وكان هـذا القسم يروى من فروع نهر الرفيل اليمنى ومن الفروع اليسرى للنهر الرئيس (راجع خارطة منطقة بغداد فى العهد الساساني فى أطلس بغداد) .

وكان ازدهار هذه المنطقة ببساتينها العامرة ومزارعها الواسعة وقراها الزاهية وريهـا المنظم قد جذب ملوك فارس إليها ، فبعد أن أخضع أردشير بابكان (أول ملوك الدولة الساسانية) بلاد مابين النهرين بنى في جوار منطقة بغداد فى الجنوب منها على الضفة اليسرى من نهر دجلة مدينة أصبحت تعرف باسم « المدائن » وقيل إنما سميت المدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والأكاسرة بحيث أصبحت مجموعة من المدن متصلاً بعضها ببعض ، كما أنها كانت تعرف أيضاً باسم « طيسفون » نسبة لاحدى المدن التي شيدت هناك وعرفت هذه المدينـة عند الآراميين باسم « كسفون » وسماها اليونان « كتيسفون » ثم عربت بصورة قطسفون وطيسفون وطسفونج .

وفى المدائن كان يقيم بطرك الكلدان النساطرة وكانت فيها بيعة المدائن الكبرى التي تدعى « كوخى » وهي شهيرة فى تاريخ النصرانية . وكان فى مكان المدائن حصن منيع كان الاشكانيون (الفرثيون) يشتون فيه فى زمن استيلائهم على العراق لطيب المناخ هناك . وقد اتخذت المدائن فى عهد الأكاسرة الأخير عاصمة شتوية للدولة الساسانية ، ويقال

(١) يجد القارىء بحثاً مفصلا في تاريخ نهر دجيل في كتاب « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » لأحد المؤلفين وهو الدكتور أحمد سوسة .

إن كسرى أنوشروان الذى امتد حكمه من ٥٢٦ الى ٥٧٢ م هو أول من جعل المدائن عاصمة لملكه ، وقد تبعه الأكاسرة الذين خلفوه إلى زمن احتلال العرب إياها فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب . ولا يزال من آثار المدائن « الايوان » المعروف اليوم بطاق كسرى فى جوار بلدة « سلمان باك » الحالية (١) . وتدل الروايات التاريخية على أن بناء هذا الايوان يرجع تاريخه إلى عهد سابور ذي الأكتاف (القرن الرابع للمسيح) ثم رممه كسرى أنوشروان فسمي باسمه « إيوان كسرى أنوشروان » أو « إيوان كسرى » .

وتؤيد الروايات التاريخية القديمة أن العمران فى منطقة المدائن يرجع إلى ما قبل عهد الأكاسرة والاشكانيين (الفرثيين) وقد رجعه المؤرخون إلى العهد الاغريقي ، لأن الحكام اليونان خلفاء الأسكندر المقدوني قد سبقوا الفرثيين إلى اختيار الوضع نفسه لينشئوا فيه قصورهم ، فقد شيد « سلوقس نيقاطور » فى القرن الثالث قبل الميلاد مدينة « سلوقية » على الضفة اليمنى من النهر مقابل أرض المدائن الفارسية ، ولا تزال آثار هذه المدينة تعرف اليوم باسم « تلول عمران » أو « تل عمر » وهي تقع مقابل طاق كسرى الحالي في الجانب الأيمن لنهر دجلة . ويقول بعض المؤرخين إن الاسكندر نفسه كان البادىء بإنشاء الأبنية فى موضع « سلوقية » وقد اختار هذا الموضع لاقامته حتى مات . وقد ذكر بلينيوس (٧٩ م) سلوقية فقال : إنها تلقب بالبابلية . وأضاف إلى ذلك قوله : إن سكانها يبلغون زهاء ستمائة الف نسمة وهيأة رسمها هيأة عقاب . وقد خربت سلوقية قبل الفتح الاسلامى ولهذا لم يذكرها العرب بين المدن المسكونة التي كانت تؤلف منطقة المدائن ، ويستدل بذلك على أن

---

(١) سمي هذا الموضع باسم « سلمان باك » بالباء الفارسية نسبة للصحابي المعروف « سلمان الفارسي » المدفون فيه ولقب « باك » بمعنى « الطاهر » بالفارسية . ومدفنه فى وسط مشهد فخم يقصده الناس فى ربيع كل سنة للزيارة ، وكان على مقربة من هذا المشهد على ضفة نهر دجلة قبران آخران للصحابيين عبدالله الأنصاري وحذيفة ابن اليمان وعلى أثر التآكل الذي حصل فى الضفة بمياه الفيضان نقلت الحكومة بقايا رفاتيهما الى مشهد سلمان الفارسي في عام ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) .

سلوقية احتلت فى عهد اليونان مكانة بابل في زهوها كما أن المدائن احتلت في عهـد الفرس مكانة سلوقية وبغداد فى العهد الاسلامي احتلت مكانة المدائن فيازدهارها وتوسعها . وهناك من يشير الى أن هذه المنطقة كانت معمورة قبل عهد الاسكندر ، فذكر المستوفي فى كتابه « نزهة القلوب » أن الملك يامشيد اليشدادي أقام جسراً على نهر دجلة فى المدائن وهو جسر مقوّس من الآجر الا أن الاسكندر هدمه على اعتبار أنه أثر عظيم من آثار الملك الفارسي . ولما أعاد أردشير بابكان بناء المدينة رغب فى إعادة بناء هذا الجسر لكنه لم يستطع إنجازه ، لذلك أقام جسراً عائماً من سفن مربوط بعضها ببعض بسلاسل حديد .

وكانت منطقة سلوقية والمدائن تحتل مكانة متميزة وذلك من حيث مركزها الحربي « الستراتيجي » والتجاري فقد كانت تتوسط الطريق التجاري العام بين الشرق والغرب . وقد عد بعض المؤرخين اليونانيين « سلوقية » عاصمة لبلاد بابل القديمة حتى أن سكان سلوقية كانوا يُعدون فى نظرهم من سكان بابل . ومما ذكره سترابون في هذا الصدد وقد دون تاريخه قبيل بداية التاريخ الميلادي قوله : « كان الآشوريون يعدون بابل عاصمة لدولتهم أما الآن فسلوقية الواقعة على نهر دجلة هي العاصمة وبالقرب منها قرية واسعة تسمى طيسفون وقد اتخذها الملوك الفرثيون مشتى لهم . وبحكم عظمة الدولة الفرثية تعدُّ طيسفون مدينة لا قرية تستوعب عدداً كبيراً من النفوس . وقد أنشأ فيها الفرثيون عمارات عامة فازدهرت فيها التجارة وكثرت بضائعها وكانت الأعمال فيها ذات فائدة كبيرة لأهلها (أي أهل المدينة) »[1] . وقد وصف إزيدورس سلوقية وطيسفون فى حدود ذلك الزمن بقوله : إنهما واقعتان على الطريق العام الذي يصل بلاد الروم ببلاد الفرثيين فما كان من

---

(١) راجع الجزء الثالث من الكتاب السادس لجغرافية سترابون ترجمة هاميلتون وفالكونر ص ١٥٢
« The Geography of Strabo » — Translations with Notes. By H. C. Hamilton &W. Falconer (3 vols.) London — 1912 — 1916 vol. 3 P. 152.

غربي الفرات يعدّه الرومان من ضمن نفوذ حكمهم . وقد ذكر أن الطريق يبدأ من انطاكية فيتجه نحو البيرة على نهر الفرات فيعبر نهر الفرات هناك ثم يسير في اتجاه الفرات جنوباً حتى اذا ما وصل الى جوار هيت قطع الصحراء الواقعة ما بين النهرين متجهاً نحو سلوقية على نهر دجلة فيعبر نهر دجلة هنـــاك ثم يسلك الطريق المؤدي الى همذان وطهران ومنها الى الهند [١] . وقد أثبتت سلوقية وطيسفون في الخوارط التي وضعها الجغرافيون اليونانيون مثل بطليميوس القلوذي وغيره .

ومما ذكره ياقوت في كلامه على المدائن ونزول ملوك فارس فيها نقلاً عن الكاتب يزدجرد بن مهبنداذ قوله : « قال يزدجرد بن مهبنداذ الكسروي في رسالة له عملها في تفضيل بغداد فقال في تضاعيفها : ولقد كنت أفكر كثيراً في نزول الاكاسرة بين أرض الفرات ودجلة فوقفت على أنهم توسطوا مصب الفرات في دجلة [٢] . هذا وإن الاسكندر لما سار في الأرض ودانت له الامم وبنى المدن العظام في المشرق والمغرب رجع الى المدائن وبنى فيها مدينة وسورها وهي الى هذا الوقت موجودة الأثر وأقام بها راغباً عن بقاع الأرض جميعاً وعن بلاده ووطنه حتى مات . . قال يزدجرد أما أنوشروان بن قباذ وكان أجل ملوك فارس حزماً ورأياً وعقلاً وأدباً فانه بنى المدائن وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بني ساسان

---

(١) راجع كتاب :

« Parthian Stations » By Isidore. of Charax- An account of The Oovrland Trade Route between The Levant and India in The 1 st Century B. C. The Greek Text with Translation and Commentary By wilfred H. Schoff, Philadelphia 1914.

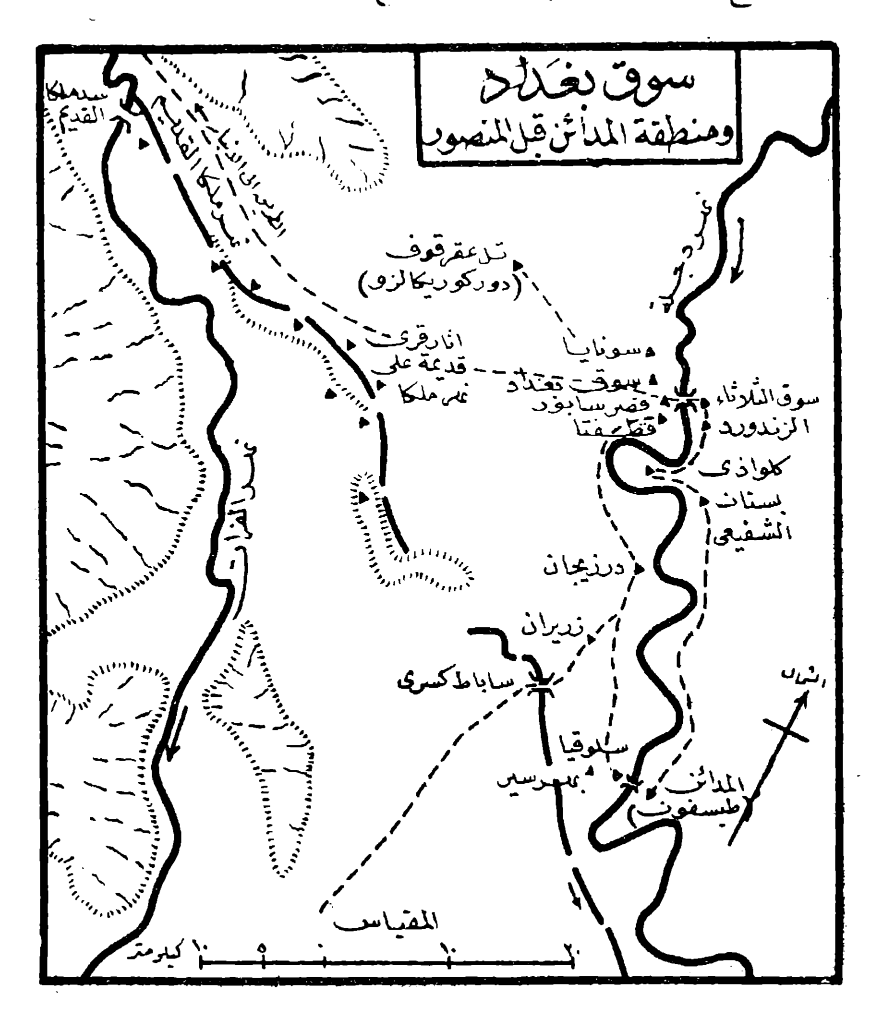
(٢) كان القدماء يعدون نهرالفرات الرئيس منتهياً في دجلة على مسافة قليلة من جنوب بغداد وذلك لأن أحد الانهار العظيمة التي كانت تتفرع من الفرات وتنتهي الى دجلة جنوب بغداد وهو النهر المعروف بنهر الملك أو نهر ملكا كان من السعة بحيث اعتبره البعض عموداً للفرات وقد عد القسم الذي يسير نحو الجنوب الى الكوفة فرعاً من الفرات . (راجع التفاصيل عن نهر ملكا في كتاب « وادي الفرات » ، الجزء الثاني ص ٧٨ — ٨٥ لأحد المؤلفين وهو الدكتور أحمد سوسه .

الى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... وقد ذكر في سير الفرس أن أول من اختط مدينة في هذا الموضع أردشير بن بابك : قالوا لما ملك البلاد سار حتى نزل في هذا الموضع فاستحسنه فاختط به مدينة » .

ومما ذكره ابن عبد الحق عن المدائن قال : « المدائن جمع مدينة وانما سميت بذلك لأنها كانت مدناً كل واحدة منها الى جنب الأخرى فأولها المدينة العتيقة ثم مدينة الاسكندر ثم طيسفون واسمها بالفارسية « كوسفون » وعربوه على الطيسفون والطيسفونج ثم أسبانير ثم الرومية ، وقيل هي سبع مدائن بين كل مدينة والأخرى مسافة بعيدة أو قريبة وآثارها وأسماؤها باقية وهي أسفانور و (به أردشير) وهنبو شابور ودرزبيذان ، و به جنديو خسره ، وبنونيابان ، وكرداباذ ، فعرب أسفانور على أسفانير وعرب (به أردشير) على بهرسير وعرب هنبوشابور على جنديسابور وعرب درزبيذان على درزبيجان [1] وعرب به جنديوخسره على رومية وعرب السادس والسابع على اللفظ » . ومما جاء في « مقدمة تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي عن المدائن أنها « سميت المدائن لكثرة ما بنى بها الملوك والاكاسرة وتسمى المدينة الشرقية العتيقة ، وفيها القصر الأبيض القديم الذي لايدري من بناه ، وتتصل به المدينة التي كانت الملوك تنزلها ، وفيها الايوان ويعرف باسبانير ، وأما المدينة الغربية فتسمى بهرسير ، وكان الاسكندر أجل ملوك الارض نزلها » . وقد عين اليعقوبي موضع المدائن على سبعة فراسخ من بغداد وذكر أن « ما كان من جانب دجلة الشرقي فشربه من دجلة وما كان من جانب دجلة الغربي فشربه من الفرات يأتي من نهر يقال له نهر الملك يأخذ من الفرات » . ذلك مما يدل على أن منطقة المدائن لم تكن تقل عن منطقة بغداد في ازدهار حقولها وبساتينها ومزارعها فكان الجانب الغربي منها يروى من نهر الملك (نهر ملكا القديم) الذي كان يتفرع من نهر الفرات ، والجانب الشرقي يروى من الجداول المتحدرة من النهروان . وكان

(١) سماها ياقوت درزيجان ووصفها انها قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي وهي إحدى المدن السبع التي كانت للأكاسرة واصلها درزيندان فعربت على درزيجان .

طريقان رئيسان يربطان منطقة المدائن بسوق بغداد يمتد أحدهما بموازاة الساحل الأيمن من نهر دجلة والآخر بموازاة الجانب الأيسر من النهر ، وكان الجسران اللذان أحدهما عند قصر سابور في الشمال والآخر عند المدائن في الجنوب يربطان الطريق الغربي بالطريق الشرقي . كما كانت هناك طرق متشعبة تمتد من سوق بغداد الى القرى والمدن الواقعة على نهر ملكا وعلى نهر الفرات وأهمها مدينة الأنبار ، « فيروز سابور » المقدم ذكرها ، يضاف الى ذلك طريق المواصلات النهرية الذي كان يسير في نهر ملكا فيصل الفرات بدجلة وهو الطريق الذي كانت تنقل فيه البضائع المختلفة من أعالي الفرات (راجع خارطة سوق بغداد ومنطقة المدائن قبل



إنشاء المنصور مدينته المدوّرة فى هذه البقعة) .

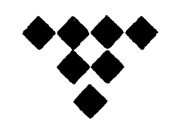
وقد بقيت المدائن محتفظة بمركزها الحربي السوقي وبثروتها الزراعية فى العهد العباسي وقد ذكر ابن الجوزي أن الخليفة المعتصم وقد اتخذها معسكراً لجيوشه . ومما زاد فى أهميتها أن مرقد الصحابي سلمان الفارسي يقع فى جوارها . ومن المواضع التي اشتهرت فى هـذه المنطقة فى العهد التالي موضع يقال له « الشفيعي » كان يقع فى الحـد الجنوبي من بغداد الشرقية على الطريق الذي يصل بغداد الشرقية بالمدائن وكان فيه بستان عامر يقصده كبار القوم من أمراء وسلاطين وقواد وتنحصر أخباره بين سنة ٣٢٩ و ٥٢٩ للهجرة ، وقد نزل معز الدولة فى بستان الشفيعي هذا ، وكان ينوي إنشاء قصره هناك فى بادئ الامر الا أنه عدل عن رأيه فبناه فى الشماسية ، وكان بستان الشفيعي إقطاعاً من الراضي لأحد غلمـان القـاهر المدعو « زيرك » . وقد اشتهرت فى هـذا العهد أيضاً قريتان تقعان فى الجانب الغربي من دجلة جنوب المدائن بقليل تعرف الاولى بساباط كسرى وكان عندها قنطرة على نهر الملك وتعرف الثانية بزريران وهي من أعمال نهر الملك تقع فوق ساباط وجنوب بهرسـير . وقد أخذت منطقة المدائن تضمحل في آخر العهد العبـاسي ، فوصفهـا ياقوت كما كانت عليه في زمنه (أوائل القرن السابع الهجري) بقوله إنها « بليدة شبيهة بالقرية بينها وبين بغداد سـتة فراسخ وأهلها فلاحون يزرعون ويحصـدون والغالب على أهلها التشيع على مذهب الاماميـة وبالمدينة الشرقية قرب الايوان قبر سلمان الفارسي رضي الله عنه وعليه مشهد يزار الى وقتنـا هذا » .

ومما يدل على أن ازدهار هذه المنطقة يرجع إلى العهد البابلي أن التنقيبات الأثرية ، التي أجريت فى جوار قرية بغداد القديمة ، دلت على وجود مدينة بابلية قديمة يرتقي تاريخها الى ما قبل ألفين وخمسمائة سنة إذ لاحظ السرهنري رولنسن فى سنة ١٨٤٨ م عند هبوط المياه في نهر دجلة بقايا متراس يحاذي ضفة دجلة الغربية داخل حدود مدينة بغداد الحالية ، وكان

مشيداً بالآجر البابلي وملاطه من القار وقد عثر بين الآجر على قطعة مختومة باسم نبوخذنصر الثاني مع ألقابه (٦٠٥ — ٥٥٨ ق .) . والظاهر لنا أن السر هنري رولنسون يشـير إلى البناء البابلي المعروف عند العامة باسم « السِنّ » وكان مُسامتاً للضفة الغربية لدجلة جنوبي محلة الكريمات والرأس الغربيّ للجسر الأسفل القريب من الصالحية ، وقد وصفه بعضهم بأنه على شاطيء دجلة الأيمن حيث اقيمت سكة حديد بغداد سـنة ١٩١٤ م وفى صيف سنة ١٩١١ م سعى ناظم باشا والي بغداد يومئذ لهدم ذلك البناء لمنع الأخطار التي تنشأ من وجوده فى دجلة لأن السفن والقوارب المعروفة بالقفف كانت ترتطم فيه فلا تستطيع الخروج من أسنانه وقد تغرق بمن فيها ، فتكون أطلال هذا القصر سـببًا فى الهلاك والخسران . وقد وكل الباشا المذكور هدمه الى عشرين عاملاً فلم يقلعُوا من آجره بعد عمل ناصب طويل إلا نحواً من طبقتين ، ولما رأى أن لا فائدة من ذلك عدل عن الهـدم ، وفى أوائل ربيع سنة ١٩١٤ م أخذ رجال سكة حديد (بغداد إلى إستانبول) فى استئناف هدمه فنسفُوا أكثره بالديناميت ولم يبق منه إلا قليل ، وقد ظن بعضهم خطأً أنه قصر من قصور البرامكة ونظم فيه إبراهيم الباجهجي الشاعر قصيدة ، والحقيقة أنه بقايا قصر بابلي ولا صلة له بالتاريخ الإسلاميّ بله أن بغداد العباسـيّة لم يصل بناؤها إلى هذا الموضع . « راجع خبره والقصيدة فى مجلة لغة العرب « ٣ : ٦٣٦ » . وقد وجد كل من أوپرت فى السنة ١٨٥٣ م وپونيون وهارپر فى السنة ١٨٨٩ م قطعاً من هذا الآجر الكلداني أيضاً على الرصيف نفسه . وقد عثر مؤخراً على مثل هذا الآجر المختوم باسم نبوخذنصر الثاني فى التل المسمّى « تل نصرة باشا » وهو التل الواقع شرق مدينة المنصور الحديثة ونهر الخر الحالي وذلك فى أثناء فتح طريق جديد بين شارع دمشق ومدينة المنصور الحديثة ، وقد أجري بعض التنقيب في هذا التل فوجدت آثار قرية يرجع تاريخها الى عهد الفرثيين ، ويظن أن هذا الآجر نقل إلى هذه القرية فى أثناء بنائها . كل ذلك يدل على أن موضع بغـداد كان

معموراً منذ زهاء ثلاثة آلاف عام ولا شك أنه كان يروى فى هذا العهد القديم وفى العهد العباسي من الأنهار التي كانت تستمد المياه من النهرين ، دجلة والفرات .

ونستخلص مما تقدم أن موضع قرية بغداد القديمة كان مركزاً حربياً « ستراتيجياً » واقتصادياً وتجارياً وقد انتشر فى جواره العمران من كل صوب لوقوعه فى بقعة متوسطة بين مراكز المدنيات للبابليين والآشوريين والكيشيين واليونان والفرس ، فكان نقطة التقاء بين الأمم المتمدنة المختلفة ، فازدهرت فيه بابل ثم سلوقية ثم طيسفون والمدائن وأخيراً بغداد فى عهد المنصور .



الفصل الثاني

بغداد قبل المنصور (الجانب الشرقي)

النهروان وتروية منطقة بغداد الشرقية — نهر الخالص — نهربين — تلول حاج عبـد (قرية كلواذا) — طسوج نهر بوق — طسوج كلواذا ونهربين — دير الزندورد — نهر الزندورد — قصر الأمين في الزندورد — قطيعة المخرم — رستاق الافروطر — سوق الثلاثاء — مقابر المجوس — ديارات الشماسية — ديردرمالس — سهل الشماسية — الديارات وإنشاء معظم قصور الخلفاء في جوارها — أقدم شريعة في تاريخ البشر يعثر عليها بين أطلال منطقة بغداد الشرقية في تل حرمل — تل محمد — النهروان وترويه منطقة أشنونا — منطقة بغداد واقامة العاصمة العباسية فيها .

بحثنا فيما تقدم فيما كان عليه الجانب الغربي من منطقة بغداد قبل العهد الاسلامي ، أما الجانب الشرقي فكان عامراً أيضاً لا يقل في كثافة مزارعه وبساتينه عما كان عليه الجانب الغربي ، وكان يستقي هذا الجانب من نهر واسع يفوق كلاً من أنهار الجانب الغربي حجماً وطولاً . وهذا النهر هو الذي عرف بالنهروان بتغليب اسم أحد أقسامه على قسميه الآخرين ، وكان يتفرع من الجانب الأيسر من نهر دجلة في جوار سامراء فيمتد بمحاذاة نهر دجلة من جهة الشرق مسافة أكثر من مائتي كيلومتر ، حتى يلتقي أخيراً بدجلة بالقرب من أرض مدينة السكوت الحالية . وكان فرعان رئيسان من الفروع اليمنى لهذا النهر العظيم يمدان شبكة الأنهار التي كانت تتغلغل في قلب منطقة بغداد الشرقية ، أحدهما وهو الشمالي كان يعرف باسم « نهر الخالص » والآخر وهو الجنوبي وكان يسمى « نهربين » . وكان « نهر

الخالص » يتفرع من الجانب الأيمن للنهروان على مقربة من بعقوبا غرباً ، فيسير بين النهروان ودجلة باتجاه النهرين القديمين ، « نهر الجاث » و « نهر أبي دحيل » الواقعين فى ذنائب جدول الخالص الحديث ثم ينصب عموده فى دجلة في نقطة تقع على زهاء ١٨ كيلومتراً فى الشمال من مدينة بغداد الحاليـة وتتصل فروعه ببغـداد . أما « نهربين » فكان يتفرع من أمام محطة « كاسلزبوست » الحاليـة الواقعة على خط قطار بغداد إلى بعقوبة على زهاء ثلاثين كيلومتراً من بغداد الحالية ، وبعد أن يتفرع منه عدة فروع تسقي القرى والضيـاع الواقعـة على تلك الفروع يصب ماءه فى دجلة عند قرية كلواذا فى جنوبي منطقة بغـداد الشرقية الحالية ، ونرجح أن موضع هذه القرية فى تلول الزوية المعروفة اليوم باسم «اشن حاج عبد » أي « تلول حاج عبـد » وقد عثر فى أسفل سفح تلول حاج عبد هذه على آجر بابلي مختوم باسم الملك نبوخذنصر يرتقي إلى الدور البابلي الحـديث كما وجد فى القسم الأعلى من التلول آثار ساسانية وآثار إسلامية . أما قرية كلواذا فقد أصبحت فى الدور العباسي بلدة مهمة فيها جامع خاص بصلاة الجمعة ونسب اليها باب بغداد الجنوبي المعروف بباب كلواذا .

وكانت تقع قرية كلواذا هذه على الطريق العام بين منطقة بغداد والمدائن ، ولا شك فى أن هذا الطريق الذي كان يربط منطقـة بغداد بالمدائن هو نفس الطريق الذي وصفه المؤرخون العرب بعد أن شيدت مدينة بغداد فقد كتب ابن رسته وصفه قال : « من بغـداد الى كلواذ ثلاثـة فراسخ ، الطريق ينحدر مع دجلة فتسـير حتى تنتهي الى كلواذا مدينة بها مسجد جامع ومنبر وأسواق . ومن كلواذا الى الزعفرانية الطريق منحدر مع دجلة فى صحراء ومزارع ونخيل ونواويس على شط دجلة حتى تنتهي الى معسكر وصحراء ملساء وعلى شط دجلة قرية يقال لها الزعفرانية ومنها الى المدائن الطريق فى نخيل ومزارع وتعبر على جسري نهرين يسميان نهربين ونهروان حتى تنتهي إلى المدائن وفيها مسجدان جامعان وأسواق وعلى أحد جانبيهـا مما يلي المشرق قصر بناه الأكاسرة وكان مقامهم فيها وفيها الايوان الموصوف » .

(راجع خارطة منطقة بغداد فى أواخر العهد الساساني وأوائل العهد الاسلامي — اطلس بغداد ص ٢ — ٣) .

وكان يتفرع من نهر الخالص ونهر بين عدة فروع تؤلف شبكة من الأنهار ينتهي بعضها الى دجلة والبعض الآخر إلى المزارع مما جعل المزارع والبساتين والكروم متصلة بعضها ببعض لايفصلها غير الطرق الضيقة المنتشرة بين المزارع تحت ظل الأشجار والنخيل وهي الطرق التي تؤدي الى القرى المنتشرة بين المزارع . وكانت قد قسمت هذه المنطقة على نمط تقسيم الجانب الغربي ، فكان القسم الشمالي منها يعرف باسم « طسوج نهر بوق » والقسم الجنوبي يسمى « طسوج كلواذا ونهر بين » ، ويختلف هذا التقسيم عن تقسيم الجانب الغربي فى أن الفاصل بين القسم الشمالي والقسم الجنوبي فى الجانب الغربي هو نهر الصراة فى حين أن الفاصل بين مزارع القسم الشمالي والقسم الجنوبي فى الجانب الشرقي لم يكن محدوداً بحدود نهر ما إذ كانت فروع نهر بين تسقي القسم الأعظم من طسوج نهر بوق .

وقد اشتهرت هذه المنطقة بأديرتها النظرة العامرة وببساتينها وحقولها وكرومها ، منها الدير الذي كان يعرف باسم « دير الزندورد » وهو الدير الذي يقع فى منطقة الزندورد ضمن طسوج كلواذا ، وكان يروي هذه المنطقة نهر يسمى باسمها أي « نهر الزندرود » ومعناه « النهر الحي بالفارسية » يتفرع من الضفة اليمنى لنهر بين . وكانت بساتين هذا الدير مشهورة فى العهد العباسي بأترجها وأعنابها .

وقد وصف ياقوت هذا الدير نقلاً عن الشابشتي قال : هو فى الجانب الشرقي من بغداد . وحدُّها من باب الازج [1] الى الشفيعي [2] ، وأرضها كلُّها فواكه وأترج

---

(١) حول باب الازج راجع البحث الذي يلي في الفصل الربع « بغداد في أول أدوارها العباسية — الجانب الشرقي » .

(٢) راجع ما تقدم عن بستان الشفيعي فى ص ٢٧ .

وأعناب ، وهي من أجود الأعناب التي تُعصر ببغداد ، وفيها يقول أبو نواس :

فسقّني من كروم الزندورد ضحىً ماء المناقيـــد فى ظل المناقيد »

وفى « مســـالك الأبصار » لابن فضل الله العمري كلام فى هذا الدير منقول عن الشابشتي أيضاً هذا نصه :

« قال الشابشتي : حكى عبد الواحد بن طرخان ، قال : خرجت الى دير الزندورد فى بعض أعياده متطرباً ومتنزهاً ، ومعنا جحظة فى جماعة من إخواني . فنزلنا موضعاً حسناً ، ووافقنا هناك جماعة من ظراف بغداد ، لجميعهم ممشوقاتٌ حسان الوجوه والغناء ، فأقمنا به أياماً فى أطيب عيش . وقال جحظة فيـه شعراً ذكر فيه الدير وطيب الوقت ومن كان معنا وغنى فيه لحناً حسناً ، وهو :

سـقياً ورعيـاً لدير الزندورد وما يحوي ويجمـع من راح وريحـان

دير تدور به الأقداح مترعـــةً من كف ساقٍ مريض الطرف وسنان

والعود يتبعه نـايٌ يوافقـه والشدوُ يُحكمه غصنٌ من البـان

هذا ودجلة للرائين مُعرضة والطير يدعو هديـلا بين أغصـان

برٌّ وبحـرٌ فصيد البر مقـترب والبحر يسبح شـطّـاه بحيتان »

وقد شيد الخليفة الأمين قصراً قرب موضع هذا الدير ولعلّه ألحق قسماً من بسـاتين الدير بالقصر كما أنشأ جسرين على نهر دجلة فى جوار قصره للتنقـل بين قصره فى الجانب الغربي وقصر الزندورد هذا الذي أقامه فى الجانب الشرقي. ومن المحتمل أنّ الباب الذي شيد فى سور بغداد الشرقية فى العهد الأخير وأصبح يعرف باسم « باب كلواذا » كان فى موضع هذا القصر أو بجواره . أما « دير الزندورد » فقد أصبح موضعه يعرف بمحلة باب الأزج ، ومن المحتمل أن باب الأزج نفسه كان قريباً جداً من موضع الدير المذكور . وكان هنـاك نهر شديد الجريان يعرف بنهر الزندرود ومعناه بالفارسية «النهر الحيّ» . وقد ذكر السمعاني

فى « الأزجي » من الأنساب أنه كان فى باب الأزج أربعة آلاف طاحونة وهذا يعني أن النهر كان يحركها وهو قول ظاهر المبالغة ولذلك صدّره بقوله « قِيْـل » .

وكان شمال منطقة الزندورد فى طسوج نهر بوق قطيعة على نهر دجلـة تعرف باسم « قطمية المخرِّم » كانت تروى من أحد فروع نهر بين وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى مخرم ابن يزيد أو ابن شريح بن مخرم وكان قد حل في هذه البقعة فى أوائل العهد الاسلامي حينما فتح المسلمون العراق وقد أقطعها إياه الخليفة عمر بن الخطاب وقيل إن كسرى أقطعه إياها ، وفى هذه البقعة عينها أقيمت محلة المخرّم التي اشتهرت بعد تأسيس مدينة بغداد ودار المملكة البويهية ودار السلطنة السلجوقية .

وكانت المنطقة الواقعة الى الشرق من قطيعة المخرّم تعرف فى العهـد القديم برستاق الأفروطر ومعنى الرستاق مقاطعة أو منطقة، وكانت هذه البقعة تروى من أحد فروع نهر بـيْن الشمالية التي تلتقي بفروع نهر الخالص ، وصار هـذا الفرع يعرف فى العهد العباسي باسم « نهر علي » ، كما كانت المنطقة الواقعة فى جنوب قطمية المخرم تعرف باسم « سوق الثلاثاء » ، وقد ذكر ياقوت أنَّ هذا السـوق « سمي بذلك لأنه كان يقوم عليه سـوق لأهل كلواذا وأهل بغداد قبل أن يعمر المنصور بغداد ، فى كل شهر مرة يوم الثلاثاء فنسب الى اليوم الذي كانت تقوم فيه السوق » . وقـد بقي هذا الموضع على اسمه الأصلي بعد أن شيدت مدينة بغداد الشرقية . وقد أيد صاحب المراصد وصف ياقوت لهذه[1] السوق غير أنه حصرها بأهل كلواذا فقط دون أن يشرك أهل بغداد فيها ، وذلك هو الأصح ، لأن موطن أهل بغداد في الجانب الغربي من نهر دجلة وكان يصعب عليهم الوصول اليها . ويلاحظ أن گي استرانج دوّن فى مخططه لمدينة بغداد القديمة (راجع خارطة بغداد فى أول أدوارها العباسية كما وصفها گي لسترانج فى أطلس بغداد ص ١١) موضعاً فى الجانب الغربي من بغداد باسم سـوق الثلاثاء أيضاً ، وقد عين مكانه فى جنوبي الـكرخ من الغرب إلا أننا لم نعثر على أي مرجع

---

(١) السوق يؤنث ويذكر .

يؤيد ذلك ، ويظهر أن گي لسترانج استند الى وصف اليعقوبي القائل بأن محلة الكرخ التي في الجانب الغربي من بغداد كانت تمتد من قصر وضاح إلى سوق الثلاثاء طولاً بمقدار فرسخين ومن قطيعة الربيع الى دجلة عرضاً مقدار فرسخ . ولعله استخلص من ذلك أن هناك سوق ثلاثاء أخرى في الجانب الغربي من مدينة بغداد في حين أن اليعقوبي، على ما نراه ، لم يقصد بهذا شيئاً سوى أن المسافة من قصر وضاح في شمالي الكرخ الى الموضع الواقع مقابل سوق الثلاثاء التي في الجانب الشرقي تبلغ فرسخين وأن مسافة العرض بين قطيعة الربيع في غربي الكرخ وضفة نهر دجلة اليمنى تبلغ فرسخاً واحداً .

وكان في شمال قطيعة المخرم مقبرة للمجوس قديمة ، وكانت هذه المقبرة في جوار الموضع الذي صار مقبرة لأبي حنيفة النعمان وغيره في عهد المنصور ثم صارت مقبرة أبي حنيفة هذه تعرف بمقبرة الخيزران وبالخيزرانية نسبة الى السيدة الخيزران أم الهادي والرشيد وذلك بعد توسع محلة الرصافة ، وموضع الخيزرانية هو مشهد الامام الأعظم النعمان بن ثابت وما حوله .

وقد اشتهر القسم الشمالي من هذا الجانب من منطقة بغداد بدياراته العديدة للنساطرة واليعاقبة ومن أقدمها الدير المسمى « دير درمالس » وهو الدير الذي يظن أن تسميته محرفة من رومانوس ويرتقي تاريخه إلى القرن الثالث أو الرابع الميلادي . وفي العهد الذي عقب إنشاء مدينة بغداد صارت تعرف هذه المنطقة باسم الشماسية ، والشماسية لفظة عربية منسوبة الى وظيفة الشماس وهي وظيفة دينية عند النصارى ولعل سبب تسمية هذه المنطقة بالشماسية يرجع الى وجود الديارات والبيع فيها وأن شماساً من الشمامسة كان مشهوراً فيها . والأرجح أن معظم الديارات التي ازدهرت هناك في ذلك الزمن ترتقي الى أوائل العهد الساساني أي الى زمن الجاهلية .

وقد وصف الشابشتي دير درمالس بقوله « هذا الدير في أعلى بغداد ، بالجانب الشرقي

منها ، قريب من الدار التي بناها الديلمي أحمد بن بويه ، بباب الشماسية . وموقعه أحسن موقع . وهو نزه كثير البساتين والأشجار . وبقربه أجمة قصب . وهو كبير ، آهل برهبانه وقسانه والمتبتلين فيه . وهو من البقاع المعمورة بالقصف ، والمقصودة بالتنزه والشرب ... ولأبي عبد الله بن حمدون النديم ، فيه :

يا دير درمالس ما أحسنك ويا غزال الدير ما أفتنك !

لئن سكنت الدير يا سيدي فانّ في جوف الحشا مسكنك

ويحك يا قلب ، أما تنتهي عن شدة الوجد بمن أحزنك

ارفق به ، بالله ، يا سيدي فانه من حينه مكّنك

ويؤخذ من كلام ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) أن دير درمالس كان عامراً في أيامه إلاّ أنه لم يبق له أثر في زمن ابن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٠٨ م) فيكون قد خرب بين وفاتيهما .

وكانت الأرض التي بجوار الديارات من ناحية الشمال تقع عند مصب فروع نهر الخالص المتفرع من النهروان وكانت رقة منخفضة ينمي فيها القصب والبردي وتصاد فيها الطيور بكثرة ، وصارت تعرف هذه البقعة بعد إنشاء مدينة بغداد باسم الصحراء أو سهل الشماسية ، وكانت تسمى أيضاً « رقة الشماسية » والرقة هي الأرض التي يغطيها الماء الفائض .

ومما ينبغي ذكره في هذا الصدد أنّ الديارات النصرانية كانت تنشأ في العادة في أحسن المواقع الخصبة التي تتوفر فيها مياه الارواء وتكثر فيها الجنان والغياض والأغراس من الأشجار والرياحين والأزهار وهذه كانت في أكثر الحالات عند ذنائب الأنهار ومصباتها ، ولذلك نرى أن الخلفاء العباسيين كان يقع اختيارهم في الأكثر على ما يجاور هذه الديارات لانشاء قصورهم وبساتينهم فيها ، ففي جوار الدير العتيق في الجانب الغربي من بغداد

انشيء قصر الخلد في عهد المنصور وكذلك قصر القرار بعد ذلك بمدة يسيرة ، كما أنشأ معز الدولة البويهي قصره المشهور المعروف المسمى « الدار[1] المعزّية » فى جوار ديردرمالس ، وأنشأ الأمين قصره عند دير الزندرود ، ومدينة المنصور نفسها كانت محفوفة من أكثر أطرافها بالديارات .

وقد كشفت لنا التنقيبات التي قامت بها دائرة الآثار العراقية فى التلول الأثرية الواقعة فى المنطقة الشرقية من بغــداد عن مدينة متوغلة فى القدم يرتقي تاريخها الى عهد مملكة أشنونا التي تعود الى أواخر الألف الثالث قبل الميلاد ، فقد عثر في أثناء الحفريات التي أجريت فى سنة ١٩٤٧ م فى « تل حرمل » وهو التل الواقع فى الطرف الجنوبي الشرقي من بغداد الحالية (راجع خارطة منطقة بغداد فى أواخر العهد الساساني وأوائل العهد الاسلامى فى اطلس بغداد) على لوحين من الطين دونت عليها باللغة البابلية مواد من قوانين مملكة أشنونا وهي أقدم زمناً بقرنين من شريعة حمورابي المشهورة التي شرعت فى حدود سنة ١٧٩٢ ق. م .

وكانت مملكة أشنونا التي تعود إليها هذه الشريعة القديمة دولة من دويلات المدن المهمة الكبيرة فى تاريخ العراق القديم ، وكانت عاصمتها تسمى « أشنونا » وموضعها الآن فى خرائب « تل أسمر » الواقعة فى شرق نهر ديالى ، وكانت جميع المنطقة الواقعة فى المثلث الكائن بين نهر ديالى ودجلة ومنها بلدة حرمل تابعة لها . وقد نشأت فى أشنونا دولة مهمة مستقلة دامت خلال القسم الأعظم من العهد البابلي القديم الى السنة الثانية والثلاثين من حكم حمورابي فانه قضى عليها فى هذا العام وضم أراضيها الى انبراطوريته .

ويستخلص من دراسة اللوحين اللذين عثر عليهما فى تل حرمل أن المواد التي أمكن

---

(١) هي الدار التي عرفت بـ « الدار المعزية » نسبة الى صاحبها معز الدولة البويهى ، المتوفى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) وكانت بباب الشماسية فى أعلى بغداد ، بالجانب الشرقي منها . وفى الدار المعزية راجع البحث الآتي في الفصل الرابع « بغداد في أول أدوارها العباسية — الجانب الشرقي . »

إظهـارها من قانون أشنونا بلغت (٦١ مادة) ولا يعرف مجموع مواد القانون [١] ، وإن الشريعة هذه لا تختلف كثيراً من حيث الصيغـة عن قانون حمورابي الذي وضع على شكل مواد قانونية أيضاً ، كما أن القوانين التي قننها الملك البابلي « لبت عشتار »[٢] باللغة السومرية في بداية الألف الثاني قبل الميلاد وعثر على بعض أجزائها في « نفر » وضعت على غرار قانون حرمل أيضاً [٣] . وتحتوي المواد التي عثر عليهـا من قانون حرمل على أحـكام مختلفـة فى السرقات والاعتداء والديون والأحوال الشخصية والأجور والأسعار والبيع والشراء إلى غير ذلك من الشؤون القانونية .

ومما ذكره الأستاذ طـه باقر أمين المتحف العراقي يومئذ في بحث له فى قانون مملـكة أشنونا المـكشوف عنه في تل حرمل : « أن قانون مملـكة أشنونا المعثور عليه في تل حرمل أقدم القوانين المدونة التي جاءتنا من العراق القـديم . وكان قانون حمورابي إلى زمن قريب أقدم شريعة فى تاريخ البشر ، ثم بدل هذا الرأي بعد استكشاف أجزاء من قانون سمري يعود الى الملك « لبت عشتار » وبما أن القانون المستكشف فى تل حرمل أقدم زمناً من قانون حمورابي بنحو من قرنين فيكون بذلك أقدم شريعة كشف عنها البحث حتى الآن » .

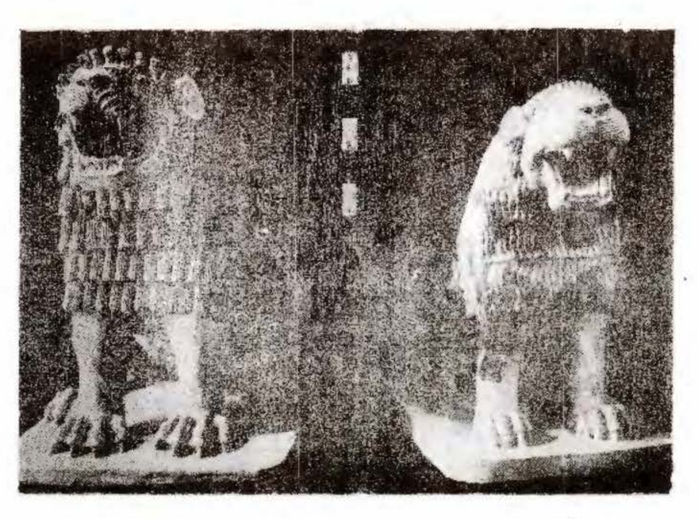
أما تل حرمل الذي وجدت فيه الشريعة القديمـة فقد أظهرت الحفريات أنه يشتمل على مدينة صغيرة يحيط بها سور مستطيل وقد بني السور وجميع الأبنية داخله باللبن والطين . وقد وجد داخل السور جملة من العمارات المشيدة من اللبن وعثر أيضاً داخله على ستة معابـد من بينها واحد هو أكبرها وقد بني على طراز بناء المعابد البابلية الجنوبية . وكان على جانبي

---

(١) إن قانون حمورابي يحتوي على زهاء ٢٨٢ مادة .

(٢) إن لبت عشتار هذا هو خامس ملوك ايسن وقد أصدر قوانينـه على ما يذكره خبراء الآثار قبل شريعة حورابي بنحو من ١٦٤ — ١٧٥ سنة .

(٣) إن المواد التي عثر عليها من قانون (لبت عشتار) كانت خمساً وثلاثين مادة .



أسدان من الفخار من معبد تل حرمل ببغداد

مقابل الصفحة ٣٨

المدخل إلى المعبد وعلى جانبي المدخل الى الحجرة الواقعة في الوسط تماثيل أسود مصنوعة من الفخار. ويستدل بكثرة عدد الرقم الطين التي عثر عليها داخل هذا البناء، وتجاوز عددها ألفي رقيم، على أن «موضع حرمل كان مركزاً مهماً لايداع السجلات الرسمية وأنه كان بمثابة خزانة كتب رسمية مهمـــة». ويشتمل معظم هذه الألواح على عقود وصكوك تجارية ومقاولات وعقود زواج وتبنّ وقضايا إرث ورسائل رسمية من ملوك أشنونا، ويشتمل البعض الآخر على سجلات جمع الضرائب والواردات والأموال الرسمية وأجور العمال الى غـير ذلك من الشؤون الادارية. ومن بين الألواح أيضاً ما يبحث في المواضيع العلمية واللغويـــة كالقضايا الهندسية والحسابية والآداب الدينية والتعاويذ والأدعية والرقى وغيرها.

وفي منطقة تل حرمل اليوم مجموعة من التلول الأثرية أهمها وأكبرها يدعى «تل محمد» وهو يبعد عن تل حرمل بنحو ٦٠٠ متر في الجنوب الشرقي، ولدينا ما يدل على أن هـذه التـلول يعود تاريخها الى العهد البابلي القـديم أيضاً، إذ دلت التحريات التي قام بها القائد فيليكس جونس في تل محمد في عام ١٨٥٠ م على وجود كتابة مسمارية في بطن هذا التل تعود إلى عهد حمورابي (القرن الثامن عشر قبل الميلاد)، ومما ذكره الأســـتاذ طه باقر في هذا الصدد قوله: «ومن المرجح كثيراً أن تل حرمل وتل محمد والتلول الأخرى القريبـة منها التي لا تعرف أسماؤها القديمة هي أجزاء من موضع قديم واحد، أي مدينة قديمة واحدة كانت جزءاً من مملـكة أشنونا [1]».

ولا شك في أن العمران في هـذه المنطقة لم يزدهر في تلك العهود السحيقة إلا على الماء الذي أوصلته أيدي البشـر اليها، وهنـاك دلائل على أن النهروان يرجع إنشاؤه الى عهد مملـكة أشنونا إذ جاء ذكر هذا النهر في لوح كشف عنه في خرائب خفاجي وهي إحدى

(١) راجع مجلة سومر، أعداد تموز ١٩٤٦ وكانون الثاني وأيلول ١٩٤٨.

المدن التابعة لمملكة أشنونا ، وكان وروده فيه مصرّحاً به وأنه كان يخترق مقاطعة أشنونا التي تقع فيها مدينة أشنونا . والظاهر أن هذا اللوح كتب على عهد « شمسو إيلونا بن حمورابي » وخليفته الذي ورد اسمه مقروناً باسم الموقع « دور شمسو إيلونا » المسمى « خفاجي » اليوم نسبة الى بعض الأعراب من قبيلة خفاجة . والأرجح أن النهروان كان في ذلك الدور يقتصر على القسم الذي يمتد بمحاذاة نهر دجلة بين ديالى والكوت فقط وأنه كان يستمد مياهه من نهر ديالى متفرعاً منه أو من أحد فروع ديالى التي كانت تتفرع من جوار مضيق جبل حمرين (١) . وبقاء اسم النهروان في العهد العباسي على هذا الجزء من النهر وحده يؤيد رأينا في ذلك .

يتضح مما تقدم أنّ المنطقة التي شيد المنصور مدينته عليها ، وهي منطقة بغداد بجانبيها الغربي والشرقي ، كانت عامرة بريها ومزارعها منذ أقدم العصور ، ولعلها كانت في أوج ازدهارها عند ما جاءها المنصور وهو يتحرى موقعاً ملائماً ينشئ عليه عاصمة جديدة للدولة العباسية الفتية . ويذكر المؤرخون أنه نزل الدير العتيق دير مارفثيون في الجانب الغربي من منطقة بغداد فوجده قليل البق فأحضر صاحب رحى البطريق وصاحب بغداد وصاحب دير بستان القس وصاحب العتيقة من الجانب الغربي وصاحب المخرم من الجانب الشرقي فسألهم عن مواضعهم ومناخها في مختلف المواسم ، ثم وجه رجالاً من قبله وأمر كل واحد منهم أن يبيت في قرية منها فبات كل منهم في قرية منها وأتاه بخبرها . ثم عاد فأحضر صاحب بغداد ثانية وشاوره وسأله عن هذه الأمكنة وطيبها فأجابه قائلاً : « تنزل في بغداد فانك تصير بين أربعة طساسيج ، طسوجان في الجانب الغربي وطسوجان في الجانب الشرقي ، فاللذان في الغربي قطربل وبادوريا ، واللذان في الشرقي نهر بوق وكلواذا ،

---

(١) في أصل النهروان راجع كتاب « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » ج ١ ص ١٥٦ ١٥٦ لأحد المؤلفين الدكتور أحمد سوسه وحواشي « ص ٢٦٥ » من المختصر المحتاج اليه .

فأنت تكون بين نخل وقرب الماء ، فان أجدب طسوج وتأخرت عمارته كان الآخر عامراً .
وأنت يا أمير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة من المغرب ، وفى الفرات تجيئك طرائف الشام ومصر وتلك البلدان ، وتجيئك الميرة فى السفن من الصين والهند والبصرة وواسط فى دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها حتى تصل الى الزاب ، وتجيئك الميرة من الروم وآمد والجزيرة والموصل فى دجلة . وأنت بين أنهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر أو قنطرة ، فاذا قطعت الجسر وأخربت القناطر لم يصل اليك عدوك . وأنت بين دجلة والفرات لا يجيئك أحد من المشرق والمغرب الا احتاج الى العبور ، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل » .

وكان طبيعياً أن ينتصح الخليفة بما أشير به عليه لما كان فى منطقة بغداد من مزايا كثيرة ، فعمل على تحقيق إنشاء عاصمة انبراطوريته عليها وإنشاء مدينته المدورة « مدينة السلام » التى كانت من نوادر أبنية ذلك العهد .

... ...
... ...
... ...

الفصل الثالث

بغداد في أول أدوارها العباسية (الجانب الغربي)

١٥٠ — ٣٣٤ هـ (٧٦٧ — ٩٤٦ م)

تأسيس مدينة المنصور المدورة — أبوابها الأربعة وأسوارها — الإمام أبو حنيفة أحد الرقباء على بنائها — تخطيط المدينة — مساحة المدينة — تصميم أسوارها — المداخل الأربعة للمدينة وطاقاتها — الفصيلان الخارجي والداخلي — قصر باب الذهب والقبة الخضراء — قصر الخلد على نهر دجلة — جامع مدينة المنصور — محراب لعله لجامع المنصور في متحف القصر العباسي — كلفة إنشاء مدينة المنصور — اسم مدينة السلام على النقود العباسية — الصراة والرفيل وكرخايا — نهر عيسى الرئيس (نهر عيسى الأعظم) — نهرعيسى (الفرع) — الأخطاء التي ارتكبها كل من كي لسترانج وستريك وغيرهما في موضوع نهر عيسى ونتائجها على تعيين مواقع بغداد القديمة — محلة الكرخ — بلدة المحول الكبير — قصر الكشك في المحول — خطأ كي لسترانج في تعيين موضع المحول — نهر الصراة وطسوجا قطربل وبادوريا — القنطرة العتيقة والقنطرة الجديدة على الصراة — قصر الخلد ثانية وقصر القرار — نهر الصراة الصغرى والعباسية — الخندق الطاهري — قناطر العباس والصينيات ورحى البطريق على الصراة العظمى — نهر كرخايا وفروعه — قرية براثا وجامعها — قصر عبدويه — نهر رزين ونهر باب الشام — نهر البزازين ومحلة الشرقية — نهر الدجاج — قطيعة النصارى ودير العذارى — نهر القلائين ومحلة نهر القلائين — قرية ورثالا — نهر الكلاب — قنطرة الشوك — طريق الكوفة العام — طريق البصرة العام — القناطر على نهر عيسى — محلة الشرقية ثانية — قصر وضاح في محلة الشرقية — محلة النستريين — محلة باب البصرة والتوثة وقطفتا والقرية والرقة — ربض قصر عيسى — مقبرة الشيخ معروف الكرخي (مقبرة باب الدير) — دير كليليشوع (دير الجاثليق) — مقبرة الشيخ جنيد

(المقبرة الشونيزيـة) — محلة التوثة ثانية — محلة قطفتا ثانية — مسجد المنطقة (سونايا: العتيقة) — خطأ لسترانج في تعيين موضعي مقبرة الشيخ جنيد ومسجد المنطقة — خطأ هذا الأستاذ في تعيين موضعي التوثـة وباب الشعير — محلة الحربية — محلة الشارع — الحريم الطاهري — ربض أبي حنيفة — دار عمارة ابن حمزة — ربض عثمان بن نهيك — أرباض الخوارزميـة والفرس ورشيد — القناطر على الخنـدق الطـاهري — قنطرة باب الأنبار — بستان طاهر — الخطابية — مسجد البخاريـة — قنطرة باب الحديد ـ قنطرة باب حرب ـ مقبرة باب حرب وقبر الامام أحمد بن حنبل ـ مقبرة الشهداء ـ قنطرة باب قطربل ـ دار الرقيق وقنطرة التبانين ـ نهر دجيل وفروعه ـ الـكاظمية (مقابر قريش) ـ مقبرة باب التبن وقبر عبد الله بن أحمد بن حنبل ـ دير درتا ودير القباب ـ محلة باب التبن والزهيرية ـ محلة الرملة ـ محلة العتابيين ـ محلة جهار سوج ـ محلة النصرية ـ محلة دار القز ـ محلة باب الشعير .

أنشأ أبو جعفر المنصور فى سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) مدينته المدورة المشهورة على الضفة اليمنى من نهر دجلة فى الزاوية المتكونة بين مجرى الصراة ومجرى دجلة شمالاً ، وسماها « مدينة السـلام » وقد تسمى « دار السلام » أحياناً وذلك فى المنطقة التي كانت تقع فيهـا مزرعة « المباركة » التي قدمنا ذكرها وقد عوّض أصحابها عنها [١]، وذكر الخطيب فى تاريخ بغداد « ١ : ٢١ » وابن الجوزي فى كتابه « مناقب بغداد » مسنداً إلى جبلة أنه قال : « مدينة أبي جعفر كانت قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة وكانت لستين نفساً من البغداديين فعوضهم عنها عوضاً أرضاهم [به] فأخذ جدي جبلة قسمه فيهم » . ومما ذكره البلاذري فى هذا الصدد قوله « إن المنصور ابتـاع أرض مدينة السلام من قوم من أرباب القرى : بادوريا وقطربل ونهر بوق ونهربين [٢] وأقطعه أهل بيته وقواده وجنده وصحابته وكتابه » [٣] .

---

(١) راجع ما قدمنا من البحث في مزرعة المباركة في ص ٨ .

(٢) راجع ما قدمنا في مبحث بادوريا وقطربل ونهر بوق ونهر بين فى الصفحات السابقة .

(٣) ولي المنصور (أبو جعفر عبد الله) مؤسس بغـداد الخلافة في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٦ هـ (٧٥٤ م) وقال بعضهم في صفته وسيرته إنه « كان أسمر اللون نحيفاً خفيف العارضين وكان من عظماء الخلفاء وحزمائهم وعقلائهم وذوي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة ، وكان وقوراً حسن الخلق =

ولم نجد فى نصوص التاريخ ما يعيّن موضعها بالنسبة الى ما نعرفه ونراه اليوم من المواضع المأهولة إلا نصّ الشريف النقيب محمد بن علي المعروف بابن الطقطقى فى تاريخه المعروف

= ولم ير في داره لهو ولا شيء من اللعب والعبث . وكان بخيلا فسمي لبخله أبا الدوانيق لمحاسبته العمال والصناع على الدوانق والحبة والصحيح أنه كان رجلا حازماً يعطي في موضع العطاء ويمنع في موضع المنع » .

وكان المنصور حريصاً على مصلحة الدولة العباسية وتولية ذوي الكفايات والخبرة في إدارتها ، فقد ذكر المؤرخون أن ابنه المهدي طلب اليه أن يعهد بولاية الى رجل من الأشياع ، ذكر أنه أخلص الخدمة للبيت العباسي ، فسأله أبوه عن الصفات الادارية التي يتحلى بها هذا الرجل فقال : ليس له من الصفات إلا إخلاصه لبيتنا ، فقال المنصور : يا بني يمكننا أن نقابل إخلاصه لنا باسباغ النعمة عليه من مالنا الخاص ، ولا يجوز لنا أن نركبه على أكتاف الرعية . والمعروف عن المنصور أنه كان معنياً عناية فائقة بالعلوم ، ومشجعاً ، لها وأوضح دليل على ذلك أن الوفد الذي قدم من السند الى المنصور في سنة ١٥٤ ﻫ (٧٧١ م) كان فيه رجل متضلع من علم الهيأة رحب به وأمر علماء البلاط أن يضعوا كتاباً فى علم الهيأة مستعينين به ففعل إبراهيم بن حبيب الفزاري ذلك ووضع أول زيج عربي . وقد أجمع العلماء على أن كتاب الفزاري هذا هو ترجمة كتاب « سد هانت » الذي ألفه الفلكي والرياضي الهندي الشهير (براهم كبت) في سنة ٦٢٨ م للملك دياكهر موكهه وقد اشتهر كتاب الفزاري هذا باسم « سند هند » وكان الفزاري أول من استعمل الأسطرلاب من العرب .

وفي سنة ١٤٠ ﻫ سير المنصور جيشاً مؤلفاً من سبعين الف مقاتل بقيادة ابن اخيه ابراهيم بن محمد الامام الى ملطية فعمروا هناك ما كان خربه الروم منها وترك هناك عدة آلاف من الجند مع معدات وذخائر بعد أن بنى حصن قلوذية للمرابطة والدفاع .

وقد اتخذ المنصور في السنين الأول من حكمه مدينة الهاشمية الواقعة في جوار الكوفة عاصمة له إلا أن ثورة الراوندية عليه في سنة ١٤٠ ﻫ جعلته ينفر من الهاشمية فاختار موضع قرية سوق بغداد القديمة لانشاء مدينته الجديدة فيه فعرفت باسمه أي مدينة المنصور . والراوندية « قوم من أهل خراسان يقولون بتناسخ الارواح ويزعمون أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور فحمل عليهم المنصور وقاتلهم فقتلوا جميعاً وهم يومئذ ستمائة رجل . »

وقيل إن من أهم العوامل السياسية التي حملت المنصور على نقله العاصمة من مدينة الهاشمية رغبته في الابتعاد عن جوار أهل الكوفة والعلويين لأن أهل الكوفة كانوا يؤيدون العلويين .

وكانت وفاة المنصور فى ٦ ذي الحجة سنة ١٥٨ ﻫ (٧٧٥ م عند بئر ميمون ، دهمته المنية على أثر مرض انتابه وهو في طريقه الى الحج فحمل الى مكة المكرمة ودفن فيها . وكان عمره ثلاثاً وستين سنة وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة .

بالفخري ، قال « خرج المنصور بنفسه يرتاد له موضعاً يسكنه ويبني فيه مدينة له ولعياله ولأهله ولجنده فانحدر الى جرجرايا وأصعد الى الموصل ثم أرسل جماعة من الحكماء ذوي اللب والعقل وأمرهم بارتياد موضع ، فاختاروا له مدينته التي تسمّى مدينة المنصور وهي بالجانب الغربيّ قريبة من مشهد موسى والجواد — عليهما السلام — فحضر الى هنـاك واعتبر المكان ليلاً ونهاراً فاستطابه وبنى به المدينة »[1] . وفي هذا النص ما نستدل به على أن مدينة المنصوركانت قريبة من مقابر قريش التي دفن فيها الامامان المذكوران ، ويظهر لنا منه خطأ الأستاذ كي لسترنج في وضعه مدينة السلام على خارطاته بعيدة عن مشهد الامامين المذكورين أي الكاظمية وقد أداه ذلك الخطأ إلى الوقوع في عدة أخطاء أخرى لاختلال تعيين المسافات والأبعاد عليه .

وقد اختلف المؤرخون العرب في تعليل اختيار تسمية « مدينة السلام » لمدينة المنصور الجديدة فقال بعضهم إن مدينة السلام منسوبة الى نهر دجلة المدعو نهر السلام على حين أن البعض الآخر يرى أن المنصور رغب في الاستبدال باسم بغداد رغبة منه في اطلاق تسمية عربية على مدينته الجديدة ، فدعا مدينته بـ « مدينة السلام » تفاؤلا بما ورد في القرآن الكريم عن الجنة فانه يدعوها دار السلام في قوله تعالى : « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كان يعملون »[2] . وقوله تعالى« والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم »[3] . والأرجح هو التعليل الأخير ، ويؤيده أن المنصور بنى بعد ذلك قصر الخلد ، والخلد كلمة استعملها القرآن الكريم للتأبد والدوام غير المنقطع ، وسيأتي الكلام على هذا القصر إلاّ أن هذه التسمية للمدينة الجديدة لم تنتشر بين الناس وقد انحصر استعمالها في

---

(١) التاريخ الفخري « ص ١١٧ طبعة المطبعة الرحمانية » .

(٢) القرآن الكريم (٦ الانعام ١٢٧) .

(٣) القرآن الكريم (١٠ يونس ٢٦) .

أكثر الحالات في الوثائق الرسمية والنقود وقد ظل العامة وكثير من المؤرخين والشعراء يسمون المدينة بغداد وبغداذ وبغدان ، ولم تهمل تسمية مدينة السلام نهائياً بعد احتلال المغول المدينة في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . ونقل عن موسى بن عبد الحميد النَسائي أنه قال : «كنت جالساً عند عبد العزيز بن أبي رواد فأتاه رجل فقال له : من أين أنت ؟ فقال له : من بغداد ، فقال : لا تقل بغداد ، فان بغ : صنم ، وداد : أعطى . ولكن قل مدينة السلام . فان الله هو السلام والمدن كلها له» [1] . ودعيت بغداد أيضاً المنصورية والزوراء ، أما تسميتها بالمنصورية فنسبة الى المنصور وأما الزوراء فيرى المؤرخون العرب أن هذا الاسم مأخوذ من ازورار أبواب المدينة الداخلية أو من ازورار القبلة في المسجد الجامع بالرصافة على الضفة الشرقية من المدينة أومن ازورار نهر دجلة فيها ، ويخالف ستريك هذا الرأي فيذهب الى أن الاسم محرف من الفارسية .

وقد اشتهرت مدينة المنصور في كونها مدوّرة ، ومع أن اليعقوبي يدعي بأنه لم يَعرف إذ ذاك في جميع أقطار الدنيا مدينةً مدوّرة غير مدينة المنصور فلنا ما يدعونا الى اعتقاد أن مهندسها قلد التصميم البنائي لمدينة «الحَضْر» المدوّرة ، وذلك من حيث الشكل والمساحة وإن آثار الحضر هذه لا تزال قائمة ورسومها واضحة . ولم تكن مدينة الحَضْر المدينة

---

(١) وقد ورد اسم مدينة السلام على النقود العباسية أول مرة في سنة ١٤٦ هـ وكان ذلك على الدرهم العباسي الذي ضرب في مدينة المنصور المدورة بعدما نقل المنصور دار الضرب اليها . وكانت متحفة برلين قد اقتنت قطعة من هذا الضرب القديم النادر . وقد ورد اسم مدينة السلام أيضاً على السكة النحاس المضروبة في مدينة المنصور في عين الوقت . هذا فيما يختص بالسكة الفضة والنحاس أما السكة الذهب فلم ينقش اسم مدينة السلام عليها إلا في سنة ١٩٨ هـ وكان ذلك في عهد المأمون .

المدورة الوحيدة فى الشرق العربي ففي جزيرة العرب مدينة مأرب باليمن كانت مستديرة الشكل أيضاً ، كما أن مدينة « طيسفون » التي لم تكن تبعد أكثر من بضعة كيلو مترات عن موضع بغداد كانت مدوّرة أيضاً ، لذلك لامندوحة من اعتقاد أن يكون المهندس الذي صمم مدينة المنصور كان قد شاهد مدينة الحضر أو مدينة طيسفون عند وضعه تصميم المدينة الجديدة . أما إذا رجعنا إلى الزمن القديم فنجد أن أمثال هذه الحصون المستديرة كانت مألوفة فى الشرق منذ أقدم العصور ، فقد كشف بين الآثار الآشورية عن نقوش تدل على أن شيلمنصر الثالث (٨٥٨—٨٢٤ ق. م.) وسنحاريب (٧٠٥—٦٨١ ق. م.) اتبعا هذه الطريقة عينها فى تصميم الحصون الدفاعية ، ومما يلفت النظر أن المدينة التي أنشأها سنحاريب فى نينوى مشابهة تماماً لتصميم مدينة المنصور من حيث شكلها ومن حيث ترتيب أبوابها . وقد أشار الأستاذ كريزويل الى سبع مدن قديمة أخرى كانت مدوّرة أيضاً .

وأوضح دليل على شيوع أمثال هذه المدن المدورة فى الزمن القديم ما كتبه المؤرخ هيرودوتس فى وصف عاصمة الميديين المدعوة « اكبتان » القائمة مكانها اليوم مدينة « همذان » فذكر « أن ديجوسيس ملك الميديين ألزمَ أبناء رعيته أن يتركوا منازلهم ويبنوا مدينة يقيمون فيها ، فبنيت المدينة على هضبة . وكان يحيط بها سبعة أسوار مستديرة لا يعلو واحدها عن الآخر إلاّ بمقدار الشرفات المصبوغة بألوان مختلفة من أبيض وأسود وأرجواني وأزرق وأحمر وفضي وذهبي ، وجعل الملك قصره وبيت ماله (أو كنوزه) داخل السور الأخير . أما الدور فكانت بين سائر الأسوار » . ومع كل ذلك فمدينة المنصور كانت فريدة فى نوعها فى العهد الذي أنشئت فيه بالنظر لعظمتها وضخامتها والجهود الجبارة التي بذلها الخليفة فى إنشائها حتى ليقال : إنه أحضر مائة ألف من أصناف أهل المهن و الصناعات لانشائها ، ومما ذكره اليعقوبي فى هذا الصدد « أن المنصور وجه لاحضار المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة

وقسمة الأرضين وكتب الى كل بلد فى حمل من فيه ممن يفهم شيئاً من البناء فحضره مائة ألف من أصناف المهن والصناعات ، خبر بهذا جماعة من المشايخ [وذكروا أن] أبا جعفر المنصور لم يبتدىء البناء حتى تكامل له من الفعلة وأهل المهن مائة ألف ثم اختطها فى شهر ربيع الأول سنه إحدى وأربعين ومائة » .

ويقال إن المنصور أحب أن ينظر إلى المدينة قبل إنشائها فأمر أن تخط بالرماد ثم وضعت على تلك الخطوط كرات من القطن وصب عليهـا النفط فاوقدت فيهـا النار لابرازها بشكل واضح ، وحفرت أسس الأسوار والخندق المحيط بهـا من الخارج بحسب هـذه الخطوط الموضوعة وأجري الماء فى الخندق .

وكان اليوم الذي شرع فيه المنصور بتشييد المدينة يوماً مشـهوداً حضره الأمراء والوزراء والعلماء والقادة والأعيان ووضع المنصور بيـده أول لبنة فى الأرض وقال : « بسم الله والحمد لله وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . » ثم قال « ابنوا على بركة الله » فشرعوا فى البناء .

وقد أدار المنصور بمدينته خندقاً واسـعاً وعدة أسوار ، وجعل لها أربعة أبواب متقابلة فسمي الباب الشمالي الغربي « باب الشـام » والباب الجنوبي الغربي « باب الكوفـة » والباب الجنوبي الشرقي « باب البصرة » والباب الشمالي الشرقي « باب خراسان » وكان يسمّـى أيضاً « باب الدولة » أو « باب الاقبال » لاقبال الدولة العباسية من خراسان . وكانت تقع المدينة بين الكاظمية من الشمال و « براثا » و « الكرخ » من الجنوب الغربي ودجلة من الشرق وقرية « سونايا » (موضع مسجد المنطقة الحالي) ونهر الصراة من الجنوب . وكانت قريبة من الكاظمية كما ذكرنا آنفاً ، وشيد المنصور فى وسط الرحبة الوسطى وهي العظمى للمدينة جامعاً سمي بجامع المنصور وابتنى الى جانب الجامع « قصر الذهب » المشهور ذا القبة الخضراء التي قلد بها خضراء الحجاج فى واسط ، وجعل الدوائر الحكومية حول

الرحبة (راجع خارطة بغداد في أول أدوارها العباسية وخارطة مدينة المنصور المدورة في أطلس بغداد ص ٤—٧) .

وقد وصف اليعقوبي ، وكان أقرب المؤرخين الذين كتبوا عن خطط بغداد زمناً الى عهد المنصور والمهدي ، أسوار المدينة وصفاً مفصلاً وذكر أن استحكامات المدينة كانت تتألف أولاً من خندق عميق يدور حول المدينة من الخارج ، وتحده من الداخل مسناة ضخمة بنيت « بالآجر والصاروج متقنة محكمة عالية » . وقد استغرق إنجاز هذه المسناة مدة طويلة حتى أنها لم تتم إلا في سنة ١٤٩ هـ (٧٦٦ م) أي بعد تأسيس المدينة بأربع سنوات . وكان يلي المسناة فصيل عرضه مائة ذراع بالسوداء (٥٠ متراً) ، وكان هذا الفصيل الخارجي الذي يحاذي سور المسناة ويدور معه بين المداخل الرئيسة الأربعة خالياً من الدور والأبنية لوضع مجال للرقابة والدفاع ومنع كل نار تلقى بالسهام أو غيرها من التعلق بالمباني . وكان يلي هذا الفصيل السور الرئيس للمدينة ويسميه اليعقوبي « السور الأعظم » ويذكر أنه أنشيء باللبن العظام وله أبراج عظام وعليه الشرفات المدورة ، وكان عدد الأبراج بين باب الكوفة وباب البصرة ٢٩ برجاً ، وبين كل باب من الأبواب الأخرى ٢٨ برجاً فقط ، وذكر الخطيب وبعده ابن الجوزي أن حجم اللبنة كان ذراعاً في ذراع أي نصف متر في نصف متر ، أما وزنها فكان مئة وسبعة عشر رطلاً [1] . وكان عرض أساس هذا السور تسعين ذراعاً بالسوداء (٤٥ متراً) ثم ينحط حتى يصير في أعلاه على خمس وعشرين ذراعاً (١٢ متراً ونصف) وكان ارتفاع السور ستين ذراعاً (٣٠ متراً) مع الشُرُفات .

وكان يلي هذا السور فصيل ثان آخر هو الفصيل الداخلي وكان عرضه حسب رواية الخطيب زهاء (٣٠٠) ذراع (١٥٠ متراً) ، وكان ينتهي بسور ثالث هو أشبه بحاجز داخلي منه بسور دفاعي متين ، وكان هذا الحاجز يفصل الرحبة العظمى التي كان يتوسطها

---

(١) يعني الرطل القديم لا رطل زماننا وكان أقل وزناً من الرطل الحالي بكثير .

القصر والجامع عن منطقة الأسوار ، وكانت في الفصيل الثاني هـذا الشوارع والسكك والدروب والدور .

أما مداخل هذه المدينة فكانت تنحصر بأبوابها الأربعة ، وكان كل مدخل نظير المدخل الآخر في تصميمه ، فكان إذا دخل الداخل مدينة المنصور من أحد أبوابها الأربعة يعبر أولاً الخندق العميق الواقع خارج المسناة ، وكان قد أجري فيه الماء من القناة التي تأخذ من نهر كرخايا ، ثم يدخل من باب دهليز متياسراً نحو أزج له أروقة على جانبيه يقطع سور المسناة ، وطول هذا الدهليز (٨٠) ذراعاً وهو معقود بالآجر والجص ، وبعد أن يجتاز هذا الدهليز يخرج من الباب الثاني ويدخل رحبة مربعة مفروشة بالصخر وفي كل من جانبي هذه الرحبة باب يؤدي إلى الفصيل الخارجي وهو الفصيل الواقع بين سور المسناة والسور الأعظم ، وبعد أن يخرج من هـذه الرحبة يخترق السور الأعظم في دهليز آخر عليه بابان من الحديد جليلان عظيمان : باب في أوله وآخر في آخره (١) لا يغلق كل باب ولا يفتحه إلا جماعة رجال ، والأبواب الأربعة كلها على ذلك ، فاذا اجتاز المرء دهليز السور الأعظم سار في رحبة إلى طاقات معقودة بالآجر والجص (عددها ٥٣ طاقا كل منها نظير لصاحبه يتوسطها طريق عرضه ٨ أمتار) فيها كوىً رومية يدخل منها الشمس والضوء ، ولا يدخل منها المطر ، وفيها منازل الغلمان أي المماليك ، وكانت الطاقات على مثال واحد ، فاذا خرج من الطاقات سار الى رحبة أخرى ثم الى دهليز عظيم وأزج معقود بالآجر والجص عليه بابا حديد فيخرج من الباب إلى الرحبة العظمى ، وكان في الطاقات غرف (٢) كانت للرابطة غلمان الخليفة كما كانت هناك أسواق المدينة . وبعد بضع سنين حوّل الخليفة الأسواق جميعها من داخل المدينة إلى ربض الكرخ (٣) وهكذا خلت الطاقات من الدكاكين

(١) المقصود بالبابين الحديد هو باب مدخل الدهليز وباب مخرجه .

(٢) يعني بيوتاً عالية .

(٣) راجع البحث الذي يلي عن محلة الكرخ .

واتخذت مراكز لشُرَط المدينة وحرسها .

وكان على كل باب من أبواب المدينة التي على السور الأعظم « قبة معقودة عظيمة مذهبة وحولها مجالس ومرتفقات يجلس فيها فيشرف على كل ما يعمل به ، ويصعد إلى هذه القباب على عقود مبنية بعضها بالجص والآجر وبعضها باللبن العظام قد عملت آزاجاً بعضها أعلى من بعض ، فداخل الآزاج للرابطة والحرس ، وظهورها عليها المصعد إلى القباب التي على الأبواب على دواب ، وعلى المصعد أبواب تغلق » .

ومما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد وياقوت في معجم البلدان أنَّ المنصور « نقل أبواب المدينة من واسط وهي أبواب الحجاج أخذها من مدينة بازاء واسط تعرف بزندورد يزعمون أنها من بناء سليمان بن داود وأقام على باب خراسان باباً جيء به من الشام من عمل الفراعنة ، وعلى باب الكوفة بابا جيء به من الكوفة من عمل خالد بن عبدالله القسري وعمل هو باباً لباب الشام وهو أضعفها » .

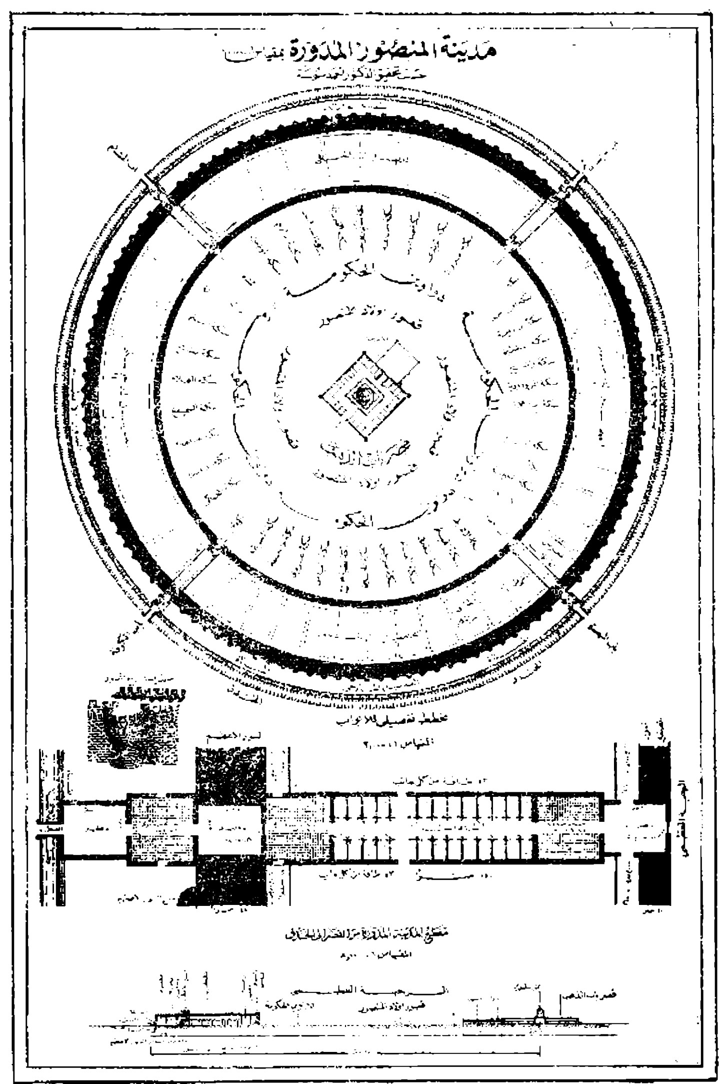
وهكذا نرى أن المدينة كانت مثالاً لأقوى المدن المحصنة في القرون الوسطى تتجلى فيها عظمة الدولة العباسية ، فكان على من يريد الدخول الى الرحبة العظمى من الخارج أن يمر بخمسة أبواب هي البابان الحديد الرئيسان على السور الأعظم والسور الداخلي المحادّ للرحبة العظمى والأبواب الثلاثة في مداخل الدهاليز الثلاثة ويمر من ثلاث رحبات الرحبة الأولى داخل الفصيل الخارجي والرحبتان الأخريان في أول الفصيل الداخلي ومنتهاه ، هذا عدا الطاقات التي يمر منها بين الرحبتين المذكورتين .

وكان الفصيل الخارجي خالياً من الدور كما سبق بيانه أما الفصيل الداخلي الذي كان يبلغ عرضه أكثر من ضعف عرض الفصيل الأول فكانت فيه الدروب والسكك ودور المقربين إلى الخليفة ، وكان يلي السور الأعظم من الداخل طريق يشكل حلقة عرضها ٢٥ ذراعاً تدور مع السور المذكور من الداخل بين الطاقات ، وكان في نهاية الفصيل

الداخلي طريق آخر يدور بين السور الداخلي بين الطاقات موازياً للطريق الأول ، فيكون حلقة أخرى موازية للسور الأخير ضمن الفصيل الداخلي . وكانت الساحة بين هذين الشارعين اللذين يدوران حول السورين ، السور الأعظم والسور الداخلي ، دور المقربين للخليفة تفصلها شبكة الدروب والسكك . وكانت تغلق هذه بأبواب متينة قوية عند الحاجة ، وظلت السكك والدروب تسمى غالباً بأسماء أصحاب الدور والقطائع الذين كانوا وقت بناء المنصور للمدينة المدورة ، وذكر اليعقوبي ثبتاً كاملاً بهذه الأسماء (راجع خارطة مدينة المنصور بتحقيق أحد المؤلفين وأطلس بغداد ص ٧) . وقد بنى الخليفة سجنه الكبير المسمى «المُطبَق» في الربع الجنوبي للفصيل الذي بين طريق باب البصرة وطريق باب الكوفة ، وقد سميت السكة التي يقع فيها هذا السجن باسم المطبق أيضاً . وكان المطبق متين البناء قوي الأساس بني تحت الأرض شديد الظلمة ، وقد زج فيه المنصور ومن جاء بعده من الخلفاء كثيرا من الرجال . وقد ظل هذا السجن قائماً الى ما بعد عهد المقتدر كما جاء في تاريخ سني ملوك الأرض لحمزة بن الحسن الأصفهاني « ص ١٣٣ » كما أن الخطيب يذكر حادثة وقعت سنة ٣٠٧ خاصة بالسجون ومنها المُطبَق وان لم يصرح باسمه قال حدثني أبو الحسن علي ابن عبيد الزجاج الشاهد ... قال : أذكر في سنة سبع وثلاثمائة وقد كسرت العامة الحبوس بمدينة المنصور فأفلت من كان فيها وكانت الأبواب الحديد للمدينة باقية فغُلقت وتتبع أصحاب الشرط من أفلت من الحبوس فأُخذوا جميعهم حتى لم يفلت منهم أحد « ١ : ٧٥ ، ٧٦ » ونقل هذا الخبر مؤلف مختصر مناقب بغداد « ص ١٠ » .

ويقال إن المنصور أمر بعد ذلك بتوسيع الطرق في مدينته وجعلها على أربعين ذراعاً وأمر بهدم ما شخص من الدور عن ذلك القدر .

وكان وسط الرحبة العظمى كما بينا سابقاً قصر المنصور وهو القصر الذي سمي بقصر باب



مدينة المنصور المدورة
دواوين الحكومة
قصور اولاد المنصور
مخطط تفصيلي للابواب
قصر باب الذهب

الذهب أو قصر القبة الخضراء والى جانبه المسجد الجامع ، ولم يكن حول القصر بناء ولا دار ولا مسكن لأحد الا داراً فى الجهة الشمالية الغربية من ناحية باب الشام كانت للحرس ، وسقيفة كبيرة ممتدة على عمد مبنية بالآجر والجص ، يجلس في إحداها صاحب الشرطة وفي الأخرى صاحب الحرس « وحول الرحبة كما تدور منازل أولاد المنصور الأصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الحوائج وديوان الأحشام ومطبخ العامة وديوان النفقات » .

وكانت مساحة القصر أربعمائة ذراع فى أربعمائة وكان فى وسطه القبة الخضراء التي كانت ترى من أطراف بغداد ، وكان على رأس القبة تمثال على صورة فارس في يده رمح ، وكان تحت القبة مجلس بمستوى سطح الأرض مساحته عشرون ذراعاً فى مثلها ويرتفع عقده عن الارض عشرين ذراعاً ، وعليه مجلس أقيمت عليه القبة الخضراء التي يبلغ ارتفاعها ثمانين ذراعاً فوق سطح الأرض ، وكان فى صدر المجلس الأسفل إيوان عظيم على الطراز الفارسي عرضه عشرون ذراعاً وارتفاع قوس الإيوان عن الأرض ثلاثون ذراعاً .

وكان قصر باب الذهب المقر الرسمي للمنصور وللخلفاء الأوائل الذين تولوا الحكم بعده ، ومع أن الرشيد لم يقم فيه فقد عاد ابنه الأمين فاتخذ قصر باب الذهب بلاطاً له ، وأضاف اليه قسماً جديداً ، وكان الأمين قد احتمى بهذا القصر فى أثناء محاصرة جيوش أخيه المأمون له فى سنة ١٩٨ هـ (٨١٤ م) وتحصن رجاله بأسوار المدينة المدورة ، وكان من جراء ذلك أن أصاب القصر كثير من التدمير بالمجانيق التي نصبها طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون فى أرباض المدينة ، أما القبة الخضراء فظلت قائمة حتى سقط رأسها فى سنة ٣٢٩ هـ (٩٤١م) وكان فى أثناء سقوطها مطر عظيم ورعد هائل وبرق شديد ، ويحتمل أن صاعقة أصابتها فالتهبت بها النيران .

وقد بقيت جدران القبة قائمة الى أواخر أيام العباسيين ، وفى سنة « ٦٠٠ هـ = ١٢٠٣ م

دفن تحتها أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد الهاشمي العباسي المعروف بابن الغريق الخطيب ، كان أحد الخطباء بجامع المنصور مدة ثم تولى الخطابة بجامع القصر وشهد عند قاضي القضاة، وكان أبوه وأهله قد دفنوا أيضاً تحت القبة الخضراء لأنها كانت قد دخلت يومئـذ في مقبرة جامع المنصور[1] . وفي سنة ٦٥٣ هـ = ١٢٥٥ م حدث غيم ورعد وبرق في شهر آب منها ، فسقطت فيها القبة الخضـراء المذكورة قال مؤلف كتاب الحوادث : « فيها وقعت القبـة الخضراء المجاورة لجامع المنصور وهي من الأبنية القديـمة ، أنشأها الخليفة المنصور لما عمر مدينته وكانت عالية ينظر الجالس فيها من يخرج من الأنبار وكان المنصور يجلس فيها متنزهاً وما زال الخلفاء يجلسون فيها للفرجة الى أيام الرشيد ثم هجرت وصارت مأوى للبوم والغربان وكان بعض الفقراء قد جاور في جامع المنصور فقال فيها لما رأى ما آلت حالها إليه :

يا بومة القبة الخضراء قد أنســـت ... روحي بروحـك إذ يستبشـع البـوم
زهدت في زخرف الدنيا فأسكنك الر ... بع الخراب فمن يذمـك مذمـوم[2]

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في ترجـمة أبي الخطاب محفوظ بن أحمد الـكلوذاني الفقيه الحنبـلي المتوفى سنة « ٥١٠ » : « ومما يعزى الى أبي الخطاب أنه بات ليـلة بجامع المنصور فسمع بوماً يصيح طول الليل فقال : — وذكر البيتين — وبعدهما :

ويا مشـيرةَ أحـزاني بأنّتـهـا ... حاشاكِ ما بكِ تشويه ولا شُوم
وقد هويتك من بين الطيور فمن ... يلومني بعـد هذا لَومُه لُومُ[3]

وعلى هذا يـكون خراب جدران القبـة الخضراء الحاملة لها منذ إنشائها قد حدث بعد بنائها بخمسة قرون هجرية .

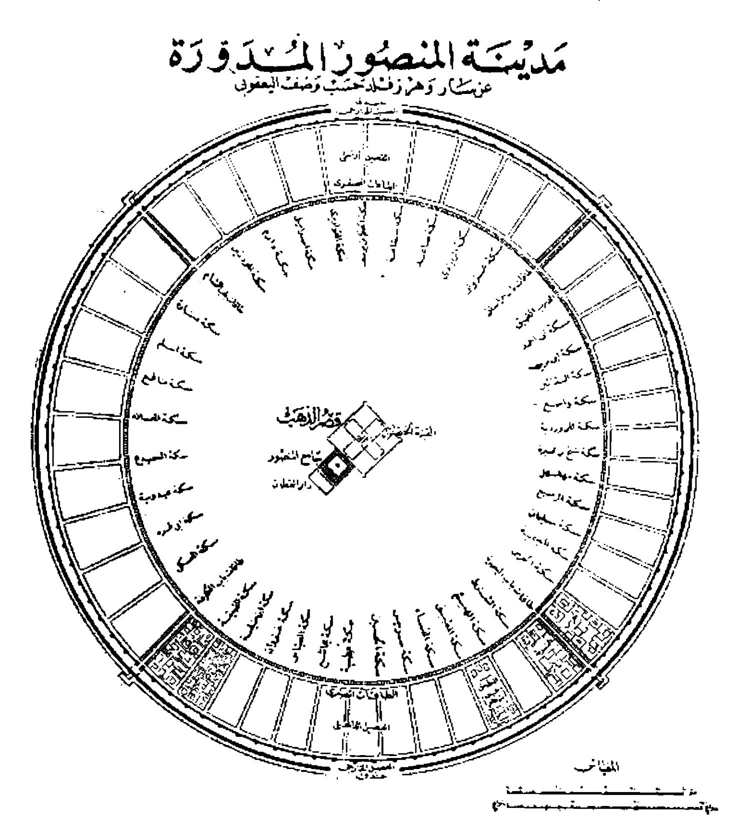
---

(١) تاريخ ابن الدبيثي « نسخة دار الـكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ٣٨ » .
(٢) الحوادث « ص ٣٠٣ » .
(٣) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٦٧ ، ٦٨ طبعة الهند » .

وكان قصر باب الذهب هذا أول قصر شيده المنصور بنفسه ، وبعد بضع سنين أقام قصراً آخر على ضفة دجلة الغربية مما يلي باب خراسان وسماه الخلد نسبة الى حدائقه الواسعة وتشبيها بجنة الخلد وما يحويه من كل منظر رائق ومطلب فائق وغرض غريب ومراد عجيب كما فى تاريخ الخطيب « ١ : ٧٥ » ويقع هذا القصر شمال الدير العتيق (دير مارفثيون) بقليل، وهو الدير الذي كان يقع عند مصب الصراة بدجلة ، ويذكر المؤرخون أن المنصور أتم بناء هذا القصر فى حدود سنة ١٥٩ هـ (٧٧٦ م) وكان الرشيد قد فضل الاقامة في هذا القصر بدلاً من قصر باب الذهب فى مدينة المنصور وعاش فيه طول إقامته فى بغداد تقريباً . قال الخطيب وقد توفي سنة ٤٦٣ : « وقد اندرس الآن فلا عين له ولا أثر » .

وكان الجامع الملاصق لقصر باب الذهب أول جامع بني فى بغداد ، بناه المنصور باللبن ومساحته مائتا ذراع فى مائتين ، وكان محرابه منحرفاً عن القبلة وسبب ذلك أنه شيد بعد بناء القصر ولكي يكون وضعه متناسباً مع وضع القصر أصبح محرابه منحرفاً عن القبلة ، وكان سقف الجامع قائماً على أساطين من الخشب ولكل أسطوانة تاج مدور مصنوع من قطعة خشب واحدة ، موضوعة فوق أعلى الاسطوانة . وبقي هذا الجامع على وضعه حتى زمن هرون الرشيد إذ أمر فى سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧ م) . بنقضه وإعادة بنائه بالآجر والجص وكتب عليه اسم الرشيد وذكر أسماء البنائين والمعامير وتاريخ البناء . وقد تم ذلك فى سنة ١٩٣ هـ (٨٠٨ — ٨٠٩ م) وصار يعرف هذا الجامع بالصحن العتيق ثم أضيفت اليه في سنة ٢٦٠ أو ٢٦١ هـ (٨٧٥ م) الدار المجاورة له المعروفة بدار القطان وكانت قديماً ديواناً للخليفة المنصور . ثم أخبر المعتضد بالله أن الجامع يضيق عن الناس فزاد فيه فى سنة ٢٨٠ هـ (٨٩٣ م) « الصحن الأول » الذي اقتطعه من قصر باب الذهب ففتح بين القصر والجامع الكبير سبعة عشر طاقاً ، منها إلى القصر ثلاثة عشر طاقاً والى الاروقة أربعة ، وأمر بتجديد المنبر والمحراب والمقصورة وتجميلها ، ونقل أن بدراً مولى

المعتضد زاد في الجامع من قصر المنصور المسقطات التي نسبت اليه فدعيت بالبدرية ، وكانت صلاة الجمعة تقام في هذا الجامع طوال القرون الخمسة من الحكم العباسي في بغداد وأقيمت أيضاً في غيره من الجوامع .



وقال أبو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٢٨٠ هـ » : « في هـذه السنة زاد المعتضد في جامع المنصور دار المنصور وفتح بينها سبعة عشر طاقاً ، وحوّل المنبر والمحراب والمقصورة الى المسجد الجديـــد ، وتولى ذلك يوسف بن يعقوب القاضي فبلغت النفقة عشرين ألف دينار » وذكر السبب في ذلك بقوله « أُخبر المعتضد بالله بضيق المسجد الجامع بالجانب الغربي في مدينة المنصور وأن الناس يضطرهم الضيق الى أن يصلّوا في المواضع التي لا تجوز في مثلها الصلاة فأمر بالزيادة فيه من قصر المنصور ، فبنى مسجداً على مثال المسجد الأول في مقداره أو نحوه ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فاتسع به الناس . وكان الفراغ منه في هذه السنة .. وزاد بدر مولى المعتضد من قصر المنصور المسقطات المعروفة بالبدرية في ذلك الوقت [1] » .

وقال ابن الجوزي أيضاً : « كانت الجمعة كالعيد في هذه الجوامع خصوصاً في جامع المدينة فانه كان قديماً لا يسع الناس فألحقت فيه دار القطّان والبدرية ومدت ستائر على بابه لها حلق ، وكان الناس يمتدون فيه الى دجلة » . قال : « ودار القطان كانت قديماً ديواناً للمنصور تولّى عمارتها قطان كان غلام مفلح التركي فنسبت اليه وذلك في سنة ستين أو إحـــدى وستين ومائتين » [2] . قال : « وكان القاضي أبو تمّام الزينبي [3] يصلي في أيام الجمع على باب داره الراكبة لدجلة بباب خراسان والصفوف مادة من المسجد الى ذلك المكان والصلاة قائمة بمكبّرين ينقلون التكبير عند الركوع والسجود ، وعلى أبواب المقصورة بوابون بثياب سود يمنعون من دخول أحد اليها إلاّ من كان من الخواص المتميّزين بالأقبية السود ، وكان ذلك رسماً في سائر مقاصير الجوامع ، وقد بطل حتى صار لا يلبسه إلاّ الخطيب والمؤذنون » [4] .

---

(١) المنتظم « ٥ : ١٤٣ » . (٢) مختصر مناقب بغداد « ص ٢٠ ، ٢٢ » .

(٣) ورد في الأصل « الزبيبي » وهو خطأ .

(٤) مختصر المناقب « ص ٢٢ » .

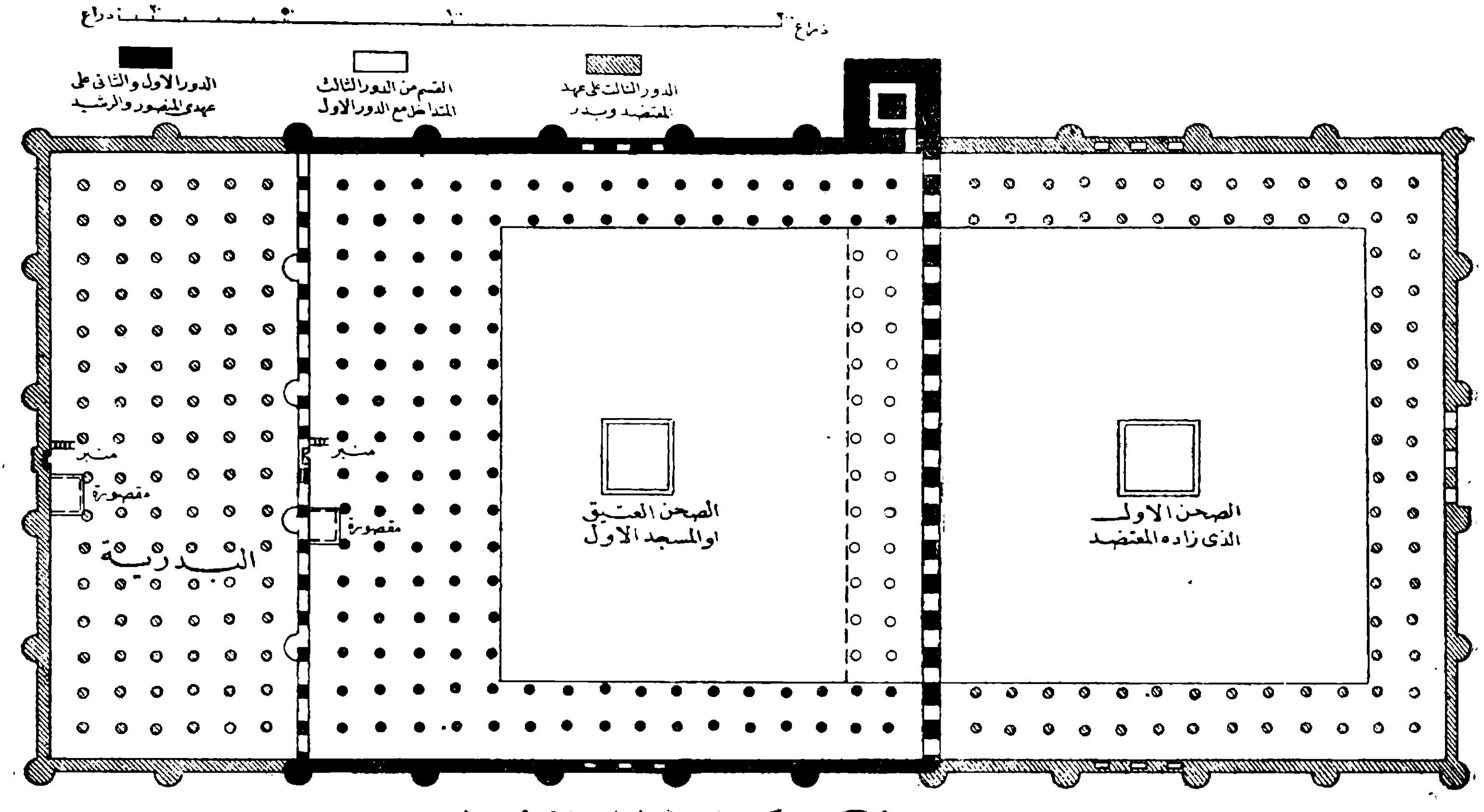
وروى أبو سعد السمعاني أن المشايخ كانوا يقولون « زينة الاسلام ثلاثة : التراويح بمكة ، ويوم الجمعة بجامع المنصور ، لكثرة الناس والزحمة ونصب الأسواق ، ويوم عيد الفطر بطرسوس ..» وقال السمعاني أيضاً : « وقد كان هذا قبل أيامنا ... وبجامع المنصور لا يصلون إلاّ جماعة يسيرة ... » [1] . وكان لجامع المنصور منارة للأذان ذُكرت استطراداً ، فقد ذكر الخطيب البغدادي أن أبا عبد الله بن دوست المحدث الفقيه المالكي المتوفى سنة ٤٠٧ دفن حذاء منارة مسجد جامع المدينة[2] . وفى سنة « ٣٠٣ هـ » وقع حريق فى سوق النجارين بباب الشام فاحترقت السوق بأهلها ووقعت شرارات فى منارة جامع المنصور فاحترقت [3] . وأنشأ الخليفة الراضي بالله فى الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة سقاية يشرب منها المصلون وقد وردت أخبارها فى سنة « ٥٦٩ هـ » [4] وذلك يدل على بقائها صالحة الى ما بعد ذلك التاريخ . وذكر ابن النجار وابن الدبيثي فى تاريخيهما أن ابن القابلة المحدث كان يسكن فى سقاية الراضي بجامع المنصور وتوفي سنة ٥٤٣ ودفن بباب الجامع . وذكر ابن الساعي فى حوادث سنة « ٦٠٦ هـ » أن الشيخ عبد الرومي الزاهد كان منقطعاً فى سقاية الراضي وتوفي فى تلك السنة « الجامع المختصر ٩ : ١٢٨ » .

وقد غرق الجامع سنة ٦٥٣ هـ والظاهر أنه سلم من الخراب فى أثناء حصار المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) فقد كان لا يزال قائماً حين زار ابن بطوطة بغداد فى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) على أن معالمه قد اختفت بعد ذلك ولم يبق له أثر فى هذا العصر .

وقد ظن بعضهم أن المحراب الذي كان فى جامع المنصور نقل في القرن السابع عشر الميلادي الى أحد جوامع بغداد الشرقية المعروف بجامع الخاصكي الذي شيده والي بغداد محمد باشا الخاصكي فى سنة ١٠٦٩ هـ (١٦٥٨ م) ، والمحراب هذا من أبدع آثار الفن

---

(١) الأنساب فى « الطرسوسي » .
(٢) تاريخ بغداد « ٥ : ١٢٥ » .
(٣) المنتظم « ٦ : ١٣٠ » .
(٤) المنتظم « ١٠ : ٢٤٥ » .



جامع مدينة المنصور
عن سار و هرزفلد

المعماري وهو مؤلف من قطعة عظيمة من الرخام متقنة الصنع وقد جاء وصفه في مؤلفات كثيرة ، وحاول جماعة من المستشرقين ابتياعه في عهد الاتراك فلم يفلحوا ، وجرت محاولات أخرى لانتزاعه من هذا الجامع ووضعه في احد المتاحف الغربية ولكن هذه المحاولات كانت بغير جدوى ، والمحراب محفوظ اليوم في القصر العباسي ببغداد يمكن مشاهدته هناك .

وقيل إن المنصور لما أراد بناء بغداد استشار خالد بن يحيي بن برمك في هدم إيوان كسرى وهو من بقايا بناء المدائن [1] واستعمال آجره في إنشاء مدينته الجديدة فقال له : لا تفعل يا أمير المؤمنين لأنه علم من أعلام الاسلام يستدل به الناظر اليه على أنه لم يكن ليزال مثلُ أصحابه بأمر دنيا وإنما هو أمر دين ، فقال : أبيت إلاّ التعصب للفرس . وقيل إنه قال المنصور : ما الأمر كما ظن أمير المؤمنين ولكنه أثر عظيم يدل على أن ملّةً وديناً وقوماً أذهبوا ملك بانيه لَدينٌ وملك عظيم . فلم يصغ الى رأيه وأمر بهدم القصر الأبيض فنقضت ناحية منه وحمل نقضه فوجد النفقة عليه أكثر من الفائدة بنقضه فتركه ، فقال خالد : الآن أرى يا أمير المؤمنين أن تهدمه لئلا يقال إنك عجزت عن خراب ما عمّره غيرك ومعلوم ما بين الخراب والعمارة [2] . وقد قيل أيضاً إنه كان في المدائن إيوانان أحدهما كان قد أنشأه سابور الأول ابن أردشير الذي حكم من ٢٤٠ الى ٢٧١ م ، وذكر ابن الجوزي أن إيوان كسرى بناه سابور الثاني ابن هرمز ذو الأكتاف المتوفى سنة « ٣٨٠ م » « مختصر المناقب ص ٣٥ » والثاني من بناء كسرى إبرويز الذي حكم من ٥٩١ م الى ٦٢٩ م فيكون الايوان الذي قلعه المنصور هو الايوان الأول ، ويكون طاق الايوان الباقي من بناء كسرى ابرويز . وقد ذكر ابن العبري أن « المنصور لما عزم على بناء بغداد أمر بنقض المدائن وإيوان

---

(١) راجع ما قدمنا في بحث المدائن في ص ٢١ .

(٢) راجع ياقوتاً الحموي « مادة إيوان كسرى » ومختصر مناقب بغداد « ص ٨ ، ٩ » .

كسرى فنقضه ونقله الى بغداد . فنقضت ناحية من القصر الأبيض وحمل نقضه . فنظر وكان مقدار ما يلزمهم له أكثر من ثمن الجديد فاعرض عن الهـدم »[1] . وأثر هـدم المنصور لبعض هذا الايوان واضح الى اليوم وكذلك هدم بعض الخلفاء الآخرين .

وجعل المنصور أربعة رقباء على العمال قيل : كان الامام أبو حنيفة النعمان بن ثـابت مؤسس المذهب الحنفي أحدهم ، ويقال إنه كان أول من استعمل طريقة إحصاء الآجر بالقصبة ، ولم يعش أبوحنيفة ليرى توسع المدينة ، فتوفي بعد تأسيسها بزهاء خمس سنوات، ودفن فيالموضع المعروف بعد ذلك بمشهد أبي حنيفة أي تربة الامام النعمان بن ثابت الحالية ، وقد عرفت مقبرته بعد ذلك بمقبرة الخيزران كما أشرنا اليه سابقاً .

وقد اختلف المؤرخون فى تقدير كلفة بناء مـدينة المنصور وأكثر هـذه التقديرات لا يخلو من المبالغة ولعل أقربها الى التصديق أن هذه النفقات بلغت « ثمانية عشر ألف ألف درهم » أي ثمانية عشر مليون درهم ، وأبعدها عنه أنها كانت « ٤ » ملايين درهم .

واختلف المؤرخون أيضاً فى تعيين مساحة المدينة وقد استند المستشرقون الذين تتبعوا موضوع خطط بغداد القديمة وفى مقدمتهم كي لسترانج صاحب كتاب « بغـداد فى عهد الخلافة العباسية » الى ما ذكره اليعقوبي من أن المسافة بين باب وباب من خارج الخندق خمسة آلاف ذراع بالذراع السوداء ، والمقصود بهذا من غير شك المسافة التي تدور حولَ الخندق من الباب الواحد إلى الآخر أي على محيط المدينة . وبهذا يكون طول دائرة المدينة (٢٠،٠٠٠) ذراع ، ولما كانت الذراع السوداء تسـاوي (٤٩) سنتمتراً وفى الأكثر « ٥٠ سم » كان طول الدائرة (٩٨٠٠) متر ، أي أنَّ طول السور يبلغ زهاء عشرة كيلومترات ، وبهذا يكون طول قطر المدينة أي المسـافة بين باب وآخر من الداخل (٣١١٩) متراً أو زهـاء ثلاثة كيلومترات ، أما مساحتها بحسب هذه الأبعاد فتكون

---

(١) راجع « تاريخ مختصر الدول » ص ٢١١ .

أكثر من سبعة كيلومترات مربعة ونصف كيلو مربع . وهـذا لا يقبله المنطق إذ يستبعد جداً أن يكون طول سور المدينة عشرة كيلومترات ، هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى نجد أن هناك شبه إجماع على أن مساحة المدينة مع خنادقها وسورها كان (١٣٠) جريباً ، هذا ما ذكره الخطيب فى مقدمة كتابه « ١ : ٦٩ » وما ذكره ابن الجوزي فى كتـاب مناقب بغداد (ص ٩) ، والجريب يساوي (١٣٨٤) متراً مربعاً ، وبذلك تكون مساحة المدينه قرابة (١٨٠٫٠٠٠) م٢ فقط أي أقل من خمس الـكيلومتر المربَّع . ولهذه الأسباب اخترنا أوسط المقادير وهو ميل عربي (٤٠٠٠ذراع) أي زهاء (٢٠٠٠) متر لقطر المدينة ، وهذا مما أشار اليه الخطيب (ج١ص٧١) بقوله « إن المسافة بين كل باب من أبواب المدينة الى الباب الآخر ميل » . وقد أيد ذلك ابن الجوزي (ص ٨) ، وبهذا تكون مسـاحة المدينة (٣٫١٤١٫٦٠٠) م٢ أو قرابة ثلاثة كيلومترات مربعة .

وقد نقل الخطيب فى مقدمة تاريخه أيضاً عن بعضهم « أن المنصور جعل الطول من باب خراسان الى باب الـكوفة ثمانمائة ذراع ومن باب الشام الى باب البصرة ستمائة ذراع » وهذا الخبر يدل على أن الأبواب لم تكن فى نهايات القطرين المتعامدين لدائرة مدينة المنصور ثم نقل الخطيب عن وكيع أن مدينة المنصور قطرها من باب خراسان الى باب الـكوفة ألفـا ذراع ومئتا ذراع ، ومن باب البصرة الى باب الشام ألفا ذراع ومئتا ذراع ، وهـذا الخبر يؤيد التناظر بين الأبواب ، ذكرنا ذلك لبيان اختلاف الرواة فى تقدير المساحات والمسافات ، وصعوبة التحقيق فى شأنها على الباحث .

وقد بقيت جداول الارواء التي كانت تقع فى المنطقة المجاورة للمدينة المـدورة كما كانت عليه من قبل ، فان الصراة الـكبرى والصراة الصغرى وكرخايا بقيت محتفظة بأسمائها القديمة ، أمّا نهر الرفيل فصار يعرف أيضاً فى هذا العهد باسم نهر عيسى نسبة إلى الأمير عيسى بن علي عم المنصور الذي جدد إنشاءه وشيد عند مصبه فى دجلة قصراً فى موضع قصر سابور العتيق

سمي باسم قصر عيسى ، غير أن تسمية الرفيل القديمة لم تترك نهائياً فقد استمر بعض المؤرخين على تسميته القديمة ، فابن الجوزي لما ذكر هذا النهر عند نقل حادث سد فوهته في عهد معز الدولة البويهي (٣٣٤ — ٣٥٦ هـ) سماه نهر الرفيل وهذا مما يدل على ان التسمية القديمة كانت لا تزال معروفة في ذلك العهد ، كما أن ياقوتاً الحموي ذكره بتسميته القديمة أيضاً عند ما بحث في قصر عيسى الذي شيد على ضفته قال : إن قصر عيسى « منسوب الى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أول قصر بناه الهاشميون في أيام المنصور ببغداد وكان على شاطئ نهر الرُّفيل عند مصبه في دجلة ، وهو اليوم في وسط العمارة من الجانب الغربي وليس للقصر أثر الآن إنما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى .... والى عيسى هذا ينسب نهر عيسى الذي ببغداد »[1] وراجع تجارب الأمم « ٦ : ٩ » .

ذكرنا آنفاً أن آثار هذا النهر لا تزال ظاهرة حتى يومنا هذا ، وهي تعرف باسم « نهر الداودي » أو « نهر الميساوي » وتمتد في حدود أمانة العاصمة السابقة بمحاذاة هذا النهر القديم ، وتنقطع آثار هذا النهر بعد أن يصل الى مدخل بغداد حيث يصبح أمام قبر الشيخ معروف الكرخي الا انه إذا اتجهنا شرقاً في نفس اتجاه النهر نجد أنه يمتد من ظهر المطار

---

(١) ومما قاله ياقوت في هذا القصر أنه « روي أن المنصور زار عيسى بن علي ومعه أربعة آلاف رجل فتغدى عنده وجميع خاصته ودفع الى كل رجل من الجند زنبيل فيه خبز وريم جدي ودجاجة وفرخان وبيض ولحم بارد وحلاوى فانصرفوا كلهم مستبطين ذلك ، فلما أراد المنصور أن ينصرف قال لعيسى يا أبا العباس لي حاجة قال ما هي يا أمير المؤمنين فأمرك طاعة قال تهب لي هذا القصر قال مابي ضن عنك به ولكني أكره أن يقول الناس إن أمير المؤمنين زار عمه فاخرجه من قصره وشرده وشرد عياله وبعد فان فيه من حرم أمير المؤمنين ومواليه أربعة آلاف نفس فان لم يكن بد من أخذه فليأمر لي أمير المؤمنين بفضاء يسعني ويسعهم أضرب فيه مضارب وخيماً انقلهم اليها الى ان ابني لهم ما يواريهم » . فقال له المنصور: عمر الله بك منزلك ياعم وبارك لك فيه ثم نهض وانصرف » .

المدني الحالي ، وبعد أن يجتاز قبر معروف الكرخي من الشمال يدخل مدينة بغداد وينتهي الى دجلة بجوار مسجد قرية والمفهوم أن نهر الخر الحالي لم يكن موجوداً آنذاك ليعترض سبيله (١) وإنما حفر في الأزمنة المتأخرة لتخفيف مياه الفيضان .

وأما النهر الرئيس الذي كان يأخذ من نهر الفرات وينتهي الى دجلة جنوب بغداد وهو النهر الذي كان نهر الرفيل (نهر عيسى) أحد فروعه فصار يعرف باسم « نهر عيسى الأعظم » لتمييزه عن نهر عيسى (الفرع) ، وقد سماه اليعقوبي بهذه التسمية فقال : « إن نهر عيسى الاعظم الذي يأخذ من معظم الفرات تدخل فيه السفن العظام التي تأتي من الرقة ويحمل فيها الدقيق والتجارات من الشام ومصر تصير الى فرضة عليها الأسواق وحوانيت التجار ، لاتنقطع في وقت من الاوقات فالماء لاينقطع » . وفي وصف الاصطخري لنهر عيسى ما يوضح هذه الناحية بجلاء فقد ميز هذا الكاتب بين نهر عيسى الأعظم الذي تمر منه السفن أي النهر الرئيس الذي ينتهي الى دجلة جنوب بغداد ونهر عيسى (الفرع) الذي ينتهي مع بقية الفروع الى دجلة في جوف مدينة بغداد . وذلك بقوله إنه كانت تتحلب من نهر عيسى [الرئيس] صبابات تتفجر منها أنهار وفيها عمارات الجانب الغربي . ويصف نهر عيسى (الفرع) بقوله : إنه ينتهي الى دجلة في جوف مدينة بغداد . ثم يواصل كلامه في الموضوع فيقول « وأما نهر عيسى فان السفن تجري فيه من الفرات الى أن يقع في دجلة » .

ويتضح امتداد نهر عيسى الرئيس الى جنوبي منطقة بغداد كالحارثية بقول ياقوت في «بادوريا» من معجم البلدان : إنها « طسوج من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد وهو [أي الأستان] اليوم محسوب من كورة نهر عيسى بن علي منها النخاسية والحارثية ونهر أرما وفي طرفه بنيت بعض بغداد منه القرية والنجمي والرقة » . وقوله في « دير الثعالب » : « دير مشهور بينه وبين بغداد ميلان أو أقل في كورة نهر عيسى على طريق صرصر ، رأيته

(١) راجع ما تقدم حول الصراة والرفيل وكرخايا في ص ٣ — ١٣ .

أنا وبالقرب منه قرية تسمى الحارثية ... » .

وقد أيّد ذلك ابن الوردي في كتابه « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » بقوله : « وأمّا نهر عيسى فتجري فيه السفن من بغـــداد الى الفرات ، وأما نهر الصراة فلا تركبه سفينة أصلاً لـكثرة الأرحية التي عليـه » . وفي الوصف الذي دوّنه حمد الله المستوفي في كتابه « نزهة القلوب » لنهر عيسى ما يوضح جلياً التميز بين نهر عيسى الرئيس وفروعه التي تنتهي الى بغداد ، وإليك ما جاء في وصف المستوفي قال : « إن نهر عيسى كان قد حفره عيسى عم المنصور وهو يأخذ من الفرات وقد أقيمت على ضفافه قرى ومزارع يبلغ عددها زهاء سبعين قرية ومزرعة كان محصولها وافراً . أمّا المنطقة الواقعة في ناحية بغداد بما فيها من القرى فتستقي من فروع نهر عيسى» . ويُلحظ أن أكثر المؤرخين أشاروا الى نهر عيسى الرئيس دون أن يضيفوا كلمة « الأعظم » اليه ، وتعليل ذلك هو أن نهر عيسى (الفرع) لم يكن يعرف باسم نهر عيسى إلاّ بعد أن شيد عيسى قصره عليه فقد كان يعرف قبل ذلك باسم نهر الرفيل وقد بقي يعرف بهذا الاسـم مدة من الزمن كما تقدم .

ومما يؤيد ذلك تعليق ابن عبد الحق على كلام ياقوت حول نهر الرفيل بقوله : إن أصل النهر هو نهر الرفيل وإنما غلب عليه اسم عيسى لما أجرى منزه تحت قصره . يستدل من ذلك على أنه لم يكن في أول الأمر بين الأنهار إلا نهر واحد باسم نهر عيسى وهو النهر الرئيس الذي يصب في دجلة جنوب بغداد ثم بعد أن شيد عيسى قصره على نهر الرفيل صار نهر الرفيـل يعرف بنهر عيسى أيضاً مع أن تسمية الرفيل استمر استعمالها مدة من الزمن . ولا تزال آثار هذا النهر باقية يمكن تتبعها وهي تمتد في اتجاه جدول الصقلاوية ونهر الدحية الحاليين حتى تنتهي الى دجلة عند « تلول خشم الدورة » الواقعة على طريق بغداد إلى المحمودية كما أن آثار أبنية الفرضة التي أشار اليعقوبي إلى أنها كانت مرفأ السـفن العظام التي تأتي من الفـرات وعليها الأسواق وحوانيت التجار لا تزال باقية وهي تكوّن تلولاً كبيرة تستوقف الأنظار

لعلوها وضخامتها وتعرف باسم « أم الطبول[1] » .

وقد ذكر فرع بغداد ابن سعيد المغربي فى جغرافيته قال : « وينزل من الفرات نهر عيسى فيصب فى دجلة بين القرية والرملة من مدنها (كذا) وهو من الأنهار الكبار التي تخرج من الفرات فيسقي من الضياع عدد أيام الشهور[2] » . والقرية هي محلة باب السيف الحالية ، والرملة هي محلة الجعيفر الحالية . وفى سنة « ٦٤٣ » أمر الخليفة المستعصم بالله ببناء سكر على فم نهر عيسى مما يلي دجلة ليزداد ماء النهر بحيث تعبر شبارته الى القصر المستجد بجوار قنطرة الشوك ، فلما انتهى السكر نظم الشعراء فى ذلك أشعاراً كثيرة وكان فى غاية الاحكام فلم يلبث إلا قليلاً وانقلب ولم يُر له أثر[3] . وكان هذا النهر يصب عند رباط البسطامي قال ابن سعد السمعاني فى ترجمة الرواسي الواعظ : « ورد بغداد ونزل رباط البسطامي الذي على نهر عيسى ودجلة » . وقد أُخذ من فرع بغداد فى العهد الجلايري نهر عُرف بالمسعودي ونرى أنه منسوب إلى خواجه مسعود بن سديد الدولة منصور بن هارون الشافعيّ ، وكان فى أيام السلطان أويس بن الشيخ حسن الكبير الجلايري فى أواخر القرن الثامن للهجرة وكان أبوه سديد الدولة قد أسلم سنة ٧٣٥ هـ لأنه حضر مشهد الامام علي بالنجف وأراد الدخول فيه فمنعه السادة فقال لهم : فى دينكم أن رجلي أنجس من الخف فاذا دخلت بالخف كان خيراً مما أدخل حافياً ثم دخل بالخف وكان على الضريح مصحف بخط الامام علي فاستفتح فجاء فى أول سطر منه : « فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى » . فخرج مسرعاً فخلع نعليه وأسلم ، والذي حمله على ذلك أن اليهود والنصارى أُلزِموا بالغيار ثم نقضت كنائسهم ودياراتهم فأسلم من أعيانهم جماعة كبيرة منهم سديد الدولة المذكور والد مسعود على النحو

---

(١) راجع ما تقدم حول النهر الأعظم هذا فى ص ٣ .

(٢) جغرافية علي بن سعيد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٢٢٣٤ » الورقة ٧٤ » .

(٣) الحوادث « ص ١٩٨ ، ١٩٩ » .

الذي ذكرناه وكان ركناً لليهود عمر في زمن يهوديته مدفناً عزم عليه مالاً كثيراً ، فأخرب مع الكنائس ، وجعل بعض الكنائس معبداً للمسلمين وهدمت بيعة درب دينار وكانت بيعة كبيرة جداً فشرع في عمارتها جامعاً . وذكر المقريزي أن سديد الدولة مرّ بقارئ للقرآن فسمعه وخشع قلبه فأسلم . وأما ابنه خواجه مسعود الشافعي فعمر مدرسة في غاية الحسن ، جعلها وقفاً على المذاهب الأربعة على صفة المدرسة المستنصرية ، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة ، وكتب على جدرانها بخطه ، وأنشأ فيها دار كتب أكثر كتبها بخطه وكان خطه حسناً ، وكتب اسمه على جدران المدرسة بما نصه « وكتبه مسعود بن منصور بن أبي هارون [الهاروني] نسباً ، الشافعي مذهباً وكان نسبه يتصل بهارون أخي موسى ، وبنى مسعود أسواقاً في غاية الحسن ، قال الغياث البغدادي : ولم يكن خواجه مسعود وزيراً وإنما كان بيده رواضع[1] المدينة لاغير . وكان قد ورث هو وأخوه داوود من أبيهما مالاً كثيراً[2]. والظاهر أن النهر « الداوودي » المقدم ذكره في « ص ٣ » منسوب الى داوود بن سديد الدولة كما نسب المسعودي الى خواجه مسعود ، وقد دفن داوود في المدرسة .

نستخلص مما تقدم أنه كان في غربي دجلة نهران باسم نهر عيسى ، الأول وهو نهر عيسى الرئيس وقد سماه بعض المؤرخين باسم نهر عيسى الأعظم كان يأخذ من نهر الفرات وينتهي الى دجلة جنوب بغداد بمسافة اثني عشر كيلومتراً منها ، وكانت الوسائط النهرية التي تنقل تجارات الشام ومصر تسير بطريق هذا النهر حتى تدخل نهر دجلة ثم تصعد فيه حتى تصل مدينة بغداد ، ومما يدل على أن نهر عيسى الأعظم هذا كان من الأنهار الواسعة

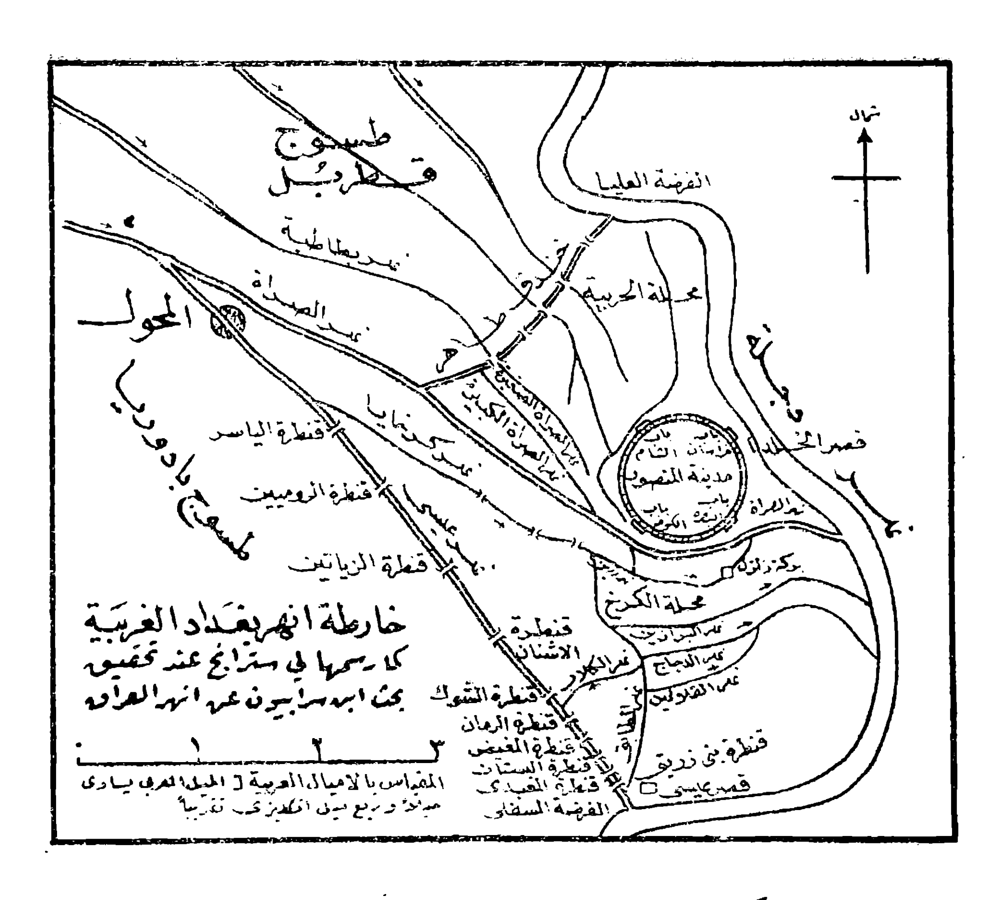
---

(١) الرواضع جمع الراضع وهو النهر الصغير يأخذ من النهر الكبير .

(٢) تاريخ عمر بن الوردي « ٢ : ٣٠٥ » والسلوك للمقريزي « ٢ : ٣٩٠ » والتاريخ الغياثي « ص ١٦٣ » من نسخة المتحف العراقي وهي نسخة الأب أنستاس ماري الكرملي . ودرب دينار المذكور في الخبر هو شارع المأمون الحالي المؤدي الى جسر المأمون .

التي تصرف قسماً كبيراً من مياه الفرات أن بعض المؤرخين العرب اعتده فرعاً من الفرات ينتهي الى دجلة ، فقد ذكر النويري في كتابه « نهاية الأرب في فنون الأدب » أن الفرات بعد أن يمر بهيت ويتجاوز الأنبار ينقسم قسمين قسم يأخذ نحو الجنوب قليلاً وهو المسمّى بالملقمي والقسم الآخر يسمّى نهر عيسي منسوب لعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس وهو يصب في دجلة . أمّا النهر الثاني فهو نهر عيسي (الفرع) الذي يتفرع من نهر عيسى الرئيس فيمتد شرقاً بموازاة نهر الصراة العظمى من الجنوب حتى ينتهي الى دجلة في جوف مدينة بغداد . وعلى هذا فسنطلق في بحثنا الآتي اسم نهر عيسى الأعظم على النهر الرئيس الذي يأخذ من نهر الفرات ويصب في دجلة جنوب بغداد وهو الذي تمر فيه السفن ، واسم « نهرعيسى » على الفرع الذي يتشعب من نهر عيسى الرئيس وينتهي الى دجلة داخل مدينة بغداد (راجع خارطة بغداد في أول أدوارها العباسية — أطلس بغداد ص ٤ ـ ٥) .

وهنا تتجلّى أبين التجلّي النظرية التي ذهبنا اليها في أول بحثنا ، وهي أن كل دراسة لتاريخ بغداد القديم لا تستند الى دراسة إرواء بغداد القديم تصبح معرضة للخطأ ، فقد وقع أكثر الباحثين في تاريخ بغداد ، وخصوصاً أولئك الذين حاولوا رسم خرائط لخطط بغداد القديمة أمثال كي لسترانج وستريك وغيرهم ، في ارتباك وحيرة من أمر نهر عيسى بسبب قصورهم واعتقادهم أن نهر عيسى هو اسم لنهر واحد ، وأوضح دليل لتحيّر كي لسترانج في هذا الأمر أنه وضع في أول الأمر خارطة لأنهار بغداد الغربية عنـــد تحقيقه لبحث ابن سرابيون عن أنهار العراق رسم فيها نهر عيسى واحداً يسـير في اتجاه نهر عيسى الأعظم الذي يصب في دجلة جنوب بغداد ، وكانت نتيجة ذلك أن جميع الأماكن التي كانت تقع داخل بغداد رسمت في غير مواضعها الحقيقية لأن نهر عيسى الأعظم يسير على مسافة بعيدة عن بغداد (راجع الخارطة التي وضعها كي لسترانج لأنهار بغداد الغربية عند تحقيق بحث ابن سرابيون في أنهار العراق) . ويظهر أن كي لسترانج شعر فيما بعد بخطئه هـذا فحاول



تصحيح خارطته فى كتابه « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » ولكنه وقع هذه المرة فى أخطاء أخرى يتجلى فيها ارتباكه وتحيّره فى أمر نهر عيسى فأهمل هذه المرة نهر عيسى الأعظم بالمرة كأن لم يكن له وجود ورسم نهر عيسى على شكل دائرة يدور حول مدينة المنصور المدوّرة (راجع خارطة بغداد في أول أدوارها العباسية كما وضعها كي لسترانج — أطلس بغداد ص ١١) ، وكانت محاولته هذه غير مجدية أيضاً لأنه اتخذ تخطيط مدينة المنصور المدوّرة أساساً لاتجاه نهر عيسى دون أن يرجع الى دراسة نظام الارواء القديم الذي كان موجوداً فى هذه المنطقة قبل أن يدخلها المنصور بمدة طويلة . ومن أهم الأخطاء التي وقع فيها كي لسترانج بسبب ذلك أنه رسم الفرضة التي كانت عند مصب نهر عيسى

الأعظم الذي ينتهي الى دجلة جنوب بغداد ، وهي الفرضة [1] التي لا تزال بقاياها موجودة في تلول أم الطبول ، في غير موقعها الحقيقي فرسمها عنـــد مصب نهر عيسى (الفرع) الذي ينتهي الى دجلة في جوف بغداد ، ومن المعلوم أنه كان يتعـذر على السفن أن تسير في نهر عيسى (الفرع) لوجود عدة قناطر عليه ولصغر حجمه بالنسبة الى النهر الرئيس .

وإذا رجعنا إلى الخارطة التي وضعها المستشرق الالماني ستريك لمدينة بغداد الغربية ، وهو من أشهر المؤرخين الغربيين الذين بحثوا في خطط بغداد القديمـة وقد وضع مؤلفه « بلاد بابل القديمة » في الوقت الذي وضع فيه گي لسترانج كتابه في بغداد ، نجد أنه لم يكن في وسع هذا المؤرخ إهمال آثار نهر عيسى الأعظم التي لا بد أن تكون قد استوقفت نظره عند تنقيبه عن آثار بغـداد القديمـة فوقع في عين الخطأ الذي وقع فيه گي لسترانج في محاولتـه الأولى لحل مشكلة نهر عيسى المعقدة ، فمين نهر عيسى (الفرع) في اتجاه نهر عيسى الأعظم وكانت نتيجة ذلك أنه رسم جميع المواقع التي على نهر عيسى (الفرع) على نهر عيسى الأعظم ، وبهذا أصبحت المواقع التي في الجانب الغربي من بغداد القديمة بعيدة كل البعد عن مواقعها الأصلية بل وقعت خارج المدينة بمسافة بعيدة (راجع خارطة ستريك لمدينة بغداد الغربية) . وقد أيد المستشرق الافرنسي الأستاذ ماسينيون وجهة نظر ستريك هذه بقوله : إن تخطيط گي لسترانج (ويقصد بذلك تخطيطـه الثاني الوارد في كتاب « بغداد في عهـد الخلافة العباسية ») لا يتفق مع مستوى الأرض ، ويميل إلى تأييد ستريك في تخطيطه لنهر عيسى الذي يجري على خط مستقيم حتى مصبه في جنوب دجلة [2] . وقد فات الأستاذ ماسينيون أن نظريته هذه تجعل جميع الأماكن التي كانت على نهر عيسى في بغداد في غير مواضعها الحقيقية إذ تصبح خارج مدينة بغداد .

---

(١) الفرضة مرسى السفن في الأنهار وهي ما يشبه الميناء اليوم في البحار .

(٢) Mission en Mesopotamie 1907 - 1908 M. Louis Massignon II.

خارطة بغداد في أول أدوارها العباسيّة
كما رسمها المستشرق الألماني الدكتور
الكسيليانز ستريك في كتابه ((بلاد بابل القديمة))

طسوج بوق
طسوج قطربل
طسوج بادوريا
طسوج كلواذى
طسوج براثا
قصر المنصور وجامعه
الحربية
باب خراسان
باب الشام
باب الكوفة
باب البصرة
قصر الرصافة
قصر المعتصم
قصر الفردوس
قصر التاج
القصر الحسني
سوق الثلاثاء
سوق العطش
بستان الزاهر
بستان القس
دار الرقيق
دير سمالو
باب التبن
باب قطربل
قنطرة أم جعفر
قنطرة الحديد
قنطرة الأنبار
قنطرة العباس
قنطرة الزياتين
قنطرة الأشنان
قنطرة الشوك
قنطرة الرمان
قنطرة المغيض
قنطرة البستان
قنطرة المعبدي
قنطرة بني زريق
الصراة العظمى
الصراة الصغرى
نهر عيسى
نهر كرخايا
نهر رزين
نهر الدجاج
نهر القلائين
نهر الكلاب
نهر المعلى
نهر موسى
نهر بطاطيا
جسر بطاطيا
نهر الجعفرية
نهر المهدي
طريق خراسان
المحول
الياسرية
الرومية
النظامية
المخرم
باب المقير
باب الأبرز
قصر عيسى
الأشلة

وقد أنشئت بعد تشييد مدينة المنصور شبكة من الأنهار بين نهر الصراة ونهر عيسى (نهر الرفيل القديم) وتوسعت قرية الكرخ القديمة على هذه الأنهار ، وأصبحت هناك محلة كبيرة تعرف باسم محلة الكرخ مزدحمة بالدروب والقطائع والأسواق حتى امتد هذا الربض إلى جنوب نهر عيسى كثيراً وأشغل الأراضي الواقعة على جانبي طريق الكوفة مسافة بعيدة خارج بغداد .

وقد وصف اليعقوبي محلة الكرخ وصفاً مفصلاً ومن جملة ما ذكره من تنظيم هذه المحلة قوله : « فلكل تجار وتجارة شوارع معلومة وصفوف فى تلك الشوارع وحوانيت وعراص ، وليس يختلط قوم بقوم ولا تجارة بتجارة ولا يباع صنف مع غير صنفه ولا يختلط أصحاب المهن من سائر الصناعات بغيرهم ، وكل سوق مفردة ، وكل أهل تجارة منفردون بتجاراتهم ، وكل أهل مهنة معتزلون عن غير طبقتهم » . ثم ذكر أنها كانت من السعة بحيث تمتد مقدار فرسخين طولاً ومقدار فرسخ عرضاً . وقد ذكر هلال بن الصابيء في كتابه « تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء » أن محلة الكرخ كانت أكبر رساتيق طسوج بادوريا البالغة اثنى عشر رستاقاً وهي تتكون من اثنتي عشرة قرية أجلها ما على دجلة .

وقد نشأت بلدة مهمة فى هذا العهد تسمى بلدة المحوّل وذلك فى الموقع الذي كان يتفرع منه نهر الصراة ونهر عيسى ، وكان فى هذا الموقع سد على النهر الرئيس (نهر عيسى الأعظم) لتنظيم المياه فيه وتقسيمها بين صدري فرعي الصراة وعيسى اللذين ينحدران شرقا الى بغداد ، وقد سميت هذه البلدة « المحوّل الكبير » لتمييزها عن المواضع الأخرى التي بهذا الاسم لأن السفن التي كانت تأتي من الفرات فى النهر الرئيس كانت تقف عند السد وتحوّل ما تحمله من بضائع إلى سفن أخرى فى الجانب الآخر من السد لتنحدر من هناك الى دجلة فى مجرى نهر عيسى الأعظم ومن ثم تصعد فى نهر دجلة حتى تصل إلى بغداد .

ويقول ياقوت إن اشتقاق المحوّل واضح من حوّلتَ الشيء : إذا نقلته من موضع

الى موضع ، وذكر عن بلدة المحول أنها « حسنة طيبة كثيرة البساتين والفواكه والأسواق والمياه بينها وبين بغداد فرسخ » . وقد بنى بعض الخلفاء قصوراً لهم فيها ، منهـــا قصر مشهور هو قصر الـكشك الذي شيده المعتصم فى القسم الأعلى من البـلدة . وآثار بـلدة المحول باقية يمكن مشاهدتها عند التلول الـكبيرة المعروفة اليوم باسم « المضيق » الواقعة على الطريق بين بغداد وأبي غريب على بعد زهاء ستة كيلو مترات من جسـر الخر ، كما أن آثار صدري نهر الصراة ونهر عيسى (الفرع) اللذين كانا يتفرعان من نهر عيسى الرئيس ظاهرة واضحة هناك ، وكذلك يمـكن تتبع آثار نهر عيسى الرئيس حتى مصبه فى دجلة قرب تلول خشم الدورة حيث تقع هناك بركة كبيرة وعميقة هي من بقايا النهر المذكـور . أما فرع الصراة وفرع وعيسى فلا تزال آثارها باقيـة ويمكن تتبعها حتى تفنى عند نهر الخر الحالي . ومما يحسن ذكـره فى هذا الصدد أن بقايا نهر عيسى لا تزال تعرف باسم النهر الأصلي مع مرور ما لا يقل عن مئات سـنين على اندراس النهر فتسمى بنهر العيسـاوي أو الداودي كما تقدم . وقد تعذر على گي‌لسترانج تعيين موضع المحوّل الحقيقى فعيّن موضعها فى غرب مدينة المنصور على مسافة زهاء أربعة كيلو مترات شمال موضعها الأصلي وذلك مما أدى إلى وقوعه في أخطاء كثيرة تتصل بتعيين مواضع القرى والمحـلات الواقعـة فى جنوب المدينة المـدورة وغربها (راجع خارطة بغداد فى أول أدوارها العباســـية كما وضعها گي‌لسترانج وخارطة بغداد فى أول أدواها العباسية من وضع أحد المؤلفين لهذا الـكتاب لملاحظـة موقع المحوّل فى كل منها) . ويلاحظ أن گي‌لسترانج رسم نهرى عيسى والصراة على شكل شـبه دائرة يدوران حول مدينة المنصور ، وقد فاته أن هذه الأنهار كانت موجودة قبل إنشاء مدينـــة المنصور وأن تخطيطها الأصلي بعيد كل البعد عن هذا التصميم الهندسي الذي تخيله .

وقد بقي نهر الصراة الحد الفاصل بين القسم الشمالي من غربي بغداد (طسوج قطربل) والقسم الجنوبي منها (طسوج بادوريا) ، فكان يتفرع من نهر عيسى الرئيس فوق المحول

بقليل ويسير في مجراه القديم بموازاة فرع نهر عيسى من الشمال حتى يصل إلى الطرف الجنوبي الغربي من المدينة المدورة عند القنطرة العتيقة ، وهي القنطرة القديمة التي كانت عليه من قبل وقد أصبحت الآن القنطرة التي يعبر فوقها طريق الكوفة العام ، ومن هنا ينحرف النهر قليلاً فيكوّن شبه دائرة حول سور المدينة فيمر بإزاء باب البصرة حيث يقطع طريق باب البصرة الرئيس على قنطرة تسمى القنطرة الجديدة ، وقد سميت بالجديدة لتميزها عن القنطرة العتيقة التي كانت على الصراة قبل إنشاء مدينة المنصور ، ويستمر في مجراه نحو الشمال الشرقي حتى يصب في دجلة عند الدير العتيق المقدم ذكره تحت حدائق قصر القرار وقصر الخلد . وكانت حدائق هذا القصر الأخير تسقى من بزّه ومن المحتمل ان المنصور الحق قسماً من حدائق الدير بقصره هذا الذي اشتهر بحدائقه الواسعة .

والظاهر أن سبب اختيار المنصور هذا الموضع لانشاء قصر الخلد فيه هوالتمتع بمنظر نهر دجلة من جهة ومن الجهة الأخرى الاستفادة من وفرة المياه في هذه المنطقة الواقعة عند مصب نهر الصراة لانشاء البرك وإضافة أكبر مساحة ممكنة من البساتين والحدائق إلى القصر . والدليل على هذا أنه بعد بضع سنين أنشئ قصر آخر على حدائق قصر الخلد سمي بالقرار وهو اسم مستعار من القرآن الكريم أيضاً كالخلد . وكان يعرف هذا القصر أيضاً باسم قصر زبيدة نسبة إلى زوجة هرون الرشيد المشهورة وكان يعرف أيضاً بقصر أم جعفر ، والأرجح ان هذا القصر أنشئ في عهد هرون الرشيد ولعله أنشئ في هذا الموضع لنفس السبب الذي حمل المنصور على إنشاء قصر الخلد فيه .

وقال الخطيب : « وأما شاطئ دجلة من قرن الصراة إلى الجسر فمن حد الدار التي كانت لنجاح بن سلمة ثم صارت لأحمد بن إسرائيل ثم هي اليوم بيد خاقان المفلحي إلى باب خراسان فذلك الخلد ثم ما بعده الى الجسر فهو القرار نزله المنصور في آخر أيامه ثم أوطنه الأمين .

وروى الخطيب أن موضع السجن الجديد كان أقطاعاً لعبد الله بن مالك نزلها محمد بن يحيي

ابن خالد بن برمك ثم دخلت في بناء أم جعفر أيام محمد الذي سمته القرار » . قال الحسن بن جمهور : مررت مع علي بن أبي هاشم الكوفي بالخلد والقرار فنظر الى تلك الآثار فوقف متأملاً وقال :

بنـــوا وقالوا لا نمو ... ت وللخراب بني المبنى
ما عاقـل فـيما رأيـ ... ـت الى الحياة بمطمئن(١)

فالظاهر أن القصر هذا كان قد رمم في أيام الخليفة الناصر لدين الله العباسي ، فقد ذكر ابن الدبيثي في ترجمة محمد بن عبد العزيز المعروف بابن ما زه البخاري أنه قدم بغداد سنة ٦٠٣ فأنزله الخليفة بدار زبيـدة على دجلة (٢) . وما دار زبيدة على دجلة إلا القرار . وقـد ورد ذكره بهذه التسمية في حوادث سنة ١٩٦ قال الطبري : « ثم وثب العباس بن موسى بن عيسى على أم جعفر فأمرها بالخروج من قصرها الى مدينة أبي جعفر فأبت فدعا لها بكرسي وأمرها بالجلوس فيه فقنعها بالسوط وساءها وأغلظ لها القول فجلست فيه ثم أمر بها فأدخلت المدينة مع ابنها وولدها » .

وقد جاء ذكر هذا القصر فيما دونه الطبري من حوادث حصار طاهر للأمين فذكر عن محمد بن راشد « أن ابراهيم بن المهدي أخبره انه كان نازلاً مع محمد المخلوع في مدينة المنصور في قصره بباب الذهب لما حصره طاهر قال فخرج ذات ليلة من القصر يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيـه فصار الى قصر القرار في قرن الصراة أسفل من قصر الخلد في جوف الليل ثم أرسـل اليَّ فصـرت اليه ... » وجاء الخبر في الكامل قال « فصـار الأمين الى قصر له بناحية الخلد » .

وقد بقي نهر الصراة الصغرى على ما كان عليه في الأصل وهو يأخذ مياهه من الجانب

---

(١) تاريخ بغداد « ١ : ٨٧ ، ٩٢ ، ٩٣ » .
(٢) تاريخ بغداد « ٥٩٢١ الورقة ٧٢ نسخة دار الكتب الوطنية بباريس .

الأيسر لنهر الصراة العظمى فيجري نحو الشمال الشرقي حتى يصل أمام باب الكوفة ثم يعود فينصب في نهر الصراة العظمى نفسه عند القنطرة العتيقة التي سبق ذكرها . وكان عند ملتقى الصراتين الرحى العظمى التي يقال لها رحى البطريق ، وكانت كما ذكر اليعقوبي مائة حجر هندسها بطريق قدم من ملك الروم فنسبت اليه ، والارجح أن تأريخ انشاء هذه الرحى يرجع الى العهد الذي سبق انشاء مدينة بغداد [1] . وكان هذا النهر يسقي المزارع والبساتين التي بين الصراتين وكانت تعرف بالعباسية نسبة إلى العباس بن محمد بن علي . وكانت السفن تسير في نهر الصراة حتى قنطرة الصراة ثم يحول ما فيها إلى سفن اخرى جنوب القنطرة ، ومما ذكره الاصطخري في هذا الصدد قال : « وأما الصراة فان فيها حواجز تمنع من جري السفن فتنتهي السفن منها الى قنطرة الصراة ثم يحول ما فيها ويتجاوز به ذلك الحاجز الى سفن غيرها » .

وقد أضيف مشروع جديد الى نهر الصراة العظمى هو نهر جديد يسمى الخندق الطاهري فتح من الجانب الأيسر لنهر الصراة العظمى يأخذ من النقطة التي يتفرع منها نهر الصراة الصغرى فينحرف نحو الشمال الشرقي وبعد أن يمر من مقابل باب الشام (تاركاً الربض الشمالي لبغداد المسمى « الحربية » الى الشرق) يخترق منتصف قطيعة الزبيدية ويصب في دجلة هناك في موضع كان يدعى بأسم « الفرضة » ، ولكي نميز بين هذه الفرضة والفرضة التي في مصب نهر عيسى الرئيس ندعو هذه الفرضة بفرضة الخندق الطاهري ، هذا وصف الخطيب البغدادي لخندق طاهر [2] ونقله ابن الجوزي كما في مختصر مناقب بغداد وقد ذكره مؤلف المراصد قال : « وخندق طاهر ببغداد وهو الدرب المعروف بالطاهرية كان حول محال أرباض مدينة المنصور فسمي الخندق لذلك » . ثم قال في الطاهرية « اقول :

---

(١) راجع ما تقدم عن رحى البطريق في ص ٧

(٢) تاريخ بغداد « ١ : ١١٢ » .

الطاهرية مفيض فضلات الماء من بز دجيل ومن نهر عيسى صار نهراً عليه قناطر معقودة بالآجر بعدة أبواب ويرمي الى دجلة » . وقال الخطيب أيضاً « أعلى البلد قطيعة أم جعفر زبيدة [1] دونها الخندق يقطع بينها وبين البناء المتصل بالمدينة [2] .

وفي سنة «٣١٥» هو على عهد الخليفة المقتدر بالله كانت بغداد مهددة بهجوم القرمطي عليها بين حين وآخر فأمر نازوك صاحب الشرطة أصحاب القصب بباب الأنبار بادخال القصب الى داخل بغداد خشية من أن يرد القرمطي فيسك الخندق بالقصب والتراب ويعبر عليه [3] . ويستفاد من خبر ذكره سبط ابن الجوزي في حوادث سنة «٥٩٧» على عهد الناصر لدين الله أنَّ الماء كان يجري في هذا الخندق في تموز قال : « وكان ذلك في تموز وأخطر خلق كثير ... رموا نفوسهم في خندق الطاهرية في الماء [4] » .

وقطيعة الزبيدية كانت في الأصل لجعفر بن المنصور ثم انتقلت فيما بعد الى زبيدة فسميت الزبيدية ، ولعل الخندق الطاهري فتح لأغراض عسكرية ترمي الى إحاطة الماء بمدينة المنصور من كافة أطرافها فتكون على شكل جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب إذ تحدها دجلة من الشرق والصراة من الجنوب والخندق الطاهري من الغرب والشمال وذلك زيادة على الخندق الذي يدور حولها ، ومما يدل على ذلك أنه سمي باسم « خندق » لا نهر . وقد سمي الخندق الطاهري نسبة الى طاهر قائد جيش المأمون الذي كان قد عسكر خلفه عندما أرسله لمحاربة أخيه الأمين في بغداد ، وقد جاء ذكر هذا الخندق في زمن هذا الحصار الذي وقع في سنة ١٩٨ هـ (٨١٤ م) . وكذلك نسب اليه « الحريم » القريب من هذا الخندق فقيل « الحريم الطاهري » على ما سيأتي بيانه .

---

(١) « ص ١٨ » .　　(٢) تاريخ بغداد « ١ : ٧١ » .

(٣) تاريخ حمزة الاصفهاني : سنو ملوك الأرض والأنبياء « ص ١٣٢ » .

(٤) مختصر مرآة الزمان « ج ٨ ص ٥٠٠ من طبعة بلاد الهند » .

وكان على نهر الصراة العظمى عدا القنطرتين العتيقة والجديدة الواقعتين على طريق باب الكوفة وطريق باب البصرة ثلاث قناطر أخرى تقع بين مأخذ نهر الصراة الصغرى ومنتهاها هي من الغرب الى الشرق : قنطرة العباسي وقنطرة الصينيات وقنطرة رحى البطريق ، وقد أنشئت هذه القناطر على مجرى الصراة العظمى لتمر من فوقها الدروب التي تبدأ من مدينة المنصور وأرباضها المجاورة وتتجه الى محلة الكرخ الواقعة في جنوب مدينة المنصور بين نهر الصراة ونهر عيسى. وقد بقي نهر كرخايا أيضاً على ما كان عليه من قبل فكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر عيسى (الفرع) في نقطة تقع على بعد نحو من ميل تحت المحوّل فيجري نحو الشرق بين الصراه ونهر عيسى ، ثم يعود فيصب في نهر عيسى عند طريق باب البصرة الرئيس . وكان هذا النهر يخترق محلة الكرخ وقد فتح المنصور منه عدة فروع لتسقي المحلات والاسواق ومن جملتها القناة التي جرها الى مدينته المدورة في عقود بالآجر والصاروج وسنبحث عن هذه القناة فيما يأتي . أمّا القسم الأسفل من هذا النهر وهو القسم الذي كان قد حفره بابك بن بهرام بن بابك فقد صار يعرف باسم نهر طابق وقد أنشئت في جوارِهِ المحلة التي سميت بمحلة نهر طابق ، وأنشئت عليه محلة دار القطن ، وقد وصفها ياقوت بأنها محلة من نهر طابق بين الكرخ ونهر عيسى بن علي ينسب اليها الحافظ الامام أبو الحسن علي الدار قطني .

وكان يتفرع من يسار نهر كرخايا أربعة فروع رئيسة ومن يمينه فرع واحد ، وكان بعض الفروع الذي على الجانب الأيسر يصب في دجلة والبعض الآخر ينتهي الى الصراة ، أما الفرع الذي يتفرع من الجانب الأيمن فكان ينتهي الى نهر عيسى فيصب البقية الباقية من مياهه فيه .

وتقع قرية براثا وجامعها التاريخي المشهور في صدر نهر كرخايا هذا وهي قرية قديمة كانت في هذا الموضع قبل إنشاء مدينة بغداد واسم براثا من اللغة الآرامية « برثيا » ومعناه

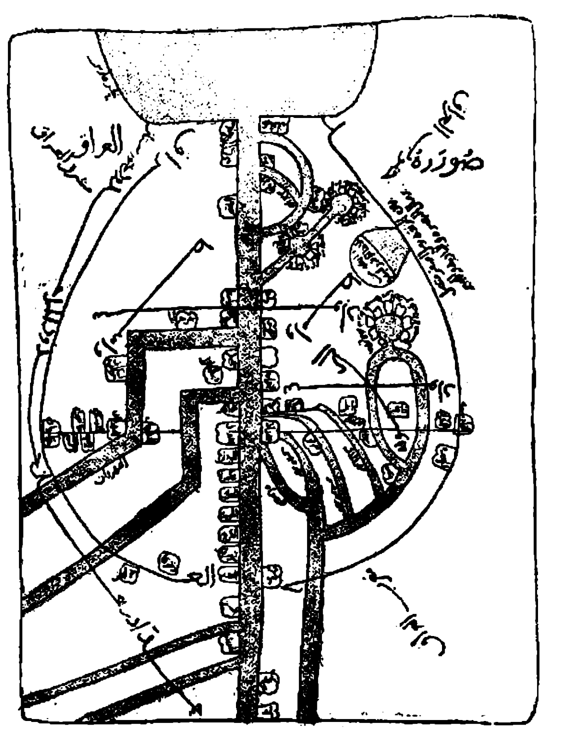
الخارج [1] .

وكان الفرع الأول من فروع نهر كرخايا الأربعة اليسرى يسمى نهر رزين في مجراه الأعلى ، ونهر أبي عتاب في مجراه الأسفل فيخترق هذا الفرع ربض الكرخ مارا ببركة زلزل [2] ثم يصب في نهر الصراة بازاء باب البصرة تحت القنطرة الجديدة تماماً . وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر رزين بازاء باب الكوفة نهر يسمى « نهر باب الشام » وكان يقطع نهر الصراة العظمى في جوار القنطرة العتيقة على عُبّارة فيجري الى جانب شارع باب الكوفة حتى إذا ما وصل الى باب الكوفة انحرف يساراً وسار حول سور المدينة المدورة حتى يصل الى باب الشام ثم يستمر في جريه الى الشمال وبعد أن يخترق المحلة المعروفة بمحلة الحربية في المنطقة الشمالية الغربية بالنسبة لمدينة المنصور يفني في أقصى الشمال في قطيعة جعفر بن المنصور التي أصبحت فيما بعد القطيعة الزبيدية كما قدمنا الاشارة إليه آنفاً . وكان يتشعب من هذا النهر فروع من جانبه الأيمن تخترق أسوار مدينة المنصور وتدخلها في أقنية مغطاة ، ومما ذكره اليعقوبي في هذا الصدد قوله : « وجر المنصور القناة التي تأخذ من نهر كرخايا في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها معقودة عقداً وثيقاً ، فتدخل المدينة وتنفذ في أكثر شوارع الأرباض تجري صيفاً وشتاء قد هندست هندسة لا ينقطع لها ماء في وقت » .

ويسمى الفرع الأيسر الثاني لنهر كرخايا « نهر البزازين » ويمر بسوق البزازين وغيره من الأسواق فيجري موازيا لنهر الصراة العظمى جنوباً وبعد اختراقه المحلة المسماة « الشرقية » يصب في نهر دجلة جنوب الصراة . وقد سميت محلة الشرقية بهذا الاسم لأنها قُدِّرت مدينة

(١) راجع ما تقدم عن قرية براثا في ص ١٢ .

(٢) راجع ما تقدم عن بركة زلزل وقرية سال في ص ١٢ .



صورة العراق كما صورها ابن حوقل في سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٨ م) ومما فيها موقع كل من بغداد وكلواذا والمدائن ونهر عيسى ونهر الصراة ونهر الملك

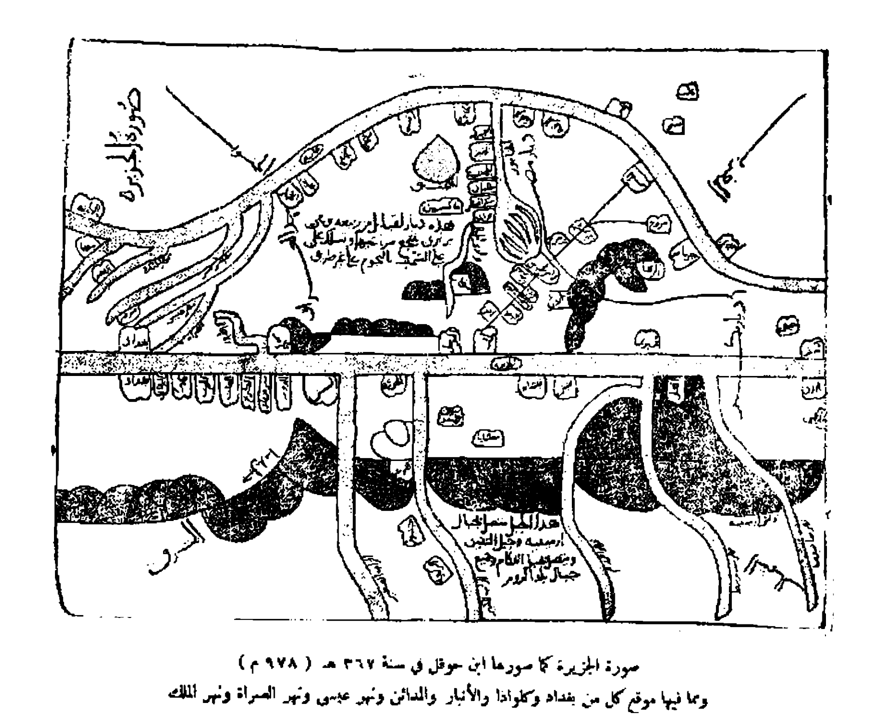
للمهدي قبل أن يقرر سكناه ، وهي في شرقي الصراة لا في الجانب الشرقي من بغـداد كما سيأتي إيضاحه . ويسمّى الفرع الأيسر الثالث نهرالدجاج وكان على ضفتيه باعة الدجاج ، ويصب في دجلة أيضاً ومجراه مواز لنهر البزازين . وكانت على نهرالدجاج هذا قطيعة النصارى التي كان فيها الدير المسمّى « دير العذارى » وجاء في وصف هذا الدير أنه دير حسن طيب للرواهب السريانيـات يقع في قطيعـة النصارى على نهرالدجاج حيث كانت بيعـة مار توما للسريان .

أمّا الفرع الرابع الأيسر فيسمّى نهر القلائين وبعد أن يجري قليلاً يصب في الفرع الثالث الذي تقدم ذكره ، وهو نهرالدجاج ، وتقع عند هذا النهر محلة نهر القلائين التي كانت في موضعها قرية ورثالا القديمة كما سبق بيانه [1] ، وذكر ابن عبد الحق أن هناك نهراً يأخذ من كرخايا كان يسقي قرية ورثالا مما يدل على أن نهرالقلائين نهر قديم كان موجوداً قبل أن تنشأ محلة نهرالقلائين . وأما الفرع الأيمن وهو الفرع الوحيـد الذي يتفرع من الجـانب الأيمن لنهر كرخايا فيسمى نهرالـكلاب ويحمل نصف مياه نهر كرخايا ويصب في نهرعيسـى بالقرب من ملتقى طريق الـكوفة العام بنهرعيسى حيث أنشئت قنطرة على نهرعيسـى سميت باسم قنطرة الشوك .

وكان طريق الـكوفة العام ، وهو طريق الحج الذي يؤدي الى مكة والمدينة ، يبدأ من باب الـكوفة في مدينة المنصور فيمر أولاً من مربعة باب الـكوفة ثم يتجه نحو نهرالصراة العظمى فيقطع نهرالصراة فوق القنطرة العتيقة التي تقدم ذكرها تاركاً على يسـاره قطيعة المسيب صاحب شرط الخليفة المنصور وجامعها ذا المنارة الطويلة . وينقسم هذا الطريق بعـد أن يعبر هذه القنطرة بمسافة قصيرة إلى قسمين يتجه أحدهما إلى اليمين غرباً وهو طريق باب

---

(١) راجع ما تقدم عن قريه ورثالا في ص ١٣ .



صورة الجزيرة كما صورها ابن حوقل في سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٨ م)
ومما فيها موقع كل من بغداد وكلواذا والأنبار والمدائن ونهر عيسى ونهر الصراة ونهر الملك

المحوّل فيمر من محلة باب المحول وجامعها ، وبعد أن يجتاز باب المحول من تحت طاق كبير يترك ربض حميد إلى جانبه الأيمن ، وهو ربض حميد بن قحطبة الطائي الذي فيه دار حميد وأصحابه ، فيمر بدار الروميين حيث تقع في جانبه الأيسر القنطرة الرومية على نهر كرخايا ، ثم يمر بمنازل الفرس وبعد أن يجتاز باب الكناسة يتجه إلى قرية براثا ومن ثم إلى بلدة المحول ، وكان عند باب الكناسة المقبرة المعروفة باسم مقبرة باب الكناسة مما يلي براثا .

أما الطريق الآخر وهو طريق الكوفة فيتجه الى اليسار في الناحية الجنوبية الشرقية نحو نهر رزين فيعبره ثم يترك سويقة أبي الورد إلى اليمين ومسجد ابن رغبان ومسجد الأنباريين الى اليسار حتى يصل إلى ربض باب الكرخ ، ومن هنا يجتاز نهر البزازين فيترك قطيعة الربيع إلى يمينه ، وهي القطيعة التي كانت تقع فيها قرية بناورا القديمة [1] ، ثم يصل إلى باب آخر يسمى باب النخاسين ، ويلي ذلك رحبة تسمى مربعة سويد نسبة إلى سويد أحد موالي المنصور وكان قد أقطعه قطيعة هنا . وتتوالى الدروب والأسواق من هذا الموضع فصاعداً متاخمة الطريق من جهتيه على طول امتداد الكرخ حتى يصل الى نهر عيسى فيقطعه على قنطرة الشوك المارة الذكر ، وهي موضع باعة الشوك ، ومن ثم يتجه نحو الكوفة . وكانت قرية براثا مع وقوعها خارج المدينة ذات شأن كبير لوقوع جامع براثا فيها ، وهو الجامع الذي يعده الشيعة من المواضع المقدسة ، وسبب ذلك أن في الأخبار خبراً جاء فيه أن الامام علياً صلى في البقعة التي فيها هذا الجامع واغتسل بالقرب منه في قدومه لقتال الخوارج سنة ٣٧ للهجرة (٦٥٨ م) ، وقد هدم هذا الجامع على عهد المقتدر ثم أعيد بناؤه في عهد الراضي في سنة ٣٢٩ هـ (٩٤٠ م) وكتب اسم الراضي في صدره وأقيمت فيه الخطبة الى ما بعد الخمسين وأربعمائة ثم قطعت منه وخرب ولم يبق منه طلل ولا أثر ، قال ياقوت الحموي المتوفي سنة ٦٢٦ هـ في « براثا » من المعجم : « فأما الجامع فأدركت أنا بقايا

---

(١) راجع ما تقدم عن قرية بناورا في ص١٣

من حيطانه وقد خربت في عصرنا واستعملت في الأبنية » . والظاهر أنه بقيت بقاياه إلى أواخر القرن السابع للهجرة وجاوزته .

وقد خلط بعض من لا علمَ له بخطط بغداد بين جامع براثا ومشـهد العتيقـة المعروف قديماً وحديثاً بمشهد المنطقة الواقع في الجنوب الشرقي من مدينة المنصور بين الـكاظميـة والجعيفر حالياً وهو الى الجعيفر أقرب على مقربة من الجسر الحـديد . وذلك أن جامع براثا لما خرب وزالت آثارهُ نقـل ذلك الرجل اسمه إلى مشـهد العتيقة مع أنه في الشـرق وذاك في الغرب وأنه من مجامع الشيعة أيضاً منذ القديم ، وقد حدث كثير من أمثال هذا التخليط في خطط بغداد ، قال بهاءالدين علي بن عيسى الإربلي المتوفى سنة ٦٩٢ هـ في خبر « براثا » : « قلت أرض براثا هذه عند باب محول على قدر ميل وأكثر من ذلك من بغداد وجامع براثا هناك وهو خراب وحيطانه باقية إلا شيئاً منها دخلته وصليت فيه وتبركت به [(١)] » .

وكان مما يلي قرية براثا قصر يسمى « قصر عبدويه » نسـب إلى رجل من الأزد وكان من وجوه أهل الدولة .

وكان طريق البصرة العام يبدأ من باب البصرة أي الباب الجنوبي الشرقي في المدينـة المدورة فيتجه إلى الجنوب الشرقي فيعبر نهر الصراة العظمى فوق القنطرة الجديدة ثم يسير نازلاً بمحاذاة نهر دجلة تاركاً محلة الشرقية قرب دجلة من الجهة الواحدة ومحلة الـكرخ الـكبرى في الداخل من الجهة الثانية ، وقبـل أن يعبر نهر البزازين يمر بقطيعة وضاح وطاق الحراني ثم يعبر نهر البزازين ونهر الدجاج ونهر كرخايا حتى يصل الى نهر عيسى فيعبره فوق قنطرة مشيدة بالرخام كانت تسمى باسم قنطرة بني زريق نسـبة الى اسـرة بني زريق وهي اسرة فارسية من البنائين . وكان قد بنى طاق الحراني القائم على الطريق النازل من باب البصرة — بناء على احدى الروايات — رجل من حران كان مولى للخليفة

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة « ص ١٨٨ » .

المنصور وأصبح مقرّباً للخليفة الهادي فعيّنه في أواخر حكمه في منصب الوزارة . أما اليعقوبي فيذكر أن الحراني الذي بنى الطاق هو رجل آخر يسمى عمرو بن سمعان وكانت له قطيعة في هذا الموضع . ويخترق الطريق بين طاق الحراني والقنطرة الجديدة قطيعة وضاح حيث يقع قصر وضاح ومسجده ، وكان وضاح بن شبا هذا من موالي الخليفة المنصور وكان أحد الرقباء على بناء المدينة المدورة وعين بعدئذ صاحب خزانة السلاح ويعرف قصره باسم قصر وضاح وكذلك المسجد المتصل به . وكان بين طاق الحراني والقنطرة الجديدة سوق يسمى سوق الوراقين نسبة الى الوراقين الذين ينشرون الكتب وكانت فيها أكثر من مائة حانوت للوراقين .

وكان على نهر عيسى بين المحول ودجلة عشر قناطر منها قنطرة الشوك وقنطرة بني زريق اللتان مرّ ذكرهما وهما على طريقي الكوفة والبصرة . وقد ذكرنا سابقاً أن الخليفة المستعصم بالله بنى سكراً على فم نهر عيسى سنة ٦٥٣هـ ليزداد ماؤه بحيث تعبر شبارته الى قصر جديد بني بجوار قنطرة الشوك ، وهذا يدل على أنه لم يبق في ذلك الزمان من القناطر إلا قنطرة الشوك . أما القناطر الثماني الباقية فأربع منها تقع غرب قنطرة الشوك فتبدأ من أقصى الجهة الغربية قنطرة الياسرية الواقعة جنوب شرقي براثا وقد سميت بذلك نسبة الى ربض الياسرية وباب الياسرية الواقعين هناك ، وتليها قنطرة الروميين وقنطرة الزياتين وقد جاء ذكر القنطرة الأخيرة بمناسبة دفن أبي العتاهية حيالها في سنة ٢١١ هـ (١)، ثم قنطرة الاشنان في موضع باعة الاشنان . وكانت تقع الأربعة الاخرى بين قنطرة الشوك وقنطرة بني زريق فتبدأ من الغرب قنطرة الرمان في موضع باعة الرمان ثم تليها قنطرة المغيض حيث الارحاء بالقرب من موضع يدعى بالمغيض ثم قنطرة البستان . أما القنطرة الأخيرة التي تقع في الغرب من قنطرة بني زريق فكانت تعرف باسم « قنطرة المبدى » ودعيت بذلك نسبة الى عبد الله بن محمد

---

(١) الأغاني جزء ٤ ص ١١١ .

المعبدي الذي كانت له قطائع في هذا الموضع ، وقد بنى لنفسه داراً ورحى وبنى هذه القنطرة على نهر عيسى ودعيت كلها باسمه . وكانت هذه القناطر التي تقدم تعدادها تضمن المواصلات بين قسمي الكرخ ، الداخلي في الشمال والخارجي إلى الجنوب من نهر عيسى ، وكان في الأصل سوق لكل قنطرة من هذه القناطر . وكان بين باب الكوفة وباب البصرة عدد من القطائع تمتد على طول نهر الصراة بينه وبين سور المدينة المدورة .

وكانت في الناحية الشرقية من هذه المنطقة محلة واسعة كانت تدعى بالشرقية وقد سميت بهذا الاسم لوقوعها شرقي مدينة المنصور وقد اختير موضعها لأن تكون مدينة للمهدي قبل أن تتجه النية إلى انشاء المدينة في الجانب الشرقي من دجلة ، وكان لهذه المحلة في الأصل جامع خاص وقاض لحل الشكاوى التي تحصل بين أهل اسواق الكرخ ثم تهدم هذا الجامع ونبذ اسم الشرقية للدلالة على هذا الربض . ويظهر ان الجامع الذي ذكر أنه كان في محلة الشرقية كان يقع داخل القصر الذي أنشيء للمهدي هناك أو ملاصقاً له . ومما ذكره البلاذري في هذا الصدد قال : « وقد كان المنصور أمر فبني للمهدي قبل انزاله الجانب الشرقي قصره الذي يعرف بقصر الوضاح وبقصر المهدي بالشرقية » [1] .

وقد نشأت في الحقبة الأخيرة محلة التستريين بين دجلة وباب البصرة شمال محلة الشرقية ، وقد ذكر ياقوت محلة التستريين هذه ، قال : « يسكنها أهل تستر وتعمل بها الثياب التسترية » . وقد خربت هذه المحلة في القرن السادس للهجرة قال ابن الدبيثي في ترجمة ابي الخير بركة بن نزار النساج المحدث إنه « يعرف بابن الجمال ، كان يسكن محلة التستريين المجاورة لباب البصرة فلما خربت سكن باب البصرة ... وتوفي في شوال أو ذي القعدة من سنة ستمائة [2] » . وجاء في سيرة المحدث أبي القاسم هبة الله بن أحمد الحريري

(١) راجع ما تقدم في ص ٨٠ — ٨١

(٢) تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٢٨ » .

المتوفى سنة « ٥٣٢ » هـ أنه ولد في محلة التستريين سنة ٤٣٥ هـ [١] . وجاء في وفيات سنة « ٦٠٤ » أنه في الثالث والعشرين من شوال توفيت الشيخة أم عثمان درة بنت عثمان بن منصور الحلاوي البغدادي التستري . وأنها ولدت بمحلة التستريين التي كانت مجاورة لباب البصرة [٢] » .

وصار القسم الذي يقع على نهر دجلة يعرف في هذه الحقبة الاخيرة باسم قطيعة قصر عيسى وكانت تمتد على ضفة دجلة من مصب نهر عيسى الى مصب نهر الصراة ، قال الخطيب نقلاً عن ابراهيم بن عرفة الملقب نفطويه : « وأما شاطئ دجلة فمن قصر عيسى الى الدار التي ينزلها في هذا اليوم إبراهيم بن أحمد فانما كان اقطاعاً لعيسى بن علي — يعني ابن عبد الله بن العباس — وإليه ينسب نهر عيسى وقصر عيسى ، وعيسى بن جعفر وجعفر بن أبي جعفر [٣] » . ومحلة قصر عيسى واقطاعه هي اليوم محلة السوق الجديد وبعض الشيخ بشار والجعيفر في غربي بغداد .

وقد نشأت في أواسط العصر العباسي محلة جديدة حيال باب البصرة من أبواب مدينة المنصور واشتهرت النسبة اليها « الباب بصري » ، وسكنها جماعة من العباسيين واختصت بالحنابلة ، وكانت مضادة لمحلة الكرخ في الخصومات المذهبية والفتن ، وقد اتسعت اتساعاً عجيباً ، وقد ذكرنا آنفاً أن بركة النساج سكن باب البصرة لما خربت محلة التستريين، وقد اتصلت بمدينة المنصور قال الخطيب في ترجمة أبي الحسين أحمد بن عمر الهاشمي العباسي المتوفى سنة ٤١١ هـ « كان يسكن بباب البصرة في بعض سكك المدينة » [٤] ، وذكر ابن الجوزي أن غرق سنة ٥٦٩ هـ في الجانب الغربي من بغداد بانكسار سد قبين أدى الى أن ينقلب

(١) المنتظم « ١ : ٧١ » .

(٢) التكملة لوفيات النقلة لزكي الدين عبد العظيم المنذري « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية بتسلسل ١٩٨٢ د ج ١ الورقة ٢ » .

(٣) تاريخ بغداد « ١ : ٩٢ » .

(٤) المرجع المذكور « ٤ : ٢٩٤ » .

الماء الى خندق طاهر بن الحسين والصراة ونهر عيسى وأن يهدم قطعة من قنطرة باب البصرة [1] وكانت القنطرة على الصراة . وفى سنة ٤٧٨ وقع فى المحلة طاعون فأهلك أكثر سكانها [2] ، وفي القرن السابع للهجرة شمل اسمها مدينة المنصور جميعها قال ابن رافع في ترجمة ابن الدباب المتوفى سنة ٦٨٥ « كان والده من أهل باب البصرة وهي مدينة المنصور بغربي بغداد ، بظاهرها جامع المنصور [3] » .

وكانت تقع فى جنوب محلتي التستريين وباب البصرة محلات التوثة وقطفتا والقرية الغربية والرقة وغيرها من المحلات التي ظهرت هناك فى هذا العهد . (راجع خارطة بغداد فى أول أدوارها العباسية فى أطلس بغداد ص ٤ — ٥) .

وفى هذه المنطقة اليوم ثلاثة مشاهد تاريخية لها أهميتها الخططية لأنها من المواقع القليلة التي لا تزال الى الآن فى الأمكنة التي أنشئت فيها فى الأصل ونقصد بهذه المواضع تربة الشيخ معروف الكرخي التي كانت مقبرتها تعرف بمقبرة باب الدير ثم تربة الشيخ جنيد الحالية وهي المقبرة التي كانت تسمى مقبرة الشونيزي وقد دفن فيها سري والجنيد وغيرهما من الزهاد ، وأخيراً مشهد المنطقة الحالي الذي أنشيء فى موضع من قرية سونايا القديمة التي صارت تعرف بالعتيقة ولها سوق يعرف بسوق العتيقة [4] .

وكان الشيخ معروف الكرخي يعاصر هرون الرشيد ، واشتهر عنه أنه كان من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع ودفن فى سنة ٢٠٠ هـ (٨١٦ م) فى موضع تربته الحالية التي كانت تعرف بمقبرة باب الدير ، ولعلها سميت بذلك نسبة الى الدير الذي كان فى جوارها وهو الدير الذي كان يعرف باسم « دير الجاثليق » وكان يسمى أيضاً « دير كليليشوع » أو

---

(١) المنتظم « ١٠ : ٢٤٧ » . (٢) المنتظم « ١٠ : ١٥ » .

(٣) منتخب المختار « ص ٢٠٧ » .

(٤) راجع ما تقدم عن قرية سونايا فى ص ١٠ .

« دير مار كليليشوع » ، وكان هذا الدير من أهم ديارات بغـــداد الرئيسة بدلالة أن ستة من الجثالقة دفنوا فيه . ويستخلص مما جاء في كتابي أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل لعمرو بن متي وماري بن سليمان أن عمارة الدير جـــددت في سنة ٢٠٨ هـ (٨٢٣ م) وقد بقي عامراً بعد ذلك أكثر من خمسمائة عام حيث كان قائماً في زمن ابن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨؛ م) [1] .

وكان الشيخ معروف من موالي الامام علي بن موسى الرضا ولد مسيحياً وقيل مجوسياً ثم اعتنق الاسلام . وفي سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٧ م) احترق المقام الذي شيد فوق قبر معروف الكرخي فاعاد الخليفة القائم بناءه ، ودفن في سنة ٦١١ هـ (١٢١٤ م) بالقرب من هذا المقام الأمير علي أصغر ابني الخليفة الناصر لدين الله الملقب بالملك المعظم وقد توفي قبل أبيه ، وربما أعيد بناء القبر بهذه المناسبة ، وقد سلم المقام من التخريب في أثناء حصار المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . وكان قـــد أنشيء مسجد عند مقبرة باب الدير باسم مسجد الجنائز وهو غير مسجد معروف الكرخي الذي كان على دجلة في محلة قصر عيسى ثم خرب بغرق سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) ، ثم أعيـدت عمارته في سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) باسم شمس الدين محمد بن الجويني صاحب ديوان الممالك . وعند تربة الشيخ معروف منارة المسجد قائمة الى جانب مرقد الشيخ معروف يرجع تاريخ انشائها الى زمن الخليفة الناصر لدين الله ، وهي من أجمل المنائر البغدادية العباسية بكثرة المقرنصات الايوانية الزخرفية في حوضها (أنظر تصوير منارة جامع الشيخ معروف) ، وقد كتب في باطن أحد الايوانات من حوضها أنها بنيت سنة ٦١٢ هـ (١٢١٥ م) .

وكان الشيخ جنيد بن محمد بن الجنيد القواريري الخزاز من أكابر الزهاد عاش في بغداد ونشأ بها ، توفي سنة ٢٩٨ هـ (٩١٠ م) ودفن في موضع مقبرته الحالية التي كانت

---

(١) راجع ما تقدم عن هذا الدير في ص ١٠ .



منارة مسجد الجنائز لدى « تربة معروف الكرخي »

مقابل الصفحة ٩٠

نظريات منها أن جسراً كان يقع في أقصى الجنوب وسماه الجسر الأسفل وأن هذا الجسر كان قـد عقده المنصور قرب باب الشعير حينما شيد قصر الخلد سنة ١٥٧هـ (٧٧٤ م) معتمداً بذلك على ما كتبه الخطيب من أن هذا الجسر كان قرب باب الشعير وأن المنصور هو الذي أمر بعقده ، في حين أن الخطيب لم يكن يقصد بقوله هذا غير جسر الرصافة وهو الجسر الذي أنشأه المنصور فوق باب خراسان ليصل مدينته بالرصافة ، وكان الجسر في جوار باب الشعير ، ومهما كان الأمر فان المنصور لم يكن به حاجة إلى عقد جسر في الجنوب لأن العمران لم يكن قد وصل إلى الجهة الجنوبية من بغداد الشرقية في زمنه [1] .

والظاهر أنه لم تكن في متناول يد كي لسترانج خارطة مفصلة لمدينة بغداد عندما وضع كتابه لـكي يتسنى له الوقوف على موضعي مسـجد المنطقة ومقبرة الشيـخ جنيـد الحاليين ولا سيما أنه لم يزر بغداد ، والذي جعله يعتقـــد زوال آثارها هو أن الخارطتين اللتين وضعتا لمدينة بغـــداد في زمن نيبهر وفيليكس جونس واستند اليهما في تحقيقاته لم يدون فيهما موضعا الشيخ جنيد والمنطقة مع أن نيبهر أثبت قبر النبي يوشع الواقع بالقرب من مقبرة الشيـخ جنيد في خارطته [2] .

هذا فيما يختص بالمنطقة التي كانت تقع في جنوب مدينة المنصور أما المنطقة الواقعة في شمالها فكانت فيها عـــدة أرباض أهمها محلة الحربية التي كانت في الناحية الشمالية الغربية بالنسبة الى مدينة المنصور ومحلة الشارع التي كانت تقع في الناحية الشمالية الشرقية في شرق محلة الحربية . ومحلة الحربية منسوبة الى حرب بن عبـــد الله من أهل بلخ قرّبه المنصور

---

(١) راجع خارطة بغداد في أول أدوارها العباسية كما وضعها كي لسترانج (اطلس بغداد ص ١١) ثم خارطة بغداد في أول أدوارها العباســية حسب تحقيق أحـد المؤلفين لهذا الـكتاب « أطلس بغداد ص ٤ — ٥ » للاطلاع على المواضع التي عينها كي لسترانج لمقبرة الشيخ جنيد ولمشهد المنطقة ومحلة التوثة وباب الشعير في الخارطة الأولى ثم المواضع الحقيقية لها في الخارطة الثانية .

(٢) راجع خارطة بغداد في القرن الثامن عشر عن نيبهر سنة ١٧٦٦ م وخارطة بغداد في القرن التاسع عشر عن فيليكس جونس سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٤ م في أطلس بغداد لاحد المؤلفين الدكتور أحمد سوسة ص ١٤ — ١٥ .

أليه وجعله صاحب شرطة بغداد ثم نقله الى الموصل وجعله صاحب شرطتها . وكان معظم سكان الحربية أولاً من الفرس والترك والمهاجرين إلى بغـداد بعمية العباسيين ثم سكنتها الحنابلة فى عصور الدولة العباسية الأخيرة ، وقامت فى أسواقها وشوارعها العديدة قطائع منحها المنصور رجال بلخ ومرو وبخارى وغيرهم من أهل كابل شاه ولناس من خوارزم أو من الصغد وكان لـكل جماعة منهم زعيم وقائد . أما محلة الشارع فقد سميت بهذا الاسم نسبة الى الشارع الـكبير الذي كان يمتد بموازاة الضفة اليمنى لنهر دجلة من باب خراسان إلى الحدود الشمالية من المدينة وكان يؤلف هذا الشارع الحد الشرقي لمحلة الحربية .

وكانت محلة الشارع تشتمل على عدد من القطائع الواقعة على ضفـة دجلة فـكانت أولى هذه القطائع القريبة من باب خراسان قطيعـة الأمير سليمان وفيها قصره على الدرب المسمى « درب سليمان » وتليها قطيعة الأمير صالح وفيها قصره أيضاً وكان يلي هاتين القطيعتين عدة قطائع أخرى بمحاذاة ضفة النهر نذكر أهمها وهي قطيعة أبي عون وقطيعة البغيين ثم يليها الحريم الطاهري الذي يتصل بالقطيعة الزبيدية ويطل على دجلة عند فرضة الخندق الطاهري . وكان هذا الحريم ينسب الى نفس طاهر الذي نسب اليه الخندق كما ذكرنا آنفاً وكان من جملة المباني المهمة في بغداد الغربية وظل سنين عديدة مقراً لعامل بغداد ، ولهذا فقد كان أشـبه بقصر ملـكي غير أنه فقد أهميته بعد أن أخذ الخلفاء يقيمون فى قصورهم الجديدة فى بغـداد الشرقية وقد أصبح سجناً لمن يعزل من الخلفاء فى الدور الأخير فدفن فيه عدد منهم ، وممن دفن فيه من الخلفاء وغيرهم المعتضد بالله وابنه المـكتفي بالله وأخوه القـاهر بالله وابن أخي القاهر والمستكفي بالله . وقال أبو الحسن علي بن أبي بكر المعروف بالسائح الهروي المتوفى سنة ٦١١ هـ : « وفي مدينة السلام [قبر] الامام المعتضد والامام المـكتفي بدار طاهر بن الحسين... وبها المتقي [(١)] » وعلى أثر الغرق الذي حدث سـنة ٦٤٦ هـ نقلت رمم هؤلاء إلى تربة

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات « ص ٧٣ » طبعة المعهد الفرنسي بدمشق » المجلد ١٠ .

العباسيين بمحلة الرصافة ، فكان نقل المعتضد بعد ثلاثمائة ونيف وخمسين سنة من وفاته ونقل المكتفي بعد ثلاثمائة وخمسين سنة والقاهر بعد ثلاثمائة سنة والمستكفي بعد ثلاثمائة وعشر سنين . هكذا قال مؤلف الحوادث فى حوادث هذه السنة . وقال فى حوادث سنة ٦٥٤ فى غرق بغداد إنه « هدم دوراً كثيرة بالحريم » يضاف إلى ذلك الخراب الذي كان قد أصابه به فيضان سنة « ٦١٤ » هـ .

وقد هجم عماد الدين زنكي وهو مؤسس الدولة الأتابكية بالموصل على الحريم الطاهري والشارع ونهبهما جنده فى أثناء حوادث الحصار الذي حل بالخليفة الراشد فى سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦م) وكان ذلك بحجة كبس العيارين الذين أخذوا يعيثون فى المدينة فساداً ، ويروى ان كثيراً من الأموال والآثاث نهبت فيهما وقدرت قيمتها بنصف مليون دينار وكان فيها ودائع للناس (١) .

وفى هذا الحريم الطاهري بنى الخليفة الناصر لدين الله رباط الحريم سنة « ٥٨٩ » هـ وكان موضع الحريم فى شمال قصور عبد الحسين الجلبي نحو دجلة على تقديرنا ، وكان مسوّراً وله أبواب تفتح وتغلق ، وكان الرباط من أحسن الربط وقد رتب فيه عشرة صوفية وطعاماً كل يوم لهم ولغيرهم ، قيل : وكان الناصر يتردد الى الرباط فاذا لم يحضر يوماً من الأيام يحمل طعامه الى الصوفية وجعل مشيخة الرباط لبهاء الدين أحمد بن عبد المنعم الميهني (٢) .

وكان فى جوار الحريم الطاهري محلة تسمى « ربض أبي حنيفة » تتصل بباب التبن (٣) . وقد وصف ياقوت هذه المحلة بقوله إنها « محلة كانت ببغداد قرب الحريم الطاهري بالجانب

---

(١) المنتظم « ١٠ : ٥٩ » .

(٢) راجع مقالة الربط البغدادية لأحد المؤلفين الدكتور مصطفى جواد « مجلة سومر المجلد ١٠ ج ٢ ص ٢٤٢ سنة ١٩٥٤ » .

(٣) راجع البحث التالي في هذا الفصل عن محلة باب التبن .

الغربي تتصل بباب التبن من مقابر قريش ... تنسب إلى أبي حنيفة أحد قواد المنصور وليس بصاحب المذهب » . وكانت تتصل بربض أبي حنيفة هـــذا من جهـة الغرب قطيعة تدعى « دارعمارة » منسوبة الى عُمارة بن حمزة أحد موالي المنصور أقطعها إياهالمنصور ، وكانت ، قبل أن تبنى بغـداد ، بستاناً لبعض ملوك الفرس [1] . وكان في غرب دار عُمارة محلة تدعى « ربض عثمان بن نهيـك » منسوبة إلى عثمان بن نهيك وهو من رجال حرس المنصور ، وتقع هذه المحلة بين دار عُمارة ومقابر قريش[2] . وكانت هذه المحلة الأخيرة تتصل بربض الخوارزمية الذي كان يسكنه الخوارزميـة وهم من جند المنصور وكان يتصـل بربض الخوارزمية هذا ربض الفرس وربض رشيد مولى المنصور .

وكانت الشوارع الرئيسة التي تتفرع من باب الشام في محلة الحربية تتجه غرباً نحو الخندق الطاهري فتقطعه على قناطر من الحجر ثم تؤدي إلى مختلف أنحاء طسوج قطربل ، وكانت هذه الطرق أربعة ، وكان لكل منها باب عند الخندق يسمى باسم القنطرة التي يمر من فوقها . وأول القناطر على الخندق من الجنوب « قنطرة باب الأنبار » وهي القنطرة التي كان يمر منها « شارع طريق الأنبـار » كما يسميه اليعقوبي أو « درب باب الأنبـار » كما سماه آخرون وهو الطريق الذي يؤدي الى الأنبار ، وكان يبدأ من باب الشام فيمر من « حبس باب الشام » ثم يسير جنوباً حتى يصل إلى « باب الأنبار » فيقطع الخندق عنده ومن ثم يسير بمحاذاة الصراة من الشمال حتى يصل إلى قرب بلدة المحوّل فيعرج من هناك ويتبع اتجاه نهر عيسى الرئيس الى الأنبار ، وقبل أن يصل الطريق إلى باب الأنبار بقليـل كان يلتقي بالطريق الذي يخرج من باب الكوفة ليتجه نحو الأنبار أيضاً . وكان يقع خلف قنطرة باب الأنبار من الغرب البستان المسمى « بستان طاهر » وهو البستان الذي ذكر اليعقوبي

---

(١) راجع ما تقدم عن دار عمارة في هذا الكتاب .

(٢) راجع البحث التالي في هذا الفصل عن مقابر قريش .

تُعرف بمقبرة الشونيزية [1] . وكانت قد اشتهرت مقبرة الشونيزية هذه بما ضمته من قبور المشايخ الزهاد كقبر الصوفي السري أي السري السقطي خال الجنيد المتوفى سنة ٢٥١ هـ . (٨٦٥ م) . وكانت تعرف مقبرة الشونيزية باسم « الشونيزي الكبير » لتمييزها عن مقبرة « الشونيزي الصغير » التي كانت تعرف به مقابر قريش (مشهد الكاظمين الحالي) ثم نسي الشونيزي الصغير وصار اسم « الشونيزي » والشونيزية يعني مقبرة الشيخ جنيد مطلقاً . وكانت محلة قطفتا بجوار مقبرة الشيخ معروف (مقبرة باب الدير) من الشرق وهي محلّة المشاهدة وما حولها اليوم وكانت محلة التوثة تقع وراء الشونيزية . وقد وصف ياقوت محلة قطفتا قال : « قطفتا محلة كبيرة ذات أسواق بالجانب الغربي من بغداد مجاورة لمقبرة الدير التي فيها قبر الشيخ معروف الكرخي بينها وبين دجلة أقل من ميل وهي مشرفة على نهر عيسى إلا أن العمارة بها متصلة الى دجلة بينهما القُريّـة محلة معروفة » .

ولما كان من الثابت أن مسجد المنطقة قد أنشيء فى موضع قرية سونايا العتيقة كان بقاؤه فى الموقع الذي شيد فيه فى الأصل معيناً لنا موقع قرية سونايا القديمة التي صارت تعرف بالعتيقة بعد إنشاء مدينة بغداد ويعين أيضاً الأرباض والمواضع المجاورة للعتيقة ، وقد وصف ابن عبد الحق قرية سونايا بقوله : « قرية قديمة كانت ببغداد ينسب العنب الأسود اليها ... ولما عمرت بغداد دخلت في العمارة وصارت محلة من محالها وهي العتيقة وبها مشهد لعلي بن أبي طالب يعرف بمشهد المنطقة » .

وقد اتصل ذكر اسم « المنطقة » فى أخبار تاريخ بغداد منذ ذلك العصر الى اليوم ، وقد أشرنا الى تخليط بعض العجم بتسميته مسجد العتيقة « جامع براثا » مع أن جامع براثا كان فى الغرب وقد عفا وزالت آثاره بعد القرن السابع للهجرة أو الثامن ، وقد أخطأ

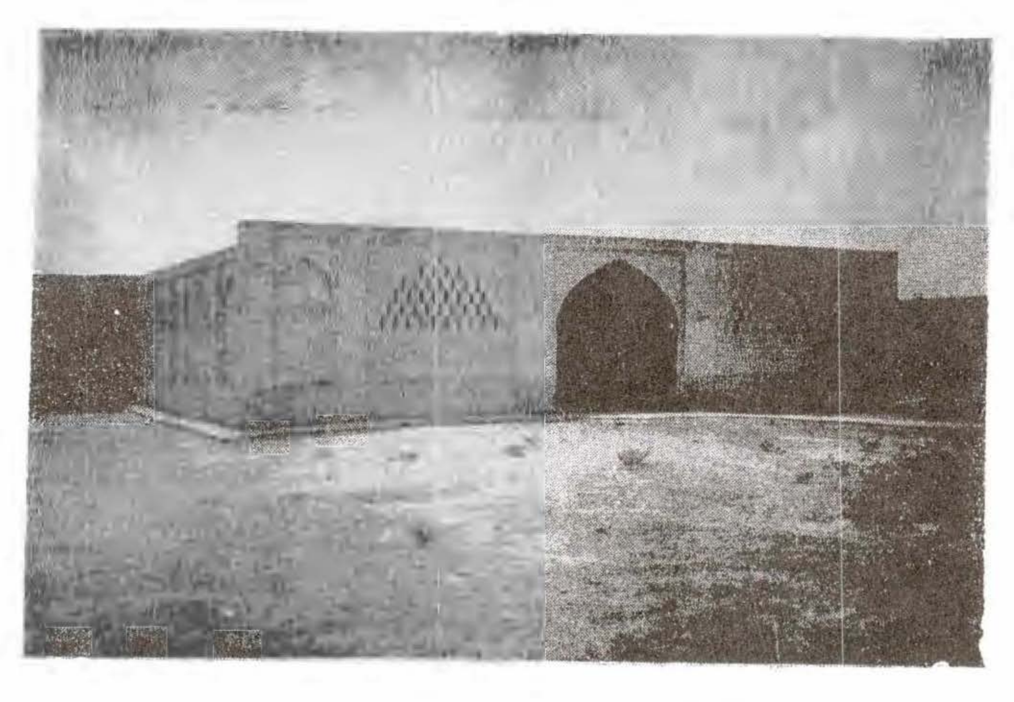
---

(١) حول طريقة الشيخ جنيد وترجمة حياته راجع « الجنيـد » تأليف محمد سعيد الكردي المطبوع بدمشق سنة ١٣٦٨ هـ (١٩٤٩ م) .

لستراِنج في تعيين موقع مقبرة سري والجنيد (مقبرة الشونيزية) على الرغم من وجودها حتى يومنا هذا فقال : إنه لم يبق أي أثر لهذه القبور في الوقت الحاضر . فاضطر الى التصوّر فأوصله ذلك الى موضع قنطرة الشوك فعين مقبرة الشيخ جنيد أي مقبرة الشونيزية هناك ، أي على بعد مسافة أكثر من كيلومترين الى الجنوب الشرقي من موضع مقبرة الشيخ جنيد الحالي ، وقد قاده هذا الوهم الى الوقوع في خطأ آخر فعين موقع محلة التوثة التي كانت وراء مقبرة الشونيزية في جوار الموضع الذي تخيّله لمقبرة الشيخ جنيد عند قنطرة الشوك . وقد أخطأ كي لستراِنج سبيله أيضاً في تعيين مشهد المنطقة (قرية سونايا) أيضاً ظناً منه أنه لم يبق له أثر فشخّص موضعه حسب ما دله عليه الحدس والتخمين في موضع يقع في الجنوب الشرقي بعيداً عن موضعه الحقيقي مسافة أكثر من كيلومتر ونصف الكيلومتر ، والسبب في ذلك أنه وضع مدينة المنصور « مدينة السلام » في جنوب موضعها الحقيقي بزهاء ميل واحد ، ولم يضعها مقابل الرصافة على مستوى واحد ، بل في جنوبها مع انحراف قليل نحو الغرب ، وجعل الجسر بين الرصافة وغربي دجلة على سمت خط الشمال والجنوب فوق دجلة ، وهو شيء غير طبيعي ولا هندسيّ ، وعلى هذا القياس اضطر لستراِنج أن يضع أكثر المواضع التي في شمال مدينة المنصور تحت مواضعها الحقيقية ، والمواضع التي في جنوب مدينة المنصور تحت مواضعها الحقيقية أيضاً . وقد قاده هذا الوهم إلى تعيين موضع باب الشعير الذي كان حسب وصف المؤرخين فوق مدينة المنصور [1] في غير موضعه الحقيقي، وقد بنى على هذا عدة

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان : « باب الشعير محلة ببغداد فوق مدينة المنصور . قالوا كانت ترفأ اليها سفن الموصل والبصرة . والمحلة التي ببغداد اليوم وتعرف بباب الشعير هي بعيدة عن دجلة بينها وبين دجلة خراب كثير والحريم وسوق المارستان » . وقال عند وصفه للعتيقة (أي قرية سونايا القديمة ومشهد المنطقة الحالي) إن العتيقة « محلة ببغداد في الجانب الغربي ما بين طاق الحراني إلى باب الشعير وسميت العتيقة لانها كانت قبل عمارة بغداد قرية يقال لها سونايا » . وقد أراد بطاق الحراني حد العتيقة الجنوبي وبباب الشعير حدها الشمالي .



جامع المنطقة « مشهد العتيقة »

مقابل الصفحة ٩٢

الوقعة ثم لما رجعوا أدركهم الموت في ذلك الموضع فدفنهم علي - عليه السلام - هناك وقيل إن فيهم من له صحبة وقد كان حمزة بن محمد بن طاهر ، وكان من أهل الفهم وله قدم في العلم ، ينكر ما قد استمرّ عند العامة من ذلك ويقول : لا أصل له » . وذكر أبو الفرج بن الجوزي أيضاً أن هذه المقبرة كانت فوق قبر الامام أحمد بن حنبل ونقل هذا الخبر سبط ابن الجوزي (١) وتعيينه يخالف تعيين ياقوت الحمويّ .

ونحن لا نرى وجهاً لهذا الانكار بعد أن ثبت أن الامام علي بن أبي طالب عقب الخوارج الحروريين وأوقع بهم قرب بلدة النهروان بين بعقوبا وبغداد ، وأنّ الخوارج عبروا دجلة من الغرب الى الشرق قرب بغداد كما جاء في تاريخ الطبريّ ، وأنّ أخباراً وردت بأن علياً صلّى في موضع جامع براثا أوفى مشهد العتيقة المعروف بالمنطقة وأنه مرّ بمحلة قطفتا فشكا اليه أهلها كثرة الخراج عليهم ، كما ذكرنا سابقاً . وقد بقي موضع بغداد مركزاً لحرب الخوارج في أيام الأمويين فقد ذكر الخطيب البغدادي في ترجمة أبي يحيى اسماعيل بن سالم الأسدي أن أصله من الكوفة ثم تحول فسكن بغداد قبل أن تبنى وتسكن وأنه كانت ببغداد لهشام بن عبد الملك وغيره من الخلفاء خمسمائة فارس رابطة يغيرون على الخوارج إذا خرجوا من ناحيتهم قبل أن يضعف أمرهم (٢) .

وكانت آخر قنطرة على الخندق من الشمال قنطرة باب قطربل وكانت تعرف بـ « قنطرة رحا أم جعفر » . وكان الشارع الذي يمر عليها يؤدي الى قطربل ، وكان هذا الشارع يؤدي أيضاً إلى فرضة الخندق الطاهري ومن ثم إلى الجسر الذي نصب على نهر دجلة في الحد الشمالي من بغداد ، وكان يعرف بجسر الشماسية . ويمر هذا الشارع في طريقه بربض

---

(١) « المنتظم ١٠ : ٩٩ » ومختصر مناقب بغداد « ص ٢٩ » ومختصر مرآة الزمان « ٨ : ١٨١ طبعة بلاد الهند » وقد تصحف اسم المقبرة في مرآة الزمان إلى « مقام المشهد » .

(٢) تاريخ بغداد « ٦ : ٢١٢ ، ٢١٣ » .

دار الرقيق وقنطرة التبانين الواقعة على أحد فروع نهر الشام ثم بالحريم الطاهري . وكان يتفرع من هذا الشارع شارع عرضي يتجه نحو الشرق وكان يعرف باسم شارع أبي عون نسبة إلى قطيعة أبي عون التي يخترقها .

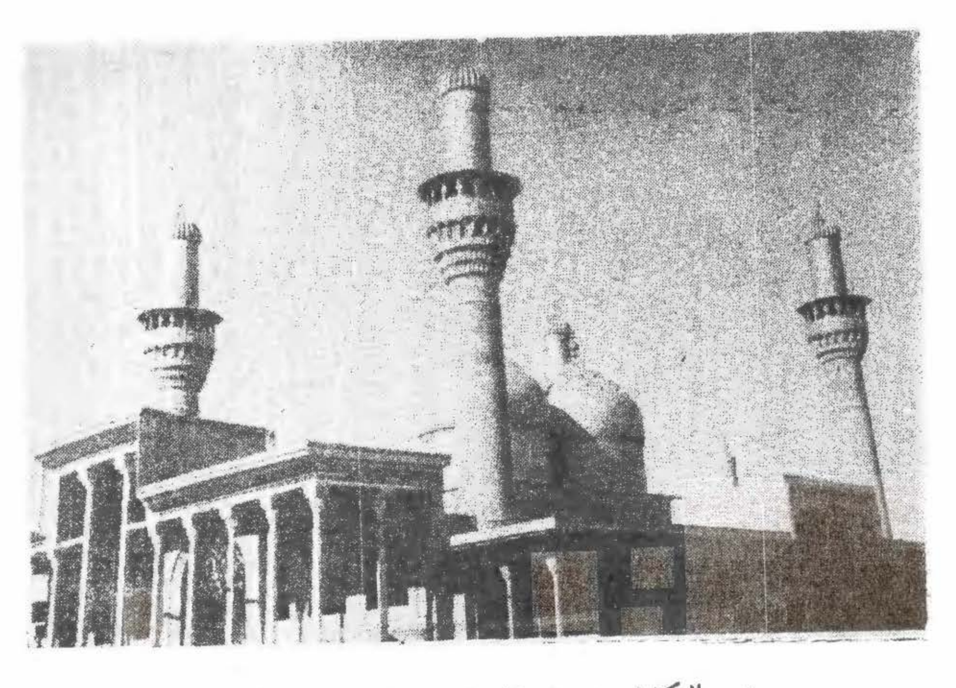
وكانت تدخل الى منطقة الحربية عدة قنوات تتشعب من ذنائب نهر دجيل فتؤلف هناك شبكة من الجداول والأقنية المغطاة تخترق الأرباض والشوارع لتسقى البساتين والقطائع الواقعة بين الخندق الطاهري ومدينة المنصور . ونهر دجيل هذا كان يتفرع من الضفة اليمنى لنهر دجلة فى جوار اطلال الاصطبلات وبعد أن يسير مسافة قليلة يتشعب الى فرعين رئيسين يسير أحدهما فى الوجهة الجنوبية الشرقيـة نحو قرية السميكة (دجيل الحالية) مخترقاً ناحية مسكن القديمة حتى يصل الى غربي بغداد ، ويسير الآخر فى الوجهة الغربية الجنوبية وسط الجزيرة الواقعة بين النهرين ، دجلة والفرات ، حتى يصل إلى قرب الفرات ، وكان يعرف الفرع الذي يصل الىبغداد باسم « نهر بطاطيا » . وكان يتشعب من نهر بطاطيا ثلاثة أنهر تسير شرقاً فتعبر فوق الخندق الطاهري ثم تنتهي إلى محلة الحربية . وأول هذه الفروع كان يعبر على عبّارة فوق خندق طاهر عند باب حرب وبعد أن يخترق المحلة يصب فى أسفل نهر باب الشام الذي يتفرع من نهر رزين ، ويعبر الآخر الخندق الطاهري بين باب حرب وباب الحديد فوق عبارة كانت تعرف باسم « عبارة الكرخ » ويصب كسابقه فى نهر باب الشام أيضاً بعد أن يخرج منه فرعان صغيران من ضفتيه اليمنى واليسرى ، وكان هذا الفرع يسير بموازاة شارع دجيل شمالا وبعد أن يعبر الخندق على عبارة الكرخ يقطعه شارع دجيل قرب باب الشام على قنطرة كانت تعرف باسم « قنطرة أبي الجون » نسبة إلى دهقان فارسي كانت له قرية تسمى الشرفانية فى هذا الموضع قبل تأسيس بغداد وصارت فيها دار سعيد الخطيب فى العهد العباسي وقد وصفها ياقوت بقوله إنها قرية بقرب قنطرة أبي الجون (1) .

---

(1) راجع ما تقدم عن قرية الشرفانية في ص ٨ .

أما الفرع الثالث وكان يسمى نهر بطاطيا فكان يعبر الخندق في جوار باب الأنبار وتجف مياهه بعد مسافة قصيرة ويقال إن هذه المجاري التي كانت تمر من محلة الحربية كانت كلها قنوات تجري تحت الأرض داخل عقود من البناء .

ومن أهم المواضع التاريخية في هـذه المنطقة المشهد الـكاظمي فهو زيادة على قدسيته أهم مرجع خططي في تاريخ بغداد الغربية لمحافظته على موقعه الأصلي لمدة أكثر من ألف ومئـة وخمسين عاماً . وكان المنصور أول من جعـل هذا الموضع مقبرة لما ابتنى مدينته ، وأول من دفن فيها كان ابنه جعفر الأكبر فقـــد توفي سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) ثم صارت تدعى بالـكاظمية نسبة الى الامام موسى الـكاظم ، ودفن معه حفيده محمد الجواد (ع) فالأول دفن فيها في سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) والثاني في ٢٢٠ هـ (٨٣٥م) ، وكانت تعرف هذه المقبرة بمقابر قريش كما كانت تسمى أحيـاناً « مقبرة الشونيزي الصغير » لتمييزها عن مقبرة الشـونيزي الـكبير التي دفن فيها الشيخ جنيد . ولا يزال القسم الغربي من صحن المشهد يسمى « صحن قريش » الى اليوم. ويروي المؤرخون أن زبيدة زوجة هرون الرشيد وقد توفيت في سنة ٢١٦هـ (٨٣١ م) وابنها الخليفة الأمين دفنا في هذه المقبرة أيضاً ودفن فيها أيضاً الاميران البويهيان معز الدولة وقد توفي سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) وجلال الدولة المتوفى سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٤م). وكان قد دفن فيها قبلاً القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الـكوفي صاحب كتاب الخراج المتوفى سنة ١٨٢ هـ . (٧٩٨ م) ، والامام أبو يوسف من أصحاب الامام أبي حنيفة وقد تولى القضاء في بغداد سنة ١٦٦ هـ فكان أول من دعي قاضي القضـــاة في الاسلام ، ولا يزال قبره ملاصقاً لسور المشهد الـكاظمي من جهة الشرق . وقد احتوت هذه المقبرة على قبور كثير من الوزراء والأعيان والسادة والعلماء ، فمن أبناء الامام موسى بن جعفر أبو شجة موسى بن إبراهيم ، كان متعبداً صالحاً ورعاً فاضلاً راوياً للحديث، قال مؤلف غاية الاختصار : « توفي أبو شجة ببغداد وقبره بمقابر قريش مجاوراً لأبيه وجده — عليهما



مشهد الكاظمين « مقابر قريش »

مقابل الصفحة ١٠٠

السلام — فحصتُ عن قبره فدللت عليـه وإذا موضعه في دهليز حجرة صغيرة مِلْك مبارك الجوهري الهندي [1] » . قال « وأبوه الامام إبراهيم المرتضى كان سـيداً أميراً جليلاً عالماً فاضلاً روى الحديث عن آبائه ، عليهم السلام ، مضى الى اليمن وتغلب عليها في أيام أبي السرايا ويقال إنه ظهر داعياً الى أخيـــه الرضا — عليه السلام — فبلغ المأمون ذلك فشفعه فيه وتركه . توفي في بغـداد وقبره بمقابر قريش عند أبيه — عليهم السلام — في تربـة مفردة معروفة — قدس الله روحه ونور ضريحه — [2] » .

والظاهر أن لقب إبراهيم « المرتضى » التبس باسم الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين أخي الشريف الرضي المدفونين في حائر كربلاء عند جدهما الامام الحسين بن علي ، فظن بعضهم أن قبر إبراهيم هو قبر المرتضى علم الهدى أو قبر ابن المرتضى الآتي ذكره .

وممن دفن في مقبرة الامام موسى بن جعفر « ابن المرتضى » ، أبو الحســـن علي بن المرتضى بن علي العلوي الحسني المعروف بالأمير السـيد ، قال محب الدين بن النجار : « ولد جده بنيسابور وكذلك والده المرتضى ونشأ باصبهان ثم قدم بغـداد وولد له علي هذا بها . وقرأ الفقه على مذهب أبي حنيفة حتى برع فيه وفي الخلاف ، وقرأ الأدب وحصل منه طرفاً صالحاً وسمع الحديث ثم ولي التدريس بجامع السلطان [3] ، وانتهت إليه رياسة اصحاب الرأي ، وكان عالماً بالمذهب متديناً زاهداً في الرتب والولايات المنيفة ، كريم النفس ، كانت داره مجمعاً لأهل العلم والأدب وكان يكتب خطاً مليحاً وله كتب كثيرة أصول بخطوط العلماء سمع ... وحدّث باليسير . قرأت بخط القاضي أبي المحاسن [عمر بن علي] القرشي قال : سألته —

(١) غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار « ص ٥٤ ، ٥٥ » وراجع عن مبارك الهندي النقيب كتاب الحوادث « ص ٣٨٥ »

(٢) غاية الاختصار « ص ٥٥ » .

(٣) كان جامع السلطان ملـكشاه في محلة المخرم قرب دار السلطنة السلجوقية ، وموضعها اليوم محلة العلوازية وتسمى أيضاً « العيواضية » وأصلها « الايوازية » .

— يعني الأمير السيد علي بن المرتضى — عن مولده فقال : فى ليلة الثلاثاء ثاني عشر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ببغداد بدرب الشاكرية . توفي الأمير السيد علي بن المرتضى فى ليلة الجمعة لثماني عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ودفن من الغد بمقابر قريش[1] » . وزاد ابن الفوطي أن أباه كان فى خدمة الخاتون زوجة المقتفي لأمر الله ووجد هو الكرامة الكلية من الخليفة[2] .

وكان فى الشمال الشرقي من مشهد الكاظمين مقبرة تدعى مقبرة باب التِّبن تقع فى القطيعة الزبيدية وكان قد دفن فيها عبد الله بن أحمد بن حنبل فى سنة ٢٩٠ هـ (٩٠٣ م) بوصية منه الا أن توغل نهر دجلة فى الجانب الغربي من هذه المنطقة وفيضان المياه أديا الى إنهيار قبره فى الماء ، وكان ذلك فى حدود منتصف القرن الثامن عشر الميلادي قبيل زيارة نيبهر لبغداد ، وكان في الشمال من مقبرة باب التبن ديران يقعان على ضفة نهر دجلة مباشرة يسمى احدهما « دير دُرْتا » والآخر « دير القباب » وقد جرفهما النهر من جراء تغير مجراه فلم يبق لهما أثر . ومما ذكره ياقوت عن دير درتا أنه فى غربي بغداد يحاذي باب الشماسية وهو راكب على دجلة وأضاف ابن عبد الحق الى ذلك قوله : « وكأنه مما أخذه الماء هناك » . وقد ورد ذكر دير درتا باسم « بيعة درتا » فى خبر دفن أبي الفرج عبد الله ابن الطيب البغدادي هناك فى سنة ٤٣٤ هـ (١٠٤٢ م) . وورد ذكر « درتا » فى أخبار الجاثليق « عبد إيشوع » المتوفى سنة « ٣٧٦ هـ » وزعم فيها أن ديلمياً تنصر وعمده قس درتا[3] .

وذكره الحسن بن عبد الله بن البناء الحنبلي المتوفى سنة « ٤٧٠ هـ » فى تاريخه قال فى ذي صباح من سنة « ٤٦١ هـ » « قالت المرأة — يعني زوجته — فامض الى زيارة قبر أحمد

(١) تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ٣٧ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ص ٢٧ نسخة الدكتور مصطفى جواد » والظاهر أن الخليفة هو الناصر لدين الله فقد توفي في أيامه .

(٣) فطاركة كرسي المشرق لماري بن سليمان « ص ١٠٤ » .

ابن حنبل وزُر الشيخ الأجل أبا منصور عبد الملك بن يوسف فلعل الله يسهل لك شيئاً تدعه عندنا وتخرج حيث تريد . قال : فمضيت وزرتُ دير الدرتا وقصدت قبر أحمد بن حنبل ودعوت الله تعالى ومضيت الى قطعة الشيخ الأجل وجلست أترحم وأقرأ وبكيت (١) » .

وقال ياقوت في « درتا » من المعجم : « درتا : بضم أوله وسكون ثانيه وتاء مثناة من فوق موضع قرب مدينة السلام بغداد مما يلي قطربل وهناك دير للنصارى نذكره في الديرة إن شاء الله تعالى ، قال الشاعر :

ألا هل إلى أكناف درتا وسكره ... بحانة درتا من سبيل لنازح ؟
وهل يلهيني بالمرج فتية ... نشاوى على عجم المثاني الفصائح ؟
فأهتك من ستر الضمير كعادتي ... وأمزج كأسي بالدموع السوافح ؟
وهل أشرفن بالجوسق الفرد ناظراً ... الى الأفق هل ذر الشروق لصابح ؟

وقال آخر :

يا سقى الله منزلاً بين درتا ... وأوانا وبين تلك المروج !
قد عزمنا على الخروج إليه ... إن ترك الخروج عين الخروج

وقال أبو علي محمد بن الحسين المعروف بابن الشبل البغدادي :

بنا إلى الدير من درتا صبابات ... فلا تلمني فما تغني الملامات
ياحبذا السحر الأعلى وقد نشرت ... نسيمه الغضّ روضات وجنات
وأظهر الصبح رايات مخلّقةً ... زرقاً وولت من الظلماء رايات
لا تبعدَنّ وإن طال الغرام بها ... أيام لهو عهدناها وليلات
فكم قضيت لبانات الشباب بها ... غنماً وكم بقيت عندي لُبانات
ما أمكنت دولة الأفراح مقبلة ... فانعم ولَذّ فان العيش تارات (٢)

---

(١) مجموع في المكتبة الظاهرية بدمشق « ١٧ : ١٧٢ » ونشر
Bulletin of the school of Oriental & African Studies V. 19 p. 27.

(٢) معجم البلدان في « دير درتا » و « درتا » .

أمّا دير القباب فقد ذكر ابن عبد الحق في المراصد أنه يظنه دير الثعالب ، ومما يؤيد ذلك أن مؤلف الحوادث ذكر في حوادث سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) أن نهر دجلة زاد زيادة عظيمة فغرقت نواحٍ كثيرة في الجانب الغربي ومن جملتها قباب دير الثعالب ، وجاء في وصف دير الثعالب أنه يبعد أكثر من ميل عن قبر معروف الكرخي ونحواً من ميلين عن بغداد .

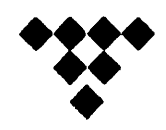
وكان في جوار مقبرة باب التبن محلة باسم « محلة باب التبن » تعرف بالزهيرية وهي قطيعة زهير بن محمد الأبيوردي وزهير رجل من الأزد من عرب خراسان من أهل أبيورد .

وكانت في المنطقة الغربية الواقعة في شمال مدينة المنصور الغربي خمس محلات متصل بعضها ببعض الأولى « محلة الرملية » وكانت على الحد الجنوبي من محلة الحربية ثم تليها محلة العتابيين وتسمى محلة العتابية أيضاً وكانت في الجنوب من محلة الرمليّة [1] ، وقد اشتهرت

---

(١) هي غير محلة الرملة ، قال ياقوت : « والرملة محلة خربت نحو شاطيء دجلة . مقابل الكرخ ببغداد » . ولم يذكرها مؤلف المراصد في « الرملة » من كتابه وإنما قال في قطيعة عيسى : « هو عيسى ابن علي بن عبد الله ببغداد ، أظنها المحلة التي يقال لها الرملة بالجانب الغربي ، عامرة الآن (٧٣٩ هـ) لأن الكنيسة التي كانت بها لليهود كان اسمها عندهم (كنيسة) قطيعة عيسى . والظاهر أنها منسوبة الى موضعها » ، وقد جاء ذكرها في الكامل في أخبار الخلاف بين السلطانين بركيارق ومحمد السلجوقيين سنة ٤٩٤ هـ فقد كان بركيارق مريضاً مدنفاً فعبر به أصحابه من الجانب الشرقي إلى الرملة بالجانب الغربي، ونزل فيها السلطان محمد الثاني السلجوقي عند حصاره بغداد سنة ٥٥٢ كما في الكامل أيضاً والمنتظم « ١٠ : ١٦٩ ، ١٧٠ » ، وبنى الناصر لدين الله فيها تربة فخمة لزوجته سلجوقي خاتون الاخلاطية السلجوقية المتوفاة سنة ٥٨٤ ورباطاً فخماً إلى جانبها كما في الكامل في حوادث سنتي ٥٨٤ ، ٥٨٥ هـ ، وكان بها زاوية للفقراء الصوفية ذكرها ابن الفوطي في ترجمة الحسين بن يوسف المعروف بابن الأعمى الواسطي البطائحي شيخ الزاوية من أهل القرن السادس للهجرة « تلخيص معجم الألقاب ج ٥ الترجمة ٦٦٦ من الميم ، وكنا قد نقلنا سابقاً « ص ٦٧ » من جغرافية ابن سعيد المغربي أن نهر عيسى كان يصب في دجلة بين القرية والرملة .

هذه المحلة فى جميع الأقطار الاسلامية بصنع الثياب العَتّـابية التي كانت تحاك من حرير وقطن فى ألوان مختلفة وقد دعيت بالعتابية نسبة الى عتاب أحد صحابة النبي (ص) الذي كان عاملا على مكة حتى عهد الخليفة أبي بكر . أما المحلات الثلاث الأخرى التي كانت تلي محلة العتابيّين فهي جهار سوج والنصرية ودار القز وكانت الأخيرة فى طرف الصحراء على مسافة فرسخ من المدينة وكان يصنع فيها الورق الذي اكتسب شهرة فى جميع أطراف الشرق .



الفصل الرابع

بغداد في أول أدوارها العباسية (الجانب الشرقي)

١٥٠ — ٣٣٤ هـ (٧٦٧ — ٩٤٦ م)

محلة الرصافة — جامع الرصافة الكبير — قصر المهدي — القطائع المحيطة بالرصافة — ترب الخلفاء — قبر الإمام أبي حنيفة — مقبرة الخيزران — قبر عبيد الله العلوي (أم رابعة) — طسوج نهر بوق وطسوج كلواذا ونهر بين — نهر الخالص — نهر الفضل — سهل الشماسية — نهر الجعفرية — نهر المهدي — ديرا درمالس وسمالو — المقارنة بين مستوى أرض الرصافة ومستوى أرض مدينة المنصور — الجسر الكبير في الرصافة — طريق خراسان العام — باب الطاق ومحلة باب الطاق — سوق خضير ومحلة الخضيرية — جسر الشماسية (الجسر الأول) — طريق الجسر المؤدي الى باب الشماسية — سوق يحيى — دار فرج — الدور — باب الشماسية — سويقة خالد — قصر الطين — قصرا الفضل وجعفر ابني يحيى — طريق جسر الشماسية وباب الجسر — طريق باب البردان — دار الروم ودير الروم — مقبرة باب البردان والمقبرة المالكية — شارع سويقة نصر — قطائع البرامكة — شارع الميدان وقصر أم حبيب والفضل — الشارع الأعظم — محلة المخرم ودار عمارة بن أبي الخصيب — محلة سوق الثلاثاء ومحلتا دار دينار «درب دينار» — سور المستعين في بغداد الغربية والشرقية — قصر حميد — الجسر الأسفل — باب سوق الثلاثاء — نهر بين وفروعه — قرية كلواذا — نهر موسى وقصرا الثريا والمعتصم — بستان الزاهر — قنطرة الأنصار — دار البانوجة «البانوكة» — سوق العطش — دار الخرسي ومربعته — نهر المعلى وقصر الفردوس — القصر الحسني — المحلة المأمونية — الشارع الأعظم «قسمه الأسفل»، ميدان الخيل — جامع القصر — جامع الخليفة — قصر التاج ومسناته — دار الشجرة — الجوسق المحدث، بستان القاهر — نهر الزندورد ودير الزندورد — قصر الأمين في الزندورد — جسر الزندورد الأعلى وجسر الزندورد الأسفل — قرية كلواذا ثانية — نهر علي — مساحة بغداد الغربية والشرقية — عدد نفوس بغداد في عهد ازدهارها — النهضة العلمية في ذلك العهد — بيت الحكمة — حركة النقل والترجمة في عهد المأمون — وفد شارلمان الى الرشيد — علم البنكامات — الصورة المأمونية.

بحثنا فيما تقدم في خطط مدينة بغداد الغربية في أول أدوارها العباسية الذي يبدأ بتأسيس مدينة المنصور وينتهي ببداية العهد البويهي في حدود سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) وننتقل الآن إلى الجانب الشرقي من المدينة فنبحث في تطور العمران فيه خلال هذه المدة نفسها : يرجع تأسيس العمران في الجانب الشرقي إلى التاريخ الذي أسست فيه مدينة المنصور المدوّرة في الجانب الغربي . ومما دعا المنصور إلى إنشاء هذا الجانب أنه كان يرى ضرورة جعل مقر ولي عهده وجيشه الخراساني مفصولاً عن مقر الخلافة ، ليكون مستعداً إذا اقتضت الحال لقمع كل نزاع قد ينشب بين هذا الجيش وبين جنده العرب في حاميات المدينة المدوّرة . وعلى هذا أنزل ابنه وهو ولي عهده المهدي في الجانب الشرقي ، وجعل مقر جنده هناك ، وكانت تعرف المحلة الجديدة أولاً باسم « عسكر المهدي » ثم سميت « الرُصافة » ، والرصافة كانت تطلق على المواضع التي توجد فيها طرق مرتفعة . وأول بناء شيد في الرصافة هو جامع الرصافة الكبير فقد شرع في إنشائه منذ سنة ١٤٣ هـ (٧٦٠ م) ، وكان أوسع من جامع مدينة المنصور وأجمل منه ، ثم عقب ذلك بناء قصر المهدي في جوار الجامع وإقامة الدور والقطائع حوله ، وقد أتم المهدي بناء الرصافة بعد وفاة والده وتوليه الخلافة ويقال إنه أتم ذلك سنة ١٥٩ هـ (٧٧٦ م) أي في السنة الثانية من خلافته وظل مقيماً فيها . ويذكر اليعقوبي باسهاب القطائع المختلفة التي أقطعها المهدي رجاله من النبلاء في الأراضي المحيطة بالرصافة ، وكانت هذا الأراضي في الشمال الشرقي والجنوب الشرقي وقد أصبحت أخيراً محلة الشماسية ومحلة المخرم .

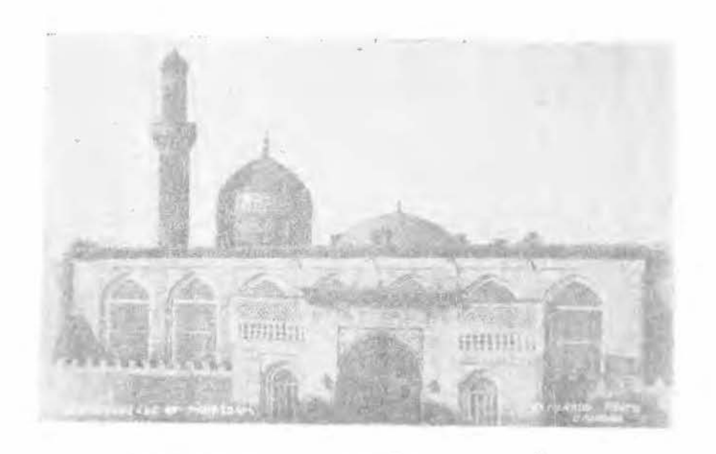
وكانت تقع بجوار جامع الرصافة وفوقه قليلاً قرب ضفة النهر المقبرة الكبيرة التي دفن فيها الخلفاء العباسيون المتأخرون ، وكانت تعرف باسم « تُرَب الخلفاء » ، وكان في الشمال أيضاً قبر الإمام أبي حنيفة الذي صار مركزاً لمحلة أطلق عليها اسم « محلة أبي حنيفة » بعد ذلك . وكان أبو حنيفة في رواية قد ساعد المنصور على بناء بغداد كما سبق بيانه ، وكانت

وفاته بعد ذلك بمدة وجيزة فقد توفي فى حدود سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) ودفن في المقبرة التي عرفت فيما بعد باسم مقبرة الخيزران والخيزرانية نسبة الى الخيزران زوج المهدي ، وهي مقبرة جامع الامام الاعظم الحالية ، وفيها قبر الإمام أبي حنيفة ولا يزال فى موضعه الأصلي . وقيل إنه كانت فى جوار هذه المقبرة مقبرة للمجوس ترجع الى ما قبل بناء الرصافة . ولمرقد أبي حنيفة أهمية كبيرة من حيث تاريخ خطط بغداد الشرقية ذلك لانه من المواضع القديمة القليلة التي ما زالت باقية فى بغداد الشرقية ويعود تاريخها إلى عهد الخليفة المنصور .

وكان بالقرب من جامع الرصافة أيضاً قبر عبيد الله العلوي وموضع هذا القبر يعرف اليوم باسم « أبي رابعة » « وأم رابعة » وهو يقع على مسافة قليلة من شرق الشارع الأعظم بازاء منعطف طريق الضريح الملكي ، والسبب فى نسبته إلى أم رابعة أن السيدة شمس الضحى شاهلبنى الأيوبية بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن صلاح الدين زوجة الأمير أبي العباس أحمد بن المستعصم بالله العباسي ثم زوجة علاء الدين عطا ملك الجويني والي العراق وخوزستان ، كانت قد أنشأت عند هذا المشهد رباطاً للصوفية ومدرسة سميت بالمدرسة العصمتية ، ويفهم من اسم المدرسة أن هذه السيدة كانت تلقب بعصمة الدين أو ذات العصمة ولما توفيت سنة ٦٧٨ دفنت فى التربة التي بنتها بجوار مدرستها عند مشهد عبيد الله المذكور ، وفى سنة ٦٨٥ توفيت ابنتها رابعة العباسية بنت الأمير أحمد ودفنت فى تربة والدتها ، فرابعة وأم رابعة مدفونتان هناك [1] ، وقد سماه الخطيب البغدادي « قبر النذور » لكثرة ما كان الناس ينذرون له ، وذكره ياقوت فى « قبر النذور » من معجم البلدان ، وذكره أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي في مقبرة الخيزران مع بعدها عنه قال : « وعبيد الله بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين وعنده جماعة من الأشراف فى مشهد

---

(١) الكتاب الذي ظن أنه الحوادث الجامعة وليس به « ص ٣٧٣ ، ٤١٠ ، ٤٤٩ » وراجع كتاب سيدات البلاط العباسي « ص ٢٠٠ » لأحد المؤلفين الدكتور مصطفى جواد .



جامع أبي حنيفة « مقبرة الخيزران »

مقابل الصفحة ١٠٨

المذكور[1] » . وبعض الأشراف الذين أشار اليهم الهروي هو الحسن بن علي بن حمزة العلوي الأقساسي المتوفى سنة ٥٩٣ قال مؤلف « غاية الاختصار » — ص ٦٨ — : « قلده الناصر لدين الله العباسي نقابة الطالبيين بمدينة السلام فى سنة ٥٨٩ ولم يزل على ولايته الى أن عزل فى سنة ٥٩٣ فلازم منزله الى أن مات في السنة المذكورة بعد عزله بعشرين يوماً ودفن بمقبرة عبيد الله ظاهر سور بغداد » . ووصف ابن الجوزي فى كتابه « مناقب بغداد » هذا القبر بقوله : إنه قريب من جامع الرصافة وفيه بعض أولاد علي عليه السلام يتبرك به يقال إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين ، وقد ورد ذكر هذا القبر عند غرق مدينة بغداد الشرقية فى سنة ٦٤٦ ﻫ (١٢٤٨ م) ، وقد نقل مؤلف « كتاب الحوادث » فى ذكر حوادث تلك السنة إن مشهد عبيد الله قد هدمه الماء مع رباط الأصحاب الذي كان مجاوراً له ، أما الرباط المذكور فيرجع إلى عهد منشئته السيدة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩ ﻫ (١٢٠٢ م) .

وقد نشأت فى شمال محلة الرصافة ومحلة أبي حنيفة محلة تدعى الشماسية واليها ينسب باب الشماسية الذي نزل فيه خالد بن برمك ويحيي ابنه ثم بنى الفضل وجعفر ابنا يحيي قصرين هناك أيضاً . وفى طرف محلة الشماسية كانت دار معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه المقدم ذكرها .

وكان الجانب الشرقي من بغداد ينقسم إدارياً إلى قسمين القسم الشمالي ويعرف باسم طسوج نهر بوق والقسم الجنوبي وكان يعرف باسم طسوج كلواذا ونهر بين . وكانت منطقة الرصافة وما جاورها من قطائع تقع ضمن طسوج نهر بوق وكانت تروى من الأنهار التي كانت تنحدر من جدول النهروان[2] . فتؤلف شبكة من الجداول تنتشر فروعها فى تلك

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات « ص ٧٤ » .

(٢) راجع ما تقدم عن النهروان في ص ٣٠ .

المنطقة ، وكان نهر الخالص الفرع الرئيس الذي يموّن هذه الجداول بالمياه ، فكان يتفرع من الجانب الأيمن للنهروان على مقربة من بعقوبا غرباً فيسير بين النهروان ودجلة كما ذكرنا سابقاً (١) ثم ينصب فى دجلة شمالي مدينة بغداد فوق قرية البردان بقليل . ولعل موضع البردان هو « إيشان بدران » الحالي الواقع على زهاء ١٨ كيلو متراً فى الشمال من مدينة بغداد على اعتبار أن كلمة بردان غيّرت فصارت « بدران » . وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الخالص فرع يسمّى « نهر الفضل » وكان يعرف بنهر الشماسية أيضاً فيسير نحو الجنوب الغربي حتى ينتهي الى دجلة فيصب فيها فى القسم الأعلى من بغداد الشرقية ، وكان نهر الفضل يتفرع من نهر الخالص بالقرب من مخفر شرطة خان البئر الحالي ولا تزال هناك آثار القسم الذي كان يتفرع منه هذا النهر كما أنه لا تزال آثار نهر الخالص الرئيس القديم قائمة يمكن تتبعها فى متجه النهر العتيق المعروف اليوم بنهر الوزيرية الذي يسير فى جهة الغرب نحو « تلول باب الشام » ومن ثم نحو نهر دجلة فينتهي هناك فى أسفل الراشدية . وكانت المنطقة الواقعة عند مصب نهر الفضل بدجلة فى شمال الشماسية تكوّن بقعة منخفضة يطلق عليها اسم « سهل الشماسية » ورقة الشماسية أي الأرض المنخفضة التي يغطيها الماء الفائض وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً ، وفى أثناء حصار بغداد فى عهد المستعين جعل المهاجمون معسكرهم فى سهل الشماسية هذا ، وقد جرت حركات حربية شديدة عنده . وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفضل فى الناحية الشمالية نهر يقال له « الجعفرية » ولعله أنث بتقدير « الترعة » أو « الساقية » وبعد أن يمر بقرى وضياع يدور حول الشماسية ، فيعرف هناك باسم « نهر السور » ويعود فيصب فى نهر الفضل فى شمالي الشماسية . وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفضل أيضاً نهر آخر يسمى « نهر المهدي » فيسير إلى شرق الرصافة ثم ينقسم إلى قسمين القسم الشرقي يصب فى « الجعفرية » والقسم الغربي ينحدر نحو قصر المهدي وجامعه فيجري هناك فى بركة داخل القصر ومنها ينتهي إلى دجلة .

---

(١) راجع « ص ٣١ » من هذا الكتاب .

وكان في سهل الشماسية على ضفة دجلة مقابل دير درتا الذي في الجانب الغربي ديران مهمان أحدهما « دير درمالس » القديم الذي سبق ذكره [1] والثاني « دير سمالو » . وكان دير سمالو يشغل بقعة واسعة من الأرض بالقرب من النهر وكان بناؤه فخماً ويقيم فيه رهبان ودعي باسم سمالو نسبة الى إحدى مدن الحدود الأرمنية التي فتحها هرون الرشيد في حملة سنة ١٦٣ هـ (٧٨٠ م) وكان في جملة شروط استسلامهم أن لا يفرّق بينهم ، فأنزلوا ببغداد في جوار باب الشماسية وسموا موضعهم وديرهم باسم « سمالو » وهو اسم موضعهم الأصلي .

وقد وصف الشابشتي هذا الدير بقوله : « وهذا الدير شرقي بغداد ، بباب الشماسية على نهر المهدي . وهناك أرحية للماء ، وحوله بساتين وأشجار ونخل . والموضع نزه ، حسن العمارة ، آهل بمن يطرقه ، وبمن فيه من رهبانه . وعيد الفصح ببغداد فيه منظر عجيب . لأنه لا يبقى نصراني إلاّ حضره وتقرّب فيه ، ولا أحد من أهل التطرب واللهو من المسلمين إلا قصده للتنزه فيه . وهو أحد متنزهات بغداد المشهورة ، ومواطن القصف المذكورة ولمحمد بن عبد الملك الهاشمي فيه :

ولرُبَّ يوم في سَمالُو تم لي ... فيه السرورُ وغُيِّبَتْ أحزانُهُ
وأخ يشوب حديثه بحلاوة ... يلتذُّ رجعَ حديثه نَدْمانُهُ
جعل الرحيقَ من المدام شرابَه ... والمحسنات من الأوانس شأنُهُ
بكرت عليَّ به الزيارة فاغتدى ... طربا إليَّ وسرّني إتيانهُ
فأمرت ساقينا وقلت له اسقنا ... قد[2] حان وقت شرابنا وأوانُهُ
فتلاعبت بعقولنا نشواته ... وتوقدت بخدودنا نيرانُهُ
حتى حسبتُ لنا البساط سفينة ... والدير ترقص حولنا حيطانُهُ

---

(١) راجع ما تقدم ذكره في دير درمالس في ص ٣٥ . (٢) في الأصل « وقد » .

والخالد الكاتب فيه :

يا منزل القصف في سمالو | ما لي عن طيبك انتقالُ
واهاً لأيامك الخوالي | والعيش صاف بها زلال
تلك حياة النفوس حقاً | وكل ما دونها محال »

وكان قد وقع اختلاف بين الخليفة المعتصم وبين وزيره ابن أبي دؤاد فيما يختص بمستوى أراضي الرصافة بالنسبة الى أراضي مدينة المنصور فى الجانب الغربي ، فجرى وزنها فوجدت مدينة المنصور أعلى من الرصافة بذراعين ونحو من ثلثي ذراع ، ويثبت المسح الحديث صحة ذلك وهو مما يدل على أنه كان للعرب خبرة فى هذه الأعمال الفنية .

ولا يخفى أن الأراضي التي شيدت عليها مدينة بغداد بجانبيها الغربي والشرقي مرتفعة عن مستوى مياه نهر دجلة فى موسم الصيهود أي فى موسم قلة المياه بحيث يتعذر سقيها من النهر سيحاً ، ولم تكن الآلات الرافعة المتوفرة يومئذ غير الدواليب التي لا يمكن أن تضمن إرواء أراضي واسعة كمنطقة بغداد وذلك مما حمل المسئولين إلى استعمال الجداول السيحية التي تنحدر من أعالي النهر لارواء الأراضي والبساتين سيحاً طوال السنة ، وفيما ذكره الاصطخري تأييد لما قلنا قال : « وأما الأشجار والأنهار التى فى الجانب الشرقي ودار الخلافة فانها من ماء النهروان وتامرا [1] وليس يرتفع اليها من ماء دجلة الا شيء يسير يقصر عن العمارة وينضح بالدواليب » .

وكان المنصور قد عقد جسراً فوق دجلة ليصل به مدينته الغربية بمحلة الرصافة الشرقية ،

---

(١) إن تسمية « تامرا » كانت تطلق على مجرى نهر ديالى الحالي في القسم الواقع شمال بعقوبا وكان السد الذي أنشىء على النهر في مضيق جبل حمرين يساعد على تحويل بعض مياه تامرا الى النهروان حسب مقتضى الحاجة (راجع كتاب « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » حول هذا الموضوع لأحد مؤلفي هذا الكتاب نفسه .

وكان يعرف هذا الجسر باسم الجسر الكبير وجسر الرصافة ، وقد سمّى اليعقوبي هذا الجسر « الجسر الأول » أي الأول من الشمال ، وكان هذا الجسر أول جسر عقد بعد إنشاء مدينة بغداد ، وكان طريق خراسان العام الذي يبدأ من باب خراسان يمر به فيبدأ عند رأس الجسر الغربي أولاً بموضع العرض ثم باصطبلات الخليفة ودار صناعة الجسر ومجلس الشرطة ثم يعبر الجسر فيجتاز عند رأس الجسر الشرقي مشرعة الجسر ومنها يمر تحت الباب المعقود المعروف بباب الطاق فيسير الى الشرق حتى يصل إلى باب خراسان في السور الذي شيده المستعين للدفاع عن بغداد الشرقية ، ومنه يتجه إلى خراسان . والطاق الذي سبق ذكره كان في الأصل قسماً من قصر أسماء بنت الخليفة المنصور ثم صار في زمن هرون الرشيد مجتمعاً للشعراء ، ومن هنا عرف بمجلس الشعراء . وقد ذكر ياقوت الحموي في « باب الطاق » من معجم البلدان أن عبد الله بن طاهر بن الحسين رأى قمرية تنوح عند طاق أسماء فأمر بشرائها وإطلاقها ، وامتنع صاحبها أن يبيعها بأقل من خمسمائة درهم فاشتراها بها وأطلقها وأنشأ يقول — وقيل إن القائل وصاحب القصة اليمان بن أبي اليمان البندنيجي — :

ناحت مطوقة بباب الطاق ... فجرت سوابق دمعي المُهْراقِ
كانت تغرّد بالأراك وربّما ... كانت تغرّد في فروع الساق
فرمى الفراق بها العراق فأصبحت ... بعد الأراك تنوح في الأسواق
فجعت بأفرخها فأسبل دمعها ... إن الدموع تبوح بالمشتاق (١)
تعس الفراق وبت حبل وتينه ... وسقاه من سم الأساود ساقي
ماذا أراد بقصده قمريةً ... لم تدر ما بغداد في الآفاق
بي مثلُ مابك يا حمامة فاسألي ... من فكَّ أسرك أن يحل وثاقي

---

(١) كذا في المطبوع ولعل الأصل « بالأشواق » .

وكان في جوار هذا الطاق سوق الصاغة ودار خزيمة صاحب شرطة المهدي ، وقد أطلق اسم باب الطاق بعد وقت قصير على المنطقة التي تمتد الى الشمال والشرق منه ، وصارت تعرف بمحلة باب الطاق ، ومما يدل على أهمية هذه المحلة بالنسبة إلى خطط بغداد أن الجانب الشرقي الأعلى من بغداد كله صار يعرف بجانب باب الطاق نسبة لمحلة باب الطاق كما أن الجانب الغربي صار يعرف باسم جانب الكرخ نسبة لمحلة الكرخ للسبب نفسه [1] وذلك قبل أن تسوّر محلة الكرخ في أواسط القرن الرابع للهجرة . وقد وصف محلة باب الطاق أبو الوفاء علي بن عقيل ، وقد سكن في آخر عمره الرصافة وتوفي سنة ٥١٣ هـ قال : « فاذكر لك محلتي وهي واحدة من عشر محال ، كل محلة كبلد من بلاد الشام وهي المعروفة بباب الطاق » « مختصر مناقب بغداد ص ٢٥ » . وكان هذا الطريق السوق الرئيس في بغداد الشرقية ، وكانت تباع في جانبيه السلع على أنواعها المختلفة من منسوجات ومصوغات ، ومما يدل على كثرة الحوانيت في هذا السوق أنه احترق منه بالحريق الذي حدث هناك سنة ٢٩٢ هـ (٩٠٥ م) ما يزيد على ثلثمائة حانوت بالقرب من الجسر . وكانت تتفرع من هذا الطريق الرئيس الشوارع المهمة من الجانبين ، فذكر اليعقوبي خمسة منها ، فوصف الشارع الأول بأنه مستقيم وينتهي الى قصر المهدي والمسجد الجامع ، أما الشارع الثاني فقد سماه « سوق خضير » وكانت تباع فيه طرائف الصين ، وكان هـذا الشارع ينتهي الى محلة الخضيرية ويقال لها « الخضيريون » أيضاً والى مسجدها ومنها يتصل برأس جسر الشماسية في الجهة الشرقية وتنسب الخضيرية الى خضير مولى صالح صاحب الموصل وكانت فيها سوق الجرار . وقد دعي الشارع الثالث طريق الجسر وهو الطريق الذي كان يبدأ من قرب دار خزيمة الى السوق المعروفة بسوق يحيى وقد سميت هذه السوق بهذا الاسم نسبة الى يحيى بن خالد البرمكي ، ويشير المقدسي (سنة ٣٧٥ هـ) أنه كان خلف هذه السوق قبر يلاصق مشهد أبي حنيفة وذلك يدل على أن موضع السوق كان مجاوراً

---

(١) راجع الاصطخري « صور الأقاليم » صفة بغداد .

لمشهد أبي حنيفة . وكانت في جوار سوق يحيى على ضفة دجلة دار تسمى « دار فرج » كان قد أقطعها الرشيد فرجاً وهو مملوك لحمدونة [1] بنت غضيض وغضيض أم ولد للرشيد ، وقد ذكر ياقوت أنه لم يكن على شاطئ دجلة أحكم بناءاً من هذه الدار وقد هدمت فيما هدم من المنازل هناك ، وبعد أن يشق الطريق سوق يحيى يمر من الموضع المسمى « الدور » ويصفه ياقوت بأنه كان لا يبعد كثيراً عن مشهد أبي حنيفة ، وفي موضع « الدور » هـذا كان قد شرع جعفر البرمكي في إنشاء قصر له فيه ، ولـكن لم تمـكنه الظروف من قضاء بقية أيامه فيه ، ومن ثم ينتهي الطريق إلى باب بغداد وهو باب الشماسية الواقع في أقصى الشمال على السور الذي أقامه المستعين حول بغداد الشرقية للدفاع عن هذا الجانب من المدينة ، وكان عند باب الشماسية سوق تسمى « سوق خالد البرمكي » وأحياناً « سويقة خالد » نسبة الى خالد جد جعفر البرمكي وبعد أن يجتاز طريق الجسر باب الشماسية يتصل بطريق سرمن رأى .

ومما ذكر الجهشياري في كتابه « الوزراء والـكتاب » أن خالد بن برمك كان ينزل باب الشماسية في سويقة خالد وهي إقطاع من المهدي ، وبنى يحيى بن خالد قصراً هناك يعرف

(١) ذكر كي لسترانج في كتابه « بغداد على عهد الخلافة العباسـية » عند كلامه على دار فرج « ص ٢٠١ » من النسخة الانكليزية أن حمدونة هذه كانت جارية الرشيد وهذا خطأ منه مبين، فان حمدونة هي بنت الرشـيد « راجع البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٣٢ طبعة عبد السلام هارون » والأغاني « ١٢ : ٢٨٢ ، ٢٨٤ طبعة دار الـكتب المصرية » وأمها غضيض قال تاج الدين علي بن أنجب بن الساعي في كتابه « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » : « غضيض جارية الامام الرشيد وأم ابنته حمدونة ، ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن اسمها قصف ، روت عن مظلومة جارية عباسة بنت المهدي وكانت حظية عنده مقربة لديـه ماتت في خلافته » . « نسخة وقف ولي الدين باستانبول ، الورقة ٥ » والظاهر أن لسترنج قرأ ما ذكره ياقوت الحموي في « دار فرج » من معجم البلدان فلم يفهمه ، قال ياقوت « دار فرج : محلة كانت ببغداد بالجانب الشرقي فوق سوق يحيى ، وكان فرج مملوكاً لحمدونة بنت غضيض أم ولد الرشيد ... » فغضيض أم ولد الرشيد لا حمدونة التي هي ابنتها .

بقصر الطين ، ثم بنى فيه الفضل بن يحيي وجعفر بن يحي قصرين كانا يعرفان بهما . وكان يحيي بن خالد يميل الى الفضل ، والرشيد يميل الى جعفر وأنس الرشيد بجعفر كل الانس . وقد اشتهر باب الشماسية في العهد البويهي بشهرة القصر الذي بناه معز الدولة هناك وهو القصر الشهير الذي عرف باسم « الدار المعزية » نسبة الى بانيها كما ذكرنا سابقاً . وذكر ابن النديم أن سند بن علي المنجم المهندس المأموني اليهودي الذي أسلم كان قد بنى كنيسة لليهود في ظهر باب الشماسية في حريم دار معز الدولة .

أمّا الطريق الرابع فكان الطريق الذي يبدأ عند جسر الشماسية أي الجسر الأول كما سماه اليعقوبي ثم بعد أن يمر بباب يدعى « باب الجسر » يتصل بطريق الجسر ومنه ينزل جنوباً بمحاذاة دجلة إلى محلة المخرّم وما اتصل بذلك ، ويعرف هناك باسم الشارع الأعظم . وكان الطريق الخامس يأخذ من يسار طريق خراسان فيتجه نحو الشمال الشرقي تاركاً إلى يساره محلة دار الروم حتى يصل إلى قنطرة البردان فوق نهر المهدي فيعبرها ثم يسير إلى باب البردان على سور المستعين ومنه يتجه نحو « البردان » ، وكان هذا الطريق يسمّى « طريق باب البردان » .

وقد سميت محلة دار الروم بهذا الاسم نسبة الى الاسرى الروم الذين أنزلوا فيها على عهد الخليفة المهدي بين سنتي ١٥٨ و ١٦٩ هـ (٧٧٥ — ٧٨٥ م) فشيدوا هناك بيعة وديراً لهم ، وكان يعرف الدير باسم « دير الروم » ، وكان قد أنشيء في شرقي البيعة وكانت فيه قلاية الجاثليق . وكانت في شمال دار الروم عند باب البردان المقبرة المسماة « مقبرة باب البردان » وكانت أيضاً خارج باب البردان المقبرة المالكية المنسوبة إلى عبد الله بن مالك وهو أول من دفن فيها وقد نسبت إلى أبيه لا إليه على عادة العرب في النسب . وكان طريق باب البردان الواقع تحت قنطرة البردان يسمّى « شارع سويقة نصر » نسبة الى نصر بن مالك الخزاعي وكان قد أقطعه المهدي هذه القطيعة ، ويذكر

الخطيب أنه كان فى سويقة نصر جامع هدم فى حصار بغداد الثاني على عهد المستعين ، وكانت ناحية باب البردان للسري بن الحطم أحد القواد وهو صاحب الحطمية وهي القرية الواقعة فى بزّ نهر الخالص ، وقد وصفها ياقوت بأنها على فرسخ من بغداد . وكانت على الجانب الأيسر من طريق باب البردان قطائع البرامكة فى أعلى بغداد الشرقية ، وكانت هذه القطائع تمتد من طريق باب البردان حتى طريق الجسر أو طريق باب الشماسية غرباً . وقد انتقلت قطائع البرامكة بعد نكبتهم إلى زبيدة زوج هارون الرشيد ، ولما اضمحلت سلطة زبيدة في عهد المأمون صارت هذه القطائع إلى طاهر بتخويل من المأمون ، فتوارثها عنه أحفاده الأمراء والولاة الطاهريون .

وكان فى جنوب شارع باب البردان شارع يتشعب من أيمن طريق خراسان يسمّى « شارع الميدان » ويتصل بالشارع الأعظم جنوباً ، وكان بالقرب من هذا الشارع قصر أم حبيب ابنة هرون وقصر الحاجب الفضل بن الربيع ، ويذكر ياقوت أن شارع الميدان يتصل من الجنوب بالطريق الذاهب إلى محلة سوق الثلاثاء الواقع فى الطرف الجنوبي من محلة المخرم ويتصل من الشمال بمحلة الشماسية ، وقد وهم كي لسترانج فى تعيين موضع هذا الشارع فعينه عند سوق خضير . وكان أجمل ما شيد من شوارع الجانب الشرقي من مدينة بغداد على رأي انبراطور القسطنطينية شارع الميدان المقدم ذكره وشارع سويقة نصر بن مالك ، قال أحمد بن الحرث : « صورت بغداد لملك الروم أرضها وأسواقها وشوارعها وقصورها وأنهارها فكان يعجب من وضع شوارع الجانب الشرقي خصوصاً من شارع الميدان وشارع سويقة نصر بن مالك الخزاعي والقصور التي فى الأسواق والشوارع من سويقة نصر الى قنطرة البردان » .

وكان الشارع الرئيس الذي يمتد إلى محلة المخرم في الجنوب يعرف باسم « الشارع الأعظم » فيمر بباب سوق الثلاثاء [1] ، وهو الباب الواقع على الحد الجنوبي من سور بغداد الشرقية

---

(١) راجع ما تقدم حول سوق الثلاثاء في الدور الذي سبق إنشاء مدينة بغداد .

الذي أقامه المستعين ، وبعد أن يترك الشارع سور المستعين ينتهي الى المنطقة الجنوبية في الطريق المتجه نحو كلواذا . وكان جزء من الشارع الأعظم هذا يخترق محلة المخرم [1] ويمر من شرقي بستان الزاهر الواقع على ضفة نهر دجلة ويخرج منها عند فم نهر موسى ، وفي هـذا الجزء من الشارع كانت دار عمارة وهي غير دار عمارة التي في الجانب الغربي ، فان هذه الدار لعمارة بن أبي الخصيب قيل إنه من موالي المنصور ، وكان أبو الخصيب أحد حجّاب المنصور . وكان هـذا الشارع من أهم شوارع بغداد الشرقية وباتصاله بطريق الجسر الذي يؤدي إلى باب الشماسـية في الشمال يؤلف طريق المواصلات العام بين الشمال والجنوب ، فاذا دخل المرء في بغـــداد الشرقية وهو آت من « سُرَّ من رأى » يجتاز أولاً باب الشماسية ثم يسلك درب المهدي تاركاً إلى يمينه الطريق المؤدي الى جسر الشماسية حتى اذا ما وصل إلى الدور سار في طريق الجسر تاركاً الى يمينه محلة الخضيرية فيصل الى طريق خراسان ومنه يسير في الشارع الأعظم تاركاً الى يساره شارع الميدان وقصر أم حبيب وقصر الفضل بن الربيع فيواصل سيره في هذا الطريق الذي يمتد بمحاذاة نهر دجلة حتى يصل إلى باب المخرم ، وهنا يتفرع من أيسر الشارع الأعظم شارع يسير الى الشرق فيمر من الباب المسمى « باب المقير » ثم ينتهي إلى سور المستعين عنـد الباب المسمى « باب سوق الدواب » . ومن باب المخرم يمتـد الشارع الأعظم الى الجنوب حتى يصل الى باب سوق الثلاثاء فيخترق محلة سوق الثلاثاء ثم يسير مجانباً دجلة نحو الشرق فيمر بمحلة المأمونية وباب الأزج ومن هناك يبدأ طريق آخر ينتهي الى قرية كلواذا في الجنوب .

وقد أصبح سوق الثلاثاء القديم [2] من أهم محلات بغداد الشرقية في هذا الدور وقد

---

(١) راجع ما تقدم حول محلة المخرم .

(٢) راجع ما تقدم حول سوق الثلاثاء في الدور الذي سبق انشاء مدينة بغداد .

سور الظفرية » [1] ويعني بسور الظفرية السور المقابل للمحلة الظفرية من جهة باب الظفرية المعروف بالباب الوسطاني وهو اليوم متحفة للاسلحة العتيقة . وعلى هذا تكون مقبرة باب أبرز محلة الفضل والمهدية وقمر الدين والبارودية الحالية ، يؤيد ذلك ما ذكره ابن الفوطي في ترجمة « قمر الدين أبي منصور منكوبرس بن عبد الله الناصري » الأمير المتوفى سنة « ٦٣٩ هـ » قال : « ودفن بباب أبرز [2] » . ولا يزال قبر قمر الدين قائماً في المحلة المنسوبة إليه نعني « محلة قمر الدين [3] » . وقد اشتهرت مقبرة باب أبرز بقبر أبي إسحاق الشيرازي الفقيه الشافعي الكبير ومدرس المدرسة النظامية المتوفى في سنة ٤٧٦ هـ .

ويمر الفرع الثالث من القسم فيسير الى الجنوب الغربي أيضاً ثم يدخل القصر الحسني فيدور فيه وينتهي إلى دجلة تحت قصر المكتفي بالله المعروف بـ « قصر التاج » .

وللقصر الحسني تاريخ طويل فأول من أنشأه جعفرالبرمكي ليكون موضع لهوه وبعيداً عن مقر الخليفة وعيون الناس ، وكان يعرف في ذلك الوقت بالقصر الجعفري ثم تبدل اسمه بعد أن أقام فيه المأمون فسمي المأموني كما سميت المحلة الواقعة في جواره بالمأمونية نسبة إلى هذا القصر . قال ياقوت : « ثم انتقل القصر الى المأمون فكان من أحب المواضع اليه وأشهاها لديه واقتطع جملة من البرية عملها ميداناً لركض الخيل واللعب بالصوالجة وحير [4] لجميع الوحوش وفتح له باباً شرقياً الى جانب البرية وأجرى فيه نهراً ساقه من نهر المعلى وابتنى قريباً منه منازل برسم خاصته وأصحابه سميت (المأمونية) وهي الى الآن [سنة ٦٢٦هـ] الشارع الأعظم فيما بين عقدي المصطنع والزرادين ، وكان قد أسكن فيه الفضل والحسن ابني

---

(١) الحوادث « ص ٧٤ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ الورقة ٤٣٦ نسخة المتحف المصورة .

(٣) راجع أطلس بغداد المقدم ذكره غير مرة .

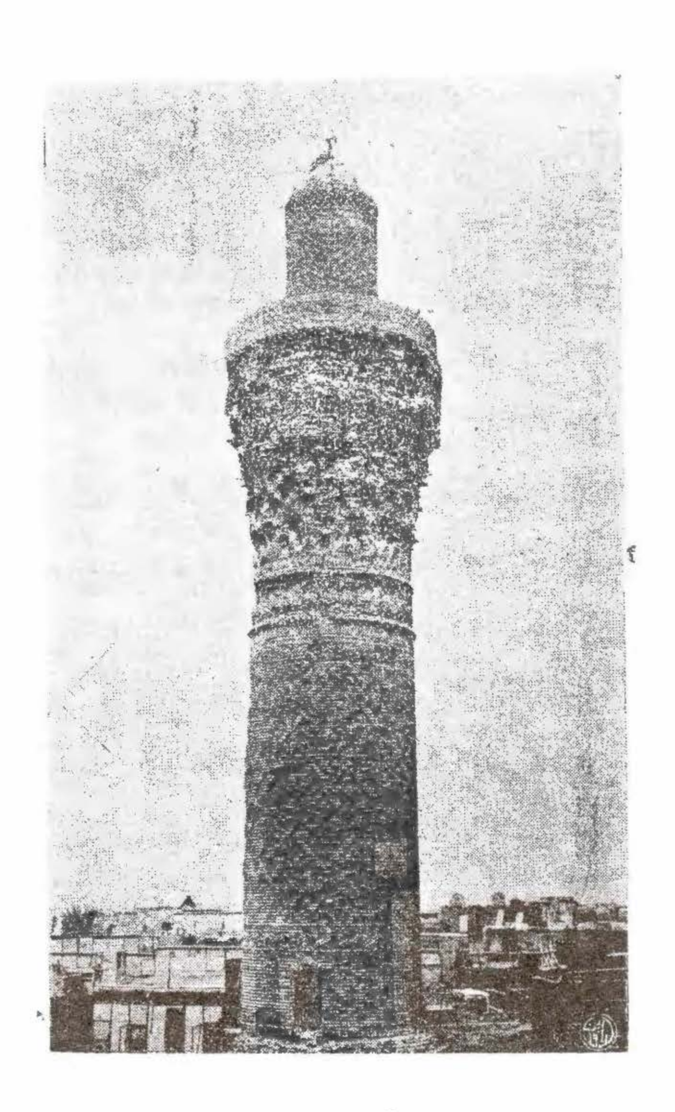
(٤) الحير على وزن الدير هو ما يعرف اليوم بحديقة الحيوانات وقدمنا ذكره .

سهل ثم توجه والياً بخراسان وأقام بها وفي صحبته الفضل والحسن [1] » . وقال تاج الدين ابن الساعي المؤرخ : « ذكر بعضهم أن هـذا القصر صار الى المأمون وكان من أكمل القصور وأبهاها ، وأحب المواضع اليه وأشهاها ، لاطلاله على دجلة وكماله في النظر ، واشتماله على الروض والشجر ، واكتسائه بالنور المشرق النائر ، والزهر المونق الزاهر ، فنزل بساحته ، وحلّ به حبى راحته ، وجرّ على رياضه ذيوله ، وطارد في ميدان سروره خيوله ، ملتـذاً بسكناه ، معتداً بهواه ، وصار منزل صيده وقنصه ، ومحل نزهه وفرصه ، واقتطع جملة من البرية فعملت ميداناً لركض الغلمان ، واللعب بالكرة والصولجان [2] .. » . وباب القصر الذي نحو البريـة سمي باب الحلبة الصغيرة ثم أنشيء باب الحلبة الـكبيرة . والمحلة المأمونية اليوم هي محلة عقـد القشل والدهانة والهيتاويين وصبـابيغ الآل ، والشارع الأعظم هو درب عقد القشل . ثم أقام بعد ذلك الوزير الحسن بن سهل في هذا القصر فسمي الحسني ، وكان المركز الذي أنشئت حوله قصور الخلفاء العديدة في هذه المنطقة التي تمتد على ضفة نهر دجلة . ويقال إن المعتضد وسع القصر الحسني وأضاف اليه دوراً عـديدة واقتطع أرضاً واسعة لجعلها ميداناً وأحاط سوراً بالجميع ثم ابتنى آزاجاً بين القصر الحسني وقصره « الثريا » لتمشي جواريه فيها وحرمه وسراريه ، وكان قصر الثريا على مسافة ميلين عربيين من القصر الحسني ، وكان طول الأزج ميلين وقد عقد تحت الدور والشوارع التي أقيمت خارج قصور الخلفاء . وكان الأزج لا يزال قائماً الى الغرق الذي وقع في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٤ م) فعفا أثره ، وقد ذكرنا سابقاً بعض أخبار قصر الثريا .

وقد أنشأ الخليفة علي المكتفي بالله خلال ست السنوات من حكمه ٢٨٩ — ٢٩٥ هـ (٩٠٢ — ٩٠٨ م) المسجد الجامع لصلاة الجمعة في شرقي القصر الحسني وكان يعرف بجامع

(١) معجم البلدان في مادة « التاج » .

(٢) جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء » نسخة ولي الدين باستانبول ، الورقة ١٩ » .



جامع القصر « جامع الخليفة » بسوق الغزل مقابل الصفحة ١٢٤

القصر ثم أطلق عليه اسم جامع الخليفة ثم جامع الخلفاء في الأيام الأخيرة ، وكان هذا الجامع أحد الجوامع الثلاثة الكبيرة في بغداد (الاثنان الآخران جامع المنصور وجامع الرصافة) وكانت تقام فيه وفي غيره صلاة الجمعة خلال القرون الأربعة الأخيرة من الخلافة العباسية . إلا أنه كان الجامع الرسمي للدولة العباسية ففيه تقرأ عهود القضاة ويصلى على جنائز الأعيان والعلماء وتعقد فيه حلقات الفقهاء والمناظرين والمحدثين وفي رحبته كانت تبين مظاهر الحياة الاجتماعية والتجارية لأهل بغداد . وقد شيد في جامع القصر هذا في سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) مئذنة لا تزال قائمة إلى يومنا هذا وهي تعرف بمنارة سوق الغزل لأن الجامع قد قطعت أرضه وأنشئ في إحدى القطع الشرقية منه سوق للغزل ، وشيد سليمان باشا الكبير والي بغداد (١١٩٣ — ١٢١٧ هـ) (١٧٧٩ — ١٨٠٢ م) جامعاً في غرب المنارة بقي قائماً الى سنة ١٩٥٧ م ويعرف بجامع سوق الغزل (١) ، ثم هدم من أجل الشارع الجديد . وقد ذكر العلامة المرحوم السيد محمود شكري الآلوسي في كتابه « تاريخ مساجد بغداد وآثارها » أن هذا الجامع أنشئ على عهد المهدي في سنة ١٥٩ هـ وقد نقل ذلك عنه في الدليل العراقي لسنة ١٩٣٦ ، وهذا يخالف الواقع الخططي والتاريخ ، لأن المهدي إنما أنشأ الجامع المعروف بجامع الرصافة وهي جنوبي مقبرة أبي حنيفة الامام كما ذكرنا سابقاً ثم إنه لم يكن العمران قد وصل في عهد المهدي الى هذه المنطقة التي أنشئ فيها جامع القصر .

أما قصر التاج فقد وضع أسسه المعتضد وأتم بناءه ابنه علي المكتفي وقد أصبح هذا القصر أهم مركز رسمي للخلفاء . وكان قصر التاج كما بينا على ضفة دجلة تحت القصر الحسني وأنشئت له من جهة دجلة مسناة عظيمة لصد تيارها عنه ومنع تأثير مياهها فيه . وكانت هذه المسناة الممتدة على ضفة دجلة تؤلف هيأة خاصة لقصر التاج ، وكان القصر يشرف على هذه

(١) راجع البحث المفصل عن جامع القصر ومنارته للأستاذ يعقوب سركيس في « مباحث عراقية » ص ١٣٢ — ١٥٠ .

المسناة كأنه التاج ، « وكان وجهه مبنياً على خمسة عقود كل عقد على عشرة أساطين بخمسة أذرع » . وأقيمت مجالس وقبب مختلفة فى الأراضي المتصلة بالتاج ، وكان المعتضد قد أمر بنقض القصر الأبيض الكسروي فى المدائن، ذلك الذي باشر نقضه المنصور ثم أقلع ،فنقضت مشارفه ووضعت فى مسناة التاج ، ثم نقض ما تبقى منه على عهد المكتفي ووضع آجره فى مشارف التاج . وبنى المكتفي إلى جنب القصر قبة دعيت قبة الحمار « لأنه كان يصعد اليها فى مدرج حولها على حمار صغير ، وكانت عالية مثل نصف الدائرة » . وكأنها كانت تشبه الملوية بسامراء فى مصعدها ، وأقيمت مبانٍ مختلفة أخرى على الأراضي المتصلة بالتاج ، من بينها ما أضيف من أبنيـــة جديدة حول قصر التاج فى عهد المقتـدر ٢٩٥ — ٣٢٠ هـ (٩٠٨ — ٩٣٢ م) . وقيل إن المكتفى ترك عند وفاته تسعة آلاف حيوان من الخيل والبغال والإبل جميعها كانت فى اصطبلات القصر . وقد شب حريق فى قصر التاج في سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) من جراء انقضاض صاعقة عليه واستمرت النار فيه تسعة أيام متوالية فحولت قصر التاج وقبته المتصلة به إلى ركام من الرماد الا أنه أعيد بناؤه على عهد المستضيء .

وفي الوقت نفسه الذي كان الأمراء الاتراك يحكمون ببغداد كان الخلفاء المغلوبون على أمرهم يقضون أوقاتهم فى انشاء القصور والتفنن فى تنظيم البســاتين والبرك وغيرها من المنشآت للهوهم وأنسهم ، ففي عهد المقتدر أنشئت البناية المسماة « دار الشجرة » وسميت بهذا الاسم نسبة الى الشجرة المصنوعة من الفضة التى كانت فيها . وقد وضعت هذه الشجرة « فى وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف . وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة . وأكثر قضبان الشجرة فضــة وبعضها مذهب ... وفى جانب الدار يمنة البركة تماثيل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فرساً قـد ألبسوا الديباج وغيره وفى الجانب الأيسر مثل ذلك » . وقد أنشيء بالقرب من قصر الفردوس « الجوسق المحدث » وهو دار بين بســاتين فى وسطها بركة رصاص قلعي أحسن من الفضة المجلوة .

وكان ضمن حريم قصر التاج البستان الجميـل الذي اعتنى بانشائه الخليفة القـاهر أخو

الخليفة المقتدر وخلفه سنة ٣٢٠ — ٣٢٢ هـ (٩٣٢ — ٩٣٤م) ، وقد وصفه المسعودي قال : « وكان للقاهر في بعض الصحون بستان نحو من جريب قد غرس فيـــه النارنج وحمل اليه من البصرة وعمان مما حمل من أرض الهند ، وقد اشتبكت أشجاره ولاحت ثماره كالنجوم من أحمر وأصفر وبين ذلك أنواع الغروس والرياحين والزهر ، وقد جعـل في ذلك الصحن أنواع الأطيار من القماري والدباسي والشحارير والببغ مما قد جلب اليه من الممالك والأمصار ، فكان ذلك في غاية الحسن وكان القـاهر كثير الشرب عليه والجلوس في تلك المجالس » .

وكان يتفرع من الجانب الأيسر لنهر موسى فوق الفروع الثلاثة المذكورة فرع خاص يسمى نهر الزندورد كان يروي منطقة الزندورد القديمة التي اشتهرت ببساتينها الغنّ وديرها العتيق المعروف بدير الزندورد فجذب جمال هذه المنطقة الأمين فانشأ قصراً جميلاً فيها قرب ضفة دجلة ، وقيل إنه أقام جسرين في هذا الموضع على دجلة (جسر الزندورد الأعلى وجسر الزندورد الاسفل) ، وقد قدمنا الاشارة إليها ، والظاهر أن هذين الجسرين كانا من الركة والضعف بحيث زالا سريعاً ، وهذا هو القصر الذي أقامت خارجه قطع من الجيوش التي أرسلها المأمون في سنة ١٩٨ هـ (٨١٤ م) لحصار بغداد . وكانت تقع في الجنوب من قصر الأمين في الزندورد قرية كلواذا التي ذكرنا أنها كانت على بعد نحو فرسخ من جنوب بغداد حيث يقوم هناك الآن الموضع المعروف بتلول حاج عبد ، ويرجع تاريخ قرية كلواذا هذه الى العهد الكلداني والفارسي كما سبق بيانه [1] ، ثم توسعت في هذا العهد فصار فيها جامع خاص بصلاة الجمعة وأصبحت كأنها جزء من مدينة بغداد . وكان يتفرع من فوق مأخذ نهر موسى بقليل فرع آخر يسمى « نهر علي » فيمر معترضاً بطريق خراسـان إلى قريـة الأثلة في الموضع الذي نرجح أنه المعروف اليوم باسم « تل الصخر » وبعد أن يسقي بعض مزارع طسوج

---

(١) راجع ما تقدم عن هذه القرية من البحث في هذا الـكتاب .

نهر بوق يصب في أحد فروع الخالص .

وفي أوائل القرن الرابع الهجري أقام الأمير مؤنس المظفر داراً فخمة عظيمة على دجلة في شمال قصور الخلفاء ، وفي قسم من هذه الدار أنشئت فيما بعد المدرسة النظامية على عهد السلاطين السلاجقة ، وفى أعلى أرض هذه الدار أنشئت المدرسة المستنصرية في الثلث الأول من القرن السابع الهجري، وسنتطرق الى هاتين المدرستين في بحثنا في الدور السلجوقي وآخر العهد العباسي . وقد أخطأ المستشرق كاي لسترنج فى ذكره أن دار مؤنس كانت فى باب الشماسية عند أرض الدار التي بناها بعد ذلك معز الدولة أحمد البويهي . أما الامير مؤنس فكان قائد جيش المقتدر وقد أعلن عصيانه وخلع الخليفة في سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) ثم نصب الخليفة القاهر فى مكان أخيه المخلوع غير أن القاهر لم يلبث أن أمر بقتل مؤنس فى السنة الثانية من توليه الحكم فقتل . وقد عقب ذلك فترة اضطراب دامت طوال حكم الخلفاء ، القاهر والراضي والمتقى بالله ، ولم تنته الا فى زمن الخليفة المستكفي حينما احتل معز الدولة البويهي بغداد فى سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) فقبض على ناصية الحكم وتولى زمام الامور ، ومن هذا التاريخ يبدأ دور الحكم البويهي فى عاصمة الخلفاء بغداد .

يتضح مما تقدم أن مدينة بغداد كانت فى أواخر القرن الثالث الهجري تشبه حلقة يحيط بها سور المستعين من كل أطرافها فتحدها القطيعة الزبيدية وجسر الشماسية من الشمال ويحدها سوق الثلاثاء والجسر الأسفل وقصر حميد من الجنوب ، والخندق الطاهري من الغرب وأبواب خراسان والبردان وسوق الدواب من جهة الشرق ، وكانت قصور الخلفاء خارج السور المذكور فى جنوب سوق الثلاثاء . وقد قدر ابن الجوزي مساحة المدينة فى كتابه « مناقب بغداد » بثلاثة وخمسين ألف جريب وسبعمائة وخمسين جريباً من الجانبين ، فالجانب الشرقي ستة وعشرون ألف جريب وسبعمائة وخمسون جريباً، والغربى سبعة وعشرون الف جريب ، ولما كان الجريب يساوي ١٣٨٤ متراً مربعاً كان مجموع مساحة المدينة من

الجانبين زهاء أربعة وسبعين كيلو متراً مربعاً ونصف الكيلو متر المربع . أما عدد نفوس المدينة في عهد ازدهارها فلا يوجد إحصاء يمكن أن يعول عليه سوى التخمينات التي دونها جماعة من المؤرخين العرب في كتبهم عن عدد المنازل والمساجد والحمامات وغيرها في بغداد في ذلك العهد ، مثال ذلك : ذكر بعضهم أن عدد الحمامات فيها بلغ مائتي ألف حمام وأن عدد المساجد ثلثمائة ألف مسجد ، وفي هذا مبالغة مفرطة لأن طريقة التخمين كانت سقيمة وقد تحمل تلك التخمينات الباحث على أن لايتردد في تخمين نفوس بغداد في ذلك العهد بما لا يقل عن مليون نسمة . ومما يحسن بيانه في هذا الصدد أن الخليفة الراضي كان قد أمر بمنع جميع الأطباء في بغداد عن مزاولة التطبيب الا من امتحنه سنان بن ثابت وأعطاه تصريفاً ، وقد بلغ ما أعطي من الترخيصات ثمانمائة وستين ترخيصة في جانبي بغداد ، هذا عدا من استغني بشهرته عن الامتحان ، فاذا قدرنا عدد هؤلاء الأطباء المشهورين بمائة وخمسين كان نحو من ألف طبيب في بغداد في ذلك الوقت ، وذلك مما يؤيد أن تخميننا لنفوس بغداد بمليون نسمة كان معقولاً ومقبولاً .

وقبل أن نختم هذا الفصل عن عهد بغداد في أول أدوارها العباسية يحسن بنا أن نستعرض ولو بصورة مجملة الدور الذي قامت به هذه العاصمة التاريخية في بث العلوم والفنون وتنمية الثروة المادية في هذا العهد الزاهر ، فقد وصلت بغداد في عهد الرشيد والمأمون والمعتضد والمكتفي الى قمة مجدها وأوج عزها ، وامتدت الأبنية في الجانبين امتداداً عظيماً حتى صارت كأنها مدن متلاصقة وبلغ سكانها نحواً من مليون كما قدمنا ، وأصبحت مركزاً للحضارة العالمية والتمدن الاسلامي ومقراً للعلوم والفنون والآداب وزهت بالعلماء والأدباء والشعراء والكتاب والمترجمين وأرباب الفنون والصناعات المختلفة ، فأنشئت فيها المراصد الفلكية والمدارس وخزائن الكتب والمستشفيات والمعامل والمشاهد حتى كان فيها يوم ذاك عدد غير قليل من مواضع الدراسة العالية ومئات الكتاتيب الابتدائية عدا المعاهد التي

أنشئت لتدريس علوم الدين فى كل مسجد من مساجد بغداد . وقد أنشأ الرشيد مجمعاً علمياً راقياً أودع فيه خزانة واسعة للكتب جمع فيها كتباً فى علوم مختلفة بلغات مختلفة هي مما جمعها جده المنصور وأبوه المهدي ومما عثر عليه هو فى أثناء حروبه فى إنقرة وعمورية وغيرها من بلاد الروم . وقد سمي هذا المجمع العلمي « بيت الحكمة » أو « دار الحكمة » ، والبيت عندهم جزء من الدار ، وكان يجتمع فى هذا المعهد العلمي المترجمون والعلماء والكتاب والأدباء كل يوم للترجمة والمطالعة والمناظرة ، وقد ترجمت فيه كتب كثيرة فى علوم مختلفة . وقد وسع المأمون بناية هذا المعهد فصار دار الحكمة حقاً ، وأفرد فيها لكل علم رواقاً ، فازدحمت فى عهده عليها العلماء وكبار المترجمين ورجال التأليف . ومن المترجمين المشهورين « يوحنا بن البطريق الترجمان » مولى المأمون قال القفطي : « كان أميناً على الترجمة حسن التأدية للمعاني ، ألكن اللسان في العربية وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب وهو تولى ترجمة كتب أرسطوطاليس خاصة وترجم من كتب بقراط مثل حنين بن إسحاق وغيره »[1]. وذكر القفطي أيضاً أن ابن البطريق هذا ترجم كتاب الحيوان من لغة اليونان من تآليف ارسطوطاليس « هو تسع عشرة مقالة[2] » . وكان المأمون يشاركهم ويناقشهم في مختلف المواضيع العلمية والأدبية ، وقد أنشأ مرصداً فلكياً وعهد بادارته الى سند بن علي اليهودي المقدم ذكره الذي قيل إنه أسلم على يد المأمون وإلى يحيى بن أبي منصور . وكان يعرف سند بن علي المنجم المأموني لما وصفناه آنفاً ، وقد ندبه المأمون الى إصلاح آلات الرصد والرصد بالشماسية ببغداد ، ففعل ذلك وامتحن مواضع الكواكب[3] قال القفطي : « ولما أفضت الخلافة الى عبد الله المأمون وطمحت نفسه الفاضلة الى درك الحكمة وسمت به همته الشريفة الى الاشراف على عموم الفلسفة ووقف العلماء فى وقته على

(١) تاريخ الحكماء « ص ٢٤٨ » من الطبعة المصرية .

(٢) المرجع المذكور « ص ٣١ » .

(٣) أخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي ص ٢٠٦ — ٢٠٧ طبعة ليبزك .

كتاب المجسطي وفهموا صورة آلات الرصد الموصوفة فيه تقدم الى علماء زمانه باصلاح آلات الرصد فعملوا ... » [1] . وذكر في ترجمة العباس بن سعيد الجوهري المنجم أنه كان خبيراً بصناعة التسيير وحساب الفلك ، قيماً بعمل آلات الرصد وأنه صحب المأمون فندبه المأمون الى مباشرة الرصد مع جملة المتولين لذلك في الشماسية ببغداد ، وحقق مواضع الكواكب السيارة والنيرين وعمل على ذلك زيجاً مشهوراً مذكوراً عند أهل هذا الشأن فهو ورفقته سند بن علي وخالد بن عبد الملك المروروذي ويحيى بن أبي منصور أوائل من رصد فى الملة الاسلامية ثم تبعهم الناس بعد ذلك » [2] . وذكر فى ترجمة محمد بن خالد بن عبد الملك أنه كان منجماً خبيراً بتسيير الكواكب ، وأن أباه خالداً كان منجم المأمون ومتولي الرصد بالشماسية و [الرصد] بدمشق على جبل قاسيون [3] . وقد فصل القفطي أمر الرصد المأمونى بالشماسية والرصد المأموني بدمشق في ترجمة يحيى بن أبي منصور المنجم [4] . وكان سهل ابن هارون يتولى إدارة هذا المعهد وكان أيضاً يشرف على تنظيم خزانة كتب المأمون الخاصة ، وقيل إن يحيى بن أبي منصور الموصلي ومحمد بن موسى الخوارزمي كانا من خزنة دار الحكمة المأمونية كما كان الصنوبري الحلبي والفضل بن نوبخت وعلاّن الشعوبي وأبناء شاكر وغيرهم يترددون الى هذه الدار للمطالعة أو النسخ والترجمة أو التأليف . وقد روي أن المأمون بعث إلى حاكم صقلية يطلب مكتبة صقلية الغنية بكتبها الفلسفية والعلمية ليضمها الى خزانة بيت الحكمة فأرسل الحاكم بها الى المأمون على حسب طلبه ، وذكر أن المأمون نقل من خراسان إلى بغداد حمل مئة بعير من الكتب الخطية النفيسة فضمها الى خزانة كتب بيت الحكمة .

وكان المأمون قد عني عناية خاصة بحركة النقل والترجمة فطلب من ملك الروم الاذن فى

---

(١) تاريخ الحكماء « ص ١٧٨ » من الطبعة المصرية .

(٢) المذكور « ص ١٤٨ » .

(٣) المذكور « ص ١٨٥ » .

(٤) المذكور « ص ٢٣٤ » .

إرسال بعض علمائه لترجمة الكتب المفيدة المخزونة فى بلد الروم فأجابه الى ذلك فأرسل المأمون لذلك جماعة ، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة ويوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق وغيرهم ، وأمرهم بنقل ما يقدرون عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العربية وإصلاح ما ينقله غيرهم . وقد جعل المأمون حنين بن إسحاق رئيساً لديوان الترجمة ، وكان حنين هذا يجيد أربع لغات : السريانية والعربية والفارسية واليونانية وكان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلاً بمثل ، فكان يختار لكتبه أغلظ الورق ويأمر كتابه أن يخطوها بالحروف الكبيرة ويفسح بين السطور . وقد نقل حنين إلى العربية عدداً كبيراً من الكتب الفارسية واليونانية والسريانية .

وكان عدد سكان بغداد فى عهد الرشيد نحوا من مليون نسمة كما ذكرنا وفيها جماعات من أكابر العلماء والفقهاء والأطباء والفلاسفة ، وانقسمت بغداد يوم ذاك الى عشرات محلات ، لكل محلة شوارع ومساجد وحمامات ، وكانت فيها معامل مختلفة منها للزجاج ومنها للنسيج والحياكة وهي « الطرُز » جمع الطِّراز ومئات طاحونات مركبة على الماء خصوصاً طواحين منطقة الزندورد ، وكانت عدة شركات وطنية تعمل فى تجارة المحصولات العراقية . وكانت تُحمل إلى بغداد الجزية من ملوك الروم وتفد اليها الأمراء والملوك للتقرب من الخليفة ومن تلك الوفود الوفد الذي قيل إن شارلمان الكبير ملك فرنسا أرسل الى الرشيد سنة ١٩٢ هـ (٨٠٧ م) يطلب منه السماح للفرنسيين فى زيارة بيت المقدس ، فأكرم الرشيد ذلك الوفد وأحسن ضيافته وأجاب طلب شارلمان وبعث اليه بهدية فاخرة من مصنوعات بغداد منها سرادق كبير من الحرير وساعة كبيرة دقاقة (١) وبسط ديباج وشطرنج من العاج لم

---

(١) وكان قد نشأ في زمن العرب علم خاص لضبط قياس الزمان كان يعرف بعلم البنكامات وقد اتخذ العرب لذلك آلات عديدة يدعونها البنكامات منها مائية ومنها رملية ومنها ما كان يتحرك بالأثقال ومما جاء به بعض التواريخ عن الخليفة هرون الرشيد أنه أرسل إلى كرلوس الكبير ملك فرنسا ساعة يدل =

تزل قطع منه محفوظة في المكتبة الأهلية بباريس .

وقد احتذى المأمون حذو أبيه الرشيد وفاقه أيضاً فأنشأ عدة معاهد عالية ومراصد ومعامل منها معامل نسيج الأقمشة المتنوعة أي الطُرُز حتى قيل إن عدد المعاهد العالية بلغ فى عهده ثلثمائة واثنين وثلاثين معهداً كلها كانت غاصة بطلاب العلوم والفنون مبنية على أحسن طراز وأكثرها فى المساجد والمشاهد عدا الكتاتيب التي تشبه المدارس الابتدائية والمستشفيات التي كانت مكتظة بالأطباء وتلاميذهم وتسمى البيمارستانات والمارستانات ، وقد لقبه بعض المؤرخين بأستاذ الحضارة العربية لما خلده من الآثار العلمية المفيدة ، وكان لعمله هذا أثر بليغ فى إدخال المدنية على دولة العرب [1] .

ونقل عن المأمون أنه جمع جماعة من حكماء عصره فوضعوا له خارطة العالم التي نسبت إليه ودعيت « الصورة المأمونية » وقد فاقت هذه الصورة ما تقدمها من دراسات فى جغرافية العالم على عهد بطليميوس وغيره من جغرافيي اليونان ، وقد وضع له علماء الهيأة والجغرافية — وكانوا سبعين رجلاً من فلاسفة العراق — كتاباً فى الجغرافية أعان عمال

= فيها اثنا عشر فارساً على تقاسيم النهار الاثني عشر بان يخرج واحد منهم فى كل ساعة ويرمي على صنج كرة يسمع لوقوعها دوي عظيم فاعتدها الافرنج آية بديعة لم يشاهدوا من قبل لها مثيلا . ولابن جبير فى رحلته وصف ساعة من هذا القبيل رآها فى مسجد دمشق على باب جيرون ويدعونها الميقانة . وقد جاء وصف آخر لساعة كانت قد نصبت في إيوان مقابل المدرسة المستنصرية وكانت تعرف بـ « صندوق الساعات » وهي ساعة كان يستعان بها فى معرفة أوقات الصلاة والدرس . (راجع وصف هذه الساعة في كتاب الحوادث الذي ظن أنه « الحوادث الجامعة » ص٨٣) وراجع أيضاً « خلاصة الذهب المسبوك » لعبد الرحمن الإربلي (ص ٢١٢) وتاريخ الخزرجي وآثار البلاد وأخبار العباد .

(١) راجع كتاب « الحياة العلمية في عصر المأمون » للدكتور أحمد فريد رفاعي الجزء الأول ص ٣٧٥ وما يليها .

الدولة على تعرف البلاد والأمم التي كانت خاضعة للدولة العباسية ، وقام هؤلاء العلماء بمسح الأرض وقد اختاروا لهذا الغرض درجة من الحساب البطليموسي وقدروا بموجبها مساحة الكرة الأرضية كلها . والغالب أن الصورة المأمونية كانت أول خارطة للعالم في العهد العباسي ثم تلاها من السياح والجغرافيين من وضع الخرائط بما وصل إليه علمه .

الفصل الخامس

بغداد في الدور البويهي

٣٣٤ — ٤٤٧ هـ (٩٤٦ — ١٠٥٥ م)

بداية الحكم البويهي في بغداد — الدار المعزية — المسناة المعزية — دار المملكة البويهية — قصر عضد الدولة وبستانه — المارستان العضدي — سوق المارستان — محلة المارستان — دار العلم لسابور بن أردشير — قصور الخلفاء ومبانيهم — إقامة حير الوحوش على عهد المقتدر — دار الشجرة — الجوسق المحدث — دار الطراويس — الدار المربعة — الدار المثمنة — انهدام سور المدينة المدورة وقصر باب الذهب — انهدام سور المستعين — الجسور على نهر دجلة — الجسر الكبير — جسر الشماسية — الجسر الأسفل — جسر الدار المعزية — جسر الدار المعزية — جسر المارستان — جسر سوق الثلاثاء — جسر الرصافة المزدوج .

بحثنا فيما تقدم فى الدور الذي مر على بغداد فى أول أدوارها العباسية المنتهي فى أوائل القرن الرابع الهجري ، وسنبحث فيما يأتي فى الدور البويهي الذي دام أكثر من قرن واحد . ويبدأ هذا الدور باستيلاء معز الدولة أول أمراء بني بويه على زمام الحكم فى سنة ٣٣٤ هـ (٩٤٦ م) واحتلاله لبغداد على رأس جيشه الديلمي المعزز بقطع من الأتراك ، وينتهي باحتلال طغرل بك السلجوقي للمدينة المذكورة فى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) وانتزاعه السلطة من الأسرة البويهية . وكان أمراء بني بويه من الفرس فأخضعوا العراق والمنطقة المعروفة بفارس والقطر المعروف بالجبال وجعلوها تحت نفوذهم ، وكان بأيدي كثير من أفراد

هذه الأسرة زمام الحكم فى مختلف المقاطعات . وجرت العادة منذ هذا التأريخ أن يتخذ الأمير الذي يرأس هذا البيت مقامه فى بغداد ، وكان يمارس الحكم فى الشرق الاسلامي باسم الخليفة على غرار أمير الأمراء .

أسس الامارة البويهية الفارسية ثلاثة إخوة وهم علي والحسن وأحمد أبناء أبي شجاع بويه الديلمي ، وكان ظهورهم أول مرة بشيراز سنة ٣٢٢ هـ (٩٣٤ م) ثم عظم شأنهم واستولوا على عدة مدن وملكوا بلاد فارس ، فلما اختلت شؤون بغداد طمع فيها أحمد فزحف اليها ، وبمواطأة أحد القواد الأتراك فى بغداد تمكن من الاستيلاء على زمام الحكم فى المدينة فاضطر الخليفة الى أن يقر الأمر الواقع ويذعن له . وقد حكمت هذه الامارة فى بغداد مئة وثلاث عشرة سنة ، وكان عدد أمرائها أحد عشر أميراً أولهم معز الدولة وآخرهم أبو نصر خسرو فيروز بن المرزبان الملقب بالملك الرحيم ، وقد أسره طغرل بك السلجوقي عند فتحه للمدينة [1] ، ثم سجنه فى إحدى القلاع وهي قلعة الري وتوفي فيها سنة « ٤٥٠ هـ » .

وقد تميز الدور البويهي باقامة مبانٍ وقصور عديدة فى عاصمة الخلافة بغداد ، فكان أول قصر بويهي شيد فى بغداد القصر الذي أنشأه معز الدولة فى سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) بجوار باب الشماسية فى الصليخ الحالية ، وقد قدمنا الاشارة اليه فى مباحثنا السابقة ، وكان يعرف هذا القصر باسم « الدار المعزّية » نسبة الى لقبه « معز الدولة » ، وقيل إنه أنفق على بنائه ثلاثة عشر مليون درهم سوى مالم يشتره من الآلات بل انتزعه انتزاعاً من البنايات العتيقة .

قال مسكويه في حوادث سنة « ٣٥٠ هـ » : « فيها اشتدت علة معز الدولة » وذكر أنه عزم على المضي إلى الأهواز قال : « كان سبب ذلك استشماره أن بغداد هي التي

(١) مختصر المناقب « ص ٢٦ » .

أحدثت له الأسقام وهي التي أفسدت عليه صحته ... وانحدر الى كاواذا ، فلما صار بها أشار المهلبي [وزيره] بأن يقيم ويتأمل أمره ويفكر فيه ولا يعجل ، فأقام بكلواذا وأخذ في تقدير بناء قصر ثم انتقل الى الشفيعي وقدر هناك البناء ثم انتقل منه الى قطربل لأنها أعلى بغداد والهواء والماء هناك أصفى وأعذب ، وعمل على أن يبني من حد قطربل الى باب حرب قصراً ، ثم صح من علته وأبو محمد المهلبي [الوزير] في كل ذلك يمله ويصرف رأيه لعلمه بكثرة المؤن والنفقات التي تلزمه وبكراهة الجند والحاشية لانزعاجهم من أوطانهم ومألفهم ، ولكراهية تخريب بغداد بانتقال الملك عنها ، فلم يزل به حتى صرف رأيه . ولما علم الوزير أنه لم يكن في البناء بدّ أن يكون متصلاً ببغداد من أعاليها ليكون هواؤها وماؤها أصح وأنظف أنزله في البستان المعروف بالصيمري وهو في أعلى بغداد من الجانب الشرقي بقصر فرج ، وأخذ معزالدولة في هدم مايليه من العقارات وابتياعها من أهلها إلى حدود بيْعة الدور ... وأصلح ميداناً على طول دجلة وبنى الاصطبلات على نهر المهدي وقلع الأبواب الحديد التي على المدينة (مدينة أبي جعفر المنصور) والأبواب التي بالرصافة ، والتي على شارع نهر المعلى ونقلها الى داره ونقض قصور الخلافة بسامرا وسور الحبس المعروف بالجديد وبنى بها داره ، وبالآجر الذي استعمله وطبخه في الأتاتين ووثق البناء واختيرت له الآلات والجص والنورة ، وبالغ في الاحكام ، وجُلب له البناؤون والحذاق المشهورون من جميع البلدان الكبار ، من الأهواز والموصل واصبهان وبلدان الجبل وغيرها ، ونزل لبعض الأساسات (ستاً وثلاثين ذراعاً) ورفعها الى وجه الأرض بالنورة والآجر الى أن ارتفع البناء فوق الأرض بأذرع ، ولزمه على هذا البناء الى أن مات (ثلاثة عشر ألف الف درهم) صادر فيها أسبابه [أي محسوبيه] سوى ما لم يشتره من الآلات التي ذكرناها ، والتي لم نذكرها ، وكان مقيماً طول المدة في بستان الصيمري ثم انتقل الى الدار التي بناها في يوم الاثنين لثمانٍ بقين من ذي القعدة سنة (٣٥٠) قبل أن

يستتم بناءها »[1] .

وقال ماري بن سليمان : « ولما بنى معزالدولة الدار بالشماسية أدخل فيها عدة مساجد وامتنع من إدخال بِيْعة الدور[2] » وقال التنوخي : « كان معز الدولة لما أُبتني قصره بباب الشماسية والاصطبلات المتصلة بآخره من أحد جوانبه التي لم يسبق الى حسنها وعمل الميدان على دجلة متصلاً بين القصر والبستان الشارع على دجلة (الذي يلازق دار صاعد بن مخلد الذي كان منزلاً لأبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد ثم صيره أبو جعفر الصيمري بستاناً ، والجميع الآن داخل فى جملة قصر معزالدولة) أول ما بدأ بأن بنى السور المحيط بالقصر والميدان وبالمسناة العظيمة التي من حدّ رقة الشماسية الى بعض الميدان ، وطول ما بناه منها ألف وخمسمائة ذراع وعرضها نيف وسبعون آجرة كباراً سوى الدستاهيجات التي تخرج منها الى داخلها لتضبطها ، وكان العمل فى ذلك متصلاً والصناع فيه متفرقين ... وقدر لذلك ألوف ألوف دراهم وزادت النفقة على التقدير أضعافاً ، وكان يطالب وزيره أبا محمدالمهلبي بتوجيه وجوه الأموال لذلك مع قصور الدخل عن الخرج ، فيلقى منه عنتاً ، ثم كافه تولي البناء بنفسه وكتابه ، فكان هو وهم يتولون ذلك »[3] . ومن أهم الأعمال التي قام بها معز الدولة فى هذه المنطقة المسناة الطويلة المقدم ذكرها التي أقامها على حدّ الدار المعزّية من جهة دجلة وجعل عرضها مائة آجرة[4] ، وسبعين آجرة على قول التنوخي ، قال ماري بن سليمان : «وزادت دجلة سنة سبع وستين وثلاثمائة زيادة مفرطة أشرف أهل بغداد على الغرق ولو لا المسناة التى بناها معزالدولة لغرق الجانب الشرقي[5] » . وقد أراد ماري بقوله هذا سلامة محلة دارالروم

---

(١) تجارب الأمم « ج ٦ ص ١٨٢ ، ١٨٣ » الطبعة المصرية .

(٢) فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل « ص ١٠٣ » .

(٣) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة « ١ : ٧٠ ، ٧١ » .

(٤) مختصر المناقب « ص ٢٦ » .

(٥) فطاركة كرسي المشرق « ص ١٠٣ » .

والشماسية فقط لأن قسماً من الجانب الشرقي كان قد غرق ، قال ابن الجوزي : « وانفجر بالزاهر من الجانب الشرقي بثق غرق الدور والشوارع » [1] . وكسر الماء هذه المسناة سنة ٤٦٦ هـ قال ابن الأثير : « فى هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية » . وقال ابن الجوزي : « وفى جمادى الآخرة سنة (٤٦٦) ورد الحاجب السليمانى من عكبرا فدخل الديوان فرسم له تدارك القورج الذي فوق الدار المعزية » [2] . وقد عقد معز الدولة جسراً بباب الشماسية ليربط به داره هذه بالجانب الغربي من بغداد ، وكانت القصور منتشرة فى شرق ضفة نهر دجلة بين طريق الشماسية وطريق البردان ، وأصبح جامع الرصافة والمحلة القائمة حول مشهد أبي حنيفة متداخلين بين هذه القصور . وكان الأمير سبكتكين المعزي حاجب معز الدولة قد أنشأ لنفسه داراً قوراء واسعة الأرجاء كثيرة المرافق فى أرض المخرّم وجعل لها ميداناً عرف بالميدان السبكتكيني ، وكان موضعها أي موضع الدار ومرافقها والميدان فى أرض الصرافية الحالية بين الجسر الحديد والعيواضية « الايلوازية » وهذه الدار صارت بعد ذلك أصل دار المملكة البويهية التى أنشأها عضد الدولة بن ركن الدولة بن بويه الذي تولى الحكم سنة ٣٦٧هـ (٩٧٨) . وقد اشتهر عضد الدولة بكثرة ما أنشأه من الأبنية ومن جملتها القصر الفخم الذي أقامه فى هذه المنطقة ، المقدم ذكره وقد ألحق به مساحة شاسعة من الأرض فجعلها بستاناً للقصر ، ولارواء هذا البستان استخرج نهراً خاصاً من الخالص ، ولكي يعبر هذا النهر البقعة المنخفضة فى سبيله محافظاً على مستواه قام بتعلية الأرض لتسيير النهر فوقها ، ويذكر الخطيب أن عضد الدولة استخدم الفيلة فى دوس الأرض المملاة والدور المنقوضة التى أصبحت ضمن البستان . وبعد أن تم فتح النهر بنى عضد الدولة جوانبه

(١) المنتظم « ٧ : ٨٧ » .

(٢) « المنتظم ج ٨ ص ٢٨٤ » .

بالآجر والكلس والنورة وأجرى الماء فيه حتى وصل الى بستان القصر الجديد ، وقدرت نفقات هذه الأعمال بخمسة ملايين درهم ، قال الخطيب البغدادي : حدثني هلال بن المحسن التنوخي قال : كانت دار المملكة التي بأعلى المخرم محاذية الفرضة قديما لسبكتكين غلام معز الدولة فنقض عضد الدولة أكثرها ولم يستبق الا البيت الستيني ... وقال الخطيب « حدثني القاضي أبوالقاسم علي بن المحسن التنوخي قال سمعت أبي « المحسّن » يقول : ما شيت الملك عضد الدولة في دار المملكة بالمخرم (التي كانت دار سبكتكين حاجب معزالدولة من قبل) وهو يتأمل ما عُمل منها وما هُدم ، وقد كان أراد أن يترك في الميدان السبكتكيني أذرعاً ليجعله بستاناً ويرد بدل التراب رملاً ويطرح التراب تحت الروشن على دجلة وقد ابتاع دوراً كثيرة كباراً وصغاراً ونقضها ورمى حيطانها بالفيلة تخفيفاً للمؤونة وأضاف عرصاتها الى الميدان وكانت مثل الميدان دفعتين وبنى على الجميع مسنّاة ، فقال لي هذا اليوم ... تدري أيها القاضي كم أنفق على قلع ما قلع من التراب إلى هذه الغاية وبناء هذه المسناة السخيفة مع ثمن ما ابتيع من الدور واستضيف ؟ قلت : أظنه شيئاً كثيراً . فقال : هو الى وقتنا هذا تسمائة ألف درهم صحاحاً ونحتاج إلى مثلها دفعة أو دفعتين حتى يتكامل قلع التراب ويحصل موضعه الرمل موازياً لوجه البستان . فلما فرغ من ذلك وصار البستان أرضاً بيضاء لا شيء فيها من غرس ولا نبات ؛ قال : قد أنفق على هذا حتى صار كذا أكثر من ألفي ألف درهم صحاحاً [١] .

وفي يوم الخميس ثاني عشر المحرم فتح الماء الذي استخرجه عضد الدولة من الخالص الى داره وبستان الزاهر [٢] وكان بستان الزاهر في أرض البلاط الحالي وما يليه .

ومن المباني الأخرى التي شيدها عضد الدولة المارستان الكبير في بغداد الغربية الذي

---

(١) تاريخ بغداد « ١ : ١٠٥ ، ١٠٦ » والمنتظم « ٧ : ٧٨ » .

(٢) « المنتظم ٧ : ١١٢ » .

صار يعرف باسم « المارستان [1] العضدي » نسبة إلى مشيّده . وقد أنشيء المارستان المذكور في موضع قصر الخلد الذي كان متهدماً يوم ذاك أو بجواره على قول بعضهم ، وكانت مساحته « ٢٥ » ألف آجرة ، وقد استغرق بناء هذا المارستان ثلاث سنوات فقد شرع في بنائه في سنة ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) وتمت عمارته في سنة ٣٧١ هـ (٩٨١ م) . وأوقف عليه عضد الدولة أوقافاً كثيرة سنية [2] . قال ابن الجوزي في سيرة عضد الدولة : « واستحدث المارستان وكان بجكم قد شرع ليعمله فلم يتمّه وجلب اليه ما يصلح لكل فن وعمل بين يديه سوقاً للبزازين ووقف عليه وقوفاً كثيرة وعمل له أرحاءاً بالزبيدية من نهر عيسى ووقفها عليه « المنتظم ٧ : ١١٤ » . وقال ابن عبدالحق في مراصد الاطلاع : « دباها قرية من نواحي نهر الملك من أعمال بغداد من وقف المارستان العضدي » . ولم تكن دباها من أوقاف عضد الدولة عليه بل وقفها الحاجب سباشي أبو طاهر الملقب بالسعيد المتوفى سنة « ٤٠٨ » قال ابن الجوزي : « وهو الذي بنى قنطرة الخندق والياسرية والزياتين [وأوقف قرية دباها [3]] ووقف جبايتها على المارستان وكان ارتفاعها أربعين كراً وألف دينار ... وحفر ذنابة دجيل وسار الماء منها الى مقابر قريش [4] » .

وأنشيء حول المارستان العضدي في الأيام المتأخرة السوق الذي سمي بسوق المارستان وأنشئت أيضاً حوله محلة واسعة تمتد من محلة باب البصرة في الجنوب الى محلة الشارع في الشمال وكانت تعرف هذه المحلة بمحلة المارستان ، وقد شملت معظم الأراضي التي كانت فيها حدائق قصر الخلد وقصر القرار كما شملت مباني المنصور العتيقة بين باب خراسان ودجلة

---

(١) المارستان لفظة فارسية أصلها بيمارستان أي دار المرضى .

(٢) ذيل تاريخ مسكويه « ١ : ٦٩ » طبعة مصر ،

(٣) اسقطت هذه الجملة من التاريخ المنتظم واستدركناها من الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١١٤ » .

(٤) المنتظم « ٧ : ٢٨٨ » .

كموضع المرضى والاصطبلات ومجلس الشرطة وغيرها من المباني المجاورة لها . وقد أصاب المارستان خراب غير قليل من جراء فيضان دجلة في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٤ م) وحلت به كارثة ثانية من هذا النوع سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) وأخرى سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٤ م) .

ولما حاصر هولاكو بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) اتخذ بعض قواده محلة المارستان العضدي قاعدة لهجومه ، ولا ريب في أن هذا الحصار كان له أثر مباشر في تخريب المارستان .

وقال عبد الله بن جبرئيل بن عبيدالله بن بختيشوع الطبيب النصراني : « لما عمر عضدالدولة البيمارستان الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد كانت الأطباء الذين جمعهم فيه من كل موضع وأمر الراتب منه أربعة وعشرون طبيباً [1] (كذا) ، وكان من جملتهم أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكس ، وكان دأبه أن يدرّس فيه الطب لأنه كان محجوباً [أعمى] ، وكان منهم أبو الحسين بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان ، وأبو يعقوب الأهوازي وأبو عيسى بقية والقس الرومي وبنو حسنون ، وجماعة طبائعيون ، وكان والدي جبرئيل بن عبيد الله بن بختيشوع قد أصعد مع عضد الدولة من شيراز ورُتب في جملة الطبائعيين في البيمارستان ، وفي جملة الأطباء الخواص ، وكان في البيمارستان مع هؤلاء من الكحّالين الفضلاء أبو نصر بن الدحلي ومن الجرائحيين أبو الخير وأبو الحسن بن تفاح وجماعته ومن المجبّرين المشار إليهم أبو الصلت » [2] .

ومن هذا الخبر نعلم أن المارستان العضدي كان قريباً من طرف الجسر الغربي في بغداد الغربية ، وبقربه من أرض قصر الخلد نعلم أن قصر الخلد كان قريباً من الجسر أيضاً . وذكر

---

(١) ذكر ابن أبي أصيبعة في الموضع نفسه من عيون الأنباء « ١ : ٣٢٠ » نقلا عن كمال الدين أبي القاسم بن أبي تراب البغدادي الكاتب أن عضد الدولة أمر أن يحضروا له ذكر الأطباء المشهورين حينئذ ببغداد وأعمالها فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ... ثم اقتصر من هؤلاء أيضاً على عشرة ... ثم اختار من العشرة ثلاثة ... » .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء « ١ : ٣١٠ » .

المقدسي أن الجسر بجانب المارستان [1] . وقال ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٧٢ : « وفي يومَ الخميس لثلاث خلون من صفر وقيل لليلة خلت من ربيع الآخر فتح المارستان الذي أنشأه عضد الدولة في الجانب الغربي من مدينة السلام ورُتِّب فيه الأطباء والمعالجون والخُزان والبوابون والوكلاء والناظرون ونُقلت اليه الأدوية والأشربة والفُرُش والآلات [2] » . وذكر الخبر مختصراً ابن الأثير في الكامل في حوادث سنة « ٣٧٢ هـ » منه .

وقد كتب بنيامين التطيلي الذي دوّن رحلته وأخباره في حدود منتصف القرن السادس الهجري وصف المارستان بقوله : « ويقوم في الجانب الغربي من مدينة بغداد بين نهر دجلة ونهر آخر ياتي من الفرات (يقصد الصراة) بناء المارستان وهو مجموعة من البنايات الواسعة ، يأوي اليها المعوزون من المرضى رغبة في الشفاء ؛ ولهذا المارستان قوامون من الاطباء يبلغ عددهم ستين طبيباً يعالجون المرضى ويطبخون لهم الأدوية والخليفة يجهزهم بما يحتاجون اليه من بيت المال (كذا) . وفيها أيضاً بناية تدعى (دار المارستان) يأوي اليها المجانين المغلوبون على عقولهم بتأثير حر القيظ الشديد والأطباء يقيدونهم بالأغلال حتى يثوبوا الى سابق رشدهم ، ويعيشون مدة مكوثهم فيها بنفقة الخليفة . ويقوم أطباء الخليفة بتفقدهم مرة في كل شهر ، فيسرحون من عاد الى الصواب منهم ليعود الى أهله . وتشمل خيرات الخليفة كل من أمَّ بغداد من المرضى والمجاذيب . فالخليفة جزيل الاحسان ، همه عمل الخير » [3] . وجاء بعد وصف التطيلي بزهاء ثلاثين سنة ابن جبير فذكر المارستان أيضاً بأنه يقع على دجلة في محلة سوق المارستان الواقعة بين محلة الشارع ومحلة باب البصرة . قال : « وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان وهي مدينة صغيرة فيها المارستان

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم « ص ١٢٠ » .

(٢) المنتظم « ٧ : ١١٢ ، ١١٣ » .

(٣) رحلة بنيامين « ص ١٣٤ نشر عزرا حداد » .

الشهير ببغداد وهو على دجلة وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى به ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه ، وبين أيديهم قَوَمة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية ، وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكيّة والماء يدخل إليه من دجلة » (١) . وقال الوزير أبو شجاع في سيرة عضد الدولة : « وفعل في تجديد العمران وبناء البيمارستان ووقف الوقوف الكثيرة عليه ونقل أنواع الآلات والأدوية من كل ناحية اليه ما يدرك العيان بعضه الى الآن (القرن الخامس للهجرة) » (٢) .

وقد ذكر الدكتور أحمد عيسى المصري « المارستان العضدي » في كتابه « تاريخ البيمارستانات في الاسلام » ناقلاً من تاريخ بدر الدين العيني « عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » في حوادث سنة « ٤٤٩ هـ » أنه « في هذا الوقت نظر عميد الملك في المارستان العضدي وكان قد خلا من دواء وشراب ... » (٣) إلى آخر الخبر ، وقد تصحف عليه اسم اسم « عبد الملك » بـ « عميد الملك » مع أنَّ « عميد الملك منصور بن محمد الكندري » كان يومئذ وزير السلطان طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق ذي المملكة البعيدة الاطراف الكثيرة الأقطار والأمصار ، فكيف يصح أن يكون ناظراً في أمور المارستان ؟!

وعبد الملك الذي تولى النظر في المارستان هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف الملقب بالشيخ الأجل ، كان من أعيان أهل بغداد الحنابلة وأثريائهم ومحسنيهم ، ولد سنة « ٣٩٥ هـ » وتوفي سنة « ٤٦٠ هـ » ، قال ابن الجوزي في ترجمته : « وتولى ابن يوسف المارستان وهو لا يوجد فيه دواء ولا طبيب ، والمرضى ينامون على بواري النقض ، فطبّقه بخمسة وعشرين ألف طابق ، ورتب فيه ثمانية وعشرين طبيباً ، وثلاثة خزان ،

---

(١) رحلة ابن جبير « ص ٢٢٦ » من طبعة هولندة .

(٢) ذيل تجارب السلف « ١ : ٦٩ » .

(٣) تاريخ البيمارستانات في الاسلام « ص ١٨٩ » .

وابتاعَ له أملاكاً نفيسة »[1] . وقال سبط ابن الجوزي في ترجمته : « وكان المارستان العضدي قد خرب ودثر فأحياه واستخدم فيه الأطباء وأوقف عليه » وكان قد قال في حوادث سنة « ٤٤٩ هـ » : « وفي هذا الوقت نظر عبد الملك في المارستان العضدي وكان قد خلا من دواء وطبيب وشراب ، وكان المرضى على وجه الأرض ، وعند المريض بصلة يشمها فعطش أحدهم فقام بنفسه الى حبّ الماء فوجده حمأة ودوداً وكان أبو الحسين محمد بن المهتدي قد ردّ أمره الى يهودي فاستولى عليه ، وأكل أوقافه ... فأول ما فعل عبد الملك انتزع أوقافه من أيدي الطامعين فيها والمتغلبين عليها وضمّنها بما وفرّ به ارتفاعها[2] توفيراً لم يعهد مثله وشرع في العمارة فقيل إنه طبّق المارستان بخمسة آلاف طابق وقيل بعشرة آلاف طابق ، وكان على سوق فيه مائة دكان قد دثرت ، فأعادها وجمع فيه من الأشربة والأدوية والعقاقير التي يعز وجودها شيئاً كثيراً ، وأقام الفرش واللحف للمرضى والأرايح الطيبة والأشربة والثلج والمستخدمين من الأطباء والفراشين ، فكان فيه ثمانية وعشرون طبيباً ونساء طباخات وبوابون وحراس والحمام والبستان إلى جانبه فيه أنواع الثمار والبقول ، والسفن على بابه تنقل الضعفاء والفقراء ، والأطباء ينتابونهم بكرةً وعشيةً وينامون عندهم بالنوبة ، وكان فيه عدة حباب فيها السُّكَّر الطبرزَذ والأبلوج واللوز والمشمش والخشخاش وسائرالحبوب والبرّاني[3] الصيني وفيها العقاقير وأربع قواصر فيها الاهليلج الاصفر والكابلي والهندي وأربع قواصر تمرهندي وزنجبيل وعود وندومسك والراوند الصيني في البراني[3] والترياق الفاروقي وجميع العقاقير وصناديق فيها ثياب جدد للمرضى ومناديل وصناديق فيها أكفان ، وقدور كبار وصغار وآلات ، وأربعة وعشرون

(١) المنتظم « ٨ : ٢٥١ » .
(٢) الارتفاع : الخراج والواردات .
(٣) البراني جمع البرنية على وزن الغربية وهي إناء من خزف وتعرف اليوم عند البغادة باسم « البستوقة » وعند اليهود بالبرنية أيضاً .

فراشاً ، وأشياء ما توجد فى دور الخلفاء والملوك . وكذا فعل فى مارستان باب محول وُختِن فيه فى هذه السنة ثلاثمائة وواحد وثمانون صبياً ، وكان راتب المقيمين فيه من المستخدمين فى كل يوم ألفاً وثمانيائة وسبعين رطلاً من الخبز » [1] .

ونقل الدكتور أحمد عيسى القدم ذكره نص الخبر منقوصاً ولم يشعر بذلك ، وهو « وخلص المارستان من أيدي الطامعين فهاب المتغلبين بخمسة آلاف طابق وقيل بعشرة آلاف » . وقد ذكرنا أن الأصل هو « ... والمتغلبين عليه وطبق المارستان بخمسة آلاف طابق وقيل بعشرة آلاف » ثم قال : « وذكر ابن صابي أشياء ما يوجد فى دور الخلفاء مثلها » والصواب « وذكر ابن الصابي أشياء ... » . وهو غرس النعمة محمد بن هلال المعروف بابن الصابي .

وقد أنشأ شرف الدولة سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩ م) مرصداً فى طرف بستان دار المملكة وجمع فيه الفلكيين وأمرهم برصد الكواكب فرصدوها له .

وفى عهد بهاء الدولة سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م) بنى وزيره أبو نصر سابور بن أردشير خزانة كبيرة للكتب أنشأها فى محلة بين السورين فى الجانب الغربي من بغداد وسماها « دار العلم » . وكان عدد ما اشتملت عليه هذه الخزانة أكثر من عشرة آلاف مجلد من الكتب الخطية النفيسة [2] ، وذكر ابن الأثير أنها أنشئت سنة « ٣٨٣ هـ » [3] فكانت أشهر مكتبة ببغداد يتردد اليها العلماء والأدباء والفلاسفة والباحثون من عراقيين وأجانب . ومن أشهر من قصدها الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري الذي آثر الإقامة بها يوم كان

---

(١) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ٢٧ ، ٢٨ » .

(٢) المنتظم « ٧ : ١٧٢ » و « ٨ : ٢٢ ، ٢٠٥ » ومختصر المناقب « ص ٢٨ » و « بين السورين » من معجم البلدان .

(٣) الكامل في حوادث سنة ٣٨٣ .

ببغداد . وقد أحرقت هذه المكتبة فيما احترق من محلات بغداد الغربية يوم أعاد طغرل بك أول الملوك السلجوقيين احتلال بغداد سنة ٤٥١ هـ . أما موضع محلة « بين السورين » فكان في الكرخ وقال ياقوت في مادة « بين السورين » إنها « اسم لمحلة كبيرة كانت بكرخ بغداد ، وكانت من أحسن محالها وأعمرها . وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة ، ولم تكن في الدنيا أحسن كتباً منها ، كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة . واحترقت فيما احرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية الى بغداد سنة ٤٤٧ .... » وقد ذكر ابن الجوزي مرة أنها احترقت سنة ٤٤٧ « المنتظم ٨ : ٢٢ » ومرة أنها احترقت سنة ٤٥١ هـ « ٨ : ٢٠٥ » وكذلك ابن الأثير ، وممن تولى حفظ هذه الخزانة والاشراف عليها عبد السلام البصري المتوفى سنة « ٤٠٥ » هـ ، وكذلك انصرف الخلفاء الذين استخلفوا في أيام بني بويه الى شيء من العمارة واللهو بها والتأنق فيها فقد شيد الخليفة المطيع الذي حكم من سنة ٣٣٤ الى ٣٦٣ هـ (٩٤٦ — ٩٧٤ م) دار الطواويس وكذلك الدار المربعة ، وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن من أبنية المطيع لله العباسي « الدار المثمنة » بدار الخلافة فان صح قوله علمنا أن الخلفاء العباسيين أنشؤوا في دار الخلافة العباسية بالجانب الشرقي دارين باسم « الدار المثمنة » الأولى من أبنية المطيع لله كما قدمنا والثانية من أبنية الخليفة المسترشد بالله ، قال ابن الجوزي في حوادث سنة « ٥١٨ هـ » . « وفي جمادى الأولى تكاملت عمارة (المثمنة) وشرع المسترشد في أخذ الدور المشرفة على دجلة الى مقابل مشرعة الرباط [1] ، ليبني ذلك كله مسناة واحدة ونقض الدار التي بنيت في

(١) المشهور في هذا العصر رباط شيخ الشيوخ النيسابوري وكان في موضع خان الباجهجي بسوق الكمرك العتيق جنوب أرض المستنصرية ومسجد الخفافين المعروف قديماً بمسجد الحظائر من أبنية أم الناصر لدين الله زمرد خاتون . ورباط مجاهد الدين بهروز في موضع قهوة الشط الحالية وقد ذكر سبط ابن الجوزي بناءه في حوادث سنة ٥٠٢ « مرآة الزمان ، مختصر الجزء الثامن ص ٢٧ » .

المشرعة ، وذكر أن المسترشد تزوج ببنت سنجر وأنه يريد أن يبني هذا المكان [1] » ، وذكر الخبر سبط الجوزي وزاد عليه أن المثمنة كانت « تحت التاج وأنها قائمة الى هلم جراً (سنة ٦٥٤) [2] » . وذكر ابن الجوزي فى حوادث سنة « ٥١٦ » هـ أن المسترشد صلى يوم الجمعة رابع عشري ذي الحجة ونزل راكباً من باب الغربة مما يلي المثمنة وعبر فى الزبزب [3] . فهذا الخبر يجعلها قريبة من شمالي دار الخلافة لأنّ باب الغربة هو باب شارع المستنصر الحالي من الشمال ، ولعلّ سبط ابن الجوزي خلط بين الدارين المثمنتين فى التاريخ .
وفى هذا الدور حاق الخراب بأسوار مدينة المنصور ومبانيها ففي أوائل القرن الرابع الهجري تهدم سور المدينة المدورة ، وفى سنة ٣٢٩ هـ (٩٤١ م) سقطت قمة قبة قصر باب الذهب ، وفى فيضان سنة ٣٣٠ هـ . (٩٤٢ م) غرقت بغداد الغربية ودخل الماء مدينة المنصور وهدم طاقات باب الكوفة ، وكذلك تهدم السور الذي أقامه المستعين على جانبي بغداد وذلك فى خلال دور الانتقال هذا ، إما تعفياً وتهدماً وإما نقض قصداً . أما جامع المنصور فى المدينة المدورة «مدينة السلام» فقد ظل يستعمل لصلاة الجمعة وبقي اسمه يتردد فيما كتب من التواريخ عن هذه الحقبة وقد قدمنا الكلام عليه فى « ص٥٦ ـ ٦١ » . ومما كتبه المقدسي فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجري فى وصف بغداد قال :— « أما المدينة فخراب والجامع فيها يعمر فى الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب . أعمر موضع بها قطيعة الربيع والكرخ فى الجانب الغربي ، وفى الشرقي باب الطاق وموضع دار الأمير والعمارات والأسواق بالغربي أكثر ، والجسر عند باب الطاق إلى جانبه بيمارستان بناه عضد الدولة » [4] . أما فيما يختص بالجسور

---

(١) المنتظم « ٩ : ٢٤٩ ، ٢٥٠ » .
(٢) مختصر الجزء الثامن من مرآة الزمان « ص ١١٣ » .
(٣) المنتظم « ٩ : ٢٣٨ » .
(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم « ص ١٢٠ » .

على نهر دجلة فكان يجري تحويل وتبديل بينها بحسب الحاجة وحسب مقتضيات الحروب ، فقد كان الجسر الكبير بين مدينة المنصور والرصافة أول جسر شيد على نهر دجلة في بغداد على عهد المنصور ، ثم عقد بعد ذلك جسر الشماسية في الشمال وكذلك الجسر الأسفل الذي صار في الحد الجنوبي من سور المستعين . وبعد مقتل الأمين عطل الجسر الشمالي أي جسر الشماسية فبقي اثنان أحدهما بين مدينة المنصور والرصافة أي الجسر الكبير والآخر الجسر الأسفل ، وكان تحت جسر الرصافة المذكور . ولما بنى معز الدولة البويهي داره المعزية بباب الشماسية سنة ٣٥٠ هـ (٩٦١ م) عقد لها جسراً يربطها بالجانب الغربي ، وقد ورد ذكر جسر منسوب الى مارستان عضد الدولة المعروف بجسر المارستان العضدي وهو جسر باب الطاق الذي ذكره المقدسي . وفي سنة ٣٨٣ هـ (٩٩٣ م) عقد بهاء الدولة البويهي جسراً بين مشرعة القطانين[1] ومصب نهر عيسى من الجانب الغربي وبين سوق الثلاثاء من الجانب الشرقي ، فكان في ذلك العصر ثلاثة جسور الجسر الكبير وجسر الشماسية أي جسر الدار المعزية وجسر سوق الثلاثاء ، ونقل جسر الشماسية إلى الرصافة فبقي جسران يمضي الناس على أحدهما ويرجعون على الآخر ، وعلى هذا كان في آخر العهد البويهي جسران ، جسر سوق الثلاثاء عند مشرعة[1] القطانين وجسر الرصافة المزدوج عند باب الطاق .

وقد أصاب بغداد في جانبيها خراب عظيم بسبب الحوادث والأحداث والفتن وتحول العمارة من أرض الى أخرى ، قال هلال بن المحسن المعروف بابن الصابيء المتوفى سنة « ٤٤٨ هـ » : « عبرت الى الجانب الشرقي من مدينة السلام بعد الأحداث الطارئة فرأيت ما بين سوق السلاح والرصافة ، وسوق العطش ومربعة الخرسي والزاهر وما في دواخل ذلك ورواصفه وقد خرب خراباً فاحشاً حتى لم يترك النقض جداراً قائماً ولا مسجداً

---

(١) مشرعة القطانين تقابل اليوم شريعة بيت الايلجي قرب دار النواب على شاطيء دجلة الغربي ، وعلى هذا يكون الطرف الشرقي للجسر في شارع المحاكم المدنية المعروف بشارع المتنبي .

باقياً ، وأما بين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراساً كلياً وصار الجامعان بالمدينة والرصافة فى الصحراء بعد أن كانا وسط العمارة [1] » .

وقال هلال فى دار المملكة : « وهذه الدار وما تحتوي عليه من البيت السبكتكيني والأروقة خراب ، ولقد شاهدت مجلس الوزراء فى ذلك ومحفل من يقصدهم ويحضرهم وقد جعله جلال الدولة اصطبلاً أقام فيه دوابه وسُوّاسه ، وأما ما بناه عضد الدولة وولده بعده فى هذه الدار فهو متماسك على تشعثه [2] » .

وقال أبو الحسن علي بن الحسين الأثير المعروف بابن أخت المصفري وقد دخل بغداد فى أواخر القرن الرابع للهجرة : « ورأيت دوري على الشط بقصر عيسى والبصريين مسافي ريح ومنابت شيح ... وبغداد كأسوأ المدن حالاً وما بقي فى الجانب الشرقي إلا بقايا دمن ، من مكامن ريب وفتن وخشارات لم أعهدها أيام الخير والعمارة ، وزمن العدل والنضارة [3] » .

(١) مختصر مناقب بغداد « ص ٣٣ » .

(٢) تاريخ بغداد « ١ : ١٠٥ » .

(٣) المجموع اللطيف « نسخة خطية مصورة ، من كتب مصطفى جواد ، الورقة ٩٧ » .

الفصل السادس

بغداد في الدور السلجوقي ٤٤٧-٥٥٢ هـ

(١٠٥٥ — ١١٥٧ م)

احتلال طغرلبك السلجوقي لبغداد ـ دار السلطنة السلجوقية ـ جامع السلطان ـ المدرسة النظامية ـ لسترانج وخطأ تعيين موضع المدرسة النظامية ـ المدرسة التاجية ـ مدرسة مشهد أبي حنيفة ـ دار الخلافة وسورها ـ بساتين الرقة في الضفة الغربية من دجلة ـ باب الغربة ـ دار الريحانيين ـ باب سوق التمر ـ الدار القطنية ـ باب بدر ـ باب النوبي ـ باب العامة ـ باب النصر ـ باب المراتب ـ باب البستان ـ بغداد الشرقية وسورها ـ باب السلطان (باب المعظم الحالي) ـ سوق السلطان ـ باب الظفرية (الباب الوسطاني) ـ محلة الظفرية ـ باب الحلبة (باب الطلسم) ـ برج العجمي ـ محلة القطيعة ـ باب البصلية أي باب كلواذى (الباب الشرقي الحالي) ـ محلة البصلية ـ خندق السور ـ حصار بغداد في سنة ٥٣٠ (١١٣٦ م) ـ حصار بغداد في سنة ٥٥٢ (١١٥٧ م) .

قلنا إن الدور البويهي بلغ ذروة ازدهاره على عهد عضد الدولة الذي تولى الحكم بين سنتي ٣٦٧ و ٣٧٣ هـ (٩٧٨ ـ ٩٨٢م) ، أما بعده فقد أخذت قوة البويهيين تنحط وذلك نتيجة للحروب التي دامت بينهم عدة سنوات وسوء الحكم ، ولم يمر على وفاة عضد الدولة أكثر من خمسة وسبعين عاماً حتى تغلب طغرلبك السلجوقي على آخر أمير بويهي فاحتل بغداد فى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) . وينحدر السلاجقة من أصل تركي ، ويبدأ دور سيادتهم الكبرى بإيران من هذا التاريخ وينتهي بجدهم بوفاة السلطان سنجر آخر السلاجقة العظماء فى سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) . ولم يقم السلاطين السلاجقة ببغداد لاقامة الخليفة فيها ولأنهم

لم يكونوا يحسنون اللغة العربية بل التركية والفارسية ، وكانوا لذلك يكثرون الاقامة في ايران وفيها عاصمتهم اصفهان وكانوا في معظم الأوقات يخرجون فيها للحرب والفتح وينيبون عنهم من يقوم مقامهم في حكم العراق ، وقد أدخل السلجوقيون القصور البويهية التي هي دار المملكة البويهية في دار سلطنتهم في بغداد واتخذوا عمارات نحو الجنوب فصارت تعرف بدار السلطنة السلجوقية . وجدد طغرلبك وغيره عدة من هذه القصور ، وقد احتفل في أحدها بزواجه اللفظي من السيدة العباسية ابنة الخليفة القائم ، وأصبح هذا القصر بعد ذلك قصر دار السلطنة واتخذه ملكشاه أعظم سلاطين السلاجقة مقراً له عند قدومه بغداد في سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦ م) واتخذه سلاطين السلاجقة المتأخرون مقراً لهم في أثناء مكوثهم في بغداد .

وأهم الابنية التي أنشئت في هذا الدور « جامع السلطان » الذي أقامه ملكشاه فقد أمر بوضع أسسه في سنة ٤٨٥هـ (١٠٩٢ م) وقد أتم عمارته بهروز الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، وقيل إن ملكشاه قصد في الأصل أن يجعله قسما من دار السلطنة . وكان يقع هذا الجامع على مسافة ميل من جامع الرصافة ، أما موقعه بالنسبة الى بغداد الحالية فهو غير بعيد من موضع العلوازية الحالية في الناحية الشمالية منها . وذكره ابن الجوزي في مناقب بغداد قال : « أمر السلطان ملكشاه بن محمد ألب أرسلان بعمارة جامع بالمخرم وهو الجامع المسمى بجامع السلطان وتولى السلطان تقديره بنفسه وسوى قبلته جماعة من الرصديين وأشرف على ذلك قاضي القضاة أبو بكر الشامي وحملت أخشابه من جامع سر من رأى ولم يتممه فتمم عمارته بهروز الخادم في سنة أربع وعشرين وخمسمائة » .

وقال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة « ٥٠٢ » : « وفيها فوض السلطان محمد الى بهروز [1] الخادم عمارة العراق فشرع في تتمة جامع السلطان وحفر الأنهار وكذا السواقي

---

(١) ورد في مختصر مرآة الزمان « ج ٨ ص ٢٧ » طبعة الهند بتصحيح الأستاذ المستشرق فريتس كرنكو محمود » بدل « بهروز » وهو خطأ .

فعم الرخص بالعـراق ، وبنى بهروز رباطاً للصوفية [1] قريبـــاً من النظامية وهو قائم إلى الآن» [2] .

وبنى بهروز بدارالسلطنة السلجوقية داراً فخمة ، قال سبط ابن الجوزي : « وهذه الدار بناها بهروز الخادم من أنقاض [دور الناس] واستعمل في عمارتها أهل بغداد حتى القضاة والأشراف والأعيان ، وكانوا ينقلون الأنقاض في طيالستهم ، ولما كملت أمرهم بهروز أن يحملوا إليها الفرش والبسط والآنية وغيرها فحمل الناس ذلك » [3] . قال فى حوادث سنة ٥١٥ ه : « وفى جمادى الآخرة وقع حريق فى دار السلطان فاحترقت الدار التي استحدثها بهروز الخادم ، وكان سبب حريقها أنها (كذا) كانت جارية تختضب بالحناء فى الليل ، وقد أسندت الشمعة الى خيش فتعلقت به النار ، فما تجاسرت أن تنطق ، واحترقت الدار ، وهرب السلطان [محمود بن محمد بن ملكشاه] الى سفينة فوقف فى وسطها فى دجلة واحترق من الفرش والآلات والأواني والبسط والجواهر واللؤلؤ وغير ذلك ما قيمته ألف ألف دينار ولم يسلم من الدار ولا خشبة واحدة ، وقال السلطان : لا حاجة بنا الى بناء هذه الدار التي لم يتمتع بها أبي ولا طال بقاؤه وذهبت أموالنا وأرزاقنا فيها ، ويكفينا دار المملكة العتيقة [البويهية] » [4] . قال السبط « لاجرم أن مآلها كان الى الحريق والخراب وقد رأينا فى المشاهد أن كل دار بنيت على وجه الاغتصاب يكون مآلها الى الاندراس [5] . وكان قد ذكر أمراً يشبه هذا فى حوادث سنة « ٥٠٠ » وهو نقض دار فخر الدولة أبي نصر بن جهير الوزير وقال : « كذا جرى فى دار السلطنة فى سنة خمس عشرة وخمسمائة » [6] .

---

(١) قدمنا أنه كان في موضع قهوة الشط ، وكان كنيسة لليهود قبل ذلك .

(٢) مختصر مرآة الزمان في الموضع المقدم ذكره ، وهو غير رباط الخدم « ص ١٨٦ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ٩٦ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ٩٦ أيضاً » .

(٥) المرجع المذكور في الموضع عينه .

(٦) المرجع المذكور « ص ١٨ » .

وقد هدم الخليفة الناصر لدين الله دار السلطنة السلجوقية سنة « ٥٨٣ » على أثر تحدي السلطان طغرل الثالث ابن أرسلان بن طغرل الثاني بن محمد بن ملكشاه له ، ومطالبته إياه بالخطبة للسلجوقيين ببغداد ، قال ابن الأثير : « وأرسل طغرل رسولاً الى بغداد يقول : أريد أن يتقدم الديوان بعمارة دار السلطنة لاسكنها اذا وصلت ... ورد رسول السلطان طغرل بغير جواب وأمر الخليفة بنقض دار السلطنة فهدمت الى الأرض وعفي أثرها » [1]. ومن البديهي أن الناصر لم ينقض جامع السلطان ملكشاه الذي كان هناك .

ومن الأبنية المهمة الأخرى التي أنشئت في عهد السلطان ألب أرسلان والد ملكشاه أيضاً « المدرسة النظامية » التي كانت في محلة الحظائر القديمة في آخر سوق الثلاثاء وذلك قبل إنشاء سوق المستنصرية واتصاله به من الشمال . ومحلة الحظائر هذه كانت في موضع سوق الكمرك الحالي وخان جغان الذي حول الى أسـواق ، أما المدرسة فتقع في أرض سوق الخفافين الحالية ، وقد ذكرنا أنها شيدت على قسم من أرض دار الأمير مؤنس المظفر التي كانت قد أنشئت في هذا الموضع قبل النظامية بأكثر من قرن . ومن الغريب أن كي لسترانج عين موضع المدرسة في جنوب قصور الخلفاء على مسافة أكثر من كيلو متر جنوب موقعها الحقيقي في حين أنه ينقل في نفس الوقت قول ابن بطوطة الرحالة إن المدرسة كانت تقع في وسط سوق الثلاثاء ، وهو اليوم سوق باب الأغا وسوق البزازين الكبير المتجه نحو الغرب الى دجلة ثم يرتفع الى المدرسة المستنصرية ولايزال أكثرها قائماً إلى اليوم بالقرب من جسر المأمون الحالي . وقد سميت المدرسة بالنظامية نسبة إلى نظام الملك وزير ألب أرسلان وابنه ملكشاه ، وقد أسست في سنة ٤٥٧ هـ (١٠٦٥ م) ثم فتحت أبوابها للتلاميذ بعد ذلك بسنتين [2] .

(١) الكامل في حوادث سنة « ٥٨٣ » وقد تصحف رقم « ٣ » في مادة المخرم من معجم البلدان الى « ٧ » فيجب التصحيح .

(٢) راجع بحثاً مفصلا في تاريخ النظامية لأحد مؤلفي الكتاب الدكتور مصطفى جواد في مجلة سومر « مج ٩ ٢٩٠٩ ص ٣١٧ سنة ١٩٥٣ » .

وكان القصد من إنشائها تدريس الفقه الشافعي والعلوم الاسلامية والفنون الأدبية ، ومن أساتذتها المعروفين أبو إسحاق الشيرازي وحجة الاسلام محمد بن محمد الفقيه الغزالي ومن معيديها بهاء الدين بن شداد (مؤلف سيرة صلاح الدين) فقد أعاد فيها الدروس مدة أربع سنوات . وقد جدد بعض هذه المدرسة في سنة ٥٠٤ (١١١٠ م) ويذكر ابن جبير أن واردات أوقاف المدرسة من عقار وغيره كانت في أيامه تكفي مرتبات للمحاضرين وفي حفظ البناء على حالة حسنة ، فضلاً عن مبلغ آخر يدفع إعانة للفقراء من التلاميذ القيمين فيها . وقد ظلت المدرسة النظامية قائمة إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي . وقد أدى الرحالة ابن جبير فريضة الصلاة فيها ، وكان ذلك في سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ويصفها بأنها أفخم النيف والثلاثين مدرسة التي كانت تزهو بها مدينة بغداد . وكانت المدرسة لا تزال في وضع حسن حين زارها ابن بطوطة في سنة ٧٢٧ (١٣٢٧ م) أي بعد الحصار المغولي بثلاثة أرباع القرن . وبعد زمن ابن بطوطة باثنتي عشرة سنة تطرق حمد الله المؤرخ الفارسي الى ذكرها ودعاها « أم المدارس » في بغداد ، وعلى الرغم من بقاء هذه المدرسة الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي لم يبق من بنائها أثر في الوقت الحاضر سوى آجر مصبوغ من النوع الكاشي كان في بابها وهو من صنع حديث بالنسبة إليها ثم انتزع .

وقد ورد ذكر المدرسة النظامية عند وصف غرق بغداد في فيضان سنتي ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) و ٦٥٤ هـ . (١٢٥٦ م) فقد ذكر أنها غرقت في هذين الفيضانين وبلغ عمق الماء فيها في الغرق الأول ست أذرع وفي الغرق الثاني أكثر من أربع أذرع . وقد ذكر أن مجد الدين الفيروزأبادي مؤلف القاموس المتوفى سنة « ٨١٧ » هـ قد درس فيها .

وقد أنشئت في هذا العهد أيضاً المدرسة المعروفة بالتاجية للشافعية أيضاً وسميت بهذا الاسم نسبة الى تاج الملك وزير السلطان ملكشاه ولم يكن وزيراً بل موظفاً كبيراً أيام بنائه

إياها ، وكانت هذه المدرسة بالقرب من باب أبرز ملاصقة لمقبرة باب أبرز وقد تم إنشاؤها في حدود سنة ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م) .

ولما رأى الحنفية ما عزم عليه نظام الملك الشافعي الوزير من تأسيس المدارس النظامية في أمهات مدن الأقطار ولا سيما شروعه في بناء نظامية بغداد أسرع العميد شرف الملك أبو سعد المستوفي الى بغداد سنة « ٤٥٩ هـ » وجدد تربة الإمام أبي حنيفة وأنشأ مدرسة بإزائها وأنزلها الفقهاء أي طلاب الفقه ورتب لهم مدرساً وهو أبو طاهر إلياس بن ناصر الديلمي وكان موصوفاً بالصلاح وحسن الفهم ودقة الفكر . وقد توفي سنة « ٤٦١ هـ [1] » ، وقد ذكر سبط الجوزي أن العميد أبا سعد دخل بغداد في عاشر جمادى الأولى من سنة « ٤٥٩ » هـ وبرحها في يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة وبنى في هذه المدة التي أقام بها ببغداد على قبر أبي حنيفة — رضي — قبة عالية عظيمة وأنفق عليها أموالاً كثيرة وعمل لها مَلْبَناً وعلاه على مثال قبور آل أبي طالب في المشاهد ، وعمل بين يديه رواقاً وصحناً وجعله مشهداً كبيراً ، وعمل بإزائه مدرسة لأصحاب أبي حنيفة ورتب لهم مدرساً وأوقف عليهم ضيعةً يصرفُ مُغلُّها إليها وفعل في ذلك فعلة حسنة ولُقب « العميد شرف الملك » [2] . وإذ كان إفتتاح المدرسة النظامية ببغداد في يوم السبت عاشر ذي القعدة من سنة ٤٥٩ هـ [3] علمنا أن مدرسة الامام أبي حنيفة افتتحت قبلها بما لا يقل عن خمسة أشهر فهي أول مدرسة بالعراق بل ببغداد بالمعنى المفهوم من المدارس من سكنى الطلاب فيها والانفاق عليهم والعناية بهم .

وقد بنيت في هذا العصر « المدرسة البهائية » من المدارس الشافعية وكانت قريبة من

---

(١) المنتظم « ٨ : ٢٤٥ » والجواهر المضية في طبقات الحنفية « ١ : ١٦٣ » .

(٢) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ١٠٩ » .

(٣) المنتظم « ٨ : ٢٤٦ » .

المدرسة النظامية (1) . ولم نهتد الى منشئها سوى أن ظاهر اسمها يدل على أنه كان يلقب « بهاء الملك » على الأشهر . وهي غير مدرسة بهاء الدين ابن قاضي دقوقا التي بناها بباب الأزج على دجلة في أيام الحكم المغولي (2) .

وكانت قصور الخلفاء الواقعة جنوب المدرسة النظامية تشغل مع البساتين الملحقة بها مساحة واسعة من الأرض تمتد على ضفة دجلة الى مسافة زهاء كيلو متر واحد ، وقد سورت بسور على هيأة نصف دائرة ، ابتداؤه من ضفة دجلة جنوب محلة سوق الثلاثاء عند شريعة سوق السموءل وانتهاؤه إلى دجلة جنوباً عند شريعة المربعة الحالية أو نحوها ، وصارت تعرف هذه القصور وملحقاتها من إبنية وبساتين باسم « دار الخلافة » ، وكان فيها من القصور والدور « القصر الحسني » الذي يعد أصلاً لهذه الدار ثم « قصر الفردوس » و « قصر التاج » و « دار الشجرة » و « الدار المثمنة » وهي التي جلس فيها الطاغية هولاكو عند فتحه بغداد و « الدار المربعة » ، ودار الوزارة والدواوين وغيرها ، ويصف ابن الجوزي دار الخلافة بقوله « وهي بنفسها بلد » . وكانت مقابل دار الخلافة بساتين جميلة في الضفة الغربية من دجلة تعرف باسم بساتين الرقة ، وكانت من عادة الخلفاء الاستراحة والتنزه فيها عند عبورهم الى الجانب الغربي من المدينة . وكان للسور الذي يطوق هذه الدار تسعة أبواب رئيسة ، وهي من الشمال باب الغربة سمي بذلك لأن شجرة غرب كانت نابتة بالقرب منه . وكان قريباً من ضفة دجلة مجاوراً لمشرعة الابريين (شريعة سوق السموءل) . وكان قرب باب الغربة داخل الحريم قصران هما دار خاتون ودار السيدة ، وكانتا لابنة الخليفة المقتدي وقد دامت خلافته من سنة ٤٦٧ الى سنة ٤٨٧ (١٠٧٥ — ١٠٩٤ م) ، وقد شيد

---

(1) المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي « ١ : ١١٦ » .

(2) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ الورقة ٣٠٨ ، ٣٥٤ » وكتاب الحوادث المسمى غلطاً الحوادث الجامعة « ص ٤٦١ » .

المستنجد بالله ٥٥٥ — ٥٦٦ (١١٦٠ — ١١٧٠ م) فى محلها قصراً واسماً سمي بدار الريحانيين نسبة إلى سوق الريحانيين الواقع على مقربة من الدار ، وهو السوق الذي كانت تباع فيه الرياحين والفواكه . وكانت هذه الدار « ذات وجوه أربعة متقابلة ، وسعة صحنها ستمائة ذراع وفي وسطها بستان وفيها ما يزيد على ستين حجرة ينتهي آخرها إلى الباب المعروف بدركاه خاتون » . والظاهر أن الخلفاء كانوا فى عهدهم الأخير يقضون معظم أوقاتهم فى هذه الدار وبساتينها . وذكر أن المستعصم آخر الخلفاء العباسيين شيد دارين للكتب وراءها وضع فيها كتبه ولم يصبها ضرر فى الحصار المغولي .

ويسمى الباب الذي يلي باب الغربة « باب سوق التمر » و « الباب القائمي » وهو باب شاهق البناء لا يبعد كثيراً عن باب الغربة ، وكان الى جانب هذا الباب داخل الحريم قصر يعرف بالدار القطنية ، وكان هذا القصر يشرف على مشرعة الإبريين أي الذين يبيعون الإبرَ . وكان الباب الثالث على مسافة قليلة من باب الغربة وباب سوق التمر وكان يعرف باسم « باب بدر» أو « باب البدرية » نسبة الى بدر مملوك المعتضد وكانت دار بدر وسويقة بدرالىجانب هذا الباب من الخارج ، وبدر هذا هو الذي جدد بناء جامع المنصور فى بغداد الغربية ، وكان هذا الباب يسمى أولاً « باب الخاصة » لدخول الرجال الخاصين منه فى دار الخلافة ومنهم بدر الأمير المذكور . وكان على باب بدر منظرة أنشأها المستظهر بالله ٤٨٧ — ٥١٢ ه (١٠٩٤ — ١١١٨ م) تشرف على ساحة قصور الخلفاء وعلى سوق الريحانيين الواقع بالقرب من دار الريحانيين خارج السور . وكان فى السور الى الشرق من باب بدر بابان كبيران لدار الخلافة ، وهما باب النوبي وباب العامة ، وكان الأول يدعى بباب العتبة أيضاً فقدكانت فيه العتبة التي يقبلهاالرسل والأمراء والملوك ورؤساء الحجاج إذا قدموا بغداد . وكان هذا الباب فى بعض الأدوار باباً رئيساً للقصور ، ويقال إنه كان الباب الوحيد الذي بقي مفتوحاً فى حريم القصور فى عهد الخليفة المسترشد ٥١٢ — ٥٢٩ ه (١١١٨ —

١١٣٥ م) حين كان يحارب السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي وقد أمر ببناء سائر الأبواب أو إغلاقها . أما باب العامة فقد ورد ذكره كثيراً وكان يعرف بباب عمورية أيضاً ، ويقال إن المعتصم جلب أبوابه الحديد الضخمة من مدينة عمورية . وكان بين باب النوبي وباب العامة محال يسكنها عامة الناس ، وبين هذه المحال وبين دار الخلافة سور آخر فيه عدة أبواب منها باب الدوامات وباب عليان وباب الحرم وغير ذلك . ومن باب العامة يمتد سور الحريم مسافة ليس فيه إلا « باب النصر » وهو الباب الذي فتحه المسترشد بالله حينما كان يخرج للحرب تفاؤلاً بالظفر وباب الخاصة وهو الذي أخذ هذا الاسم بعد أن نسي إطلاقه على باب بدر كما ذكرنا ذلك ثم باب البستان قبل أن يصل السور الى الباب الذي يليه ، وهو الباب المسمى باب المراتب ، وكان بالقرب من ضفة النهر . وكانت في جوار باب المراتب محلة تدعى محلة باب المراتب تختص بالكبراء وأرباب المناصب . وفي هذه المسافة الطويلة بين باب العامة وباب المراتب باب البستان المقدم ذكره كانت عليه منظرة تشرف على موضع الضحايا حيث تذبح الذبائح في عيد الأضحى ، وتبدأ محلة المأمونية بالقرب من هذا الباب . وباب المراتب كثير الورود في كتب التاريخ قال فيه ياقوت وابن عبد الحق الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٩ هـ : « كان من أجل أبواب دار الخلافة وأشرفها ، له حاجب عظيم القدر ، نافذ الأمر ، داخله محلة كبيرة كان يسكنها الأكابر والتجار والأشراف ذوو البيوتات القديمة . وكانت الدور بها غالية لها قيمة . ثم باد أهلها وانتقلوا عنها . فاما الآن فلم يبق لها قيمة وأرادوا أهلها (كذا) بيعها فلم تشتر منهم فنقضوها وباعوا انقاضها » .

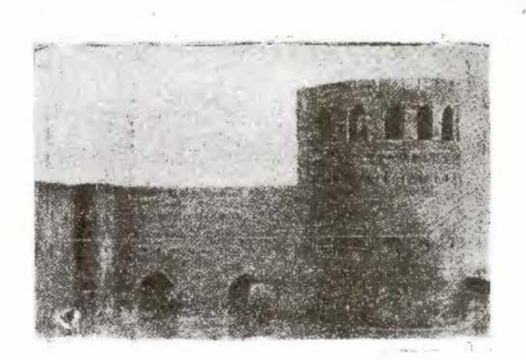
وكانت في دار الخلافة محلة تسمّى « القريّة » (وهي غير القرية التي في الجانب الغربي) ولعلها كانت في جوار سوق رأس القُريّة الحالي ومحلة رأس القُريّة الحالية . وكان في دار الخلافة شارع رئيس هو أعظم الشوارع وهو شارع دار الخلافة يمتد من باب الغربة الى باب

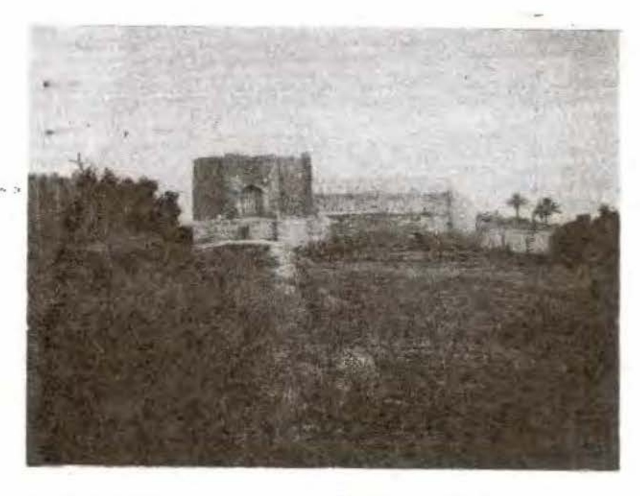
المراتب موازياً لنهر دجلة وهو الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر ، وعرف قبل اليوم بشارع النهر ، وكانت تتفرع من هـذا الشارع عدة طرق تؤدي الى أبواب الدار الأخرى كباب الأتراك وباب طراد وباب الرواق وباب الباتني .

أما تأريخ إنشاء سور دار الخلافة وهو غير سور الحريم فغير معلوم بالتحقيق إلا أن من المرجح أنه كان قد شرع فى إنشائه على عهد المعتضد وأتمه الخلفاء المتأخرون .

وقد أخذ العمران ينتشر فى المنطقة المتصلة بدار الخلافة فشيدت حولها أهم المحلات والأسواق والدور فكانت أصلاً لمدينة بغداد الرئيسة التي ظهرت فى العهد الأخير . وفى مستهل حكم الخليفة المستظهر ٤٨٧ — ٥١٢ هـ (١٠٩٤ — ١١١٨ م) بوشر إنشاء سور عظيم وخندق واسع يحيطان بهـذه المدينة الجديدة ويضمان داخلها دار الخلافة وسورها وجميع العمران الذي نشأ حولها . وكان الشروع فى إنشاء هـذا السور فى سـنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) فأنجز قسم يسير منه فى عهد المستظهر وأكمل إنشاؤه فى عهد خلفه المسترشد ٥١٢ — ٥٢٩ هـ (١١١٨ — ١١٣٥ م) ، ثم أنشئت مسناة حول خندقه فى عهد الخلفاء الذين عقبوا المسترشد ، وقد ظل هذا السور قائماً حتى أواخر القرن الثالث عشر للهجرة أي ما يقارب ثمانمائة عام .

وقد جعل للسور أربعة أبواب فسمي الباب الشمالي « باب السلطان » وهو طغرل بك وكان يقع هذا الباب عند باب المعظم الحالي فى جنوب جامع السلطان على مسافة قليلة منه ، وفى جنوبي هذا الباب كانت السوق المعروفة بسـوق السلطان المؤدية إلى سوق الثلاثاء . وسمي الباب الثاني « باب الظفرية » وكان يعرف أحياناً بباب خراسان ، وما زال هـذا الباب قائماً بقرب تربة الشيخ عمر السهروردي ، ويعرف اليوم باسم « الباب الوسطاني » وقد أنشئت فيه متحفة للاسلحة العتيقة . وكانت تقع فى مقابل هذا الباب من الغرب محلة الظفرية التي سميت بهذا الاسم أيضاً نسبة الى شخص يسمى ظفراً من مماليك الخلفاء





باب الظفرية « الباب الوسطاني »

مقابل الصفحة ١٦٠

العباسيين وكان هو صاحب القراح الواقع خارج هذه المحلة من جهة الغرب الشمالي (١) .

وسمي الباب الثالث « باب الحلبة » لقربه من ميدان السباق الذي كان في هذا الموضع قبل إنشاء السور ، وكان يجري في هذا الميدان لعب الصولجان أيضاً . وقد جدد الخليفة الناصر لدين الله أقساماً كثيرة من السور في أواخر القرن السادس للهجرة ثم جدد باب الحلبة في سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وأنشأ برجاً ضخماً فوق هذا الباب وقد عرف في العهد الأخير باسم « باب الطلسم » وقد أشارت الكتابة التي عليه الى اسم مشيده والسنة التي أنجز فيها ، وقد ورد ذكر هذا الباب كثيراً في أخبار الحصار المغولي ، ومنه دخل السلطان مراد الرابع العثماني عند ما فتح بغداد في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) وعلى هذا أطلق عليه اسم « برج الفتح » وقد رممه الوالي محمد باشا الخاصكي في سنة ١٠٦٨ هـ (١٦٥٧ م) على أثر تأكل أصابه من جراء الفيضان الكبير الذي حصل في سنة ١٠٦٧ هـ (١٦٥٦ م) ، وبقي هذا الباب قائماً الى سنة ١٩١٧م وفيها نسفه الأتراك بالبارود وذلك عند خروجهم من بغداد ، وموقعه في شرقي محلة باب الشيخ الحالية . ويوجد نموذج مجسم لبناية باب الطلسم هذا في متحف الآثار العربية في خان مرجان في الغرفة السادسة ، وقد صنع هذا النموذج استناداً الى الصور الشمسية الكثيرة المصورة له قبل سنة ١٩١٧ الميلادية ، المدرجة في كتب مختلفة ، ويرى الزائر الكتابة الآجرية التي كانت تؤلف نطاقاً طويلاً يحيط بالبرج من أعلاه من جميع جهاته (انظر صورة باب الطلسم) وهذا نصها : —

« بسم الله الرحمن الرحيم وإذ يرفع إبرهيم القواعد من البيت واسمعيل : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . هذا ما أمر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وحجة الله عز

---

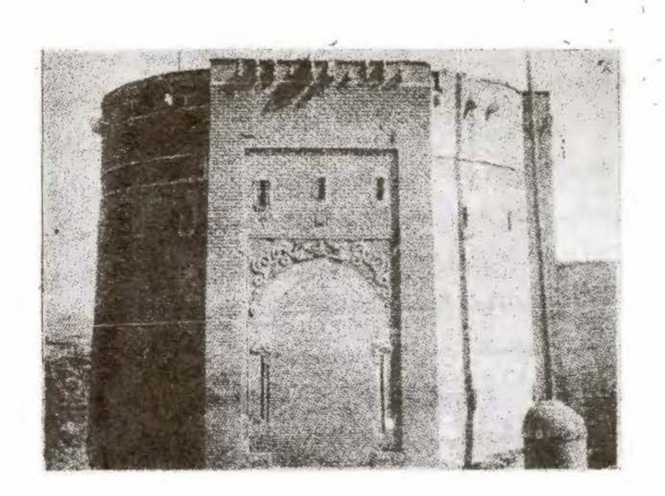
(١) يفسر ياقوت كلمة قراح بمعنى البستان في لغة أهل بغداد العامية ثم بعد أن أخذوا يشيدون الدور في البساتين صارت الكلمة بمرور الزمن تستعمل للدلالة على اسم المحلة الجديدة .

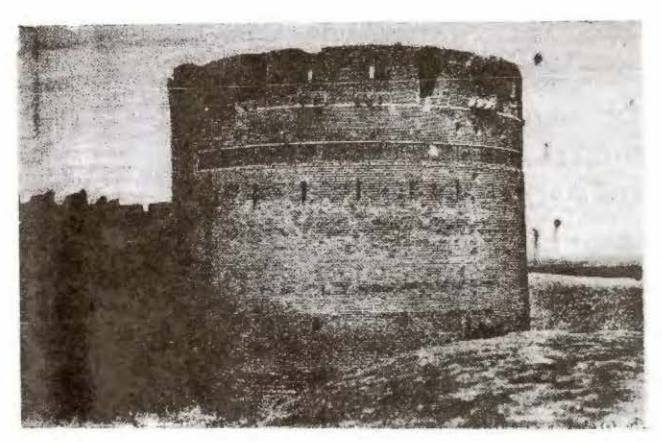
وجل على الخلق أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين ، ولا زالت دعوته الهاوية على يفاع الحق منارا ، والخلائق لها أتباعاً وأنصاراً ، وطاعته المفترضة للمؤمنين أسماعاً وأبصاراً ، وافق الفراغ في سنة ثمان عشر وستمائة (كذا) وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين » [1] .

وكان بالقرب من باب الحلبة في الزاوية الغربية الجنوبية من السور برج كبير ورد ذكره مراراً في أثناء الحصار المغولي باسم « برج العجمي » نسبة الى صوفي كان يختلف اليه ويأوي اليه لفقره وهو الشيخ الزاهد المشهور عبد القادر الجيلي المعروف بالكيلاني ، فقد كان أهل بغداد يسمونه « العجمي » قبل نبوغه واشتهاره . وصار يعرف في العهد الأخير باسم « تابية الزاوية » . وكان هولاكو قد أنحى قسماً من منجنيقاته على هذا البرج لضعفه ؛ وقد تمكن من هدمه والدخول منه ، وعلى أثر ذلك سقطت بغداد بيده . وكانت تقع داخل هذه الزاوية القطيعة المساة قطيعة العجم ، وصارت تعرف في العهد الأخير باسم « محلة القطيعة » وهي إحدى المحلات التي أنشئت على عهد المقتدي بالله . وسمي الباب الرابع « باب البصلية » وهو الباب الذي يقع قرب ضفة دجلة وكان يدعى « باب كلواذا » أيضاً لأن الطريق الذي يخرج منه يؤدي إلى قريـة كلواذا ، وفي جوار باب البصلية ، أنشئت محلة البصلية وهي إحدى المحلات الكبيرة التي ذكر ياقوت أن الخليفـة المقتدي أنشأها . وكان قد اتخذ أحد قواد المغول مقر معسكره بازاء باب كلواذا في أثناء الحصار المغولي ، والى خارج هذا الموضع جيء بالمستعصم آخر الخلفاء العباسيين بعد سقوط بغداد ثم لاقى حتفه عقيب ذلك . وموقع هذا الباب في محل « الباب الشرقي » الحالي ، وقد اتخذه الانكليز كنيسة لهم إلى أن نقضته أمانة العاصمة أيام استئمان أرشد العمري .

وقد وصف ابن الجوزي هذا السور قال : « خرج الوزير عميد الدولة أبو منصور محمد

(١) نيبور « رحلته ج ٢ ص ٢٣٩ من النسخة الفرنسية طبعـة أمستردام » . وماسينيون « بعثة الى العراق سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨ القسم الثاني ص ٤٧ — ٤٨ وفي نقل نيبور غلط .





باب الحلبة « باب الطلسم »

مقابل الصفحة ١٦٢

ابن جهير في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة فخط السور على الحريم وقلده ، وتقدم بجبايات المال الذي يحتاج إليه من عقارات الناس ودورهم ... وكان بناء السور مائة قامة ، فلم يزل كذلك حتى عزم المسترشد على بنائه في سنة سبع عشرة وخمسمائة فتقدم بجباية العقار الذي للناس فحصل منه مال كثير ، فضج الناس فأعيد عليهم وأنفق عليه من ماله ... وجعل للسور أربعة أبواب ، وعرضه اثنان وعشرون ذراعاً ، ثم إن دجلة زادت زيادة عظيمة في سنة أربع وخمسين [وخمسمائة] في خلافة المقتفي لأمر الله وانفتح القورج وأحاط الماء بالسور وانثلمت منه ثلم عجزوا عن سدها ، فانسمت فتهدم معظم محال بغداد فتقدم المقتفي بعمل مسناة حول السور فعمل بعضها وتوفي . وولي المستنجد فعملوا منها قطعة وتوفي . وولي المستضيء فعمل بمقدار ما عمل في زمن الخليفتين »[1]. وقد وصف المؤرخون السور في العهد الذي يلي الحصار المغولي فقالوا انه كان مبنياً بالآجر والخندق مرصوف بهذه الحجارة أيضاً ، ويمتد السور على هيأة نصف دائرة طولها ١٨٠٠٠ خطوة من ضفة دجلة فوق المدينة إلى ضفة دجلة ثانية ، تحت المحلات الجنوبية ، وقد وصف الخندق بكونه خارج السور وعميقاً جداً يتصل بدجلة من فوق في بداية السور ومن أسفل في نهايته .

وقد شهدت بغداد ثلاثة حصارات في دور السلاجقة ، أولها وقع في سنة ٥٣٠ هـ . (١١٣٦ م) في عهد الخليفة الراشد منصور ، والثاني حدث بعد أثنتين وعشرين سنة أي في سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) وذلك في عهد الخليفة محمد المقتفي لأمر الله ، وكان أمد الحصار الأول قصيراً ، فلم يدم أكثر من شهرين ، وقد انتهى بفرار الخليفة إلى الموصل ودعي مجلس قضائي مجبر وأوعز اليه بعزله عن الخلافة فعزله ، وبويع بعده عمه محمد المقتفي لأمر الله . وكان قد قام بهذا الحصار السلطان مسعود السلجوقي : ضرب حصاراً تاماً على المدينة بعد أن أمده عامل واسط عماد الدين زنكي مؤسس الامارة الأتابكية بالموصل بقوات بطريق النهر

---

(١) مختصر مناقب بغداد « ص ١٩ » . وتتمة الخبر في المنتظم « ٩ : ٢٤٣ » .

سدت على جيش الخليفة أبواب النجاة . والحصار الثاني سنة « ٥٤٣ » فقد حاصرها جماعة من قواد السلطان مسعود الخارجين عليه وجرت حول بغداد حرب طالت مرتها [1] . وأما الحصار الثالث فقد وقع على عهد محمد المقتفي لأمر الله وذلك لتوتر الملاقات بينه وبين السلطان محمد الثاني السلجوقي الذي خلف السلطان مسعوداً في الحكم . وقد دام هذا الحصار أكثر من ثلاثة أشهر ، وكانت خاتمته خيبة السلطان محمد واضطراره الى التراجع ، لان الخليفة كان قد اتخذ كل الاحتياطات الدفاعية فاحتمى ببغداد الشرقية حيث جمع كثيراً من الذخيرة والمؤن والأسلحة ، ونصب المجانيق على أسوار المدينة ووزع جيشه فى المسالح لحمايتها ، وكذلك وضعت المجانيق فى السفن لحراسة نهر دجلة بعد أن رفعت الجسور . وقد تحصن السلطان محمد فى دار سلطنة السلاجقة فى أعلى بغداد الشرقية ، ونصب جسراً جديداً عندها ، ليسهل الاتصال بين قسمي جيشه على ضفتي النهر . وعلى الرغم من إمداد عامل الموصل له شعر باخفاقه ، ولما يئس من الانتصار رفع الحصار وتراجع سالكاً طريق خراسان الى همذان . ولما عرف أهل بغداد بتسحب الجيش عن المدينة خرجوا منها واندفعوا إلى أطرافها ونهبوا ما فى دار السلطنة السلجوقية ، وحطموا أبوابها ، وأشعلوا النار فى مرافقها فالتهمت مافيها من أثاث ومتاع ، وحاولوا أن يقطعوا أسباب الاتصال بين جند السلطان وبقية جيشه الذي كان لايزال فى بغداد الغربية الا أن ذلك لم يمنع السلطان محمداً من النجاة .

وفى هذا العصر أنشئت عدة محلات وعدة بنايات منها «المحلة المقتدية» نسبة الى المقتدي بأمر الله وهي محلة التوراة الحديثة ، و«المحلة الجعفرية» نسبة الى جعفر بن المقتدي بأمر الله وكانت فى موضع محلة تحت التكية ويمكن أن يقال ان المحلتين كانتا فى موضعي المحلتين الجديدتين ، لصعوبة تحديد المحلات العتيقة ، و « محلة الأجمة » وكانت فى محلة خان اللاوند و « محلة الحلبة » وهي باب الشيخ و « خربة ابن جردة » وهي داخلة فى محلة قنبر علي

---

(١) المنتظم « ١٠ : ١٣١ » وحوادث سنة ٥٤٣ هـ من الكامل .

و « درب القيار » و« خربة الهراس » و« الخاتونية الداخلة » و « البصلية » المقدم ذكرها و « القطيعة » قطيعة العجم المذكورة سابقاً ، وأنشئت «المدرسة الموفقية » وكانت في أرض القشلة الحالية من الجنوب و« المدرسة التُتُشية » وكانت في موضع جامع الوزير بجوار طرف جسر المأمون الشرقي الحالي، و« المدرسة المغيثية» و« المارستان التتشي» بباب الأزج «ومدرسة الأمير سعادة » على دجلة وكانت في موضع المحاكم المدنية ، و« رباط أرجوان» وكان بدرب زاخا ، والظاهر أنه كان في موضع الأكمكخانة في شارع المتنبي الحالي وهو منسوب الى السيدة أرجوان الأرمنية والدة الخليفة المقتدي بأمر الله ، قال ياقوت في المدرسة التتشية والمارستان التتشي : « تُتُش : التاءان مضمومتان والشين معجمة وهو اسم رجل تنسب اليه مواضع ببغداد وهي سوق قرب المدرسة النظامية [1] يقال له العقار التُتُشي ومدرسة بالقرب منه لأصحاب أبي حنيفة يقال لها التُتُشية وبيمارستان بباب الأزج يقال له التتشي والجميع منسوب الى خادم [أي مملوك] يقال له خمارتكين كان للملك تتش بن ألب أرسلان بن داود بن سلجوق ، قالوا : وكان ثمن خمارتكين هذا في أول شرائه حملاً ملحاً ، وعظم قدره عند السلطان محمد بن ملكشاه ونفذ أمره وكثرت أمواله وبنى ما بناه مما ذكرناه في بغداد وبنى بين الري وسمنان رباطاً عظيماً لنفع الحاج والسابلة وغيرهم ، وأمضى السلطان محمد ذلك كله ، وجميع ما ذكرناه موجود معمور الآن جار على أحسن نظام ، عليه الوكلاء يجبون أمواله ويصرفونها في وجوهها ، ومات خمارتكين هذا في رابع صفر سنة ٥٠٨ » [2] .

وإنما قيل لهذه المباني « التتشية » لأن بانيها كان من مماليك السلطان تتش والعادة أن ينسب ما المملوك الى سيده كما نسب هو إليه .

---

(١) هو السوق المؤدي الى سوق السراي وفيه القندرجية وقسم من البزازين والمغازيين .

(٢) معجم البلدان في مادة « تتش » . وتفصيل الكلام على المدرسة التتشية في مقالة لأحد المؤلفين الدكتور مصطفى جواد في مجلة « الثقافة الاسلامية البغدادية ج ٨ مج ٣ ص ٧ وما بعدها » سنة ١٩٥٨ .

الفصل السابع

بغداد في آخر العهد العباسي

٥٥٢ — ٦٥٦ هـ (١١٥٧ — ١٢٥٨ م)

بغداد بعد العهد السلجوقي — وصف ابن جبير للمدينة في سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) — وصفه للجانب الغربي — قبر عون ومعين وقبة الست زبيدة — وصفه للجانب الشرقي — دار الخلافة — السور الكبير وأبوابه — المدرسة النظامية — دار الشيخ جمال الدين بن علي الجوزي — الجوامع الثلاثة — تربة الخلفاء ومحلة أبي حنيفة — عمارات بغداد خارج السور الكبير — المحلات والشوارع داخل السور الكبير — مشهد الشيخ عبد القادر الكيلاني — المدرسة المستنصرية — الكتابات على جدران بناية المستنصرية — سور الرصافة — تجديد جامع الخليفة — جسر حربي ونهر دجيل — معركة نهر دجيل في غربي بغداد بين قسم من جيش هولاكو وجند المستعصم — القصر العباسي ودار المسناة — جامع الخفافين (مسجد الخظائر) — جامع قمرية — تربة حبيب العجمي — جسر مشرعة الروايا — جسر سوق الثلاثاء — جسر باب القرية .

يتضح مما قدمنا أن مدينة بغداد تقلصت من حيث سعة مساحتها فانحصر معظم عمرانها في آخر العهد السلجوقي في القسم الشرقي من المدينة الواقع داخل السور الكبير ذي الأبواب الأربعة الذي كان قد شرع المستظهر في إنشائه في سنة ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) وأتمه المسترشد بعده ، واصابته عدة تخريبات ثم جدد أكثره الخليفة الناصر لدين الله . وكان هذا السور يضم دار الخلافة وأهم محلات بغداد الشرقية وأسواقها ودورها القائمة حول الدار المذكورة ، وقد وصف ياقوت

دار الخلافة فى زمنه بأنها كانت تشغل ثلث المدينة التي داخل السور الكبير . ولم يمض زمن طويل على انتهاء الدور السلجوقي حتى تهدمت أكثر المحلات الشمالية القديمة فى بغداد الشرقية عدا الربض الخارجي الذي يحيط بمشهد أبي حنيفة وجامع الرصافة الشهير ، وتهدمت أكثر المحلات والعمارات فى الجانب الغربي من المدينة بحيث أصبح جامع المنصور فى جانب باب البصرة بعد أن كان وسط العمارة . وقد تهدمت أيضاً قصور بني بويه والسلاجقة ثم أزال ما بقي منها الخليفة الناصر لدين الله فأمر فى سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧ م) بدك ما ثبت منها وتسويته مع سطح الأرض. وقد ذكر ياقوت الحموي فى « المخرّم » من المعجم نقض الناصر لدين السلطنة السلجوقية إلا أن الرقم « ٣ » فى الآحاد تصحف الى « ٧ » فتأخر وقت النقض عن تاريخه أربع سنوات ، ونقله كذلك المستشرق كاي لسترنج فغلط ، مع أن المؤرخين كابن الأثير وغيره مجمعون على أن النقض كان فى سنة « ٥٨٣ هـ » .

إن أحسن وصف للمدينة فى هذا العهد الأخير هو وصف ابن جبير الذي دونه فى رحلته عند زيارته لبغداد فى شهر صفر من سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ، فذكر أنه كان فى الجانب الغربي سبع عشرة محلة وكبرياتها محلات القُرَيّة والكرخ وباب البصرة والشارع ، وقد نزل فى محلة القريّة فى موضع منها سماه بالمربعة وهي واقعة على ضفة دجلة ، والظاهر أنها مربعة القطانين التي ذكرنا قربها من أحد الجسور ، وقد استعرض وضع هذا الجانب بقوله :—

« أما الجانب الغربي فقد عمه الخراب واستولى عليه ... لكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة محلة ، كل محلة منها مدينة مستقلة ، وفى كل واحد منها الحمامات ، وصلاة الجمعة فى ثمان منها ، وأكبرها القُرَيَّة وهي التي نزلنا فيها بربض منها يعرف بالمربَّعَة على شط دجلة بمقربة من الجسر ... ثم الكرخ وهي مدينة مسوّرة ، ثم محلة باب البصرة وهي أيضاً مدينة وبها جامع المنصور رحمه الله وهو جامع كبير عتيق البنيان ثم الشارع وهي أيضاً مدينة فهذه الأربع أكبر المحلات . وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان وهي

مدينة صغيرة فيها المارستان [العضدي] الشهير ببغداد وهو على دجلة ... وأسماء سائر المحلات يطول ذكرها ... ومن أسماء المحلات العَتابيّة ومنها الحربية وهي أعلاها »[1].

وأهم المواقع التي ذكرها ابن جبير في هذا الجانب قبر معروف الكرخي ـ رض ـ وقبر الامام موسى بن جعفر (ع) وقد ذكر أيضاً أنه شاهد في الطريق الى باب البصرة مشهداً شاهق البنيان داخله قبر كتب عليه « هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) » ويذكر كاي لسترنج أن الأرجح هو أن القبر المسمى اليوم بقبة الست زبيدة ، الواقع بالقرب من مقبرة الشيخ معروف ، هو البناء الذي وصفه ابن جبير ونسبه الى عون ومعين . وهذا خطأ مُبين منه ، لأن ابن جبير شاهد ذلك المشهد في الطريق الى باب البصرة ، وإذ كان مقيماً في المربعة من القرية على ضفة دجلة على مقربة من الجسر كان من المستحيل أن يرى قبة الست زبيدة « قبة زمرد خاتون » في ذهابه الى محلة باب البصرة ، لأن المربعة المذكورة هي في الراجح مربعة القطانين ، وكانت في الموضع الذي فيه محطة ترامواي الكاظمية ، قرب مدرسة الكرخ الثانوية الحالية ، فاذا خرج منها الخارج متوجهاً الى باب البصرة سلك حتماً الطريق الحالي الممتد قرب دجلة من محلة الشيخ بشار فالسوق الجديد فمحلة خضر الياس فالجعيفر ومنه يتجه الى محلة باب البصرة وكانت فوق المنطقة الحالية ، ولا يمكن للسالك هذا الطريق أن يمر بقبة الست « زمرد خاتون » أبداً لأنها على مسافة بعيدة في الغرب الجنوبي ، ويؤيد ذلك أن قبر عون ومعين كان على مقربة من تربة « سلجوقي خاتون » الاخلاطية السلجوقية زوجة الناصر لدين الله على ضفة دجلة ، قال تاج الدين بن الساعي في حوادث سنة « ٦٠٥ هـ » : « في المحرم منها تقدم الامام الناصر لدين الله ـ رض ـ ببناء دار الضيافة لوفد الله تعالى بالجانب الغربي ، فبنيت على دجلة بالقرب من تربة الجهة الشريفة السلجوقية مجاور مشهد عون ومعين وتكامل بناؤها في آخره[2] » .

وقال ياقوت الحموي في ترجمة أبي طالب المبارك بن المبارك الكرخي الشافعي المتوفى سنة

---

(١) رحلة ابن جبير « ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ طبعة دي غويه ، في ليدن .

(٢) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير « ج ٩ : ٢٥٩ » .

« ٥٨٥ هـ » : « وأضيف اليه التقدم بالرباط الجديد المجاور لتربة الجهة الشريفة السلجوقية المعروف بالاخلاطية عند مشهد عون ومعين بالجانب الغربي ... ودفن بتربة الجهة السلجوقية المجاورة للرباط [١] » . وقد أدرك تربة سلجوقي خاتون الرحالة نيبور سنة « ١٧٦٦ م» وجماعة من بعده ، ولم يعرفها نيبور وإنما نسبها الى والد سلجوقي خاتون : قليج أرسلان الثاني السلجوقي لعفاء اسم السيدة المذكورة وبقاء اسم والدها على بعض جدران التربة ، قال: « إن الملك قليج أرسلان ابن الملك مسعود السلجوقي قد بنى فى سنة ٥٨٤ هـ رباطاً للدراويش البكتاشية وهو اليوم عمارة عتيقة شاهقة ، على مدخلها كتابة أصابها كثير من التلف وبقي منها (... الملك العادل قليج أرصلان ابن الملك مسعود بن العادل قلج أرصلان من طائفة سلجوق وذلك فى سنة أربع وثمانين وخمسمائة [٢] ، وآيات من القرآن » . والصحيح الذي هو الأصل « سلجوقي خاتون بنت الملك العادل ... » . وقال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٨٤ هـ : « وفيها توفيت سلجوقة خاتون بنت قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان زوجة الخليفة [الناصر لدين الله] ... ووجد الخليفة عليها وجداً عظيماً ظهر للناس كلهم وبنى على قبرها تربة بالجانب الغربي والى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة [٣] » .

وادعى ابن بطوطة أنه شاهد المشهد أيضاً فى سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) فقال : « وبطريق باب البصرة مشهد حافل البناء فى داخله قبر متسع السنام عليه مكتوب : هذا قبر عون من أولاد علي ابن أبي طالب [٥] » والظاهر لنا أنه نسخ ما ذكره ابن جبير فى رحلته كما فعل فى كثير من الأخبار بدلالة تشابه النصين والوصفين. والشائع عند الناس اليوم أن القبر الذي فى القبة المذكورة هو قبر زبيدة زوج هرون الرشيد ، وكان أول من وصفه باسم قبر السيدة زبيدة السائح نيبور

---

(١) معجم الأدباء « ٦ : ٢٣٠ ، ٢٣١ طبعة مرغليوث » .

(٢) رحلة نيبور « النسخة الفرنسية ج ٢ س ٢٤٤ » من الطبعة المقدم ذكرها .

(٣) الكامل في حوادث سنة ٥٨٤ هـ .

(٤) رحلة ابن بطوطة « ١ : ١٤١ » .

المذكور فقد زار بغداد في سنة ١١٨٠ هـ (١٧٦٦م) ، كما ذكرنا آنفاً . وقد ذكر هذا السائح نص الكتابة التي على القبر المؤيدة لقوله ، إلاّ أن التحقيق يثبت خلاف ذلك لأن السيدة زبيدة زوج الرشيد دفنت في مقابر قريش أي مشهد الكاظمية وذلك حسب أقوال بعض المؤرخين فقد قال ابن الاثير في ذكر الفتنة التي وقعت بين العامة ببغداد وإحراق مشهد الكاظمية في سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) ما هذا نصه : « وأحرقوا جميع الترب والآزاج واحترق ضريح موسى وضريح ابن ابنه محمد بن علي الجواد والقبتان الساج اللتان عليهما ، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بني بويه ، معز الدولة وجلال الدولة ، ومن قبور الوزراء والرؤساء ، وقبر جعفر بن أبي جعفر المنصور ، وقبر الأمين محمد بن الرشيد وقبر أمه زبيدة وجرى من الأمر الفظيع ما لم يجر في الدنيا مثله . » وذكر بعضهم أن الامام أبا يوسف القاضي دفن بمقابر قريش قريباً من قبر زبيدة ، وهذا من التعريف بالأشهر لأن الامام أبا يوسف توفي قبل زبيدة ولكن زبيدة اشتهر قبرها أكثر منه فصار المؤرخون يعرفون القبور بوساطته . ولو لم يكن قبرها مشهوراً تلك الشهرة ما صح قولهم . وعلى هذا فقد ذهب أحد مؤلفي الكتاب وهو الدكتور مصطفى جواد الى أن القبة المعروفة اليوم بقبة الست زبيـــدة التي نسبها بعض الفضلاء الى زبيدة زوج هرون الرشيد هي تربة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الخليفة الناصر لدين الله المتوفاة سنة ٥٩٩هـ (١٢٠٢ م) بتصريح عدة من المؤرخين مثل ابن المظفر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وابن الأثير في كامل التواريخ وابن الدبيثي في تاريخ بغداد والذهبي في تاريخ الاسلام الكبير والصفدي في الوافي بالوفيات ، ومن الباحثين من ذهب الى أن القبر الذي في القبة المذكورة هو قبر زبيدة خاتون ابنة السلطان بركيارق زوجـــة السلطان مسعود ابن السلطان محمد بن ملكشاه المتوفاة سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) مع أنها دفنت في همذان كما جاء في التاريخ المنتظم لابن الجوزي « ١٠ : ٧٤» . ومنهم من قال إنَّ هذه التربة هي لزبيدة بنت هارون الجويني زوجة ظهير الدين محمد بن الحسن

المدرسة المستنصرية « الجبهة المطلة على دجلة »

مقابل الصفحة ١٨٠

ابن عبد الرحمن بن محاسن الحنبلي الصرصري معتمداً على تشابه الاسمين . ولما كان الرأي الذي أبداه الدكتور مصطفى جواد مدعوماً بنصوص تاريخية لا تقبل الشك لم يكن بدٌّ من الأخذ به حتى يعثر على ما يثبت خلافه [١] . وكان السيد محمد سعيد الراوي يذهب الى هذا الرأي أيضاً كما جاء في مقالاته ، وتشاهد هذه القبة في صورة بغداد التي صورها الأستاذ المطراقي زاده بعد دخول السلطان سليمان القانوني لمدينة بغداد سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) [٢] ولا صلة لتربة زمرد خاتون هذه بمسجد الجنائز الملاصق لقبر الشيخ معروف الكرخي القائمة منارته الى اليوم ، وقد قدمنا الاشارة اليه : قال أبو الفرج الجوزي في وفيات سنة « ٥٢٥ هـ » في ترجمة أبي غالب محمد بن الحسن الماوردي البصري المحدث الرحالة الوراق : « توفي في رمضان هذه السنة ودفن على باب مسجد الجنائز بقرب قبر معروف على الطريق [٣] » . ولعله مسجد الدير الذي ذكر الخطيب البغدادي في ترجمة أبي بكر أحمد بن إسحاق البندار ، قال « كان ثقة ينزل في العقبة بالقرب من أصحاب الساج ، توفي ... وصلي عليه في مسجد الدير وذلك لعشرين ليلة خلت من ذي الحجة من سنه خمس وثلاثمائة [٤] » . وذلك لأن مقبرة معروف الكرخي كانت تسمّى مقبرة باب الدير كما تقدم ذكره .

وذكره ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٧ هـ قال في وفاة أبي عبدالله محمد البلخي الزاهد : « شيخ صالح عابد ساكن بالجانب الغربي في مسجد مجاور لقبر معروف الكرخي رحمة الله عليه » . « الجامع المختصر ٩ : ٥٤ » . وقال ابن الدبيثي في ترجمة عبد الخالق بن عبدالوهاب

---

(١) راجع « العمارات الاسلامية العتيقة » لأحد مؤلفي الكتاب الدكتور مصطفى جواد ، مجلة سومر الجزء الأول كانون الثاني سنة ١٩٤٧ .

(٢) راجع صورة بغداد للمطراقي زاده في أطلس بغداد لأحد المؤلفين الدكتور أحمد سوسه ص ١٢ .

(٣) المنتظم « ١٠ : ٢٣ » .

(٤) تاريخ بغداد « ٤ : ٣٦ » .

ابن الصابوني المحدث المتوفي سنة ٥٩٢ : « ودفن يوم الاثنين عند أبيه بالجانب الغربي بمقبرة معروف بباب مسجد الجنائز وقد نيف على الثمانين » ، « تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية باريس ٥٩٢٢ الورقة ١٥٢ » .

والعقبة الوارد ذكرها آنفاً هي من محلة الشيخ بشار الى محلة الشيخ صندل الحاليتين .

وأصحاب الساج هم باعة الخشب الساج وكانت حظائرهم عند مشرعة الساج التي هي على تقديرنا مشرعة بيت النواب بالجانب الغربي من بغداد ، استدللنا على ذلك بما ذكره الخطيب في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن بشار الزاهد المتوفى سنة « ٣١١ » نقلاً عن هلال بن الصابي قال : « مات أبو الحسن بن بشار الزاهد يوم الجمعة لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة ، قلت [أي الخطيب] : ودفن بالعقبة قريباً من التحمي (كذا في المطبوع والصواب النجمي) وقبره الى الآن ظاهر معروف يتبرك الناس بزيارته » . « تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٦٧ » . وزاد ابن الجوزي « ودفن يوم الخميس بمشرعة الساج من الجانب الغربي ببغداد وقبره اليوم ظاهر يتبرك به » . « المنتظم ٦ : ١٩٨ ، ١٩٩ » ، ومعلوم أن محلة الشيخ بشار الحالية منسوبة الى بشار المذكور ، وقبره كان معروفاً هناك الى أن فتح الشارع الجديد بين رأس الجسر ومحلة السوق الجديد ، فمر عليه ، فنقل رفاته الى مقبرة معروف الكرخي .

أما الجانب الشرقي من المدينة وهو الجانب العامر في ذلك الوقت سماه ابن جبير « الشرقية » وذكر أن أهم ما فيه دار الخلافة وفيها المناظر والقصور الرائقة والبساتين الأنيقة فيؤلف الربع من الشرقية أو أزيد ، ثم وصف السور الكبير وأبوابه الأربعة ذاكراً أسماءها ، ومن جملة ما ذكره أن عدد المدارس في بغداد يبلغ ثلاثين مدرسة ، كما أشرنا إليه ، وهي كلها بالشرقية وأعظمها وأشهرها المدرسة النظامية ، وقد وصف مجلساً شاهده فيها

للشيخ رضي الدين أبي الخير أحمد بن اسماعيل[1] القزويني رئيس الشافعية ، وفقيه المدرسة النظامية إثر صلاة العصر من يوم الجمعة ، وبعـــد أن وصف القراء وتلاحينهم ونغماتهم استرسل فى وصف خطبة الشيخ وأجوبته عن المسائل التي وجهت اليه ، ووصف مجلساً آخر للشيخ نفسه بالمدرسة أيضاً حضره فى يوم الجمعة الثاني . ثم ذكر أنه زار الشيخ جمال الدين أبا الفضائل عبد الرحمن بن علي الجوزي رئيس الحنبلية وشهد مجلسه بإزاء داره على الشط المتصلة بقصور الخليفة وبمقربة من باب البصلية آخر أبواب السور من الجنوب وقد نسب ابن جبير الدار اليه وهو لا يعلم أنها دار المدرسة الشاطئية التي أوقفتها السيدة بنفشا الحنبلية حظية المستضيء بأمر الله المتوفاة سنة ٥٩٨ المدفونة مع زمرد خاتون فى القبة المقدمة ذكرها بجوار الشيخ معروف الكرخي ، فقد ذكر هذه المدرسة ابن الجوزي نفسه فى المنتظم وسبطه في مرآة الزمان ، وذكر ابن الجوزي أنها أسندت اليه ليدرس فيها . وكان لكل مدرسة دار يسكنها المدرس ، فكان هو ساكناً فى دار المدرسة المذكورة أيام دخول ابن جبير بغداد . وقد شاهد مجلساً ثانياً له بباب بدر المقدم ذكره ، فى ساحة قصور الخلفاء ، وكانت مناظر الخليفة مشرفة عليها ، وحضر له مجلساً ثالثاً بإزاء الدار المذكورة .

ومن المباني الرئيسة التي ذكرها ابن جبير فى الجانب الشرقي من المدينـة الجوامع الثلاثة الكبيرة التي كان يجمع فيها ، وهي جامع الخليفة وجامع السلطان وجامع الرصافة ، وقد ذكر أيضاً تربة الخلفاء ومحلة أبي حنيفة بالرصافة . وقد شاهد ابن جبير الخليفة أبا العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء ، وكان ابن جبير يقيم بمقربـة من منظرته في الجـانب الغربي ، شـــاهده وهو ينحدر من منظرته هذه صاعداً فى الزورق الى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط ، وهو دار المسناة التي تسمى اليوم القصر العباسي داخل القلعة العتيقة بلصق مجلس النواب . وقد وصف ابن جبير من الجانب الشرقي القسم الواقع خارج السور الكبير فسماه « المدينة العتيقة » وقال إنه « ذهب أكثر رسمها ولم يبق منها الا

(١) راجع المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد « ١ : ١٥٤ » .

شهير أسمها وهي كالطلل الدارس والأثر الطامس أو تمثال الخيال الشاخص » . وهذه مبالغة أديب ، لأن وصفه لعدل الخليفة الناصر لدين الله واستسماد الأمة في عهده لا يناسبان أن تكون تلك الجهة كالطلل الدارس والأثر الطامس ، ثم إنه قد ذكر أن الجانب الغربي مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة محلة كل منها مدينة مستقلة ، فان كان ذلك جانب الخراب منها فما ظنك بجانب العمارة الشرقي ؟

وكانت أهم محلة من المحلات المحيطة بدار الخلافة داخل السور الكبير «محلة سوق الثلاثاء» التي كان فيها أعظم سوق فى الجانب الشرقي ، وقد أصبحت فى هذا العهد الأخير المركز التجاري الرئيس لبغداد وهى اليوم محلة باب الأغا من الجانب الشرقي وجديد حسن باشا ، وفيها سوق الصفارين وسوق البزازين الكبير وسوق الكبابجية وسوق الكمرك العتيق وسوق الهرج ، وقد ذكرنا أن منها دار مؤنس المظفر الواسعة التي منها المدرسة النظامية ، ورباط بهروز المعروف برباط الدرجة الذي جعل دار شفاء أيام آل جلاير والمدرسة البهائية التي بنيت فى موضعها وما حولها القلندرخانة في أيامهم ، ورباط شيخ الشيوخ الذي هو خان الباجه جي الحالي ، وهو مجاور للقلندرخانة على التعيين الذي ذكرناه أو داخل فيها ، وفى هذه المحلة درب دينار الذي ذكرنا أنه شارع المأمون الحالي والمدرسة المستنصرية ودار القرآن المستنصرية التي هي الجامع الآصفي ومسجد الشريف الزيدي الذي هو الجامع القبلاني الحالي ، قال سبط الجوزي فى وفيات سنة (٥٧٥ هـ) : « وفيها توفي علي بن أحمد بن محمد ... أبو الحسن العلوي الزيدي ، ولد سنة ٥٢٩ وسمع الحديث الكثير ، ولما عاد عضد الدين بن رئيس الرؤساء الى الوزارة بعث اليه بألف دينار وكتب الى المستضيء يقول : إني نذرتُ إن عدت الى الوزارة بعثت الى الشريف [الزيدي] بألف دينار. فقال : وأنا أحمل إليه ألف دينار ، فحمل الجميع اليه فلم يتصرف بها واشترى بها داراً بدرب دينار الصغير ، وبناها مسجداً واشترى بباقي

الذهب كتباً ووقفها في المسجد ينتفع الناس بها وهي باقية هلم جراً [سنة ٦٥٤] وكانت وفاته في شوال ودفن في المسجد المذكور ، سمع أباالفضل بن ناصر وغيره ، وكان سيداً جليلاً نبيلاً زاهداً ورعاً »[1]. وقال ابن الدبيثي : « وقف الزيدي كتبه قبل موته على المسلمين كافة وجعلها في موضع مسجده الذي كان يؤمّ فيه الناس في أوقات الصلوات بدار دينار الصغير بسوق الثلاثاء من شرقي بغداد وشركه فيه رفيقه صبيح بن عبدالله عتيق نصر بن المطارفي وقفه لها أيضاً ، وكانت كثيرة انتفع الناس بها ... وتوفي ... بمنزله المجاور لمسجده ودفن فيه[2] ... » .

والظاهر أن قبره هو القبر الذي نسبه مَن لاعلم له بخطط بغداد الى علي بن محمد السمري بسوق الهرج قرب باب المدرسة المستنصرية ، وهو داخل في المسجد القبلاني الحالي . وظنه بعضهم قبر الشيخ الفقيه أحمد القدوري الحنفي ، وكلا الرجلين الأخيرين مدفون في الجانب الغربي من بغداد .

ويبتديء طريق عام من آخر سوق الثلاثاء الجنوبي متجهاً نحو سور دار الخلافة حتى إذا ما وصل الى جوار باب بدر على سور الحريم اخترق سوق الريحانيين وانعطف من هنالك متجهاً نحو رحبة جامع القصر الكبير ، ومن شرقي الجامع يتشعب الى طريقين أحدهما يسير نحو الشمال نحو مقبرة باب أبرز ، وهو الباب القديم على سور المستعين ، والثاني يتجه الى الجنوب نحو باب البصلية أي باب كلواذا الذي يمر منه الطريق إلى كلواذا . وكان الطريق الشمالي يعرف بالشارع الأعظم فيمتد من الجنوب من محلة المأمونية ومحلة باب الأزج ويخترق المحلة المسماة قراح ابن رزين ، تاركاً إلى يساره محلتي المقتدية والمختارة حتى إذا ما وصل الى جوار باب أبرز والمدرسة التاجية انعطف من أمام المحلة المسماة قراح ظفر نحو الغرب متجهاً نحو قراح ظفر ، ويتصل بالشارع الأعظم الممتد شرقي الرصافة ، وقد وصف هذا الطريق ياقوت الحموي في مادة « قراح » من معجم البلدان وصفاً جميلاً مفيداً يدل على

(١) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٣٥٦ طبعة حيدر أباد » .

(١) تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٢١٢ » .

أنه مشى فيه غير مرة أيام إقامته ببغداد قال : «المراد بالقراح هاهنا اصطلاح بغدادي فانهم يسمون البستان قراحاً . وفي بغداد عدة محال عامرة الآن آهلة يقال لكل واحدة منها قراح إلا أنها تضاف الى رجل تعرف باسمه ، كانت قديماً بساتين ثم دخلت في عمارة بغداد وهي متقاربة منها (قراح ابن رزين) بتقديم الراء على الزاي وهو اسم رجل، وهي أقرب هذه المحال المسماة بهذا الاسم الى وسط البلد وذلك أنك تخرج من رحبة[1] جامع القصر مشرقاً حتى تتجاوز عقد المصطنع[2] وهو باب عظيم في وسط المدينة فهناك طريقان أحدهما يأخذ ذات اليمين الى ناحية المأمونية[3] ، وباب الأزج[4] والآخر يأخذ ذات الشمال مقدار رمية سهم الى درب يقال له درب النهر عن يمين القاصد الى قراح ابن رزين[5] ثم يمتد قليلاً ويشرق فحينئذ يقع في قراح ابن رزين[5] فاذا سار في وسطه فمن يمينه درب النهر واللوزية[6] وعن يساره المحلة المقتدية[7] التي استحدثها المقتدي بالله ثم يمر في هذه المحلة — أعني قراح ابن رزين — نحو شوط فرس جيد فحينئذ ينتهي الى عقد هناك وباب[8] فاذا خرج منه وجد طريقين أحدهما يأخذ ذات الشمال يفضي الى المحلة المعروفة بالمختارة[9] فيتجاوزها الى مقبرة باب[10] أبرز بطولها طالباً

---

(١) الرحبة هي اليوم دور ومخازن وكنيسة اللاتين .

(٢) هو ملتقى قاضي الحاجات وعقد القشل .

(٣) هي عقد القشل والهيتاويين وصبابيغ الآل والـويدان .

(٤) هي باب الشيخ ورأس الساقية وقسم من المربعة .

(٥) هو محلة التوراة وسوق أبي سيفين .

(٦) هي قسم من محلة الطاطران .

(٧) هي محلة تحت التكية والقسم الغربي من محلة قنبر علي .

(٨) يظهر أن الباب كان عند المشهد المعروف اليوم بقبر قنبر علي .

(٩) هي القسم الشمالي الغربي من محلة قنبر علي .

(١٠) هي محلة الحمام المالح والفضل والمهدية والسيد عبد الله وآخر قمر الدين .

للشمال فاذا انتهت المحلة وقع في محلة تعرف بقراح [1] ظفر اسم رجل ، فهذه اثنتان ثم تأخذ من ذلك العقد الذي ذكر أنه آخر قراح ابن رزين ذات اليمين نحو رمية سهم طالباً للجنوب فمن يسارك حينئذ درب واسع ، فذلك يفضي الى محلة يقال لها قراح القاضي [2] . وإن سرت طالباً للجنوب مقابل وجهك قبل أن تدخل قراح القاضي فتلك المحلة يقال لها قراح أبي الشحم [3] ، فهذه أربع محال كبار عامرة آهلة كل واحدة تقرب أن تكون مدينة وفيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة » .

فكان إذن يتشعب من يمين هذا الطريق قبل أن يصل الى مقبرة باب أبرز شارع فرعي يؤدي الى المحلات الواقعة داخل السور بين باب الظفرية وباب الحلبة، وأهمها قراح القاضي وقراح أبي الشحم المذكورة ومحلة القبيبات . أما الطريق الجنوبي الذي يتجه نحو باب البصلية فكان يترك دار الخلافة والمحلات المجاورة لها إلى يمينه حتى إذا ما وصل الى جوار محلة المأمونية تشعب من يساره طريق يتجه إلى باب الحلبة ، ثم يستمر في سيره نحو الجنوب تاركاً مشهد الشيخ عبدالقادر الى يساره ومحلة الريان [4] إلى يمينه ، وبعد أن يخترق محلة باب الأزج يمر من باب الأزج ، حيث كان في جواره دير الزندورد القديم فمحلة البصلية ، ثم يخرج من باب البصلية متجهاً نحو قرية كلواذا الواقعة في الجنوب القريب . وكانت محلة المأمونية المتقدم ذكرها محلة واسعة وسميت بالمأمونية نسبة الى قصر المأمون الذي سمي فيما بعد بالقصر الحسني، وكان قد شيد رجال المأمون دورهم في الأصل في هذا الوضع على الأراضي المتصلة بالقصر .

وكانت المحلات المحيطة بقصور الخلفاء داخل السور عامرة ومزدحمة وفيها أسواق ومساجد ودروب كثيرة، وكان معظمها أحدث ما بني في بغداد الشرقية ، ويرجع تاريخ عدد منها الى عهد المقتدي الذي سميت باسمه إحدى هذه المحلات وهي المقتدية المذكورة . وكان المقتدي يعاصر

---

(١) هي محلة الميدان وقسم من محلة الفضل .

(٢) هي قسم من محلة المهدية والجوبة وعزات طويلات .

(٣) هي محلة قرة شعبان وفرج الله والقسم الشرقي من الطاطران .

(٤) هي محلة العوينة الحالية .

ملكشاه مؤسس جامع السلطان بالمخرّم ، ويعاصر كذلك وزيره نظام الملك باني المدرسة النظامية .

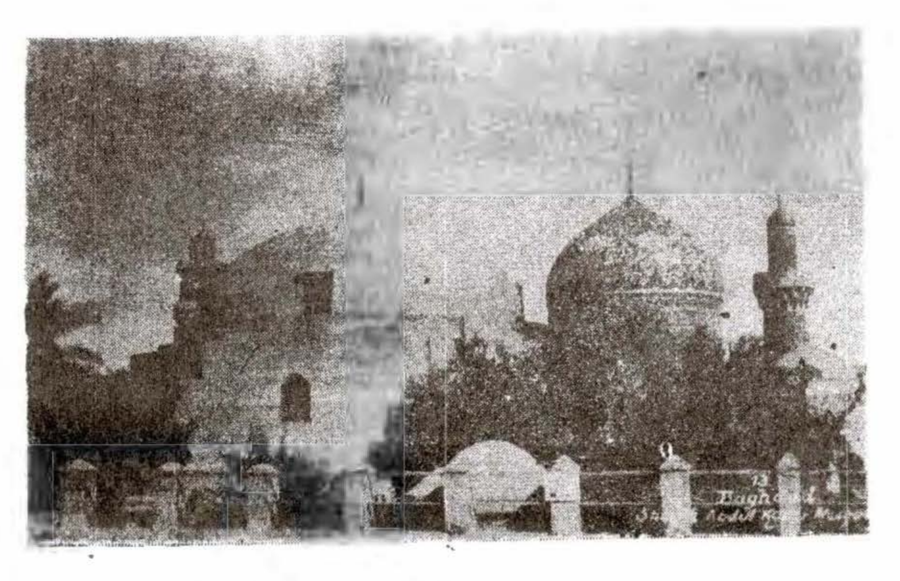
ويعد مشهد الشيخ عبد القادر الكيلاني من المواقع المهمة التي كانت داخل سور بغداد الشرقية ، وذلك من الناحية الخططية لمدينة بغداد القديمة ، لأنه من الأماكن القديمة القليلة التي لاتزال قائمة في مواضعها الأصلية حقيقة الى الآن . والشيخ عبدالقادر هو المؤسس المعروف للطريقة القادرية من الدراويش « المتصوفة » ، وهي إحدى الطرق الدينية الاسلامية الواسعة الانتشار ، وقد توفي في بغداد في سنة ٥٦١ هـ (١١٦٥ م) ودفن في موضع قبره الحالي (١) . وقد أنشيء عند المرقد مسجد جامع واسع وعلى مصلاه قبة فخمة متقنة الهندسة مبنية بالحجر الكاشاني الملون بالأصباغ المختلفة مع النقش الجميل تحيط بها المآذن ، وحول المصلّى رواق واسع عقد على أساطين من الرخام الأبيض .

وأهم ما أنشيء من المباني في آخر العهد العباسي المدرسة المستنصرية نسبة الى الخليفة المستنصر الذي أتم بناءها في سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) . ولهذه المدرسة أهمية خاصة من الناحية الخططية لأنها من المباني التي لا يزال معظمها قائماً حتى الآن ، ويمكن الاستدلال بها على تعيين المواضع المجاورة لها التي لم يبق لها أثر ما ، ومثال ذلك ان ابن بطوطة وصف هذه المدرسة بقوله إنها تقع في آخر سوق الثلاثاء . ومن ذلك يستدل على أن سوق الثلاثاء كان تحت المدرسة مباشرة ، ومن الثابت أن المدرسة أنشئت في أرض دار الأمير مؤنس المظفر التي كانت في هذا الموضع في أوائل القرن الرابع الهجري (٢) . ويلاحظ أن الدافع الذي حمل المستنصر على تأسيس هذه المدرسة هو ميله الشديد الى خدمة الدين بنشر

---

(١) ذكر كي لسترانج ان وفاة الشيخ عبد القادر كانت في سنة ٦٥١ هـ (١٢٥٣ م) وهذا يخالف ما هو معلوم من ترجمة حياته ، ومما يدل على أن ذلك لم يكن خطأ مطبعياً أن كي لسترانج ذكر السنة الميلادية التي تقابل هذا التاريخ ، كما أنه أضاف الى التاريخ المذكور قوله : ان وفاته كانت قبل الحصار المغولي بسنين قلائل وسبب غلطه أنه غلط في نقل الأرقام العربية فقدم الرقم « ٦ » على الرقم « ٥ » .

(٢) راجع ما تقدم ذكره عن دار الأمير مؤنس في ص (١٢٨) .



جامع الشيخ عبد القادر الجيلي « الـكيلاني »

مقابل الصفحة ١٧٨

الفقه وعلوم الاسلام الأخرى ، ففاقت على المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك قبل هذا العهد بنحو من قرنين [1] . وكانت المدرسة المستنصرية تفوق في بنائها وأثاثها وسعة مساحتها وغنى أوقافها وتنظيم إدارتها كل ما سبقها من المعاهد العلمية في بغداد ، وكان فيها أربعة أواوين لتدريس الفقه ، لكل مذهب من المذاهب السنية الاربعة إيوان ، وفي كل إيوان أستاذ وله اثنان وستون طالباً يعلمهم ويفقههم مجاناً ، وكان يمنح كل أستاذ اثني عشر ديناراً عدا الطعام وكان يدفع ديناران ذهباً لكل طالب ، وكان في المدرسة مطبخ لتهيئة الطعام للطلاب . وكان فيها دار للكتب فيها الكتب القيمة النادرة في مختلف العلوم ، مرتبة ومبوبة حسب مواضيعها ليسهل على الطالبين مراجعتها . وكان بازاء باب المدرسة أيضاً « صندوق الساعات » وهي ساعة كان يستعان بها في معرفة أوقات الصلاة والدرس [2] ، وكان في المدرسة حمام خاص بالطلاب ومارستان « مستشفى » كان له طبيب حاذق يعالج المرضى من الطلاب . وكان المستنصر شـديد الولع بالمدرسة ، فكان يزورها ويرقب ما يجري فيها أحياناً . وكان

---

(١) راجع ما تقدم عن المدرسة النظامية في ص (١٢٨ ، ١٥٤ — ١٥٥) .

(٢) كانت قد نصبت هذه الساعة على حائط الايوان الذي أنشيء مقابل المدرسة وتحته دكة لدراسة الطب ، وقد وصفها بعض المؤرخين في كتاب الحوادث (ص ٨٣) قال : « وفيها (أي سنة ٦٣٣ هـ) تكامل بناء الإيوان الذي أنشيء مقابل المدرسة المستنصرية وعمل تحته صفة يجلس فيها الطبيب وعنده جماعته الذين يشتغلون عليه بعلم الطب ويقصده المرضى فيداويهم وبني في حائط هذه الصفة دائرة وصور فيها صورة الفلك وجعل فيها طاقات لطاف لها أبواب لطيفة ، وفي الدائرة بازان من ذهب في طاستين من ذهب ووراءهما بندقتان من شبه لايدركهما الناظر فعند مضي كل ساعة ينفتح فا البازين وتقع منهما البندقتان وكلما سقطت بندقة انفتح باب من أبواب تلك الطاقات ، والباب من ذهب فيصير حينئذ مفضضاً ، واذا وقعت البندقتان في الطاستين تذهبان الى مواضعهما ، ثم تطلع أقمار (الصواب شموس) من ذهب في سماء لازوردية في ذلك الفلك مع طلوع الشمس الحقيقية وتدور مع دورانها وتغيب مع غيبوبتها فاذا جاء الليل فهناك أقمار طالعة من ضوء خلفها كلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر ثم يبتديء في الدائرة الأخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس فيعلم بذلك أوقات الصلاة ... » (وراجع أيضاً « خلاصة الذهب المسبوك » لعبد الرحمن الاربلي (ص ٢١٢) وتاريخ الخزرجي « الورقة ١٥١ » .

للمستنصر بالله موضع يشرف منه على بعض مواضع التدريس ويسمع محاضرات الأساتذة ومناظرات التلاميذ ، ولابن العبري المؤرخ وصف للمدرسة ونظامها . وقد نجت المدرسة من الخراب في أثناء حصار المغول لبغداد إذ كانت لاتزال على وضعها حين وصفها ابن بطوطة في سنة ٧٢٧ هـ . (١٣٢٧ م) مطنباً في تصوير عظمتها ، وقد ذكرها حمد الله القارسي بعد زمن ابن بطوطة باثنتي عشرة سنة فقال : إن بناءها من أجمل المباني الباقية ببغداد يومئذ . ومن مدرسي المدرسة المستنصرية الشيخ جمال الدين عبدالله بن محمد بن علي العاقولي وقد توفي سنة ٧٢٨ هـ وقبره ما زال قائماً إلى اليوم في الجامع المعروف بجامع العاقولي وعليه قبة وعلى القبر صندوق عليه كتابة فيها تاريخ وفاته . وقد نقل الى دار الآثار العربية بخان مرجان .

وقد نقشت عدة كتابات على جدران بناية المستنصرية لا يزال بعضها باقياً حتى اليوم وفيما يلي نص الكتابة المنقوشة على جدارها المطل على نهر دجلة : —

« بسم الله الرحمن الرحيم : ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . هذا ما أمر بعمله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين . الذي طبق البلاد إحسانه وعدله ، وغمر العباد بره وفضله أبو جعفر المنصور المستنصر بالله ، قرن الله تعالى أوامره الشريفة بالنجح واليسر وجنوده بالتأييد والنصر وجعل لأيامه المخلدة جداً لا يكبو جواده ولآرائه المجدة سعداً لا يخبو زناده في عز تخضع له الأقدار فيطيعه عواصيها وملك تخشع له الملوك فيملك نواحيها ، وذلك في سنة ثلاثين وستمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وعترته وسلم تسليماً » .

وهذا نص الكتابة على الباب الجنوبي من المستنصرية :

« بسم الله الرحمن الرحيم قد أنشأ هذا المحل رغبة في أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وطلباً للفوز بجنات الفردوس التي أعدها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلا وأمر أن تجعل مدرسة للفقهاء على المذاهب الاربعة سيدنا ومولانا إمام المسلمين وخليفة رب

قبة الست زبيدة « تربة زمرد خاتون »   مقابل الصفحة ١٧٠

العالمين أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين شيد الله معالم الدين بخلود سلطانه وأحيا قلوب أهل العلم بتضاعف نعمه وإحسانه وذلك سنة ثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله » .

وفي الطابق الثاني من البناية في الجهة الشمالية منها كتابة مشوهة الظاهر فيها اسم المستنصر بالله، ويلصق المدرسة من غربيها جامع يعرف اليوم بجامع الآصفية وهو دار القرآن المستنصرية الوارد ذكرها مع أخبار المدرسة ولا يزال إيوانها آية من آيات الفن المعماري ، رممه الوزير داود باشا أيام ولايته على بغداد ١٢٣٢ — ١٢٤١ هـ (١٨١٧ — ١٨٢٦ م) وبنى فيه مصلى واسعاً عليه قبتان ، وبنى بجانبيها مئذنتين بالحجر الملون الكاشاني . وداخل هذا الجامع قبر في شمال الداخل في الرواق عليه قبة في غاية من الاتقان ، ذكر السيد محمود شكري الآلوسي أنه قبر أبي جعفر المستنصر بالله باني المدرسة [١] . والصحيح أنه دفن في ترب الخلفاء العباسيين في محلة الرصافة كما ذكرنا من قبل، وصاحب القبر هذا مجهول والظاهر أنه أحد شيوخ الطريقة المولوية المتأخرين ، وكان المسجد يسمى قبل ذلك «المولى خانه» ويسمى السوق المجاور له « سوق المولى خانه » وقيل إن الذي جعله تكية للدراويش المولوية محمد چلبي كاتب الديوان وكاتم السر في أيام أحد المتغلبة المعروف بابن الطويل سنة « ١٠١٧ هـ » وحافظت التكية على اسمها الى أيام داود باشا ، فجدد من عمارتها ولذلك سميت بجامع الآصفية ، نسبة الى لقب داود باشا « آصف الزمان » وقد جاء في الوقفية المؤرخة بغرة رجب سنة (١٢٤٣ هـ) أن قاضي بغداد إبراهيم أفندي ابن محمد أفندي قد ثبت عنده أنه في اليوم الثاني من رجب سنة ١٢٤١ جاءت جماعة من العلماء الى قاضي بغداد يومئذ محمد راشد أفندي ابن فخر الدين فأخبروه بأن طريق الجسر النافذ الى الجانب الشرقي من البلد

---

(١) راجع تاريخ مساجد بغداد وآثارها للعلامة محمود شكري الآلوسي « ص ٣١ » ثم ذكر في « ص ١٠١ » أنه نقل إلى تربة الرصافة .

الممتد من مسناة الجسر الى القهوة الشهيرة بقهوة زنبور فيه ضيق على المجتازين وبسببه يحصل ازدحام ومشقة للمارين خصوصاً من ضعف منهم كالصبيان والشيوخ الزمنين ، وسبب ذلك أنه جادة واحدة ليس لها ثانية ويقابله من طرف الجسر الآخر الغربي ثلاث طرق متحاذية متباينة فطلبوا منه أن يعرض هذا الحال لحضرة الوزير .. داود ... ويرجو منه أن يفتح باباً للجسر آخر ، ويجعل داخل الباب طريقاً عاماً يسلك منه الصغير والكبير فيكون في ذلك تيسير للسالكين ويفتح الباب من مكان في حذاء الجسر هدمت عمارته وهو الآن خراب ليس فيه منفعة دنيوية ولا مصلحة أخروية ومع ذلك فهو مأوى المفسدين والزناة والفسقة . وبعد الالحاح على القاضي أجابهم معتذراً بأنه لقرب عهده لم يميز أمور البلد الخيرية عن الشرية ، وفي اليوم الثاني جاءه أعيان العلماء بأجمعهم ... فالتمسوا منه أن يعرض الحال على الوزير ... فذهبوا جميعاً الى المكان لرؤية ومشاهدة الازدحام وما فيه من الأذى ، ومن ثم تحققت له المنفعة فعرض حينئذ الحالة على حضرة الوزير ... ثم اطلع الوزير على إعلام حاكم الشرع الشريف وعلم أن في ذلك مصلحة وشرع في عمارة الباب والطريق العام ، وعمر عمارات في رأس الطريق منها قهوة مشرفة على دجلة العظمى وخان للتجار و ٢٦ دكاناً ودكة صرافة وكرخانة يحمس فيها قهوة البن تسمى بالتحميس وكرخانة أخرى يعمل فيها الخبز ، وبنى بحذاء الطريق جامعاً حسناً في داخله مدرستان وحجر كثيرة لطلبة العلم ... وفي طرفيه مئذنتان . ثم إن حضرة الوزير ... لما فرغ من هذه العمارات وقفها على جامع الآصفية الذي أنشأه [١] » .

ودونك طراز دجلة الشرقي من باب الغربة في الجنوب حتى الشمال : « باب الغربة ، مشرعة الاربين ، رباط الدرجة الذي أنشأه مجاهد الدين بهروز وكان كنيسة لليهود ثم صار دار الشفاء وعرف أخيراً بقهوة الشط ، مشرعة سوق المدرسة النظامية التي عرفت بشريعة المصبغة في الأيام الأخيرة ، المدرسة البهائية ، رباط شيخ الشيوخ المقابل للنظامية قديماً

---

(١) العراق بين احتلالين « ٢ : ١٠٥ » ، وراجع في أخبار المستنصرية « الحوادث ص٥٣ » وتاريخ الخزرجي ١٤٨ » وتاريخ الصفدي على السنين « نسخة الأوقاف بحلب ، سنة ٦٣١ » ومجلة سومر العراقية .

المعروف اليوم بخان الباججي ، مسجد الحظائر الذي بنته زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله وعرف اليوم بجامع الخفافين ، دار سنقر جاه الأمير وكانت دار الأمير مجير الدين محمد بن بوري ، المدرسة المستنصرية وكانت مشرعة الرملات ، دار القرآن المستنصرية التي سميت الآصفية بعد أن اتخذت تكية للمولوية ، مشرعة درب دينار ، ودرب دينار هو شارع المأمون أي شارع الجسر العتيق . المدرسة التتشية وهي اليوم جامع الوزير ، مدرسة الأمير عز الدين سعادة بن ماطه وهو الحاكم المدنية الطالبية ، درب زاخا وهو شارع المتنبي الحالي ، المدرسة الموفقية ، وكانت في موضع مديرية الطابو ، بعض وزارة العدلية ، مشرعة الصباغين ، وكانت في أرض القشلة ، قبر الأمير كوهرائين بلصق وزارة المعارف في السراي أو هو قبر مجاهد الدين بهروز في رباطه الأعلى بدرب الخدم شمالي بغداد » .

ومن جملة أعمال المستنصر السور الذي أمر بإنشائه حول الرصافة وقد ذكر مؤلف كتاب الحوادث الذي سمي « الحوادث الجامعة » ولبس إياه أن السور المذكور قد تم إنشاؤه في سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) وذكره مؤلف المراصد أيضاً . وقد جدد المستنصر أيضا باب جامع القصر أي جامع الخليفة وأقام فيه أربع دكات على الجهة الغربية من المنبر فكان يجلس عليها تلاميذ المستنصرية في أيام الجمعة فيتناظرون بعد أداء فريضة الصلاة .

ومن آثار المستنصر أيضاً القنطرة التي أقامها على نهر دجيل عند مدينة حربى في سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) ، وكان نهر دجيل يروي القسم الأعلى من الجانب الغربي من بغداد كما سبق بيانه وعلى أثر تحول دجلة الذي عند بين سامراء وبغداد الى مجراه الشرقي الحالي في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي أعاد الخليفة المستنصر بالله حفر نهر دجيل ووسعه لإرواء الأراضي التي زال عنها نهر دجلة ولكن الخراب امتد الى كثير منها ، ومنها مدينة عكبرا فقد زالت بزوال دجلة ، وفتح فرعاً خاصاً منــــه مده الى قرية بلد ولا يزال يعرف الى اليوم باسم « نهر المستنصر » وهو دجيل المستنصري العتيق . ومن الأعمال التي أنشأها على هـذا

النهر القنطرة المقدم ذكرها التي لا تزال آثارها والكتابة التي عليها باقية الى الآن وهي واقعة على الطريق الذي بين بغداد وسامراء على مسافة ستين كيلو متراً من بغداد (راجع رسم الجسر حسب تخطيط مديرية الآثار العامة) (١).

وفي عهد الناصر لدين الله « ٥٧٥ — ٦٢٢ » كثرت العمارات لحبه العمران ولطول خلافته، وقد ذكر سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان أسماء ما أنشئ منها على عهده قال :

« ذكر عماراته : رباط الاخلاطية والتربة(٢)، ورباط الحريم، ومشهد عبيد الله، وتربة عون ومعين عند تربة الخلاطية، وتربة والدته (٣) والمدرسة الى جانبها والرباط المقابل لها الذي كان داروالدته، ومسجد سوق السلطان، ورباط المرزبانية، ودور المضيف بالمحال، ودار ضيافة الحاج، ودار المسناة، ودار الفلك وجعلها رباطاً والدار البيضاء التي كان يسكنها عند التاج، وغرم على هذه الأماكن أموالاً جليلة ونقل الكتب السنية بالخطوط المنسوبة (٤) والمصاحف الشريفة الى النظامية ورباط الاخلاطية والرباط الذي الى جانب تربة والدته ورباط الحريم وغير ذلك » (٥) وفاته ذكر مسجد زمرد خاتون في الحظائر.

وقد أخطأ الصلاح الصفدي بأن ذكر هذه العمارات في ترجمة الظاهر محمد بن الناصر

---

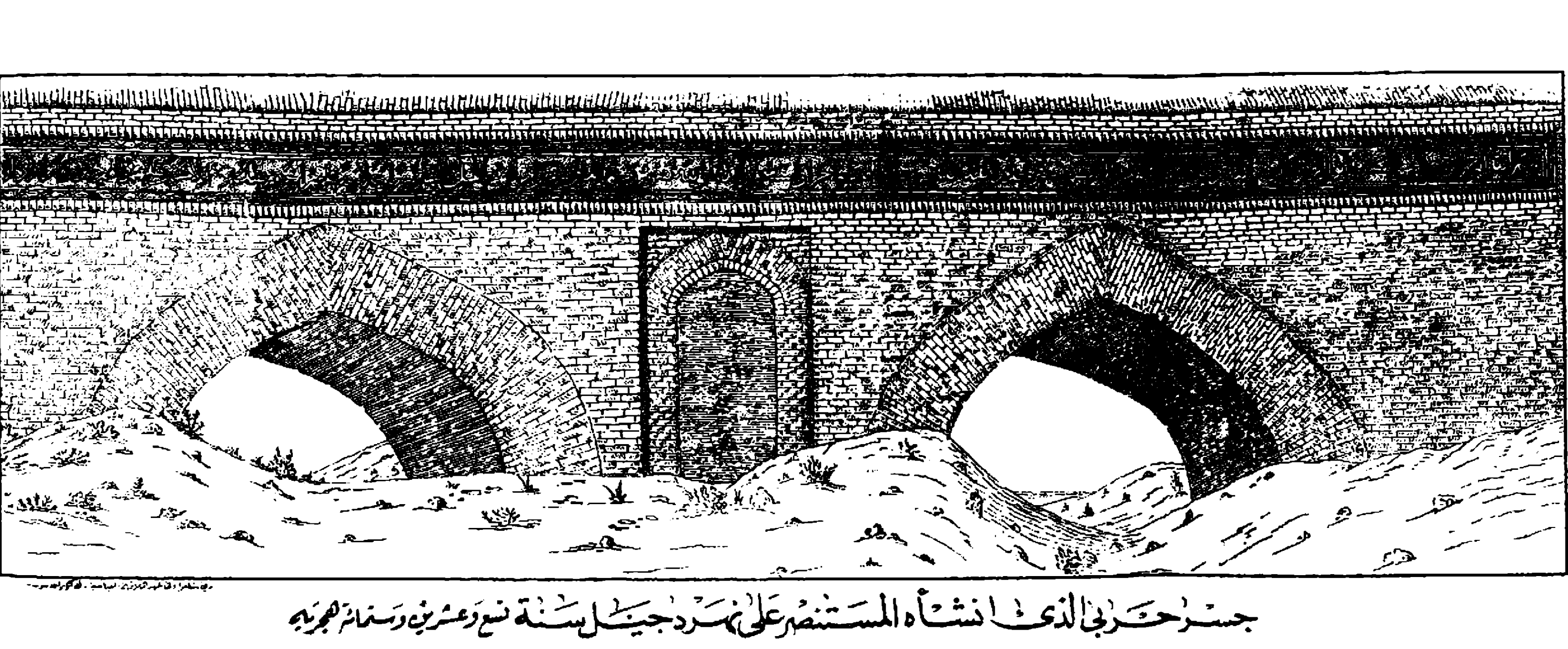
(١) في تاريخ نهر دجيل راجع كتاب « ري سامراء في عهد الخلافة العباسية » لأحد المؤلفين الدكتور أحمد سوسه « الجزء الثاني ص ٤٩٢ — ٤٩٨ ».

(٢) يعني تربة زوجته سلجوقي خاتون ورباطها المقدم ذكرها.

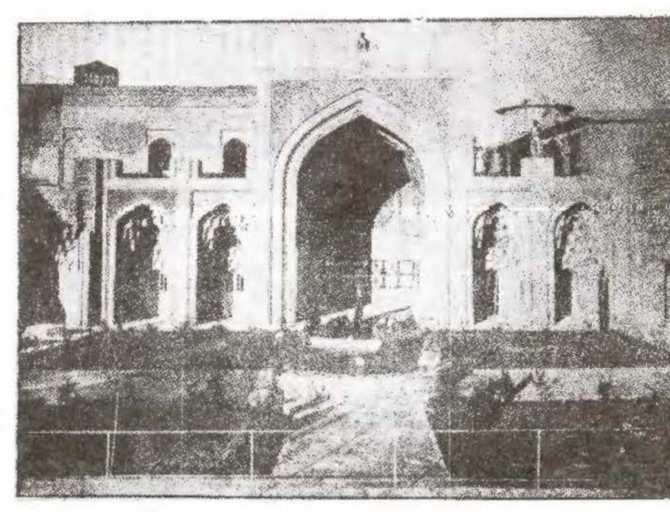
(٣) يعني تربة زمرد خاتون المعروفة بالست زبيدة اليوم.

(٤) المنسوبة اصطلاح له وجه واحد، وكذلك كل اصطلاح، يراد به الخطوط التي لها طرائق قديمة مقلدة معزوة إلى كتاب مشهورين بالابداع أو بتحسين الاتباع كابن مقلة وابن البواب وابن حبيب وياقوت المستعصمي. وهو من قولهم « نسبته الى فلان فهو منسوب ». ومنه الطير المناسيب أي المنسوبة الى نوع مشهور من أنواع الطيور.

(٥) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٦٣٧ » طبعة حيدر أباد.



جسر حربى الذى انشأه المستنصر على نهر دجيل سنة تسع وعشرين وستمائة هجرية



دار المسناة الناصرية « القصر العباسي »   مقابل الصفحة ١٨٦

لدين الله ، كما نرى في نـكت الهميـان فى نـكت العميـان « ص ٢٣٨ » والوافي بالوفيات « ٢ : ١١٣ » . والسبب فى ذلك خلطه بين ترجمة الناصر وترجمة ابنه الظاهر .

فرباط الاختلاطيـة وتربتها ذكرنا أنهما كانا في الرملة وهي محلة الخضر إلياس الحالية ، ورباط الحريم هو رباط الحريم الطاهري ، وقد ذكرناه فى موضع آخر ، ومشهد عبيدالله هو عند القبر المعروف اليوم بأبي رابعة في شرقي الأعظمية ، وتربة عون ومعين قد تعين موضعها بتعيين غيرها ، وتربة والدته هي التربة المعروفة اليوم بالست زبيدة ، كما ذكرنا فى محل آخر ، ومسجد سوق السلطان يتعين بتعيين سوق السلطان ، وهو سوق الميدان الحالي ، فهل كان فى موضع جامع الأحمدية أو موضع جامع القلعة المجدد ؟ هذا مما يعسـر علينا الجزم به ، ورباط المرزبانية كان بالجانب الغربى على نهر عيسى ، ودور الضيف كانت في عدة محال من بغداد ، ودار ضيافة الحاج قال فيهـا ابن الساعي فى حوادث سنة (٦٠٥ هـ) من الجامع المختصر : « فى المحرم منها تقدم الامام الناصر لدين الله — رضي — ببناء دار الضيافة لوفد الله تعالى بالجانب الغربى فبنيت على دجلة بالقرب من تربة الجهة الشريفة السلجوقية مجاور عون ومعين وتـكامل بناؤها فى آخره »[1] وقد أشرنا إلى ذلك . ودار الفلك كانت داخل دار الخلافة والدار البيضاء كذلك ، ومسجد الحظائر هو جامع الخفافين وسيأتي الـكلام عليه .

وكان هولاكو قد نظم عمليات الحصار فى بغداد الشرقية باحـكام ، وبعد حصار دام خمسين يوماً وجه الهجوم على برج العجمي الواقع في جوار باب الحلبة فانتهى الحصـــار باقتحام المدينة سنة ٦٥٦ وجيء اليه أخيراً بالخليفة المستعصم مع أفراد عائلته فقتله وأبناءه ، وعقب ذلك نهب بغداد الذي استمر أربعين يوماً ، قتل خلالها عدد كثير من السكان واندلعت ألسنة اللهيب فى عدة مواضع منها فالتهمت كثيراً من الأبنية فأتت على جامع الخليفة ومشهد الـكاظمين وترب الخلفاء ، وربما أحرقت ترب الخلفاء عمداً وقصداً ، يضاف الى ذلك أنواع من

(١) الجامع المختصر « ٩ : ٢٥٨ » .

التخريب في المدينة . وقد أمر هولاكو قبل مغادرته المدينة لمتابعة فتوحاته باعادة بناء جامع الخليفة ومشهد الكاظمين . وبقتل الخليفة المستعصم وابنين من أبنائه وأسر الثالث انقرضت دولة بني العباس، وكانت مدة حكم العباسيين ٥٢٤ سنة هجرية وعدد خلفائهم ٣٧ خليفة .

وفي الجانب الشرقي من بغداد اليوم بقايا قصر ضخم مرمّم يرجح أنه من المباني التي شيدت في العهد العباسي الأخير الذي لا يتقدم على تاريخ بناء المستنصرية بكثير من السنين ، هو القصر المسمى اليوم باسم «القصر العباسي»، ويقع على ضفة دجلة اليسرى شمالي بناية مجلس الأمة الحالي ، وقد قدمنا الاشارة إليه سابقاً عند نقلنا وصف ابن جبير لبغداد ، ويتألف هذا القصر ، الذي كان مدخله من جهة النهر ، من إيوان قديم مزخرف الطاق يتصل من طرفيه بسلسلة من الغرف والقاعات والمجازات ، وتتعامد هذه السلسلة من الجهة اليسرى من الإيوان مع سلسلة ثانية تنتهي بمجاز مزخرف وحجرة مزخرفة نادرة الوجود . وتمتاز زخارف هذا القصر بكون جميعها من الآجر بخلاف ما نجده في معظم الزخارف العربية الأخرى المصنوعة من الجص ، مضافاً إلى أن جميع أقسام البناء مشيدة بالآجر، والطيقان والسقوف معقودة به أيضاً . وأشهر الأقوال وأدعاها الى التصديق أنه « دار المسناة » التي أنشأها الناصر لدين الله ، وأقام فيها خزانة كتب جليلة لمفاوضة العلماء فيها ، فهي على التحقيق دار علم ولذلك كانت بنايتها أقرب الى بنايات المدارس، وقد اقتبس من تصميماتها المعمار الذي شيد المستنصرية .

وقد اتخذ هذا القصر في آخر العهد العثماني مذخراً للعتاد الحربي وهو في الزاوية الجنوبية من ثكنة المدفعية التي كانت تعرف بالقلعة وكان يسميها الأتراك « إيج قلعة » أي (القلعة الداخلية) وذلك لوقوعها داخل سور المدينة ، وصارت تسمى أخيراً (الطوبخانة) أي موضع المدافع . وقد توصلت دائرة الآثار العراقية الى أن الأبنية التي يقع فيها القصر محصول ثلاثة أدوار أساسية يرجع أولها ، وهو بناء القصر الأصلي ، الى ما لا يقل عن سبعة قرون وثانيها البرج المستحكم الذي شيد على ما يظهر بعد شيوع استعمال المدافع والآلات النارية

وثالثها المخازن والغرف التي أضيفت الى بقايا القصر في العهد العثماني . وقد هدمت دائرة الآثار جميع الاقسام المستحدثة في الدورين الأخيرين ، واعتنت جداً باعادة مباني القصر الى وضعها الأصلي . وقد اتخذ القصر، وهو نفسه أثر تاريخي ، معرضاً للآثار العربية ، يحتوي على الصور والخرائط الخاصة بمدينة بغداد ومبانيها الأثرية وعلى نماذج نفائس الآثار من الريازة العربية .

ذكرنا أنه قد توصل المعنيون بشؤون خطط بغداد القديمة الى أن البناية المذكورة هي القصر الذي ذكره ابن جبير حين قال إنه رأى الناصر لدين الله ينحدر من منظرته في الجانب الغربي الى دجلة « صاعداً في الزورق الى قصره بأعلى الجانب الشرقي على الشط [1] » وقد ذهب أحد مؤلفي الكتاب الدكتور مصطفى جواد والأستاذ يعقوب سركيس الى أن بناية القصر هي الدار التي ورد ذكرها في كتاب « الحوادث » باسم « دار المسناة » مستندين بذلك الى أن وصفها في الكتاب المذكور جاء موافقاً لوصف ابن جبير أي أنها بأعلى بغداد على شاطىء دجلة (حوادث سنة ٦٨٠ هـ و ٦٩٦ هـ) وقد وصفت أيضاً أنها بجوار خندق السور وأن الخندق مما يلي الدار ، وأنها كانت دار علم ، كما جاء في « أخبار الحكماء » للقفطي ، فقد قال في ترجمة مبشر بن أحمد بن علي الرازي الأصل البغدادي المهندس المتوفى سنة ٥٨٩ هـ : « وتميز في أيام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد وقرب منه واعتمده في اختيار الكتب التي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية وبدار المسناة فانه أدخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية وأفرده لاختيارها [2] » . وبهذا الخبر نعلم أن الناصر لدين الله أنشأ خزانة كتب جليلة في هذا القصر لمفاوضة العلماء ومشاركتهم كما كان

---

(١) راجع رحلة ابن جبير (ص ٢٢٨) .

(٢) أخبار الحكماء « ص ١٧٧ » من الطبعة المصرية ، وراجع خبر هذه الكتب فيما قدمنا من الكلام على عمارات الناصر « ص ١٨٤ » .

المأمون يفعل في أيام خلافته . وأما إشاعة أنه قصر المأمون فهي قول من لا علم له بخطط بغداد ، ولا بالمواد التي بنيت آثارها منها ، ولا بتأثير الرطوبة التي كانت تعذيب عمـاراتها ومنشآتها ، وقد ذكرنا أن المأمون أقام في دار الخلافة بالجانب الغربي وبالقصر الحسني الذي سمي قبل ذلك بالقصر المأموني ثم ألحق بدار الخلافة بالجانب الشرقي ، وكانت دار الخلافة هذه بين شارع السموءل الحالي الذي هو حدها الأعلى ومحلة المربعة الحالية التي هي حدها الأسفل .

ومن جملة الأبنية التي ترجع الى هذا العهد العباسي الأخير من الخلافة العباسية المسجد الذي شيدته السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الناصر لدين الله ، وكان يعرف بمسجد الحظائر ، كما ذكرنا ، نسبة الى محلة الحظائر القديمة المجاورة له وهي المحلة التي كانت تقع فيها المدرسة النظامية [1] . ولم يعرف بالضبط تاريخ إنشاء هذا الجامع إلا أنه من المعلوم أن زمرد خاتون مشيدته توفيت سنة ٥٩٩ هـ « ١٢٠٢ م » وأن قبرها ذا القبة المعروفة اليوم بقبة الست زبيدة قائم حتى اليوم عند مقبرة الشيخ معروف الكرخي بالجانب الغربي من بغداد [2] . ويقع هذا الجامع اليوم على ضفة نهر دجلة اليسرى تحت المدرسة المستنصرية ويعرف باسم « جامع الخفافين » أو « جامع الصاغة » ولم يبق من بنائه الأصلي إلا منارته الأصلية التي تعد أقدم منارة في بغداد ، وفي هذه المنارة من الفن البنائي ما يجعلها نموذجاً للفن العربي الراقي ، ففي رأسها أشكال هندسية من النقوش وقد زخرف الرأس قليلاً بالكاشي وغيره ، وفي حوضها قسم من العقود التي تشبه الاواوين الصغيرة [3] . وقد ذكر هذا المسجد

---

(١) راجع ما تقدم عن الحظائر والمدرسة النظامية .

(٢) لقد نسب هذا القبر كما سبق بيانه الى زبيدة العباسية « حفيدة المنصور وزوج هارون الرشيد » التي كانت وفاتها في سنة ٢١٦ هـ (٨٣١ م) في حين أن المصادر التاريخية الموثوق بها تشير الى غير ذلك وتؤيد أن زبيدة زوج الرشيد دفنت في مقبرة الكاظمين (راجع ما تقدم عن الكاظمين .

(٣) راجع « عمارات القرن السادس الفخمة » لأحد المؤلفين الدكتور مصطفى جواد ، مجلة سومر في كانون الثاني ١٩٤٦ في الجزء الأول من المجلد الثاني .



منارة مسجد الخظائر « جامع الخفافين »

مقابل الصفحة ١٨٨

العلامة السيد محمود شكري الآلوسي قال : « جامع الصاغة ... ويسمى جامع الخفافين لأن عند بابه سوقاً تصنع فيها الخفاف الحمر - يعني اليمنيات - ... وفيه خزانة كتب تشتمل على مخطوطات قديمة العهد وكثير منها تلف بتداول الأيدي عليها » (١) . وذكره محب الدين بن النجار في ترجمة أبي حفص عمر بن يوسف المقرئ المتوفى سنة ٦١١ قال : « ورتب إماماً في المسجد الذي بنته أم الخليفة الامام الناصر لدين الله بالحظائر على شاطئ دجلة (٢) » . وقال ابن الدبيثي في سيرته : « وأمّ بالناس بالمسجد الذي أنشأته الجهة الشريفة والدة سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على كافة الأنام الناصر لدين الله أمير المؤمنين - خلد الله ملكه ورضي عنها - بمشرعة المزملات ، سنين ، الى حين وفاته (٣) » . فهذان الخبران يتم أحدهما الآخر .

وقد ورد ذكر مسجد الحظائر أيضاً باسم « مسجد أم الناصر » فقد ذكره مؤلف « الحوادث » في حوادث فيضان سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) قال : « ونبع الماء من أساس حائط المدرسة المستنصرية ومن مسجد الحظائر المعروف بأم الناصر المجاور لدار (سنقرجا) زعيم خوزستان المجاورة للمستنصرية » . ودار سنقرجا كانت بين المستنصرية ومسجد زمرد خاتون كما ذكرنا. وببغداد مسجد آخر على الضفة اليمنى من دجلة يعرف اليوم باسم « قُمْرية » يرتقي الى هذا العهد الأخير من الخلافة العباسية أيضاً ، ويرى البعض أن تسميته هذه منسوبة الى الموضع الذي أنشئ فيه وهو الموضع الذي كان يعرف باسم قمرية نسبة الى قمرية من أهل بيت الناصر لدين الله الخليفة العباسي أو إحدى حظاياه ، مع أن ذكر اسم « قمرية » لهذا الموضع ورد في حوادث حصار السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه السلجوقي بغداد سنة ٥٥٢ هـ

---

(١) تاريخ مساجد بغداد وآثارها « ص ٤٢ » .

(٢) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ١٢٦ » .

(٣) النسخة المقدم ذكرها « الورقة ٢٠٤ » .

وقد قدمنا ذكر هذا الحصار[1] . وقد شيد هذا الجامع في سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) في عهد الخليفة المستنصر بالله ، وذكر أنه أنفق عليه « ١٨٠٠٠ » دينار ، ولم يبق من بنائه العتيق إلا منارته الحالية وهي قليلة الزخرف ، وفي تعيين موضعه القديم فائدة خططية جليلة ، قال مؤلف الحوادث في سنة ٦٢٦ هـ : « وفي شعبان تكامل بناء المسجد المعروف بقمرية بالجانب الغربي على شاطيء دجلة المقابل لرباط البسطامي[2] ... » .

وقد ذكرنا سابقاً أن رباط البسطامي كان راكباً ضفة نهر عيسى الفرع وضفة نهر دجلة في ملتقاها ، فان كان جامع قمرية القائم إلى اليوم مقابلاً له ، دل ذلك على أن موضع رباط البسطامي إما مدرسة الكرخ الثانوية وإما المستشفى الجديد ، وهو أقرب إلى المراد لأن الأرض بينه وبين الجامع لا تزال رملية ، يصح أن تكون مصباً لنهر عيسى الفرع المقدم ذكره .

وقد ذكر مؤلف الحوادث هذا الجامع في حوادث فيضان سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) ونقل أن مسناته غرقت في الفيضان المذكور . وقد استؤنفت على المسجد عمارات كثيرة من ذلك عمارة السيدة عائشة بنت أحمد باشا والي بغداد سنة ١١٦٣ هـ وهي زوج عمر باشا الذي كان والياً على بغداد سنة (١١٧٧ هـ) كما دل عليه مضمون الأبيات المحررة على باب المصلّى . ثم أعاد عمارته سعيد باشا والي بغداد في سنة ١٢٣٠ هـ وتأريخ آخر عمارة له مذكور على محراب المصلّى . وكان بلصق هذا الجامع مدرسة أقامها عمر باشا أحد ولاة بغداد في سنة ١٠٨٨ الى سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٧٧ — ١٦٨١ م) فسميت باسمه « المدرسة العمرية » وقد أوقف عليها بعض الأوقاف .

وقد بنيت في هذا العصر أيضاً عمارات مهمة لم يبق عندنا إلا ذكرها منها مدرسة الأصحاب

(١) راجع المنتظم « ١٠ : ١٦٩ ، ١٧١ » وزبدة النصرة « ص ٢٢٨ » .

(٢) الحوادث « ص ٤ » .



منارة مسجد قرية   مقابل الصفحة ١٩٠

للشافعية وقد أنشأتها زمرد خاتون والدة الناصر بجوار تربتها المعروفة بالست زبيدة ، ورباط أنشأته مقابل المدرسة ، وقد أدرك نيبور هذه العمارة سنة ١٧٦٦م ثم هدمها الوزير سليمان باشا في أواخر القرن الثاني عشر للهجرة وبنى بأنقاضها السور الغربي . ومنها المدرسة البشيرية التي أنشأتها جارية الخليفة المستعصم بالله المعروفة بباب بشير ، نسبة إلى خادم بابها المسمى « بشيراً » ، أنشأتها للمذاهب الأربعة وافتتحت بعد وفاتها بقليل وقبل سقوط الدولة العباسية بزمن قصير. ومنها الرباط المستجد الذي أنشأه المستنصر بالله بدار الروم أي شرقي محلة الصليخ الحالية ، قال مؤلف الحوادث في سنة ٦٢٦ : « في غرة رجب المبارك فرّقت الرسوم بالبدرية ، وفتح الرباط المستجد بدار الروم الذي أنشأه الخليفة المستنصر بالله مجاور المسجد ذي المنارة الذي أمر بعمارته وأسكنه جماعة من الصوفيـة وجعل شيخهم الشيخ أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر [الجيلي] وخلع عليه وعلى الجماعة وعملت به دعوة[1] » .

أمّا فيما يختص بالجسور التي كانت على نهر دجلة في هذا العهد الأخير فقد سبق أن ذكرنا أن لبغداد جسرين كانا على نهر دجلة في أواخر العهد البويهي ، أحدهما عند باب الطاق في الرصافة ، والآخر كان معقودا بين مشرعة العطارين بالجانب الغربي وسوق الثلاثاء بالشرقي ، ثم حوّل جسر باب الطاق هذا في سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) فعقد بين مشرعة الروايا من الجانب الغربي ومشرعة الحطابين من الجانب الشرقي ، وقد عطل هذا الجسر في عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) بسبب الحروب التي نشبت بين البساسيري والعباسيين ، واقتصر على جسر بمشرعة القطانين عند سوق الثلاثاء . وكان في زمن المسترشد (٥١٢ — ٥٢٩ هـ) (١١١٨ — ١١٣٥ م) جسر واحد وهو جسر سوق الثلاثاء ثم نقل إلى باب الغربة سنة ٥٢٥ هـ ثم أعيد ثم نقل إلى باب الغربة سنة (٥٣٠ هـ)[2] ، وفي سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤م)

---

(١) الحوادث « ص ٢ » .

(٢) المنتظم « ١٠ : ٢١ » .

أنشأت السيدة بنفشة حظية الخليفة المستضيء جسراً جديداً عقدته في مكان جسر باب القُرية ، بينه وبين باب الغربة الذي هو باب شارع المستنصر الحالي الشمالي ، وكان قد بقي الجسر العتيق قرابة خمسين سنة في الموضع المذكور (١) ، ونقل الجسر العتيق الى موضع جسر سوق الثلاثاء فصار للناس جسران (جسر باب القرية وجسر سوق الثلاثاء) . وكان هذان الجسران في أيام الناصر لدين الله ٥٧٥ — ٦٢٢ هـ (١١٨٠ — ١٢٢٥ م) . والظاهر أن الجسر الذي ذكره ابن جبير في سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) ووصفه أنه يقع بالقرب من مرّبعة القُرية التي أقام فيها إنما هو جسر سوق الثلاثاء ، وكان موجوداً في عهد الناصر كما ذكرنا ، وقد ذكر أنّ مياه دجلة قلعته وأزالته . ثم ظهر في التاريخ جسر جديد عقد عند سُوق السلطان في الجانب الشرقي ، والظاهر أن الخليفة الظاهر بن الناصر لدين الله أمر بانشائه سنة « ٦٢٢ » هـ . وقال ابن الطقطقى في سيرة الظاهر : « وأيضاً فان الظاهر هو الذي عمل هذا الجسر الجديد الموجود الآن (سنة ٧٠١) ببغداد ، ولما فرغ عمل الشعراء فيه المدائح ووصفوا الجسر فيها فمن نظم ذلك شعراً موفق الدين القاسم بن أبي الحديد كاتب الانشاء وهو قوله :

إمام يحرم ذل السؤال ... ويعمل بالكرم الواجب
أقام طريقاً على دجلة ... لذي القصد منه والذاهب
فعارض جسراً على جانب ... بجسر جديد على جانب
كسطرين في كاغد أبيض ... أجادهما قلم الكاتب
كمخنقتي عنبر ضمّتا ... بياض الترائب من كاعب

---

(١) المنتظم « ٢٠ : ٢٥٠ » . وراجع تاريخ بغداد للخطيب « ١ : ١٢٥ » ومختصر المناقب « ص ٢٠ » .

كصفين من إبل أصبحا وقوفاً على جـددلا حب (١)

وهذا الخبر يدل على وجود جسرين فى بغداد فى أواخر الدولة العباسية وهـذا الجسر الجديد الذي أشار إليه ابن الطقطقى كان فى موضع دار الضباط الحالية بين المجلس النيابي العتيق ووزارة المعارف ، قال ابن الفوطي فى ترجمة عز الدين مودود بن عبد المؤمن بن كردمير التركستاني : « رأيته بأوجان فى المحرم من سنة سبع وسبعمائة ... وهو أخو علاء الدين علي صاحب المدرسة الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة الشيخ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهروردي » (٢) . وقبر الشيخ المذكور ومدرسـته قائمان اليوم مقـابل دار الضباط ، المقدم ذكرها ، من الشرق وثابت أمرهما فى خطط بغداد .

وذكر أنه كان فى أيام المغول جسران هذا الجسر وجسر المارستان العضدي .

ومشرعة الروايا المقدم ذكرها منسوبة إلى الروايا التي كانت تحمل الماء إلى مدينة المنصور المدورة ، وكانت على خط مستوى مدينة المنصور أي مقابل بساتين عبد الحسين الجلبي قرب الـكاظمية ، وقد دفن عندها أبو الحسن الأشعري الشافعي فى الثلث الأول من القرن الرابع للهجرة ، ثم زال بعد عدة قرون ، ولعل دجلة جرفته كما جرفت غيره مـن الترب والعمارات وأطراف المحلات ، وقد وجد بعض من لاعلم له بخطط بغداد قبراً غُفْلاً فى بعض الخانات على دجلة ، فى محلة القُرية القديمـة المعروفة اليوم بباب السـيف ، فظنه قبر الأشعري وأمر بأن يكتب عليه فى صخرة « هذا مرقد شيخ الاسلام أبي الحسن علي الأشعري صاحب المذهب نور الله ضريحه . جدد سنة ١٣١٠ » . وهـذا خطأ قبيح فقبر أبي الحسن الأشعري كان بمشرعة الروايا على دجلة أي بين الـكاظميـة والمنطقة وقد زال وعفا أو استولت عليه دجلة كما استولت على تلك المحلات والمواضع .

---

(١) التاريخ الفخري « ص ٢٤٢ » من الطبعة المصرية .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ص ٢٠٨ من نسخة الدكتور مصطفى جواد » .

ويتضح مما تقدم أن النشاط فى حقل العمران فى مدينة بغداد قد تضاءل فى عهد المستعصم بالله وذلك على أثر انحطاط الدولة العباسية فانزوى الخليفة داخل قصوره المحصنة ليدافع عن نفسه وقد بقيت عاصمة الخلافة فى معزل عن كل نجدة من الخارج حتى إنه عندما قرر هولاكو غزوها استطاع أن يحقق أهدافه من غير أن يلاقي مقاومة منظمة .

وعلى الرغم من الانحطاط والتدهور اللذين حلا ببغداد فى ذلك العهد فقد كانت من السعة بحيث تضاهي بعض مدن العالم الكبرى ، وإن الاحصاءات التي دونها ياسين العمري فى سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ — ١٨٠٤ م) فى كتابه « الدر المكنون فى المآثر الماضية من القرون » للجوامع والمساجد والمدارس والحمامات وغيرها من المرافق فى مدينة بغداد قبل أن يحتلها المغول يؤيد ذلك ، وهذه هي إحصاءاته كما وردت فى آخر الكتاب : —

« جوامع خطبة ٣٦ ، مساجد ٤٠٠٠ ، خانقاهات ٤٧ ، مدارس ٣٨ ، دور الحديث ١٨ ، قيساريات ١٢٠ ، أسواق ٣٦ ، خانات ٩٨٠ ، حمامات ٢١٠ ، مدارات (هي المطاحن) ٤٢٠٠ ، بزّارات (هي معاصر الشيرج) ١٢٠ ، معاصر للزيت ٩٩ ، مزملات سبيل ١٠٢٥ ، أرحاء الماء ٦٨ ، الدواليب التي يديرها الماء ١٦ ، بيع النصارى ٥٦ ، كنائس اليهود ١٦ ، حوانيت ٤٨٥١٥ ، الحوانيت التي يباع فيها العطريات ١١ ، قناطر ١٠٦٠ ، السراديب ١٠٦٠ ، البساتين فى داخل المدينة ٣٦ ، البساتين فى خارج المدينة ٩٥ ، أبواب المدينة ٩ ، الجسور ٣ ، القرى الموجودة فى الجانب الشرقي من نهر دجلة ٢٣٠٠٠ ، القرى الموجودة فى الجانب الغربي من دجلة ٢٣٠٠ ، أنوال الحياكة التي ينسج فيها الخام والديباج والحرير وغيرها ٧٥٠٠ ، السفائن ٢٥٠ ، رجال النصارى الذين يؤدون الجزية ٤٣٠٠٠ ، رجال اليهود الذين يؤدون الجزية ٣٦٠٠٠ » [1] .

---

(١) راجع أيضاً « معاهد بغداد العمومية عند سقوطها الأول » للأب أنستاس ماري الكرملي ، في مجلة المشرق العدد ٥ عن شهر أيار سنة ١٩٠٨ ص ٣٩٦ — ٣٩٧ .

وفى هذا القول ما يقبل وما يرفض ، فقد أشرنا إلى أنه لم يكن قديماً إحصاء بالمعنى الدالة عليه كلمة الاحصاء ، وإنما كانت عادتهم الحزر والخرص والتخمين والتقدير والقياس على الأشياء الأخرى ، ثم إن هذه الأعداد لم ينقلها هذا المؤرخ المتأخر الفاضل عن مؤرخ يعتمد عليه ولا من كتاب يستند اليه . نقول ذلك وإن كنا نميل الى قلة فى تقديره لعدة منشآت ومغارس كالسراديب ، والدواليب التي يستقى بها الماء ، فليس من المعقول أن تكون أقل من بيع النصارى وكنائس اليهود ، وكالبساتين التي فى داخل المدينة وخارجها .

والغريب فى هذا أن المحصي قد فاته أن يذكر « الكتاتيب والمكاتب ودور القرآن والمارستانات « المستشفيات » والزوايا ، والقصور الفخمة ولا سيما قصور دار الخلافة ، والمناثر « الملاوي » .

وفى هذا العصر فى القرن السادس منه أنشأ عماد الدين صندل بن عبدالله الحبشي المعروف بالمقتفوي (نسبة إلى سيده الخليفة المقتفي لأمر الله) تربته بالجانب الغربي ، قال جمال الدين بن الدبيثي فى تاريخه : « صندل بن عبد الله الحبشى أبو الفضل الخادم[1] مولى أمير المؤمنين أبي عبد الله المقتفي لأمر الله ، أحد خدم الدار العزيزة ـ شيد الله قواعدها بالعز ـ كان خيراً . تولى النظر بأعمال الديوان العزيز بواسط فى أيام الامام المستنجد بالله ـ قدس الله روحه ـ ونظر بها مدة وعاد الى بغداد فى أوائل خلافة الامام المستضيء بأمر الله — أسكنه الله بحبوحة جناته — وولاه أستاذية دار الخلافة المعظمة عاشر شوال سنة سبع وستين وخمسمائة فكان على ذلك إلى أن عزل فى ربيع الأول سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . ولم يزل ملازماً خدمة الدار العزيزة الى أن كبر وعجز عن الحركة فاستأذن الخدمة الشريفة الامامية الناصرية ـ أعز

(١) قال أبو سعد بن السمعاني في الأنساب : « الخادم ... هذه اللفظة اشتهر بها الخصيان الذين يكونون في دور الملوك وعلى أبوابهم ويختصون بخدمة الولد ويقال لكل واحد منهم الخادم ... » . وفي لباب الأنساب « الخادم ... هذه اللفظة اشتهر بها الخصيان » وظاهر قوله يدل على كون الخادم كل خصي عموماً مع أن ابن السمعاني عده خاصاً .

الله أنصارها – فى الانقطاع بموضع جعله مدفناً له بالجانب الغربي قريب من جامع العقبة فأذن له فعبر الى هناك وكان به الى حين وفاته ودفن به وكان قد سمع الحديث من جماعة ...
توفي صندل فى ليلة الجمعة الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وصُلي عليه ودفن يوم الجمعة المذكورة قبل الصلاة بالجانب الغربي من مدينة السلام بالتربة التي عملها لنفسه » (١) .

وقال ابن الفوطي : « عماد الدين أبو اليمن صندل بن عبد الله المقتفوي أستاذ الدار ، ذكره النقيب يمين الدين قثم بن طلحة الزينبي في تاريخه وقال :« كان عميد الجيوش ببغداد وولي النظر بديوان واسط فى أيام المستنجد بالله وعاد إلى بغداد فى أول ولاية المستضيء بأمر الله فولاه أستاذية الدار ، فكان على ذلك إلى أن عزل سنة إحدى وسبعين وخمسمائة والزم دار الخلافة الى أن كبر سنه ، وتوفي سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ودفن فى موضع بناه لنفسه ويعرف بقبر صندل » (٢) .

وتعرف تُربة عماد الدين صندل اليوم باسم « جامع الشيخ صندل » قال السيد محمود شكري الآلوسي فى مساجد بغداد — ص ١١٣ — : « جامع الشيخ صندل هو من الجوامع القديمة العهد على الجادة التي تؤدي إلى جامع الشيخ معروف الكرخي ومقبرته ، تقام فيه الجمع والأعياد والصلوات المكتوبة وفيه مدرس وإمام وخطيب وواعظ وجملة من الخدم وهو رحب الساحة واسع المصلى مفروش بأحسن الفرش . وقد أمر السلطان عبد الحميد بتمديد عمارته بعد أن أشرف على الخراب ذلك سنة ١٣٠٩ . وكمل كل ذلك فى سنة ١٣١١ هـ » .

---

(١) تكملة إكمال الإكمال « ص ٤٩ من التصدير » . وقد سقط في النقل ما بين « سبع وستين » و « ربيع الأول » فالحقناه من أصل التاريخ الذي نقلنا منه هناك وهو ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي .
(٢) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ ص ١٠٤ نسخة مصطفى جواد » .

واشهر من الدور الفخمة فى أواخر العصور العباسية دار مجد الدين هبة الله بن الصاحب أستاذ دار الخلافة فى أول عهد الناصر لدين الله [1] ، ودار عبيـــد الله بن يونس الوزير الحنبلي [2] ، ودار قطب الدين قيماز المقتفوي مقدم الجيوش العباسية [3] ، ودار شرف الدين معد الموسوي بالمقتدية من الجانب الشرقي وهو من أعيان رجال الدولة العباسية فى عهد الناصر لدين الله أيضاً [4] ، ودار الأمير يزدن من كبـار قواد الجيش العباسي على عهـد المستنجد بالله [5] ، ودار علاء الدين ألطبرس الظاهري المعروف بالدويدار الكبير أحد كبار الأمراء فى أيام الظاهر بأمر الله والمستنصر بالله والمستعصم بالله ، قال مؤلف الحوادث فى أخبار سنة « ٦٥٠ » هـ : « وفى شوال توفي علاء الدين ألطبرس الظاهري المعروف بالدويدار الكبير . كان دويدار الخليفة الظاهر ، وكان حظياً عنده ... وكان يحب العمارات والمتنزهات ، فلما بناه داره التي بشرقي بغـداد على شاطيء دجلة تجـاه الرباط المعروف بدار الفلك ، ولم يكن ببغداد مثلها ، وعمل بها بستاناً غرس فيه النخيـــل والشجر والنارنج ، وعمل له دولاباً ، فاستحسنها الخليفة المستعصم فطلبهـا منه فلم يسمح له بها . فلمـا توفي أخذها . .. ورثـاه الشعراء فما قاله عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد من أبيات :

بأبي الذي فقد الحياة وعودُهُ   لدن وغض شـبابه فينـان

تبكيـك دار الشط فهي كئيبة   والجسر والشرقي والميدان [6]

وفى سنة « ٦٥٢ هـ » أمر الخليفة المستعصم بالله بوقف دار الشط هذه وكانت مجاورة لدار الفلك كما نقلنا ، وجعلت رباطاً للنساء وجعلت الشريفة بنت المهتدي بالله شيخة للمتصوفات

---

(١) الجامع المختصر « ٩ : ١٠٣ » .   (٢) الحوادث « ص ٨٢ » .

(٣) الجامع المختصر « ٩ : ٢٣٠ » .

(٤) الجامع المختصر « ٩ : ٢٦٥ » والحوادث « ص ٧٧ » .

(٥) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣٤١ نسخة الدكتور مصطفى جواد » .

(٦) الحوادث « ص ٢٦٦ » .

فيه [1] . ولما فتح بغداد هولاكو فى سنة « ٦٥٦ هـ » أمر بتفويض أمر الدار المذكورة إلى جاثليق النصارى النساطرة « مار مكيخا [2] » ، قال مؤلف الحوادث : وتقدم للجاثليق بسكنى دار علاء الدين ألطبرس الدويدار الكبير التي على شاطيء دجلة فسكنها ودق الناقوس على أعلاها واستولى على دار الفلك التي كانت رباطاً للنساء تجاه هذه الدار المذكورة وعلى الرباط البشيري المجاور لها ، وهدم الكتابة التي كانت على البابين وكتب عوضها بالسرياني » . وقال عمرو بن متى : « وأنعم هولاكو خان على هذا الأب وأعطاه دار الخليفة المعروفة بدار الدويدار التي على دجلة حتى يسكنها ، وعمر فيها البيعة الجديدة ، ورزق جاهاً عظيماً ، واستنياح يوم السبت الذي بعد الأحد الجديد وهو ثامن عشر نيسان سنة ألف وخمسمائة وستة (كذا) وسبعين يونانية ... ودفن بالبيعة الجديدة التي بناها بدار الخليفة [3] » . وفى سنة « ٦٩٤ هـ » أعيدت الدار الى المسلمين ، قال مؤلف الحوادث فى أخبارها : « وتقدم السلطان [غازان] بأخذ دار علاء الدين ألطبرس الدويدار الكبير من النصارى فانها كانت بأيديهم من حين ملكت بغداد . وأزيل ما بها من التماثيل والخطوط السريانية واستعيد الرباط الذي تجاه هذه الدار المعروف بدار الفلك ، وكان قد جعله النصارى مدفناً لأكابرهم فأزيلت القبور منه ، وصار مجلساً للوعظ جلس فيه الشيخ شرف الدين محمد ابن عكبر وكان يجتمع عنده خلق كثير [4] » . وقال عمرو بن متى فى ترجمة « ماردنحا » الجاثليق : « ... وعاد الى بغداد وسكن فى القلاية بدار الخليفة التي على الدجلة ... واستنياح

---

(١) الحوادث « ص ٢٧٤ » .

(٢) قال في حوادث سنة « ٦٥٣ » — ص ٣٠٠ — : « وتوفي أبو الفضل بن أبي الخير بن المسيحي الجاثليق ببغداد ، وقد تجاوز التسعين وولي بعده مارمكيخا النصيبي وكان أديباً فاضلا » . وترجمته فى أخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متي « ص ١١٩ » وفيه أن ابن المسيحي توفي سنة ٦٥٤ هـ .

(٣) أخبار فطاركة كرسي المشرق لعمرو بن متى « ص ١٢٠ » .

(٤) الحوادث « ص ٤٨٢ » .

ليلة الاثنين أول الصوم الماراني ٢٣ من شباط سنة اثنين (كذا) وتسعين وخمسمائة وألف يونانية ... ودفن بالبيعة الجديدة ... ولما أخذت المسلمون هذه البيعة من النصارى أمروا أن تنبش المقابر وتؤخذ الموتى منها فاجتمع النصارى الى البيعة المذكورة ... ونقلوا أجساد الآباء الذين كانوا فى البيعة المذكورة وهما مكيخا ودنحا واُتوابعها إلى بيعة سوق الثلاثاء[1]... ودفنوا مكيخا فى القنكي ودنحا فى بيت العماد[2] » . وقال فى ترجمة مار يابالاها الثالث : « وفى أيامه أخذت البيعة الجديدة والقلاية[3] » .

والظاهر أن اسم « الجاثليق » حلّ محل « علاء الدين » و « الدويدار الكبير » فى تسمية هذه الدار بعد ذلك ، ففي حوادث حصار الملك « محمد شاه بن قرا يوسف » من آل قراقونيلو التركمان لبغداد سنة « ٨١٤ هـ » نقل أن والي بغداد بخشايش جاء الى الجاثليق وعمل عرساً عظيماً ثم شرب الى نصف الليل[4] وكرر اسم الجاثليق فى ذلك العصر .

ويصعب علينا تعيين موضع الدار من شاطيء دجلة اليوم بعد زوال الدار بعينها ولكن الغالب على الظنّ أنه كان لا يمكن بناء دار فى أيام الخليفة الظاهر على دجلة إلا فى جنوب دار الخلافة قرب الجسر ودور الباجه‌جي وذلك لاتساع المباني على دجلة فى حيز دار الخلافة المذكورة .

---

(١) تقدم الكلام على محلة سوق الثلاثاء في « ص ١٧٤ » وكانت البيعة بدرب دينار أي شارع المأمون الحالي وقد جعلت مسجداً في أيام المغول أيضاً سنة « ٧٣٤ هـ » قال ابن الوردي فى تاريخه (٢ : ٣٠٧) : « وألزمت النصارى واليهود ببغداد بالغيار ثم نقضت كنائسهم ودياراتهم ... وجعل بعض الكنائس معبداً للمسلمين وشرع في عمارة جامع بدرب دينار وكانت بيعة كبيرة جداً » (راجع ص ٦٨) .

(٢) أخبار الفطاركة « ص ١٢٢ » .

(٣) المذكور « ص ١٢٥ » .

(٤) التاريخ الغياثي « ٢٣٢ من النسخة الخطية » .

ومن العمارات التي أنشئت في أواخر أيام العباسيين « دار المحوّل » قال الخزرجي في حوادث سنة ٦٥١ هـ : « وفي رجب تكامل بناء دار المحول وبلغت الغرامة عليها زيادة على مائتي ألف دينار » وهذه وإن لم تكن داخل بغداد فقد كانت أرضها متصلة بها . وهي غير القصر المستجد الذي ذكر في الكلام على نهر عيسى « ص ٦٧ » فقد أنشأه المستعصم بالله عند قنطرة الشوك على نهر عيسى الداخل في بغداد .

الفصل الثامن

بغداد في عهد المغول والفرس والترك

٦٥٦ — ١٣٣٥ هـ (١٢٥٨ — ١٩١٧ م)

بغداد في العهد الايلخاني ٦٥٦ — ٧٣٨ هـ (١٢٥٨ — ١٣٣٨ م) — العهد الجلايري الإيلكاني ٧٤١ — ٨١٤ هـ (١٣٤٠ — ١٤١١ م) — احتلال تيمورلنك لبغداد ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ م) — عهـد دولة قره قوينلو ٨١٤ — ٨٧٤ هـ (١٤١١ — ١٤٦٩ م) — عهد دولة آق قوينلو ٨٧٤ — ٩١٤ هـ (١٤٦٩ — ١٥٠٨ م) العهـد الفارسي الأول ٩١٤ — ٩٤١ هـ (١٥٠٨ — ١٥٣٤ م) — عهـد الأتراك الأول ٩٤١ — ١٠٣٢ هـ (١٥٣٤ — ١٦٢٢ م) — عهد الفرس الثاني ١٠٣٢ — ١٠٤٨ هـ (١٦٢٢ — ١٦٣٨ م) — عهـد الأتراك الثاني ١٠٤٨ — ١٣٣٥ هـ (١٦٣٨ — ١٩١٧ م) — وصف ابن بطوطة لبغداد في العهد الايلخاني — وصف المستوفي لبغداد في آخر العهد الايلخاني ، المدرسة العلائية . خان الصاحب علاء الدين الجويني ، الديوان خانه . رواق عزيز — صورة بغداد للمطراقي زاده — بغداد في القرن السابع عشر الميلادي حسب وصف تافرنيه — بغـداد في القرن الثامن عشر حسب وصف نيبور — بغداد في القرن التاسـع عشر حسب مسح فيليكس جونس وكولينكوود — سور بغداد الغربية — بغداد في أوائل القرن العشرين حسب مسح هرزفلد ورشيد الخوجة — منارة سوق الغزل وجامع سوق الغزل — المدرسة المرجانية وخان مرجان — مدرسـة خواجه مسعود بن سـديد الدولة ، القلندرخانة ، دار الشفاء ، المدرسة الايلجية ، الأربعيني ، دار العبادة اللؤلؤيـة — العراق وبغداد في العهد التركي العثماني — الولاة وحكمهم في بغداد — حكومة المماليك — مدحت باشا وأعماله الاصلاحية — إحصاء نفوس بغداد — بغداد بعد مدحت باشا — آثار جماعة من الولاة في المساجد والجوامع — جامع الوزير — جامع الخاصكي — الجامع السليماني — جامع الأحمدية في الميـدان ، تربة الشيخ عمر السـهروردي — جامع الحيدرخانة — جامع العـاقولي — جامع الشيخ سراج الدين — جامع الفضل — جامع المرادية ، وجامع صدر الدين الجويني الحموئي .

كان لاحتلال هولاكو لمدينة بغداد أثره المدمي لقلب العالم الاسلامي فانها فقدت بعد الاحتلال منزلتها من حيث كانت عاصمة للخلافة ومركزاً للدين الاسلامي ولم تصبح بعد الاحتلال أكثر من مركز لولاية العراق العربي ، لا تستحق إلا اسم « بغداد » بعد أن كانت أهلاً لاسم « مدينة السلام » مدة خمسة قرون ، زيادة على ما أصابها من الخراب من جراء نهبها وقتل الكثير من أهلها ، وظلت منذ ذلك التاريخ تتقاذفها أمواج الحروب فتتناوبها أيدي الحكم من احتلال إلى آخر زهاء أربعة قرون متتالية الى أن احتلها السلطان مراد الرابع فى سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) وبقيت منذ ذلك الزمن تحت حكم العثمانيين حتى الاحتلال البريطاني فى سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) . وقد حكم فيها الايلخانيون أخلاف هولاكو مدة ٨٢ عاماً من سنة ٦٥٦ إلى ٧٣٨هـ (١٢٥٨ — ١٣٣٨م) ثم عقبهم الجلايريون فاتخذ زعيمهم الشيخ حسن الكبير ويسمى فى التواريخ الفارسية حسن بزرك بغداد مقراً له ، فلم يمض على ذلك أكثر من ٥٧ عاماً حتى احتل تيمورلنك المدينة فى سنة ٧٩٥ هـ (١٣٩٢ م) ، الا أن حكم تيمور لنك لم يدم طويلاً فقد استعاد أخلاف الشيخ حسن الحكم فيها في حياته وبعد وفاته الواقعة فى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) وسيطروا على المدينة . ولم يلبث هؤلاء الجلايريون فى الحكم بعد الاحتلال التيموري أكثر من بضع سنوات حتى حلت محلهم فى سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م) أسرة تركمانية تسمى « قرهقوينلو » ومعناها « آل الخروف الأسود » ، ثم أحلتها عن بغداد فى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) أسرة تركمانية أخرى تسمى « آق قويونلو » أي « آل الخروف الأبيض » . وقد استمر حكم هذه الأسرة الأخيرة أربعين عاماً ثم استولت جيوش الشاه إسماعيل الصفوي الأول ملك الفرس على بغداد فى سنة ٩١٤ هـ (١٥٠٨م) وأجلت أولئك التركمان عنها ، وجاءت بعد ذلك قبيلة موصلو الكردية فنازعت الفرس على الحكم فتمكنت من انتزاعه منهم مدة ست سنوات ، وبعد استرجاع الصفويين الحكم من القبيلة المذكورة بزهاء خمس سنوات اضطروا الى الجلاء عن المدينة ثانية وتسليمها الى الأتراك العثمانيين فدخلها السلطان سليمان فى ٢٤ جمادى الأولى

سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٤ م) ، وظلت بغداد تحت الحكم العثماني زهاء تسعين سنة ، ثم تمكن الفرس من إعادة إحتلالها في سنة ١٠٣٢ هـ (١٦٢٢ م) على عهد الشاه عباس الصفوي الكبير غير أنهم بعد سنين قلائل أخرجوا منها أيضاً ، فقد فتحها السلطان مراد الرابع في ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) كما أشرنا إليه ، وظلت بغداد منذ هذا التاريخ تحت الحكم العثماني حتى احتلال الجيش البريطاني لها في سنة ١٩١٧ م .

وأحسن من وصف مدينة بغداد في العهد الايلخاني المشار اليه آنفاً هو ابن بطوطة الرحالة المغربي ، فقد زار بغداد في سنة ٧٢٧ هـ (١٣٢٧ م) . فوصف قسماً من العمارات التي كانت في زمنه وذكر منها سوق الثلاثاء فوصفه بأنه أعظم أسواق المدينة ، فيه كل صناعة على حدة ، وفي وسطه المدرسة النظامية العجيبة التي صارت الأمثال تضرب بحسنها ، وفي آخره المدرسة المستنصرية ، وكانت تدرس فيها المذاهب الأربعة لكل مذهب إيوان فيه المسجد وموضع التدريس . ولما كان أكثر المدرسة المستنصرية لا يزال قائماً في موضعه كان وصف موضعها بالنسبة إلى سوق الثلاثاء والمدرسة النظامية يساعد على تعيين موضعها وإثباتها بخارطة بغداد الحديثة . وكان ابن بطوطة آخر من شاهد جامع المنصور فذكر موضعه في محلة باب البصرة من الجانب الغربي من بغداد ، وقد قدمنا الاشارة الى ذلك ، أما المارستان فقال : إنه قصر كبير خرب بقيت منه آثار . ومن جملة المواضع التي شاهدها في الجانب الغربي قبر الشيخ معروف الكرخي قال في محلة باب البصرة وهو خطأ منه ، ولعله نقل ذلك من أفواه الناس وخلط بين باب البصرة ومحلة قطفتا المجاورة له ، وذكر ، قبرعون ومعين الذي ذكره ابن جبير من قبل ، وقبري الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد (ع) فذكر أنهما داخل الروضة عليهما دكانة ملبسة بالخشب عليه ألواح الفضة . وشاهد قبر أحمد بن حنبل ـ رض ـ ولا قبة عليه ، وذكر أن بالقرب منه قبر سري السقطي والجنيد وبشر الحافي ، وهذا خطأ أيضاً فان قبر الامام أحمد بن حنبل كان بباب حرب في الشمال الغربي من بغداد وقبر الجنيد والآخرين في الجنوب

الشرقي منها. ومن المواضع التي ذكرها في الجانب الشرقي جامع الخليفة، فقال إنه متصل بقصور الخلفاء ودورهم وهو جامع كبير فيه سقايات ومطاهر كثيرة للوضوء والغسل، وهو كلام ابن جبير أعاده ابن بطوطة في رحلته والصحيح أن الاتصال كان في سرداب يسمى « الأزج » لا على وجه الأرض، ثم جامع السلطان وجامع الرصافة فذكر أن الأول يقع خارج البلد، يعني بالنسبة إلى السور المحيط ببغداد الشرقية يومئذ، وتتصل به قصور تنسب للسلطان، وهو كلام منقول، والثاني يقع على مسافة نحو الميل من الأول، يعني جنوبي الأعظمية الحالية. ومن المواضع الأخرى التي وصفها في هذا الجانب مشهد الامام أبي حنيفة -رض- وعليه قبة عظيمة وزاوية يقدم فيها الطعام للوارد والصادر وهي الزاوية الوحيدة ببغداد على ما قال، ويصعب تصديق قوله. وكانت ترب الخلفاء لا تزال قائمة في زمن زيارة ابن بطوطة لبغداد فذكر أنها تقع بالرصافة وعلى كل منها اسم صاحبه، وذكر اثنين وثلاثين خليفة كتبت أسماؤهم على قبورهم منهم المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، وهو قول مبني على الخيال لأن المغول لما قتلوا المستعصم أخفوا جثته مع جثتي ابنيه أحمد وعبد الرحمن، ولم يعلم لواحد منهم قبر صحيح بين القبور، والذي قيل في ذلك اختراع وابتداع.

ويستبان مما دونه ابن بطوطة أنه كان في بغداد جسران في ذلك الوقت الا أنه لم يذكر موقعهما، وقد ذكرنا أن الأعلى كان في موضع دار الضباط الحالية، وفي سنة ٧٤٠هـ (١٣٣٩م) أي في أوائل العهد الجلايري أنجز المؤرخ الجغرافي حمد الله الفارسي الملقب بالمستوفي كتابه « نزهة القلوب » فوصف فيه قسماً من أبنية بغداد، منها المدرسة المستنصرية وذكر أنها من أجمل المباني التي كانت فيها في أيامه، ويصف هذا المؤرخ بوجه خاص مشاهد بغداد ومقاماتها مثل مشهد الكاظمين، وقبر أحمد بن حنبل، وقبر معروف الكرخي في الجانب الغربي، ومشهد أبي حنيفة، ومشهد عبدالقادر الكيلاني في الجانب الشرقي، ولا تزال هذه الأبنية والمشاهد قائمة الى اليوم في مواضعها الأصلية عدا قبر أحمد بن حنبل فانه لم يبق له

أثر منذ القرن الحادي عشر للهجرة، وقد وصف ابن بطوطة سور بغداد الشرقية بأبوابه الأربعة ، وهو السور نفسه الذي سبق أن وصفه ابن جبير وبقي قائماً إلى أيام مدحت باشا والي بغداد فهو الذي هدمه وبنى من آجره القشلة ومدرسة الصنائع وغيرها . وكانت قبور الخلفاء فى الرصافة لا تزال قائمة فى أيام حمد الله بمفردها وقد اندثرت بعده . وقد ذكرنا أنها احترقت فى أثناء احتلال هولاكو بغداد ، والظاهر أن بنيانها أعيد ولكن فى أي ضرب من الاعادة ؟ لا شك فى أنه لم يكن كما كان فى أيام حكم بني العباس ، وقد وصف بغداد الرحالة الايطالي ماركوپولو بعد سقوطها فى أيدي التتار إلا أن وصفه وأخباره يغلب عليها التعصب والتخريف ، وقد ابتدأ كلامه بكيفية احتلال هولاكو لبغداد قال : « بغداد مدينة كبيرة يقيم فيها خليفة المسلمين كما يقيم البابا إمام النصارى فى رومية الكبرى ، ويمر فى وسط هذه المدينة نهر كبير ، وفى هذا النهر يستطيع الانسان السفر الى الهند وهي على ثمانية عشر يوماً من بغداد، ويسافر الى الهند تجار كثير ومعهم تجاراتهم فيصلون الى جزيرة قيس ومن هناك يبحرون فى بحر الهند، وفي الطريق بين بغداد وجزيرة قيس مدينة كبيرة على نهر دجلة تسمى البصرة وفى الغابات التي حولها تكون أجود تمور العالم . وفي بغداد تنسج الملاحف الحرير بطرائق مختلفة ومن كل الأنواع ، وهي أي بغداد أشرف المدن وأكبرها فى هذه الأقطار . وفى ذات يوم من سنة « ١٢٥٥ م [١] » جمع هولاوو ملك التتر فى الشرق وهو أخو خان التتار الكبير الحاكم اليوم ، جيشاً عظيماً جداً وسار الى بغداد واستولى عليها عنوة ، وكان ذلك أمراً عظيماً لأن جنودها كانوا اذ ذاك أكثر من (مئة الف فارس) فضلاً عن المشاة ولما احتل المدينة وجد عند الخليفة برجاً مملوءاً من الذهب والفضة والمكنوزات الأخرى ، فى كثرة غير معروفة فى موضع من مواضع الدنيا ، فدهش هولاكو لما رآها ... » ثم ذكر حواراً بينه وبين الخليفة وحادثة خرافية في الانتصار للنصارى [١] .

---

(١) Le livre de Marco Polo, p. 77-83 Edition Albin Michel Paris. 1955.

وقد بنيت في هذا العهد «المدرسة الملائية» للحنفية أنشأها علاء الدين علي بن عبد المؤمن ابن كردمير التركستاني على دجلة مقابل مدرسة أبي النجيب السهروردي أي في موضع دار الضباط الحالية، قال ابن الفوطي: «علاء الدين علي ... هو الذي سمت همته الى عمل المدرسة الملائية بحضرة الجسر العتيق من مدينة السلام وحضر القاضي بدر الدين محمد بن علي بن ملاق الرقي ومعه جماعة من الفقهاء والرؤساء وهي في موضع حسن. رأيتها وهي جميلة البناء، شاهقة الأرجاء ... وكان وضع أساس المدرسة الملائية يوم الأحد رابع عشري رجب سنة ثلاث وتسعين وستمائة، ووضع الملبن على الباب في سابع شعبان وذبحوا بقرة [1] تصدقوا بلحمها على الفقراء [2]». وكنا قد نقلنا قول المؤلف نفسه في ترجمة عز الدين مودود: «وهو أخو الأمير علاء الدين علي صاحب المدرسة الشاطئية الراكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة الشيخ ضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهروردي [3]».

وبنى الوالي علاء الدين الجويني خاناً بباب الغربة على دجلة أي في شريعة خان التمر وتولى بناءه له أبو العباس أحمد بن عبيد الله الاصفهاني العدل المحتسب قبل ٦٨١ هـ [4]. ويعرف هذا الخان اليوم بخان الدفتردار، وقد جددت عمارته ولم تتم بعد.

وبعد أن دوّن حمد الله كتابه بمائتي سنة وضع نصوح السلاحي المطراقي صورة لبغداد في سنة ٩٤٤ هـ (١٥٣٧ م) رسم فيها المواضع المهمة كالمقامات والمشاهد والابنية الرئيسة كما كانت عليه بعد احتلال السلطان سليمان العثماني للمدينة، والمطراقي هذا هو أحد الذين رافقوا

(١) يتصور القارىء حقيقة هذه المدرسة من ذبح بقرة واحدة في افتتاحها. !

(٢) تلخيص معجم الألقاب «ج ٤ ص ١٧٨ من نسخة الدكتور مصطفى جواد.

(٣) المرجع المذكور «ص ٢٠٨».

(٤) المرجع المذكور «١٥٦».

السلطان سليمان في حملته على بغداد ، فذكر حركة السلطان وعين منازل سفره مع جيشه (راجع صورة بغداد في عهد السلطان سليمان القانوني للمطراقي في أطلس بغداد) .

وقد رسم المطراقي سور بغداد الشرقية وظهر أقرب ما يكون الى وضعه في العهد العباسي الأخير ، غير أن الأبواب التي صورها على السور ثلاثة وهي الباب الشمالي (باب السلطان) والباب الجنوبي (باب كلواذا) والباب الوسطاني (باب الظفرية) ، أما باب الطلسم (باب الحلبة) فلم يصوره وهو الأمر الذي يدل على أنه كان مغلقاً في ذلك الوقت .

ومن الرحالين والمسلمين الذين قدموا بغداد بعد المطراقي الشيخ مصطفى بن كمال الدين ابن محمد الصديقي الدمشقي المتوفى سنة ١١٦٢ هـ فانه قدمها سنة ١١٣٩ هـ ووصف مشاهدها ومساجدها ومزاراتها ، منها مشهد الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد وقبر ابراهيم واسماعيل ابني الكاظم ، ومشهد الامام أبي حنيفة ، ومشهد الشيخ عبد القادر الجيلي ، وجامع الشيخ سراج الدين ، وتربة الشيخ معروف الكرخي ، ومسجد الشيخ محمد الكازروني القريب من القلعة عند باب المعظم أي باب السلطان ، وقبر الحلاج وقبر حبيب العجمي وهو في الحقيقة مدفون بالبصرة قبل أن تبنى بغداد ، وقبر الشيخ عبدالوهاب بن عبدالقادر الجيلي ، ومتعبد الشيخ عبد القادر قرب برج العجمي ، وتربة الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وقبر زبيدة أي تربة زمرد خاتون ، قال « وأتينا ... الى قبر زبيدة وكان عمره المرحوم حسن باشا وزير بغداد وبنى عنده تكية للفقراء والطلبة الأمجاد ، وكان قد دفن زوجته والدة ولده أحمد باشا في تلك المهاد » . وذكر تكية البكتاشية واجتمع مع شيخها الشيخ خضر وكلمه ، وزار قبر من سماه الحارث بن أسد المحاسبي قرب الجسر في تكية المولوية ، يعني القبر الذي في الآصفية ، وهي دار القرآن المستنصرية كما ذكرنا من قبل ، وقد ذكرنا أن الظاهر هو أنه قبر أحد شيوخ الطريقة المولوية ، وذكر قبر الشيخ حماد الدباس بالأعظمية مع أنه دفن في الشونيزية أي مقبرة الشيخ جنيد قديماً وحديثاً ، فذلك من التلفيق ، وكذلك قبر العيص (؟)

والعيص بن اسحاق مدفون في قرية قرب الخليل بفلسطين ، وذكر قبر أبي بكر الشبلي الصوفي هناك أيضاً ، وقبر بشر سماه الحافي ، وانما هو بشر الحنفي من أهل محلة أبي حنيفة وكان رجلاً حنفياً زاهداً معاصراً لتيمورلنك وله خبر في تاريخ الغياث البغدادي ، وأما بشر الحافي فمدفون في الجانب الغربي في مقبرة باب حرب قرب تربة أحمد بن حنبل ، وذكر قبر أبي الحسين النوري بالأعظمية : والمعروف أنه أبو الحسين التوزي من بلدة توّز ويقال لها أيضاً توّج وهو أحمد بن علي بن الحسين المحتسب المحدث توفي سنة ٤٤٢ هـ ودفن بمقبرة الخيزران [١] وزار قبر منصور بن عمـــار بالجانب الغربي ، وقبر ذي النون المصري وقبر السريّ الصوفي وقبر الجنيدوقبر يوشع والبهلول ، وتربة الشيخ محمد الخلاني يعني عبدالعزيز ابن جعفر المعروف بغلام الخلال قديماً وحديثاً بالخلاني في الجانب الشرقي ، وذكر قبر قنبر المعروف اليوم بقنبر علي ، وهذه التسمية مزورة لأن قنبراً قتل قبل بناء بغداد بسنين كثيرة ، وذكر قبر محمـد الألفي المعروف مسجده اليوم بباب الشيخ ، وقبر داود الطائي الزاهد المشهور وقبره معروف أيضاً بالجانب الغربي ، وذكر أن قبر أحمد بن حنبل قد استولت دجلة عليه ، ووصف القلعة والميدان ، وقبر السيد علي بن موسى الكاظم والظاهر أنه المعروف بالسيد السلطان علي ، وزار الشيخ جلالا البخاري (؟) وعبد الكريم اللاهوري (؟) [٢] .

وكان أول الرحالين الأوربيين الذين وصفوا بغداد في العصور الأخيرة « ج . ب . تافرنييه » الجوهري الافرنسي ، فقد مر بالعراق في سفره الى الهند ورجوعه منها سنة ١٦٣٢ م وسنة ١٦٥٢ م ويتضح من ذلك أن تافرنييه شاهد بغداد في زيارته الأولى وهي تحت الحكم الفارسي

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ٤ ، ٣٢٤ » وأنساب السمعاني ولبابه في « التوزي » .

(٢) كشط الصدى وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان « الورقة ١٩ — ٧٤ » نسخة المجمع العلمي المصورة .

الصفوي وفي زيارته الثانية وهي تحت الحكم التركي العثماني وكان ذلك بعد فتح السلطان مراد الرابع لبغداد بقليل ، وكان وصفه لها وافياً نذكر منه جملة . قال : « تقع بغداد على دجلة في ضفة جانب فارس (ويقصد الجانب الشرقي) ويفصلها هذا النهر عما بين النهرين ... ويبلغ طول المدينة نحواً من ١٥٠٠ خطوة ، وعرضها ٧٠٠ أو ٨٠٠ خطوة ، ولا يتعدى محيطها ثلاثة أميال ، أما سورها فمبني بالآجر ، ويقطع هذا السور في بعض النقاط أبراج كبيرة كالمتاريس نصب فوق جميعها زهاء ستين مدفعاً ... ويكتنف السور خندق عريض ، عمقه نحو خمس أو ست قامات . وللمدينة أربعة أبواب ثلاثة منها من جهة البر وواحد مطل على النهر ، ومنه يعبر النهر على جسر ذي ثلاثة وثلاثين قارباً ... والقلعة في داخل المدينة بالقرب من الباب المسمى بباب المعظم وهو في شمالي المدينة ... وفي بغداد خمسة جوامع ، اثنان منها مبنيان بزيارة بديعة تزينها قباب مكسوة بالقرميد المدهون ذي الألوان المختلفة . وفيها أيضاً عشرة خانات بناؤها حقير ما خلا اثنين منها ينال فيها المسافرون قسطاً من الراحة . وخلاصة القول أن المدينة ساذجة البناء لاجمال فيها ... وتجارة المدينة رائجة ، ولكن ليست كما كانت عليه في أيام ملك فارس ... ونوجز الكلام بأن بغداد منذ استيلاء السلطان مراد عليها لم يكن عدد نفوسها بأقل من خمسة عشر ألف نسمة ، وهذا يدل على أن المدينة لم تكن مأهولة بما يناسب سعة رقعتها » .

وقد وضع تافرنييه خارطة تقريبية لمدينة بغداد كما كانت عليه في أثناء زيارته لها (راجع خارطة بغداد في القرن السابع عشر الميلادي في أطلس بغداد) ويتبين من تخطيطه أن المدينة كانت أقرب ما تكون الى وضعها في العهد الأخير الذي يعود الى ما قبل الاحتلال البريطاني في سنة ١٩١٧ م ، فكان الجانب الشرقي من المدينة محوطاً بسور من الآجر يبلغ طوله نحو ثلاثة أميال وعليه أبراج على أبعاد مختلفة وحوله خندق عميق . ويتفق وصفه للأبواب الأربعة والوصف الذي ذكره كل من المستوفي وابن جبير قبله ما عدا بعض الخلاف في التسمية ،

فوصف تافرنييه الأبواب بقوله : إن الباب الشمالي وهو باب السلطان كان يسمى في زمنه « مازن قاپي » ، أي معزن بمعنى المعظم ، أما البابان فى الجانب الشرقي من السور وهما باب الوسطاني وباب الطلسم فكانا مسدودين ، وقد سمى آخر الأبواب من الجنوب أي باب كلواذا القديم « قرەقاپي » أي الباب الأسود ، وكان فى أيامه جسر واحد يقع فى موضع جسر المأمون الحالي ، وعند رأس هذا الجسر باب يدعى « صوقاپي » أي باب الماء .

وزار بغداد بعد تافرنييه بنحو من مائة سنة كارستين نيبور وهو السائح العالم الدانيماركي المقدم ذكره ، فى سفره الى بلاده بعد رجوعه من رحلته المشهورة في الجزيرة العربية ، فمر بالعراق فى حدود سنة ١٧٦٦ م وترك وصفاً لبغداد يؤيد الرحالون الذين جاؤا بعده صحة ما ذكره فيه . وقد رسم نيبور السور الكبير فى الجانب الشرقي مع أبوابه الأربعة ، وسمى الباب الجنوبي « باب قرلغ » ، أما الأبواب الأخرى فقد سماها بأسمائها المعروفة بها وهي باب المعظم والباب الوسطاني وباب الطلسم . ومن المواضع التي دونها فى خارطته فى الجانب الشرقي مشهد الشيخ عبدالقادر وجامع سوق الغزل والمستنصرية والقلعة في الزاوية الشمالية من السور والمدرسة المرجانية ، ومما ذكره فى كتابه أن قبر الامام أبي حنيفة يقع فى بلدة صغيرة تعرف بالمعظم وأن قبر الإمام أبن حنبل كان أمام مشهد أبي حنيفة فى الجانب الغربي (والأصح قبر عبد الله بن حنبل) الا أن فيضان دجلة جرف معالمه قبيل زيارته لبغداد . قلنا وذلك لأن قبر الإمام أحمد قد زال منذ القرن الحادي عشر للهجرة كما قدمنا ذكره.

وزار بغداد بعد نيبور صموئيل إيف فى سنة ١٧٧٩ م « ١١٩٣ هـ » ، قال : « هذه المدينة بغداد ليست ببابل العتيقة كما ظن جماعة من الباحثين ، إن بابل قائمة فى موضع أعلى على الفرات ، قرب الحلة ، ولا تزال شاخصة الآثار والأطلال ... وبغداد قائمة على دجلة على مسافة خمسين ميلاً من الحلة تقريباً وهي واسعة كثيرة السكان ، وتستفيد من دجلة فائدة عظيمة ، أما التجارة ومزاولتها فمن الصعوبة بمكان لأن البلاد حارة ولأن المدينة بعيدة عن

أن تكون ملائمة لذلك ، ويقدر سكان أهل بغداد بثلاثمائة ألف إنسان ، على أنهم قبل تفشي الطاعون فيها كانوا على ما يظن أكثر مما هم عليه الآن أربع مرات ، ويحكم فيها (باشا) تمتد سلطته إلى كردستان ، وواردانها يظن أنها وافرة لو كانت الحكومة ترفق بالرعيـة ، ولـكنها على الضد من ذلك فان الاضطهاد فيها قائم على حكم جائر ، فالباشا يستخرج دائماً المال بالشدة من الأهلين المساكين ، ولا يقاسي قوم من الرعية ما يقاسيه السيئو الحظ اليهود والنصارى فان كثيراً منهم يعذبون أشد العذاب وتنتزع منهم أملاكهم . إن هـذا النوع من الجور والظلم والاضطهاد حملهم فى الغالب على أن يتركوا المدينة الى بلاد أخرى . ومع تفاقم ما تعانيه التجـارة من ذلك بقي اليهود والنصارى مستحوذين على زمام التجارة فى البلد . إن الرجل السري الذي أقمنا فى منزله ببغداد كان قبل عدة أيام قد ذاق مثل هذه المعاملة القبيحة التي أشرت اليها فان جهبذه « صرافه » اليهودي قد سجنه الباشا ، وبعد أن أمر بضربه ضرباً مبرحاً أخذ منه « ٤٥٠٠ » قرش ... إن هذا الاضطهاد الشائن يرتـكب فى كل يوم فى مواضع مختلفة من المدينة ... وإن أرض هذه البلاد خصيبة فى الغالب ، ولم أر مثل خصبها فى بلد آخر ... وخرجنا صبيحة ١٢ نيسان سـنة ١٧٧٩ لنرى القسم العتيق من بغداد والبازارات « الأسواق » فرأيناها عراضاً واسعة ومعقودة سقوفها بعقود ومقسمة إلى شعب مختلفة ، مكتظة بدكاكين فيها أنواع البضاعات كلها ، وتبلغ عدة الدكاكين (١٢ ألف دكان) ، ويستطيع أن يجد فيها المتسوق كل شيء . وعدة دور المدينة زهاء ٨٠ ألف دار ، وكل دار ودكان تدفع ضريبة للباشا سنوية ، ويمكن تقدير تلك الضريبة جميعها بثلاثمائة ألف ليرة استرلينية وعدا هذه الواردات العظيمة المجبوة يدعي الباشا بأن (٣٠ ألفاً أو أربعين) منها ينفقها فى كل سنة في إصلاح السور ومواطن الدفاع ، ما عدا عدة مئات تؤخذ من خزائنه لذلك الغرض ، وأنه ينفق أيضاً على كري النهر وضبط الجسر وذلك أصبح عبئاً أثقل لا يقوم به الدخل . ولعله لا ينفق على ذلك شيئاً في الحقيقة ... وقد اهتبلنا الفرصة لنرى

القلعة القائمة على الجهة الشمالية من المدينة المسيطرة على دجلة وهي مؤلفة من ستائر وبروج عليهـــا عدة مدافع طويلة جداً كل مدفع منها على برج وهي مثبتة على شيء آخر يفرش كأقراص العسل ، وثقوب فتائلها في حالة رديئة . . وهي بهذه الحال السيئة لا يمكن أن ترمي ولو مرة واحدة إلا تتمزق قطعــاً ... وبجانب المدافع عدد من الأبراج الصغيرة ومزاغل لرصاص البنادق ، ويحيط بالقلعة كلها خندق عمقه خمس وعشرون قدماً ويمكن ملؤه في كل وقت من ماء دجلة . والقلعة متصلة بدور بغداد ولذلك يكون من السهل الاستيلاء عليها ، إذا استولي على المدينة . ولـكوني لم أر منها إلا القليل لا أرى من الصلاح أن تهاجم من البر ، فبقوة انبثاق الماء سيكون الهجوم مخففاً حقاً بسبب الخندق ، ثم يغمر الماء ما مساحته أربعة أميال من حول المدينة ، فالهجوم الناجح يجب أن يكون من النهر فان سفينتين صغيرتين من ذوات ثمانية مدافع أو اثني عشر مدفعــاً تقومان معاً حق القيام وأعظمه في شق المدينة وستر نزول الجنود . لقد رأينا عدة مدافع هاونيات كان نادر شاه قد تركها عند نكوصه عن بغداد ، وفي زاوية من القلعة مصطبة لمدفع صغير يستعمل للتحية العسكرية . وفي صباحي اليوم الثالث عشر والرابع عشر من نيسان شاهدنا الأبنية العتيقة في بغداد فما رأيناه خان[1] يقال إنه بني قبل « ٨٠٠ » سنة بناه أحد قياصرة الروم ولـكن هذا الزعم مثل مزاعمهم الأخرى ، وأنا لم أثق بقول القائل لأن الانبراطورية الرومانية قد دالت قبل ذلك التاريخ بكثير ، وأياً كان الأمر فالخان فخم واسع شامخ البنيان ، فيه زخارف أثرية ، فالآجر الذي بني منه تظهر عليه الجـدة كأن لم يمض على بنائه إلا سنوات قليلة .

وفي اليوم السادس عشر من الشهر طفنا حول المدينة وهي محصنة بسور عريض سامق من الآجر مسيّع بالطين وموثق بأبراج كبيرة تشبه ثكن الفرسان ويحيط به كله خنـدق عميق وشـكل المدينة مربع غير تام والسور متهدم بعضه في عدة مواضع بسبب النزاع الذي

---

(١) هو خان مرجان الآتي ذكره في هذا الـكتاب .

حدث بموت عبدالله قبل زهاء اثني عشر شهراً : أيام نبغ في بغداد متنازعان على « الباشوية » وتحاربا في المدينة عينها وفي القلعة ، فتركا هذه المدينة خراباً ، وفي أثناء ذلك عين باشا الموصل ونينوى باشا على بغداد بأمر الباب العالي ، فجاءها بجيش عظيم وصار صاحب الأمر فيها وقهر خصميه المذكورين ، وفي قبالة المدينة من الجانب الآخر [الغربي] رساتيق واسعة يمكن أن تصل منها القناطر إلى المدينة فيكون لها أثر هائل في مدينة كبغداد مبنية باكتزاز واكتظاظ . وبين الرساتيق والمدينة موصل وهو جسر من الزوارق وهو النوع الوحيد الذي يعبر عليه النهر لأنه عريض عميق ، ومع جريانه السريع جداً في بعض الفصول يعلو مجراه علواً كبيراً بسبب الرواسب ويغمر الجهات فيحدث كثيراً من المستنقعات ... إن سكان بغداد في الغالب من العرب والفرس والترك والأرمن واليهود الذين لا يزالون يحترفون بالصيرفة والجهبذة للتجار ، وقد اضطروا لسوء الحكم الى ترك زيارة حزقيـال (ذي الكفل) وتعظيمه ، ومشهده — كما قالوا — على مسافة يوم من بغداد ، ومن اليهود غير المقيمين هنا فريق كبير يأتون كل سنة ليزوروا قبر حزقيال . . وفي بغداد كثير من المساجد الواسعة الجميلة ولكن النصارى محظور عليهم أن يدخلوها ، لكيلا ينجسوها ... » [1] .

أما المواضع التي دونها نيبور على خارطته في الجانب الغربي فهي تكية « الدراويش البكتاشية » وموقعها قرب محلة الجعيفر الحالية وهي عندنا تربة السيدة سلجوقي خاتون ورباطها وكانت سلجوقي خاتون زوجة الناصر لدين الله ثم قبة الست زبيدة والنبي يوشع ، وفي جوار التكية المذكورة عثر على قطعة أثرية ذكر أن عليها كتابة كوفية يرجع تاريخها إلى سنة ٣٣٣ هـ (٩٤٥ م) . ويلاحظ أن نيبور هو أول من سمى قبر زمرد خاتون باسم الست زبيدة ، ويلاحظ أيضاً أنه قد أهمل ذكر الموضعين التاريخيين الشيخ جنيد ومسجد المنطقة وقد أدى ذلك بكي لسترانج أن يظن أنه لم يبق لها أثر ، قد دونها في مرتسماته في غير

(١) Somuel Eves. p. 44-52

موضعيها الحقيقيين كما سبق بيانه . ويشاهد في خارطة نيبور موضع باسم مرقد بهلول دانه بالقرب من الشيخ معروف الكرخي ذكر عنه أنه كان نديم هرون الرشيد المقرب وعلى لوح القبر تاريخ سنة ٥٠١هـ (١١٠٨ م) ولم يرد لبهلول هذا ذكر في أي مصدر تاريخي آخر زيادة على أن هرون الرشيد توفي قبل ذلك التاريخ بأكثر من ثلاثة قرون (راجع خارطة بغداد في القرن الثامن عشر مأخوذة عن نيبور في سنة ١٧٦٦ الميلادية في أطلس بغداد) . وتلي خارطة نيبور خارطة فيليكس جونس وكولينكوود الموضوعة في منتصف القرن التاسع عشر على أساس مسح خاص قاما به للمدينة ، وتعد هذه الخارطة أوضح خارطة دقيقة لمدينة بغداد في ذلك الوقت فقد شملت جميع محلات بغداد وشوارعها وأسوارها بجانبيها الشرقي والغربي . وقد جاء ما دونه جونس وكولينكوود في خارطته عن السور الشرقي للمدينة وأبوابه مطابقاً لما رسمه نيبور قبله بنحو من مائة عام ، غير أنه يشاهد في خارطة جونس سور في الجانب الغربي من المدينة يضم محلات الجانب الغربي ، ولهذا السور أربعة أبواب وهي باب الكريمات في الجنوب وباب الحلة وباب الشيخ معروف في الشرق وباب الكاظمين في الشمال . ومشيد هذا السور هو سليمان باشا الكبير والي بغداد بين سنة ١٧٧٩ وسنة ١٨٠٢ الميلادية ، وقد ذكرنا أنه هدم رباط زمرد خاتون ومدرستها وبنى بآجرها السور . ويلاحظ أن جونس وكولينكوود أهملا مثل نيبور تدوين موضعي الشيخ جنيد ومسجد المنطقة وهو الأمر الذي ساعد على وقوع كي لسترانج في خطأ تعيين موضعيهما الحقيقيين في مرتسماته لبغداد (راجع خارطة بغداد في القرن التاسع عشر لفيليكس جونس وكولينكوود سنة ١٨٥٣ — ١٨٥٤ م في أطلس بغداد) .

وقد وصف فيليكس جونس بغداد الشرقية بقوله : « إنها محوطة بسور ضخم أمامه من الخارج خندق عميق تحيط به من جهة الصحراء سدة قوية وإن السور الداخلي كان يحمي المدينة من خطر الغرق بمياه نهر دجلة الجارية الى الخندق » . وقد قدر طول سور المدينة

الشرقية بـ ١٠٦٠٠ يردة (أي ٩٦٨٨متر) وفي ضمن ذلك السدود التي على النهر . أما سور المدينة الغربية فقد قدر طوله بـ ٥٨٠٠ يردة (٥٣٠١ متر) . وكان باب الطلسم (باب الحلبة) أحد الأبواب الأربعة لسور المدينة الشرقية مغلقاً وقد أغلق منذ دخول السلطان مراد الرابع بغداد منه كما قدمنا الاشارة اليه . وقدرت مساحة المدينة الشرقية التي داخل السور بـ ٥٩١ ايكراً (٩٥٧ مشارة) والمدينة الغربية التي داخل السور الغربي بـ ١٤١ ايكرا (٢٢٨ مشارة) .

وفى أوائل القرن الحالي وضع سار وهرزفلد خارطة لبغداد وضواحيها عينا فيها موضع مدينة المنصور القديمة ورسماها فى الموضع الذي أوصلها اليه تحقيقها . ويشاهد فى خارطتها سور بغداد الشرقي وأبوابه الأربعة الرئيسة ويشاهد فيها أيضاً سور الجانب الغربي وأبوابه الأربعة وكل ذلك يطابق ما دون فى خارطة جونس وكولينكوود ، ونعتقد أن سار وهرزفلد استعانا بخارطة جونس وكولينكوود فى وضع خارطتها ، ولا سيما فيما يختص بالمحلات ، وقد أضيفت بعض المواضع التي لم تدون فى خارطة سلفيها ، ومن جملتها المنطقة والشيخ جنيد اللذان دونا فى موضعيها الحقيقيين (راجع خارطة بغداد كما وضعها سار وهرزفلد فى أوائل القرن العشرين فى أطلس بغداد) .

وجاء المسح الدقيق الذي قام به الأستاذ السيد رشيد الخوجه لبغداد فى سنة ١٩٠٨ م عندما كان رئيساً ركناً فى الجيش العثماني مؤيداً لصحة ما دونه سار وهرزفلد فى خارطتها . وكان هذا آخر مسح مفصل لمدينة بغداد فى العهد العثماني فهو يمثل حقيقة وضع بغداد قبيل الاحتلال البريطاني ويلاحظ فى الخارطة التي وضعت نتيجة لهذا المسح أن قسماً من سور الجانب الغربي لبغداد قد زالت معالمه فى ذلك الوقت ، وبالنظر لما طرأ على مدينة بغداد من تبدل كبير بعد الاحتلال البريطاني تعد هذه الخارطة من الوثائق المهمة فى تاريخ خطط مدينة بغداد . ومن المواضع المهمة المعروفة فى هذه الخارطة التي زالت معالمها في الوقت

الحاضر مجرى المسعودي القديم ، وكان قد رسمه سار وهرزفلد في خارطتهما أيضاً (١) .
(راجع خارطة بغداد كما مسحها ورسمها الأستاذ رشيد الخوجه عام ١٩٠٨ م ميلادي في أطلس بغداد) .

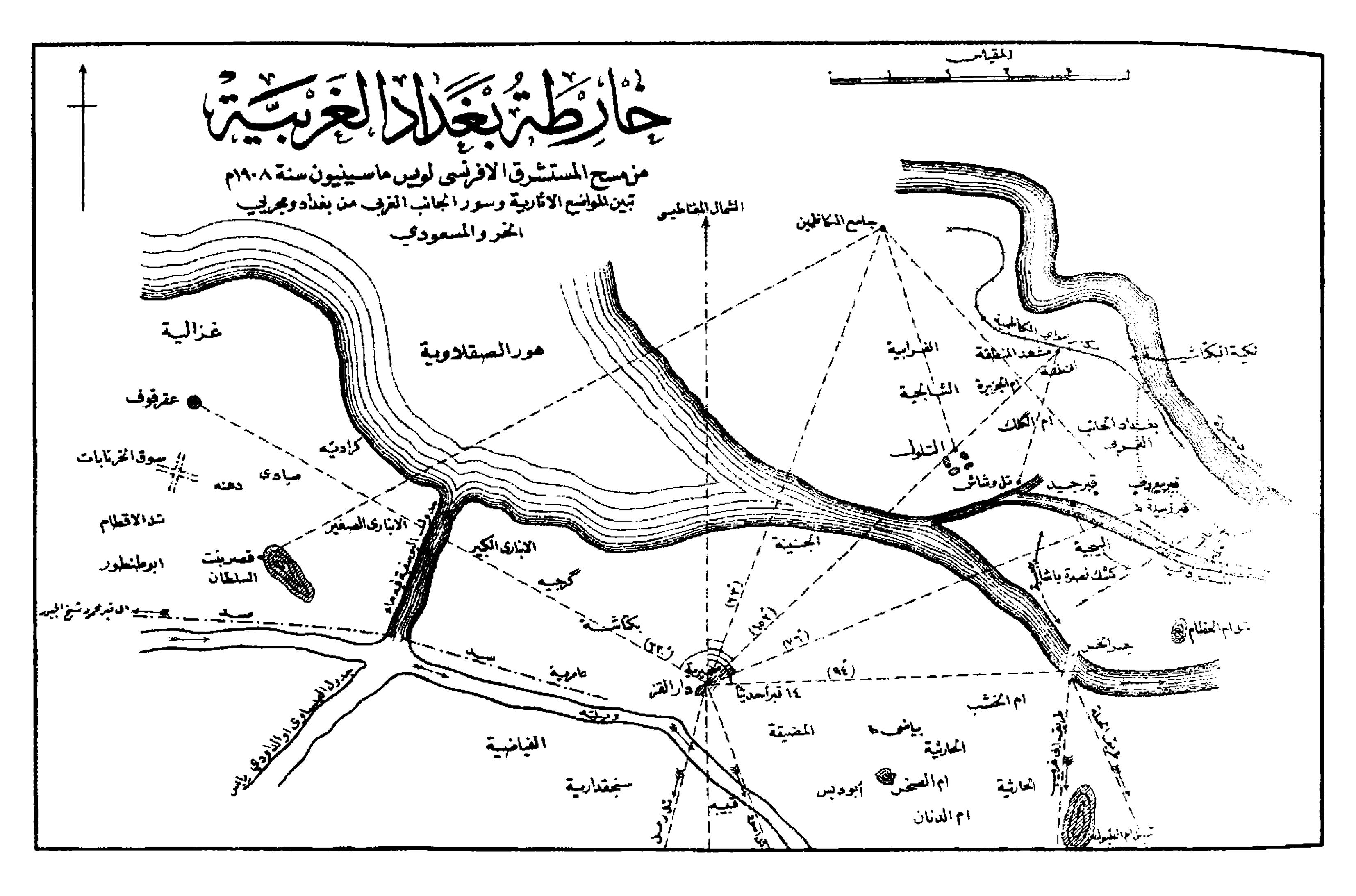
وأهم ما أنشيء من المباني التاريخية أيضاً خلال هذه الفترة الطويلة من تاريخ بغداد ما بين احتلال هولاكو لها في سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) واحتلال البريطانيين لها في سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) مئذنة جامع الخليفة التي تم تشييدها في سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩م) على عهد « أباقا بن هولاكو » الايلخاني ٦٦٣ — ٦٨٠ هـ (١٢٦٤ — ١٢٨١ م) وولاية علاء الدين عطا ملك الجويني على العراق ، وهي لا تزال قائمة الى يومنا هذا وتعرف باسم « منارة سوق الغزل (٢) » . وقد أنشأ الوالي سليمان باشا الكبير ١١٩٣ — ١٢١٧ هـ (١٧٧٩ — ١٨٠٢ م) جامعاً بقرب المنارة لا يزال قائماً حتى اليوم ويعرف بجامع سوق الغزل، وقد هدم أخيراً من أجل شق الشارع الجديد . ومن أعماله أيضاً السور الجديد الذي أقيم في الجانب الغربي من بغداد والترميمات التي أجريت في سور المدينة الشرقية .

وقد أنشيء في هذا العهد أيضاً خان علاء الدين الجويني بباب الغربة وقد تقدم ذكره واشتهرت في هذا العصر بباب بدر الديوان خانه قرب « رواق عزيز » وهو من أروقة دار الخلافة وهذا الرواق كان معروفاً في أواخر أيام الدولة العباسية وبعد انقراض تلك الدولة ، قال

---

(١) ان نهر المسعودي القديم الذي تقدم ذكره في ص ٦٧ فرع من نهر الخر (الذي هو المجري الجديد لنهر عيسى وفرعه الصراة) يتشعب من جانبه الايسر في نقطة تقع على مسافة قليلة من الشمال الغربي لمحلات الجانب الغربي فيسير موازياً له من الجهة الشرقية ثم ينتهي الى دجلة ، وكانت مياه الفيضان التي تتسرب من نهر الفرات في نهر عيسى تملأ هور عقرقوف فتهدد الجانب الغربي من بغداد بالغرق، فاستخرجوا لها في أيام الأتراك العثمانيين مجرى يمتد نحو الجنوب فيتصل بدجلة ، وقد يكون هذا المجري فرعاً من نهر عيسى الأعظم فوسعوه . ولا يزال يتذكر أهل بغداد الغربية نهر المسعودي الذي كان يهددهم بالغرق لقربه من عمران الجانب الغربي من بغداد (راجع مجرى النهر في خارطة الأستاذ ماسينون الملحقة بالكتاب) .

(٢) راجع بحث جامع الخليفة ، ومنارة سوق الغزل .


خارطة بغداد الغربية
من مسح المستشرق الافرنسي لويس ماسينيون سنة ١٩٠٨م
تبين المواضع الاثارية وسور الجانب الغربي من بغداد ومجرايي الخر والمسعودي
المقياس
الشمال المغناطيسي
جامع الكاظمين
غزالية
هور الصقلاوية
عقرقوف
كراديه
سوق الخرنابات
ميادي
دهنه
تل الاقطام
الاباري الصغير
الاباري الكبير
قصر بنت السلطان
ابوطنطور
گرجيه
بكاشة
عامرية
القيامية
سجقدارية
دار القز
١٤ قبر احديثيا
الجنينة
الشالجية
الفرابية
ام الجزيرة
ام الكلك
التلول
تل وشاش
قبر جيد
بغداد الجانب الغربي
البجية
كشك نصرة باشا
جسر الخر
الحارثية
المضيقة
بياض
ام الخشب
ام المحصر
ابو دبس
ام الدنان
نكية البكتاشية
تل شاش
قبر زبيدة
قبر معروف
متعهد المنطقة
مقام العظام

صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر الأرموي الموسيقار الخطاط المشهور فى سيرة نفسه : « وردت بغـــداد صبياً (١) وأثبتُ فقيهاً شافعاً بالمستنصرية أيام المستنصر ، فاشتغلت بالمحاضرات والأدب والعربية وتجويـــد الخط ؛ فبلغت غاية ليس فوقها غاية ثم اشتغلت بضرب العود فكانت قابليتي فيه أعظم من الخط ، لـكني اشتهرت بالخط ولم أعرف بغيره فى ذلك الوقت ثم إن الخلافة وصلت الى المستعصم ، فعمر خزانتي كتب متقابلتين برواق عزيز وأمر أن يختار لها كاتبان يكتبان ما يختاره ، ولم يكن فى ذلك الوقت أفضل من الشيخ زكي الدين عبد الله بن حبيب ، وكنت دونه فى الشهرة فرتبنا فى ذلك (٢) » .

ورواق عزيز هـــذا يتعين أنه كان وراء منظرة الريحانيين بباب بدر فيما يلي المدرسة الرجانية من الجنوب ، قال فى المراصد : « منظرة الريحانيين : منظرة على السوق المشهور المعروف بالريحانيين فى وسط بغداد ... ومن ورائها بستان كبير متسع وفيه خزانتان متقابلتان للكتب أنشأهما الامام الشهيد المستعصم بالله من وراء المنظرة وهي بباب بدر أحد أبواب دار الخلافة » . ولم يزل معروفاً ببغداد « درب الرواق » عند المدرسة المرجانية ثم هدم ما فيه من المباني أخيراً وأنشىء أسواقاً وخانات . وقال ابن تغري بردي فى سيرة الشيخ حسن الكبير الجلايري : « وكان في أيامه الغلاء العظيم ببغداد حتى أبيع (كذا) الخبز بصَنج الدراهم ، ونزح النـاس عنها ثم تراجـع النـاس اليها قليلاً في سنة (ثمان وأربعين وسـبعمائة) عندما أظهر العدل في الرعية ، وكان مشكور

(١) قال الأستاذ هـ . ح فارمر في تاريخ الموسيقى العربية « ص ٢٦٧ » من الترجمة العربية . « ومن المحتمل أن صفي الدين ... الأرموي البغدادي ولد في بغداد في الأعوام الأولى من القرن الثالث عشر وأنه كان من الواضح أن أباه أوجده جاء من أرمية إحدى بلاد أذربيجان » . وهذا وهم منه كما ترى.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٧٨ » ، ونقل هذا الخبر ابن تغري بردي في المنهل الصافي « نسخة باريس ٢٠٧١ الورقة ٩ » .

السيرة : واستمر على ذلك الى سنة تسع وأربعين [وسبعمائة] فتوجه الى ششتر ثم عاد الى بغداد فوجد نوابه قد وجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاثة أحباب نحاس طول كل حب ذراعين (كذا) ونصف مملوءة ذهباً مصرياً وفي بعضه صكة (كذا) الامام الناصر لدين الله أحد خلفاء بغداد ، وكان وزن ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي ، يكون ذلك خمسمائة ألف مثقال »[1] . وقال ابن حجر العسقلاني في سيرة الأمير المذكور : « ولما كان في سنة ٧٤٩ توجه الى تستر ليأخذ من أهلها قطيعة قرّرها عليهم فأخذها وعاد فوجد نوابه في بغداد قد وجدوا في رواق العزيز[2] ببغداد ثلاثة قدور (كذا)[3] مثل قدور الهريسة ، طول كل حب منها نحو ذراعين ونصف والثلاثة مملوءة ذهباً مصرياً وصورياً ويوسفياً وفي بعض سكة الناصر البغدادي ، فيقال جاء وزن ذلك أربعين قنطاراً بالبغدادي »[4] .

وقال الغياث البغدادي : « وظفر في بغداد بخبيأة ، قيل إنه وجد فيها خمسمائة ألف مثقال ذهباً »[5] .

وجاء في أحداث « پير بوداق بن جهانشاه بن قره يوسف » من آل قره قوينلو الحادثة بعدولايته الثانية على بغداد يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة « ٨٦٦ هـ » أنه ضرب على أهل بغداد ضريبة مقدارها « ألف وثمانمائة تومان »[6] ، وأصاب أهل بغداد

---

(١) نسخة باريس « ٢٠٧٠ الورقة ١٦ » .

(٢) في طبعة الأستاذ فريتس كرنكو المستشرق « رواق الغزر » وفي نسخة « رواق القدر » وهما من التصحيف . وكان كرنكو قد نشر ترجمة الشيخ حسن هذا في مجلة لغة العرب « ٦ : ٣٤٨ » للأب أنستاس ماري الكرملي وذكر الرواق باسم « رواق الغزر » أيضاً ، فعلق عليه أنستاس « لعلها رواق الغز أو رواق الخزر وهما من الترك وكان لكل قوم أو قبيل في بغداد محلة أو رواق كما كان الأمر في هذه البلاد الى نحو قبل خمسين سنة » . وهذا كلام من لم يعلم من خطط بغداد شيئاً .

(٣) المعروف أن القدر مؤنثة قال الجوهري : وتصغيرها قدير بلا هاء على غير قياس .

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة « ٢ : ١٤ » .

(٥) التاريخ الغياثي « ص ١٦١ » .

(٦) التومان عشرة آلاف دينار في تلك الأعصار .

من الضرب والتعذيب ما لا يصعب وصفه ، ومضت على ذلك سنة ، وبينما كان أحد الأمراء وهو « سيدي علي » يعمر أرضاً برواق عزيز إذ انكشف له سرداب فيه مال عظيم من الذهب الأحمر ، فأعلم به الأمير « پير بوداق » ووزنوه فكان سبعمائة مَنّ بوزن تبريز (سبع قناطير حلبية) كلها مسكوكة بسكة الخليفة الناصر لدين الله ، من ذهب إبريز تام العيار ، وكان من أموال الخليفة الناصر ، وقد دفنه وزرع فوقه الشجر والتاريخ حتى لا يفطن له ، قال الغياث البغدادي الذاكر لهذا الخبر : « وكذلك كان قد فعل الخليفة الناصر فانه كان مولعاً بجمع الذهب وحبه ، ولكن جميع ما دفنه استخرجه ولده المستنصر [1] ؛ وله قصة طويلة ، وأخرجه على العمارات وأبواب البر ، وأراد سيدي علي أن يجعل تلك الأرض (ديوان خانه) فبينما كان البناؤون يحفرون الأساس وقعوا بها » [2] .

ومن هذه الحادثة شاع في المجتمع البغدادي وجود أحباب الكنوز التي تحرسها الجن ولا تسلمها إلا إلى أصحابها وطمع الناس في وجدان الركاز المطلسم .

ومن المباني التاريخية البارزة التي ترجع الى هذا العهد أيضاً ، ولا تزال آثارها باقية الى الآن المدرسة المرجانية وكذلك الخان المسمى خان مرجان الذي كان من موقوفاتها . وقد شيد هذه المدرسة والخان أمين الدين مرجان مولى الشيخ أويس خان الإيلكاني الجلايري « ٧٥٥ — ٧٧٣ هـ » (١٣٥٦ — ١٣٧٤ م) فأسس المدرسة لتدريس الفقه الشافعي والفقه الحنفي . وبنى عند باب المدرسة منارة ، ولكثرة ما اعتاد الناس الصلاة في جامع المدرسة سميت « جامع مرجان » وتعرف اليوم بهذا الاسم . وكانت قد نقشت الوقفية على الآجر في مصلى المدرسة ، ثم نقلت الى مخازن مديرية الآثار العامة أخيراً لتغيير أدخل في المدرسة بسبب تقويم شارع الرشيد . أما الخان فقد تم بناؤه في سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٨ م) ويعرف بخان

---

(١) نقلنا آنفاً ما عثر عليه في أيام الشيخ حسن الكبير .

(٢) التاريخ الغياثي « ص ٢٧٧ » .

الأورطمة أو الأورتمة أي الخان المستور المغطى بالتركية وهو قائم بالقرب من المدرسة في سوق الثلاثاء القديم وقد رممته مديرية الآثار القديمة العامة وجملته متحفاً إسلامياً أطلقت عليه اسم « دار الآثار العربية » وملأته بالتحف الأثرية وأصدرت بما فيه نشرة مصورة .

وفيما يأتي الكتابة المنقوشة فوق باب المدرسة المرجانية على حسب تحقيق أحد المؤلفين الدكتور مصطفى جواد : —

١ — « بسم الله الرحمن الرحيم . إنما يخشى الله من عباده العلماء .

٢ — أنشأ هذه المدرسة المباركة والمصلى من فواضل [١] ... السعيد ... أنار الله

٣ — برهانها في دولة ولدها النويان الأعظم الـ ... السعيد شيخ حسن ... الله

٤ — وكلت في إيالة ولده النويان الأعظم ناشر العدل في العالم سلطان السلاطين غياث الدنيا والدين ومغيث

٥ — الاسلام والمسلمين شيخ أويس نويان ... الله دولته على يد مولانا الصاحب الأعظم ملجأ وملاذ الأمم

٦ — مربي الملوك وعضد السلاطين وكهف الضعفاء ... المخصوص بعناية الرحمن أمين الدين مرجان

٧ — أسبغ الله عليه نعمه الجز يلة .. إنه هو الكريم المنان . ابتدأ عمارة

٨ — هذا المكان في تاسع جمادى « .... » وصلى الله على سيدنا ومولانا

٩ — نبي الرحمة وشفيع الأمة ومجلي الغمة محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

١٠ — والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين . كتبه العبد الضعيف المحتاج الى رحمة الله تعالى أحمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم التبريزي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه » [٢] .

---

(١) كانت صدقات فاستبدل بها « فواضل » وهي أقرب الى صورة الكلمة الظاهرة وأشهر في الاصطلاح .

(٢) مجلة لغة العرب « ٧ : ٦٩٠ » سنة ١٩٢٩ .

وهذا نص الكتابة المنقوشة فوق خان الأورتمه على حسب تحقيق أحد المؤلفين الدكتور مصطفى جواد أيضاً :

١ — « بسم الله الرحمن الرحيم

٢ — أمر بانشاء هذا التِّيْم [1] المبارك والدكاكين المولى المخدوم الأمر ، الصاحب الأعظم

٣ — الأعدل ملك ملوك الأمراء فى العالم ، صاحب العدل الموفور عضد السلطنة والامارة حاوي مرتبة الوزارة والامارة

٤ — افتخار شهد الأوان المخصوص بعناية الرحمن أمين الدين مرجان الأولاقايتي وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة كذلك عقرقوف

٥ — والنصف من القائمية وتل دحيم ومزرعة بالصراة وبساتين بالمخرمية وبساتين بقرية الترك والزادماز وخرماباد

٦ — ورباط جلولاء المعروف بقزل رباط وزرين جوي ونصف دوري وبساتين ببعقوبا وبوهريز وبالبندنيجين وخان ودكاكين

٧ — بالحلبة وأربع خانات ودكاكين بالجوهريين وخان بالجانب الغربي ودكان كاغد بالحريم كما هو

٨ — محدود مشروح فى الوقفية وقفاً صحيحاً شرعياً تقبل الله تعالى منه الطاعات فى الدارين وبلغه نهاية المراد وكان الفراغ منه سنة ستين وسبعمائة والحمد لله وحده

٩ — وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الصادق وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم . كتبه الفقير الى رحمة ربه أحمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم غفر الله ذنوبه [2] » .

---

(١) التيم هو خان التجار بفارسية خراسان .

(٢) مجلة لغة العرب « ٧ : ٦١٥ — ٦١٧ » (١٩٢٩) .

وفي يسار الداخل في الخان إعلان نُقر في صخرة في زمن إسماعيل شاه الصفوي ، وهو مرقوم على الجانب الشرقي من جدار الباب الشمالي من الخان وهذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم في أيام حضرة السلطان الولي الدال على المذهب الامامي شاه إسماعيل بن حيدر الصفوي الحسني أيدت دولته ووقف عاليجناب الأمير الكبير المخصوص من الله بالعناية والاحسان الأمير العادل « قنفرار سلطان » على قول الله تعالى « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » واعلم أن عواقب الظلم ذميمة وموارده وخيمة فصدر أمره العالي بألا يؤخذ من دلالي الابريسم ومن عزة (كذا) الاقمشة شيء بعلة الضمان ومطامع الديوان وألا يؤخذ من جند حاكم بغداد وغلمانه وأرباب ديوانه شيء بعلة التمغا ومن غيّر ذلك أو شيئاً منه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وكتب في ذي الحجة سنة ٩٢١ والحمد لله وحده (١) » وهذا النقش على الحجر كان من وسائل النشر والاعلان .

وأنشأ الوالي مرجان مارستاناً ببغداد سماه دار الشفاء وقد نصّ عليها في وقفيته المنقورة فوق باب خانه الشمالي ، قال : « وقفها على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة » . وإذ كنا نعلم أن باب الغربة هو باب شارع المستنصر علمنا أنّ دار الشفاء كانت في موضع المتجر المعروف قبل سنين بقهوة الشط مع البنك البريطاني الأخير للشرق الأوسط في نهاية شارع السموءل على شاطيء دجلة ، وقد ذكرنا أنّ هذا الموضع كان رباط الدرجة وهو أحد الرباطين اللذين بناهما مجاهد الدين بهروز والي العراق في بعض العصر السلجوقي وقد توفي سنة « ٥٤٠ هـ » قال عبد الله بن فتح الله الغياث البغدادي في سيرة مرجان المذكور : « وكان مرجان رجلاً خيراً استأنف عمارات وجدد عمارات دائرة من قديم وأوقف عليها العقار والضياع — كما نطقت به وقفيته — ونقر ذلك على جدران العمارات ، وكان له خيرات على الفقراء والمساكين حتى أطعم السنانير والزرازيق وحيتان الشط والطيور من اللحم والخبز والشيلم في سحن دار الشفاء وصحنها على جانب دجلة ، وكان ثلثا الوقف لدار الشفاء والثلث

(١) مصطفى جواد في لغة العرب « ٧ : ٦١٧ » .

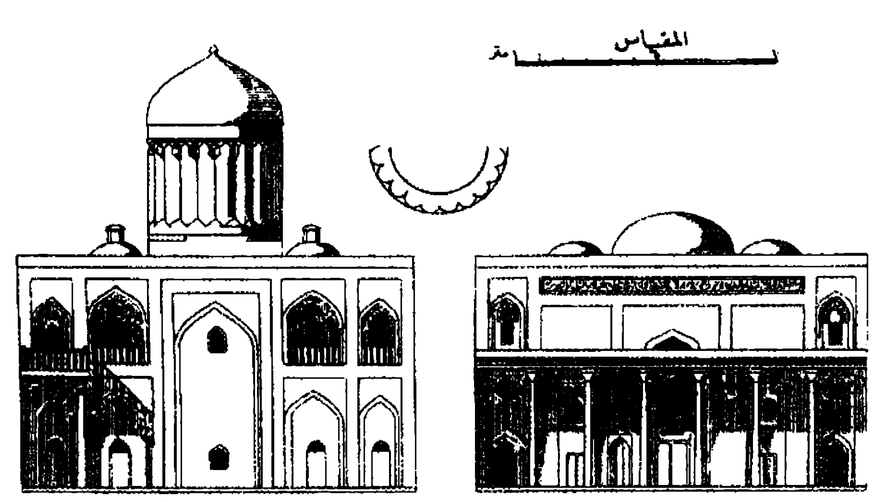
المدرسة المرجانية

حسب تخطيط سار وهرزفلد

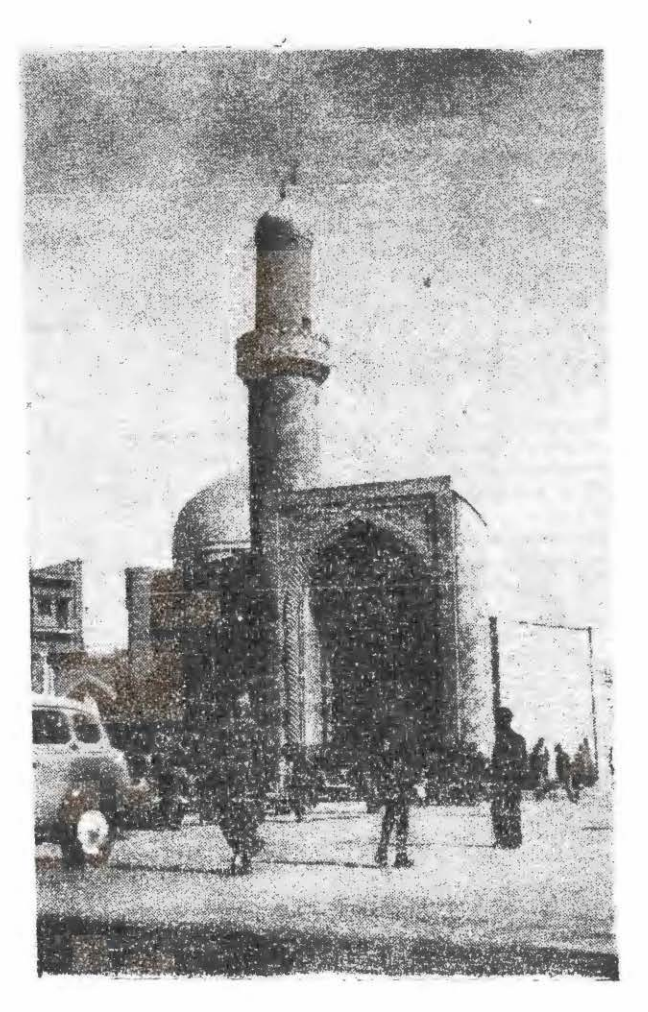
المخطط

المقياس

متر



الواجهة الأمامية للمدرسة والمصلى



المدرسة المرجانية

مقابل الصفحة ٢٢٠

المدرسة . ثم عمارة الايكجية وكانت داية السلطان وتسمى مخدومشاه وتلقب أيكجي لها مدرسة عظيمة ، ودار الشفاء وكانت دار الشفاء على جانب دجلة ، فبنى السلطان أحمد [بن أديس الجلايري] في وجهها القلندرخانه [(١)] » .

والقلندرخانة : وقد تقدم ذكرها تعني « خان القلندرية » وهم طائفة من المتصوفة المتحللين من أكثر الفرائض الدينيّة الاسلامية ، وكانوا يحلقون رؤوسهم ولحاهم ، وقد ظهرت القلندرية في العراق في القرن السابع للهجرة ، قال علي بن عبد العزيز المغربي الأصل البغدادي الشاعر المتوفى سنة ٦٨٤ :

لا بد تظهر بين الناس   قلندري محلوق الراس
تلبس عوض ذا الكتان   حلتك من صوف الخرفان
أوراقها وتصبح عريان [(٢)]

وعلى هذا تكون « القلندرخانه » في موضع المدرسة البهائية العتيقة أي الخان المقابل لقهوة الشط من الشمال ، في الجانب الشرقي أو ممتدة إلى خان الباجهجي ؛ ولم تكن في الجانب الغربي ، كما ورد في بعض الكتب الحديثة [(٣)]. وقد تكرر ذكرها في التاريخ الغياثي ففي « ص ٢٣٢ » منه « ثم حضر في الجاثليق وعمل عرساً عظيماً ثم شرب الى نصف الليل وقام حتى يجيء الى القلندرخانة يدخل على العروس » وفي « ٢٣٥ » منه « وأما الجماعة المقبوضون فجاء بهم يوم الأحد حادي عشر شهر جمادى الأولى سنة ٨٢٥ وجلس على شاطئ دجلة تحت القلندرخانه وهو يشرب » ؛ وفي « ص ٢٤٥ » منه « فأعلموا إسمان ذلك فتوجه من الجاثليق الى القلندرخانه وتحيّر في أمره » ، وقد أراد بالجاثليق دار

(١) التاريخ الغياثي « ص ١٦٣ » من نسخة الأب أنستاس الكرملي المحفوظة في مكتبة المتحف العراقي .

(٢) فوات الوفيات « ج ٢ ص ١١٥ » من طبعة مصر الجديدة .

(٣) راجع أصول ألفاظ اللهجة العراقية « ص ٨٠ » .

علاء الدين ألطبرس المعروف بالدويدار الكبير التي كانت على شاطىء دجلة في دار الخلافة العباسية [1] كما ذكرنا قبلاً .

وأما « المدرسة المسعودية » التي أشرنا اليها في (ص ٦٨) » فقد ذكرها الغياثي بعد ذلك قال : « ثم عمارة خواجة مسعود بن سديد الدولة [2] ، وكان من أكابر بغداد ، فأسس مدرسة وأسواقاً في غاية الحسن وقفاً على المذاهب الأربعـــة ، على صفة المستنصرية [3] ، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة . والخطوط التي على جدران المدرسة بيده ، ودار الكتب أكثرها بخطه ، وكان يكتب خطاً حسناً ، وكتب اسمه على جدران المدرسة بهذه العبارة (وكتبه مسعود بن منصور بن أبي هارون الهاروني [نسباً الشافعي مذهباً) ، وكان يتصل بهارون أخي موسى بن عمران ، وكان أبوه يلقب ســـديد الدولة [2] ... ولما مات سديد الدولة عن مال كثير ورثه ولداه داود ومسعود ثم مات داود واستولى مسعود على الجميع ثم اقتضى رأيه أن يعمر هذه المدرسة فابتدأ بعمارتها في أيام السلطان أويس وانتهت في أيام السلطان أحمد . ولما تمت استدعى السلطان لينظرها وفرشوا تحت أرجله الديباج من مسافة ثلاثمائة ذراع ، وخواجه بهادر مملوك خواجه مسعود على كتفه قربة السقاء مملوءة من الدراهم رشها تحت أرجله ، وأما باقي الولائم والتقاديم فلا نعرف شرحها ... وقال بعض الشعراء من جملة قصيدة يمدح الخواجة [مسعود ويصف المدرسة :

وللقماري في الأسحار هينمة ... كالورق ما بين تسجيع وتغريد
أضحت مزامير داود ولا عجب ... أن المزامير تُتلى عنــد داود

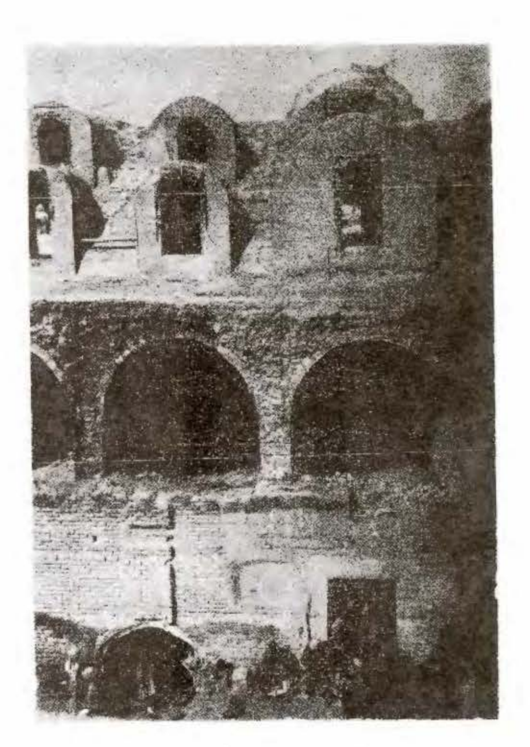
يعني به أخاه [داود] المدفون في المدرسة [4] » .

(١) كتاب الحوادث « ص ٣٣٣ — ٣٥٤ » وقد قدمنا الكلام عليها في (ص١٩٧) .

(٢) راجع أخبار سديد الدولة في هذا الكتاب « ص ٦٧ » .

(٣) أي في كونها وقفاً على المذاهب الأربعة لا على شكلها .

(٤) التاريخ الغياثي « ص ١٦٥ » من نسخة الأب أنستاس الكرملي المقدم ذكرها .



خان مرجان « خان الأورطمه »　　　مقابل الصفحة ٢٢٤

وظهرت في هذا العصر عمارة تسمى « عمارة الأمير أحمد » وقد جاء ذكرها في التاريخ الغياثي غير مرة ومن ذلك قوله : « وفي هذه السنة [٨٣٤ هـ] تزوج إسبان نكارشا خاتون ، وكان ساكناً بعمارة الأمير أحمد بالجانب الغربي [١] » . ثم قال : « إسبان لما توفي والده يوسف توجه الى الشاه محمد ببغـــداد وقد مرت قصته وكان ساكناً بالجانب الغربي بعمارة الأمير أحمد [٢] » . ثم سمّاها قلعة الأمير أحمد قال : « وأما ألوند لما سمع أن جهانشاه متوجه اليهم أرسلوا الى ألوند جاؤوا به من الحلة فوصل الى الجانب الغربي ونزل بقلعة الأمير أحمد [٣] » . وقال بعد ذلك : « وتوجهوا بالليل وكمنوا تحت عمارة الأمير أحمد فلما طلع الفجر فتحوا باب القلعة فأخذوا الجسر [٤] » .

وفي الواقع أن المراجع التاريخية للعصر الذي تقضي بين سقوط الدولة العباسية وقيام الدولة الصفوية قليلة جداً ، فضلاً عن المراجع الخططية ، وترد في أثناء الحوادث أسماء عمارات لم نجد الى اليوم أخبار إنشائها كعمارة الأمير أحمد بالجانب الغربي من بغداد ، المقدم ذكرها في هذه الصفحة من الكتاب ومثل « دار العبادة اللؤلؤية » فقـد جاء في آخر نسخة من كتاب « الكامل » في الطب للمجوسي ، مخزونة في خزانة كتب الجامعة العلمية الخالصية بالكاظمية أنها تمت كتابتها في « سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ... بدار العبادة اللؤلؤية بالجانب الشرقي من بغداد » وأنها كانت في « خزانة السلطان أبي الفتح إبراهيم سلطان » وكاتبها « محمد بن عبد الرحمن بن أحمد البعلبكي الشافعي » .

ومنها عمارة الايكجية ومدرستها المقدم ذكرها في الكلام على دار الشفاء وهما منسوبتان الى مخدومشاه داية السلطان وتلقب « إيكچي » وقد وصف الغياث البغدادي مدرستها

---

(١) التاريخ الغياثي « ص ٢٣٤ » .

(٢) المرجع المذكور « ٢٤١ » .

(٣) المذكور « ٢٧٤ » .

(٤) المذكور « ص ٢٥٤ » .

بأنها عظيمة ، ولكنها زالت ولم يمكنا تعيين موقعها ، وقد جاء ذكرها مختصراً بحيث لا يستطيع المؤرخ الموثق أن يقول فى تعيينها قولاً ، كائناً ما كان القول .

ومن الترب القديمة الزمان المجددة ، تُربة الشيخ صدر الدين إبراهيم الحموئي الجويني الذي نسبت اليه محلة الصدرية بالجانب الشرقي من بغداد ، وهي بين سوق الصدرية وباب الشيخ وتعرف بجامع صدر الدين ، قال ابن تغري بردي : « إبراهيم بن محمد بن الشيخ الامام العلامة المحدث شيخ خراسان صدر الدين أبو المجامع ابن الشيخ سعد الدين المؤيد بن حمويه الجويني الشافعي الصوفي الزاهد . مولده سنة بضع وأربعين وستمائة ... وسمع ... وعني بهذا الشأن جداً وكتب وحصل ، كان مليح الشكل ، جيد القراءة ، ديناً وقوراً وهو الذي أسلم على يده غازان .. وقدم الشام سنة خمس وتسعين ثم حج سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ... وسمع صحيح مسلم من عثمان بن موفق سنة أربع وستين وستمائة ببغداد ومن الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش ... قال الذهبي أنبأني ظهير الدين علي بن محمد الكازروني قال : وفى سنة إحدى وسبعين [وستمائة] اتصلت ابنة علاء الدين الجويني صاحب الديوان بالشيخ صدر الدين أبي المجامع إبراهيم بن الجويني والصداق خمسة آلاف دينار ذهباً أحمر ... وله مجاميع وتواليف (انتهى كلام الذهبي) . قلت : وله تاريخ فى مجلدات باللغة العجمية (١) ، وكان معظماً فى الدولة الغازانية مبجلاً الى الغاية . توفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ـ رح ـ (٢) » . وجاء في الدر الكامنة « ١ : ٦٧ ، ٦٨ » أنه توفي بالعراق . قلت : وهو مؤلف « فرائد السمطين فى فضائل السبطين » وقد طبع بايران .

وورد من أسماء المباني في هذا العصر ذكر « الأربعيني » وهو اصطلاح يدل على أنه

---

(١) يظهر لنا أن هذا وهم من المؤرخ فان التاريخ الذي باللغة الفارسية هو لوالد زوجته علاء الدين الجويني وهو جهان كشاي .

(٢) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي « ١ : ١٤١ ، ١٤٣ » .

قصر أو بيت طوله أربعون ذراعاً كما قالوا « الستيني » لبيت كان في دار سبكتكين التي كانت بالمخرّم في أعلى الايلوازية « العيواضية » . قال الخطيب البغدادي : « حدثني هلال بن المحسن الصابي قال : كانت دار المملكة [البويهية] التي بأعلى المخرّم محاذية الفرضة قديماً لسبكتكين مملوك معز الدولة أحمد بن بويه ، فنقض عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه أكثر الدار ولم يستبق إلا (البيت الستيني) الذي هو في وسط أروقة من ورائها أروقة ، في أطرافها قباب معقودة . وتنفتح أبوابه الغربية إلى دجلة وأبوابه الشرقية الى صحن من خلفه بستان نخل وشجر ، وكان عضد الدولة جعل الدار التي هذا البيت فيها دار العامة وجعل البيت برسم جلوس الوزراء ، وما يتصل به من الأروقة والقباب مواضع للدواوين ، وجعل الصحن مناماً لديلم النوبة في ليالي الصيف . قال هلال : وهذه الدار وما تحتوي عليه من البيت الستيني والأروقه خراب اليوم [1] » .

والأربعيني الذي أشرنا إليه ورد ذكره في أخبار الشاه منصور بن زينل من آل قرەقوينلو التركمان المقدم ذكرهم ، وكان قد تولى الحكم ببغداد والعراق بعد وفاة أخيه حسين علي بن زينل يوم الأحد الثاني من شهر ربيع الآخر سنة « ٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م » وقد ذكر الغياث البغدادي أنه كان على عكس أخيه ظلوماً غشوماً قتل جماعة كبيرة من أكابر الجيش بغير ذنب ، وكان يقضي أكثر نهاره وليله بالشراب وأكل الحشيشة المسكرة والفسق بالنساء ويكثر من الركوب والتطبيل والتزمير ، وبقي على ذلك مدة شهرين ، وكان مقصود بك بن أوزن حسن المعروف بحسن الطويل أيضاً من آل آق قوينلو والأمير كور خليل بالموصل ، فتوجها في جنودهما الى كركوك ودقوق (طاووق) وآلتون كوپري ونزلا هناك ، وأرسلا الى الشاه منصور يطلبان منه تسليم بغداد والنزول عن الامارة صلحاً ؛ فأجابهما إلى ذلك خديعة ودعاهما الى القدوم عليه ، فسارا نحو بغداد حتى وصلا في عصر أحد الأيام إلى

(١) تاريخ بغداد « ١ : ١٠٥ » وراجع « ص ١٣٩ » من هذا الكتاب .

أرض بين قرية « دَوْخلة » وقرية « الجديدة » وخرج الشاه منصور بجنده وحشمه للقائهما ومُوافقتها ، ثم خيّم في الطريق وقال لجيشه : « قد طبخنا طعاماً فكلُوا ثم توجهُوا إليهم بكرة » ، وفي تلك الليلة انضمّ جميع جنده وحشمه الى مقصود بك وكور خليل وبقي وحيداً في خيمته، فلما استيقظ لم يجد من أصحابه أحداً، واستولى أعداؤه على جميع عُدته وآلاته وخيله حتى فرسه وتركُوا له « إكديشاً » لا يكاد يتحرك من مكانه من الضعف ، فأركبوه إياه وجاؤوا به إلى بغداد ، واحتل مقصود بك بن حسن الطويل وكور خليل بغداد ، وتوجه الشاه منصور إلى داره ، وأخلى لهم دار السلطنة واتخذ الأربعيني داراً له . فهاهنا ورد اسم الأربعيني ولم نقف على الذي بناه ولعله من الديوان خانه . وبقي الشاه منصور يتردد الى الديوان فاشتكته النساء اللواتي كان قد قتل أزواجهن بغير ذنب ، واستُدعي القضاة واستفتُوا في قضيته فثبت عليه قتل النفس المحرّمة ، فأفتوا بالقصاص منه ، فقتله آل آق قويفلو وقتلُوا معه أخاه بيرام بيك ، وألقوا جثته في الميدان [1] ، فأكلت بعضها الكلاب ثم دفنوا عظامه بمقبرة في جوار قبر قنبر علي ، وكان قتله في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة « ٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م [2] » . وبقتل الشاه منصور المذكور قُرضت دولة آل قره قويفلو ببغداد والعراق وانتقل الحكم فيه الى آل آق قويفلو .

وقبل أن نختم بحثنا عن هذا العهد المظلم من تاريخ العراق وهو العهد الذي دام زهاء

---

(١) هذا آخر ميدان ورد ذكره في خطط بغداد ، وهو ميدان القلعة المعروف اليوم وباسمه سميت محلة الميدان . وكان ببغداد على اختلاف العصور عدة ميادين منها ميدان الأشنان وميدان الأمين وميدان باب الأزج وميدان فخر الدولة وميدان الحلبة وميدان معز الدولة وميدان خالص وميدان الرصافة وميدان دار المملكة البويهية ، وميدان سبكتكين وميدان المعتضد ، وإذا أطلق الميدان عني ميدان الرصافة أو ميدان الكرخ المعروف بميدان الأشنان . ذكرنا ذلك لتبصير من يجد اسم « الميدان » أحياناً في بعض الكتب فيظن أن لبغداد ميداناً واحداً ولا يعرف من الميادين غيره ويجهل اعتبار الخطط .

(٢) التاريخ الغياثي « ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨٢ — ٢٨٧ » .

سبعة قرون يحسن بنا أن نستعرض بصورة إجمالية الأحوال التي شهدها العراق عامة وبغداد خاصة خلال عهد حكم الأتراك العثمانيين الذي استغرق زهاء أربعة قرون وقد ترك أثراً عميقاً لا تزال مظاهره بينة في معظم نواحي حياتنا العامة .

كان العراق منذ فتح السلطان سليمان القانوني بغداد وخصوصاً بعد أن استردها السلطان مراد خان الرابع مستقلاً استقلالاً إدارياً ويقوم بادارته وال مركزه في بغداد ، وكان منصب الوالي في الدولة العثمانية خطيراً فكانت سلطته في معظم الحالات تمتد إلى كافة أنحاء القطر العراقي ، ويغلب عليه لقب الوزير . وكانت منطقة العراق إمارة كبيرة مستقلة في شؤونها تسمى (إيالة) وتنقسم إلى عدة ولايات وتضم في أكثر الأحيان ولاية الموصل وكردستان والجزيرة . وكان الوزير مستقلاً بادارة البلاد والجيش مستبداً بحكمه وهو الذي يولي الولاة على سائر المدن المربوطة ادارياً ببغداد . وكانت إيالة العراق وخصوصاً بغداد في حالة يرثى لها من التردي والانحطاط تحت حكم الولاة الذين كانوا يستبدل بهم بين حين وآخر بمعدل وزير في كل ثلاثة أعوام (راجع الملحق الثاني — الدولة التركية العثمانية وولاتها في بغداد) . وفي بعض الحالات لا يستقيم الوزير أكثر من بضعة أشهر ، وبعضهم لم يتح له مباشرة وظيفته أكثر من بضعة أيام حتى عيّن غيره . وقد أصاب بغداد خلال هذه الفترة من تاريخها أنواع المصائب والأهوال بسبب استبداد الولاة الذين لم يكن ديدنهم غير جمع الأموال واستصفائها من الاغنياء وفرض الضرائب الثقيلة . والذي زاد في المصائب تفشي الاضطراب في الدولة العثمانية من جهة وعدم وجود قانون خاص بالبلاد يسير عليه الولاة من الجهة الأخرى فذلك مما أدى إلى أن تحكم البلاد بما يشتهيه الولاة دون خشية من رقيب أو رادع . ولبعد العراق عن عاصمة الدولة العثمانية وصعوبة المواصلات بينه وبين القسطنطينية انتقض جماعة من الوزراء على السلطان وأعلنوا استقلالهم وذلك مما أدى إلى نشوب حروب بينهم وبين سلاطين آل عثمان ، وأصيبت بغداد بسبب ذلك بأنواع المصائب والنكبات والآفات ، يضاف

إلى ذلك الحروب التي كانت تقوم بين الحكومة والقبائل، وبين القبيلة والأخرى، وبين الولاة أنفسهم طمعاً في الإيالة ؛ فكانت تؤدي الى وقوع فتن ومعارك في المدينة . وهكذا كانت البلاد وخصوصاً بغداد في حالة سيئة جداً لا تستقر على قاعدة واحدة بل تتغير بتغيير الولاة الذين كانوا يسيرون الأمور على حسب مشيئتهم فيقتلون من شاؤوا من أهل البلاد ويستصفون أموال من أرادوا من الأثرياء إلاّ النادر منهم . ومن الكوارث التي حلت ببغداد حوادث الغرق العديدة التي كانت تحدث بين حين وآخر لعدم اهتمام كثير من أولئك الوزراء بمصالح البلاد ولاهمالهم شؤون السداد وتقويتها فأدى ذلك الى أضرار كثيرة في النفوس والأموال .

وقد تجلى الظلم والاستبداد في أجلى مظاهرها في المدة التي حكم فيها المماليك بين سنة ١١٦٣ هـ (١٧٤٩ م) وبين سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) وقد استفحل أمر هؤلاء المماليك واشتد بأسهم فأثرى أكثرهم بما استولى عليه من أموال الناس ، وقد انتقضوا على الدولة العثمانية فجلبوا بسبب ذلك أنواع النوائب والمصائب على أبناء البلاد . وكانت الإيالة تمنح في هذا العهد لمن اكتسب قوله نفوذاً ، وكان له أعوان وأحزاب أو كان متفقاً مع رؤساء القبائل ، ومن هؤلاء من نال الولاية بالقوة فيضطر السلطان إلى تسليم الأمر الواقع وتثبيته خوفاً منه . ومع كل ذلك كان من هؤلاء المماليك ولاة اشتهروا بالحزم والكفاية كسليمان باشا الكبير وداود باشا وغيرهما ممن أجروا اصلاحات كثيرة جديرة بالذكر والتقدير .

ومن الولاة الذين اشتهروا باخلاصهم ومقدرتهم مدحت باشا فقد دامت ولايته من سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) الى ١٢٨٨ وقد أدخل هذا الوالي في بغداد خصوصاً وفي العراق عموماً من الاصلاحات والمشاريع الخيرية والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية ما خلد له الذكر الطيب على ممر الايام والأعوام .

فمن المشاريع التي أنجزها خلال مدة الثلاث السنوات التي قضاها في الحكم إنشاء عدة معاهد علمية منها المكتب الرشدي العسكري والمكتب الرشدي الملكي ومكتب الحميدية

عدا المدارس الابتدائية ، وأسس مدرسة الصنائع بناها على دجلة في الجانب الشرقي في محلة الميدان وأرصد لها النفقات واستقدم لها الاساتذة والأدوات وجمع فيها الأيتام ، وأسس مستشفى الغرباء من تبرعات الأهلين بناه على دجلة في الجانب الغربي من بغداد ، وجمع اليه الاطباء والجرحيين والأدوات اللازمة وذلك في سنة ١٢٨٦ هـ . وهو الذي أسس ببغداد دائرة المعارف ودائرة النفوس ودائرة البلدية وبنى للأخيرة محلا ما زال موضعه الأصلي قائماً حتى اليوم . وبنى الثكنة العسكرية (القشلة) وأنشأ معملاً لنسج ثياب الجنود وهو الذي عرف بالمباخانة إلى اليوم. وقد جلب مدحت باشا مطبعة لطبع الكتب فسميت بمطبعة الولاية و مطبعة الزوراء ، ونشر جريدة رسمية باسم جريدة « الزوراء » نشرت في سنة ١٢٨٦ هـ . وهي أول جريدة صدرت في بغداد وكانت تنشر باللغتين العربية والتركية ودامت الى أن زال حكم الاتراك من بغداد . وهو الذي جلب مضخة الماء التي يوزع فيها الماء بين دور بغداد وقصورها، ومن أعماله النافعة أيضاً خط الترامواي الذي كانت الخيول تسحب عرباته بين بغداد والكاظمية . وأراد أن يستثمر النفاطات «عيون النفط» في خانقين فجلب من اوروبا الآلات اللازمة لاستنباط النفط الا أنه عزل قبل أن ينفذ هذا المشروع الخطير، وبقيت الآلات في بعقوبا مدة حتى تلفت . ومدحت باشا أول من قام بتسجيل النفوس ببغداد ، تمهيداً لتطبيق قانون التجنيد الاجباري، فثار فريق كبير من عامة بغداد وعلى أثر ذلك أمر بتوجيه المدافع عليهم فهزم الثائرين [1] .

(١) كانت نتائج الاحصاء الذي اجراه مدحت باشا في سنة ١٢٨٦ هـ . (١٨٦٩ م) للذكور من سكان بغداد وعين في ذلك سكان الاعظمية والكاظمية كما يلي :

مجموع عدد الدور = ١٨٤٠٧ .

مجموع نفوس الذكور = ٦٥٦٨٣ نسمة منهم ٢٤١١ شخصاً من الاجانب وجنسيات الاجانب هي:

ايرانيون	٢١٢٦
انكليز وتبعتهم	٢٦٥

=

ومن أهم أعماله أيضاً بيعه قسماً من الأراضي الاميرية بغية تشجيع استثمار الاراضي وايجاد مورد للاعمار، ومنها أيضاً شراؤه بما جمعه من تبرعات الاهلين باخرتين للنقل بين بغداد والبصرة. ومن جملة أعماله الأخرى هدمه أكثر سور بغداد وتشييده بحجارته معامل ومدارس والقشلة دون أن يمس البروج المتصلة بالقلعة وبرج الطلسم وأبواب بغداد الأربعة، ولما ولي سري باشا بغداد أمر بهدم ما بقي من السور سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) ولم يترك منه غير الأبواب.

وقد ضرب مدحت باشا رقماً قياسياً فى الأعمال الاصلاحية التي قام بها خلال مدة الثلاث السنوات التي قضاها فى الحكم، ويصح أن تكون هذه الأعمال نموذجاً للمثل العليا فى باب الخدمة العامة تتجلى فيه إمكانيات الفرد الواحد وما يستطيع أن يقوم به من أعمال جسيمة حتى فى الأحوال الشاذة وذلك اذا اتخذ الاخلاص رائداً له والجد شعاراً لجهوده.

وفى زمن مدحت باشا زار شاه إيران ناصر الدين شاه العراق قاصداً زيارة العتبات المقدسة ومعه وزراؤه وفريق من جنوده فاستقبله استقبالاً حافلاً، وأنزل ضيفاً فى القصر الذي كان مدحت باشا قد بناه له على دجلة فى حديقة المجيدية وأنفق عليه مدة إقامته فى العراق أموالاً كثيرة من خزينة الدولة.

وكان مدحت باشا أول وزير تركي نظم أمور العراق وآخر الولاة الذين كانوا يدعون بالوزراء، وآخر من كان مستقلاً بادارة البلادالعراقية، وآخر من كانت ايالته تضم ولايات

= روسيون	١٤	
فرنسيون	٣	
نمسيون	٣	
	٤٢١١	المجموع العام

نشرت نتائج هذا الاحصاء في الجريدة الرسمية للحكومة (الزوراء) في عددها التاسع المؤرخ ٢ جمادى الاولى سنة ١٢٨٦ هـ (٩ آب ١٨٦٩ م).

العراق وبعد عزله فى سنة ١٢٨٨ هـ ربطت بغداد بالعاصمة (الاستانة) وأصبح الولاة لا يقومون بعمل ما إلا بأمر السلطان وأصبحت ولاية بغداد مقتصرة على بغداد وما يتبعها من ألوية بعد أن كانت تضم ولايات بغداد والبصرة والموصل وفى أكثر الاحيان كردستان والجزيرة . وأهم ما حدث بعد مدحت باشا فصل القيادة من الولاية سنة ١٢٩٢ وإرسال قائد عام للجيوش العراقية بعد أن كانت القيادة للولاة منذ وقع العراق فى حكم الاتراك .

وبعد أن أعلن السلطان عبدالحميد الثاني الدستور في سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) انتُخب نواب عن بغداد حضروا البرلمان العثماني فى العاصمة لمدة شهر واحد ثم عطل الدستور وأغلق البرلمان وأعيد الحكم الاستبدادي القديم . وعلى أثر الانقلاب السياسي الذي حدث سنة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨ م) أعيد الدستور وعندئذ تغير شكل الادارة ونظمت دواوين الحكومة وأخذت بغداد تسير نحو المدنية والعمران ، وباعلان الدستور أسست في بغداد عدة مدارس رسمية للبنين وثلاث مدارس للبنات ولم يكن قبل ذلك مدرسة رسمية للاناث في العراق ، وادخل فى مناهج التدريس فى المدارس الرسمية الابتدائية تعليم اللغة العربية بعد أن كانت الدراسة مقتصرة على اللغة التركية ، ونظمت مدرسة دار المعلمين وأسست مدرسة الحقوق وغير ذلك من المعاهد العلمية الرسمية والاهلية .

ومن أهم الأعمال التي قام بها الولاة العثمانيون في أثناء حكمهم في بغداد إنشاء مدارس ومساجد وجوامع جديدة وترميم عدة من المساجد القديمة ، وبعض هذه الأبنية لا تزال تعرف باسماء الولاة الذين قاموا بانشائها أو ترميمها ، من هذه الأبنية :

جامع الوزير ـ ويقع فى الضفة اليسرى من دجلة على رقبة جسر المأمون الحالي من الشمال ، وقد سمي بهذا الاسم نسبة الى وزير حسن باشا والي بغداد بين سنة ١٠٠٨ و ١٠١٢ هـ (١٦٠٠ ـ ١٦٠٤م) وكان من جملة الولاة الذين قاموا بترميم المساجد أو تجديدها . وتوجد فى هذا الجامع كتابة منقوشة فى المرمر الموضوع في صدر باب المصلى تشير الى أن الترميمات أجريت

في سنة ١٠٠٨ من الهجرة . وكان في أرضه أيام العباسيين ومن بعدهم مدرسة للحنفية تسمى « المدرسة التتشية » نسبة الى أحد مماليك السلطان تتش السلجوقي ملك الشام والعراق حيناً .

ومنها جامع الخاصكي ، ويقع في رأس القرية بين شارع النهر والشارع العام ويرتقي تاريخه الى سنة ١٠٦٩ هـ (١٦٥٨ م) شيده مع مئذنته محمد باشا الخاصكي والي بغداد بين سنة ١٠٦٧ و ١٠٦٩ هـ . ثم تلاه الوزير أوزون (الطويل) ابراهيم باشا فعمر فيه بعض التعمير في سنة ١٠٧٧ هـ (١٦٦٦ م) . وفي سنة ١٠٩٤ هـ (١٦٨٢ م) عمر في الجامع السلاحشور السلطاني محمد بك ونقش فيه نقوشا ذهبية وكتب فيه كتابة ياقوتية . وقد خرب مدة الا أنه أعيدت عمارته في سنة ١٣٠٩ هـ . وهو اليوم من المساجد التي تقام فيها الجمع والأعياد . وفي هذا الجامع كان المحراب الأثري الذي ظُن أنه محراب جامع المنصور وقد نقل الى المتحف العراقي فعرضه هذا في متحفة القصر العباسي [1] .

ومنها الجامع السليماني ، ويسمى جامع السراي أو جامع جديد حسن باشا وسميت المحلة التي يقع فيها باسم محلة جديد حسن باشا . ويقال إن السلطان سليمان عمّر هذا الجامع حين دخل بغداد فسمي باسمه . وقد ذكره أوليا چلبي الذي زار بغداد في سنة ١٠٦٧ هـ فقال : « وفي الجامع السليماني منارة ويقع بازاء باب السراي » وقال البعض إن تربة الامام الناصر متصلة به [2] . وقد جدد حسن باشا الملقب فاتح همذان هذا الجامع فعرف باسمه فقيل جامع جديد حسن باشا للتفريق بينه وبين جامع الوزير حسن باشا الوالي الذي هو أقدم منه والمسمى بجامع الوزير .

ومنها ، جامع الأحمدية في الميدان ، سمي بذلك نسبة الى بانيه أحمد باشا كتخدا سليمان باشا الصغير ، وأحمد باشا هذا قتل في بغداد ودفن في مقبرة الشيخ عمر السهروردي [3] سنة

(١) راجع البحث المتقدم عن المحراب المذكور في ص ٥٩ — ٦١ .
(٢) هذا القول مستبعد جداً لأن الناصر دفن في الرصافة (خلاصة الذهب المسبوك ص ٢٠٨) .
(٣) راجع البحث المتقدم عن المقبرة الوردية في ص ١٢٢ .

١٢١٠ هـ . قال الأستاذ العلامة الآلوسي : « وقد استحضر أحمد باشا لبناء جامعه أشهر أساتذة عصره من الفعلة والمهندسين وصرف على العمارة مبالغ عظيمة ، ووقف عليه الأوقاف الجسيمة ، وهذا الجامع مشتمل على ساحة واسعة ومصلّى شتائي مرتفع عن الأرض مع رواق بجواره وعلى مصلّى آخر صيفي وعلى حجر متصلة بسوره قد هدم قسماً منها والي البلد وهو إذ ذاك مدحت باشا وأضافها إلى الطريق توسعةً على المارين وذلك سنة ١٢٨٥ هـ . وعلى المصلّى قبة شامخـــة في الهواء بديعة الشكل مبنية بالحجر الكاشاني الملوّن بأنواع الأصباغ المختلفة مكتنفة بقبتين أصغر منها على شكلها بنقوش أعجزت رجال هـذا الفن عن أن يأتوا بمثلها . والكبرى مطوقة بنطاق كتب فيه بعض السور القرآنية ، قائمة بجنبها مئذنة تناطح السحاب أحجارها ملونة بألوان تحسبها من الأحجار الكريمة ، وفي جنب المصلى من الجهة الجنوبية مدرسة ذات طبقتين ... ، وفيه من الجهات الأربع أبواب تنفذ الى ساحته . ولما قتل أحمد باشا قام باكمال العمارة أخوه عبدالله بك فأتمه سنة ١٢١١ هـ . كما نطق به التاريخ المنقوش على الحجر الكاشاني في صدر الباب الغربي »(١) .

ومنها تربة الشيخ عمر السهروردي وهي في جوار الباب الوسطاني وهو باب الظفرية من أبواب سور بغداد الشرقية . وهي في المقبرة الوردية القديمة ، وقد أحاطت المقابر بها من جميع أطرافها وامتلأ صحنها من القبور . وترجع هذه التربة الى عهد قديم . وفي سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٦م) أحدث فيها إسماعيل باشا والي شهرزور بعض العمارات، وفي سنة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢ م) أعيدت عمارة قسم منها بعد أن تداعت للسقوط وأقيمت لها منارة بالحجر الكاشاني الملون . وفي هذا الجامع قبر الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي الصوفي مصنف كتاب العوارف . وكان فقيهاً شافعي المذهب كثير العبادة والاجتهاد والرياضة ، وتخرج عليه عدد كبير من الصوفية، ولد سنة ٥٣٩هـ بسهرورد الواقعة في الجبال قرب زنجان، وتوفي في بغداد سنة ٦٣٢ هـ

(١) مساجد بغداد « ص٧٣ ، ٧٤ » .

(١٢٣٤ م) . وعلى قبره اليوم قبة من الطراز السلجوقي على هيأة قبة السيدة زمرد خاتون (الست زبيدة) يرجع تاريخ بنائها الى سنة وفاة الشيخ المذكور ، وفى باب القبة كتابة تدل على أن غياث الدين محمد بن رشيد الدين جدد عمارة التربة ، ولعل بعضها كان قد انهدم واسترم فجدّده . ورمم القبة المشيدة على الطراز المعروف عند العراقيين بالميل فى سنة ٧٣٥ ﻫ (١٣٣٤ م) .

ومنها جامع الحيدرخانة ، وهو الجامع المشهور الواقع فى شارع الرشيد كان أسسه والي بغداد داود باشا ١٢٣٢-١٢٤١ ﻫ (١٨١٧- ١٨٢٦ م) وهو مربع البناء وله ثلاثة أبواب كبيرة وقد بنيت فيه مدرسة . وفي الجامع ساحة واسعة وعليه قبة شامخة مبنية بالحجر الكاشاني الملون مكتنفة بقبتين أصغر منها على شكلها وعن اليمين منارة عالية . ويظهر أن الفراغ من بنائه كان في سنة ١٢٤٢ ﻫ . كما هو مذكور في الكتابات المنقوشة على جدرانه ، ولعل حيدراً المنسوبة اليه الخانة هو حيدر چلبي الشاهبندر من معاصري محمد باشا الخاصّكي [1] .

ومنها جامع نازنده خاتون ، وهو قريب من الشارع العام بين الحيدرخانه والميدان متقن البناء له بابان باب من شرقيه وباب من شماليه ، وفيه منارة وحُجر ومدرسة ، بنته السيدة نازنده زوج علي پاشا والي إيالة بغداد سنة ١٢٦٣ ﻫ (١٨٤٦ م) وعلى باب المسجد أبيات تشير الى أسمها .

ومنها تربة السيد سلطان علي (ص٢٠٨) وهي من تُرب بغداد العتيقة واقعة على الجانب الشرقي من دجلة قرب محلة المربعة التي هي من محلة باب المراتب فى أيام العباسيين ومن بعدهم ، جددت عمارتها وأنشئت فيها مدرستان وزاوية وأنجزت العمارة حسب التاريخ المذكور على باب المسجد فى سنة ١٣١٠ ﻫ (١٨٩٢ م) .

ومنها جامع العاقولي ، وهو مسجد قديم العهد واقع في المحلة العاقولية التي نسبت اليه قرب الحيدرخانه من الجهة الشرقية ، بني سنة ٧٢٨ ﻫ فى درب كان يسمى درب الخبازين فى

(١) عيون أخبار الأعيان « نسخة باريس ٦٦٧٧ الورقة ٢١١ » .



تربة الشيخ عمر السهروردي فى المقبرة الوردية

مقابر الصفحة ٢٣٦

أيام العباسيين مجاور لدرب فراشة ، وفيه ساحة رحبة ومصلى واسع وعلى شماله منارة مرتفعة وإيوان كبير وأمامه رواق وعن يمينه مصلى صغير للشافعية . وممن عمره محمد باشا أحد أمراء الدولة وذلك في سنة ١٠٩٥ هـ ووالي بغداد عمر باشا (١١٧٧ ـ ١١٨٦ هـ) وسليمان باشا (١١٦٣ ـ ١١٧٥هـ) . وكان هذا المسجد منزلاً للشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن العاقولي الشافعي مدرس المستنصرية ببغداد ولد سنة ٦٣٨ هـ وتوفي سنة ٧٢٨هـ ودفن بداره التي هي المسجد اليوم وكان قد وقفها على أيتام يقرؤن القرآن فيها وقبره الى اليوم ظاهر ، وكانت عليه قبة وعلى القبة صندوق من خشب وعليه كتابة تبين تاريخ وفاته .

ومنها جامع سراج الدين في محلة منسوبة الى سراج الدين نفسه في شرقي بغداد ، وهو السيد عمر بن علي بن عمر الحسيني القزويني الشافعي المقرىء المحدث . قال تقي الدين بن قاضي شهبة في ترجمته : « إمام جامع الخليفة ببغداد ومدرس الثقتية ، ولد بقزوين سنة ٦٨٣ وحمله والده الى واسط فاشتغل بها على الشيخ جمعة الواسطي وقرأ القراءات والكتب الكبار عليه وعلى ابن غزال ثم قدم بغداد سنة (٧٠٠) وسمع بها الكثير على الرشيد بن أبي القاسم وابن الطبال وابن الدواليبي وابن حَصِينْ وله إجازة من القاضي التقي سليمان والفخر بن البخاري والمطعِّم وابن الشيرازي والبهاء بن عسكر وغيرهم . سمع منه المقرئ شهاب الدين بن رجب وذكره في معجمه وولده الحافظ زين الدين وقرأ عليه مشيخته قال الشيخ شهاب الدين : اشتهر سراج الدين عمر وبعد صيته وسمعت كلمته وقضى حوائج الناس بجاهه وناموسه عند الملوك وفتح درب الحجاز بالعراق بعد انقطاعه سنين وحج بالناس . وقال الذهبي في طبقات القراء في ترجمته : بينه وبين الحنابلة عداوة وفيه دين وورع بشر . وقال ابن كثير : سمعته كثيراً يتنصل ويظهر محبة الامام أحمد . سمع الكثير وصنف وعمل لنفسه مشيخة وذكر أنها تحتوي على ألوف كثيرة من الكتب المجازة والتي سمعها . توفي في أول سنة خمسين [وسبعمائة] ببغداد ودفن بتربته تحت منظرة

الخلافة » [1].

والظاهر أنه دفن في تربة أبيه بالزرادين أي الصدرية ، فان ابن قاضي شهبة ذكر أباه مع ابنه محمد بن سراج الدين عمر في وفيات سنة ٧٧٥ هـ قال : « محمد بن عمر بن علي بن عمر الشيخ العالم الرئيس محب الدين بن الشيخ العلامة سراج الدين الحسيني القزويني الأصل البغدادي الشافعي ، شيخ بغداد ومسندها وإمام جامع الخليفة اشتغل وسمع الحديث وأمّ بالجامع موضع والده وكان عنده كرم زائد ، حسن الخلق ، لطيف المزاج طريف الحديث كيس ، توفي في هذه السنة وهو في حدود الستين ودفن بتربة جده بالزرادين بباب الأزج » [2].

ومنها جامع الفضل ، وهو قديم العهد أيضاً له بابان وفيه منارة مرتفعة وفيه مدرسة جدده والي بغداد سليمان باشا في سنة ١٢١٠ هـ ويُقال إنه منسوب الى الفضل بن إسماعيل بن جعفر الصادق الذي دفن فيه ، ولا يلتفت الى ذلك لأن المعروف في تاريخ بغداد أنه لغياث الدين محمد بن الفضل وزير السلطان أبي سعيد بهادر خان أو للفضل الاسفراييني الشافعي [3].

ومنها جامع المرادية ، وهو من مساجد بغداد الشرقية الشهيرة فيه مصلى واسع عليه قبة

---

(١) ذيل تاريخ الذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٨ الورقة ١١٧ » .

(٢) المرجع المذكور الورقة « ٢١٩ » .

(٣) قال محب الدين محمد بن النجار المؤرخ : « الفضل بن سهل بن بشر بن سعيد الاسفراييني أبو المعالي بن أبي الفرج الواعظ ، كان يعرف بالأثير الحلبي ، ولد بديار مصر ونشأ ببيت المقدس وقدم دمشق مع والده (وكان) محدثاً مشهوراً فأسمعه والده بدمشق... وأخذ له أبوه إجازة من أبي بكر الخطيب البغدادي بجميع مروياته ومصنفاته وسافر الى حلب وأقام يعقد مجلس الوعظ مدة ثم أرسله صاحبها الى بغداد رسولا فأقام بها واستوطنها الى حين وفاته ... قرأت في كتاب أبي الفضل أحمد بن صالح الجيلي بخطه : توفي شيخنا الفضل بن سهل الاسفراييني سحرة يوم الأربعاء ثاني رجب سنة ٥٤٨ فجأة من غير مرض وصلي عليه يوم الأربعاء بالمدرسة التاجية ودفن بباب أبرز» . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ١٤١ =

وحول القبة مئذنة مرتفعة مبنية بحجر والجامع منسوب الى مراد باشا والي بغداد بين سنة ٩٧٣ د ٩٨٥ ه (١٥٦٦ — ١٥٧٨ م) وقد جددت عمارته في سنة ١٣١٩ ه [1] .

ومنها جامع العادلية الكبير ، وهو مقابل المحكمة الشرعية الحالية في شارع المستنصر الحالي ، فيه مصلى واسع ومنارة شامخة ومدرسة ، وقد جُدّد كثير منه في الأيام الأخيرة واختزلت منه مستغلات للأوقاف ، أنشأته السيدة عادلة خاتون بنت أحمد باشا الذي تولى إيالة بغداد اثنتي عشرة سنة وذلك من سنة (١١٤٩ ه) الى سنة (١١٦١ ه) . وكان زوجها أحد مماليك أبيها وهو سليمان باشا ، وقد تولى إيالة بغداد اثنتي عشرة سنة كذلك ، من سنه (١١٦٣ ه) إلى سنة (١١٧٥ ه) وكانت هي تقية صالحة محبة لأهل العلم والزهـد كثيرة المبرّات والصدقات . ووالدها أحمد باشا هو الذي حافظ على بغداد وقاوم نادر شاه ملك العجم فمنعه من الاستيلاء عليها . وكان الفراغ من عمارة هذا المسجد ومدرسته سنة (١١٦٨ ه) .

= » وباب أبرز في محلة الفضل الحالية وبعض محلة السيد عبدالله ومحلة قمرالدين ، والظاهر أن قبر إبراهيم الشيرازي المعروف بأبي إسحق الشيرازي كان متصلا بجامع الفضل الحالي وكذلك المدرسة التاجية .

(٢) مساجد بغداد « ص ٣٤ » .

اعتبار خطط بغداد

قديماً وحديثاً

قلما وجدت مدينة إسلامية عربية غير دارسة قد تغيرت مواضعها وتبدلت أسماؤها مثل بغداد مدينة السلام ، وقد علم قارئ هذا الكتاب أن مدينة المنصور كانت فى الجانب الغربي من دجلة قرب مقابر قريش المعروفة اليوم بالكاظمية ، وأنّ رُصافة بغداد كانت فى الجانب الشرقي قرب مقبرة الخيزران المعروفة اليوم بالأعظمية ، وأنّ مدينة المنصور والرصافة كانتا مركزي بغداد العباسية : الأولى في الجانب الغربي والثانية فى الجانب الشرقي .

وقد اتجهت بغداد فى تحول عمرانها من الشمال الى الجنوب وانتقلت الخلافة العباسية من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ، بعد برهة لا تتجاوز نصف قرن استقرت الخلافة فيها بسامرا ، أولها أثناء عهد المعتصم بالله فى الثلث الأول من القرن الثالث للهجرة ، ونهايتها فى الثلث الثالث من القرن الثالث أيضاً على عهد المعتمد على الله . فالخليفة العباسي بعد أن كان مقر خلافته قرب أرض الكاظمية فى الجانب الغربي فى أوائل عصور الدولة أصبح مقره فى أواخر عصورها فى شرقيّ بغداد على ضفة دجلة فى الأرض التي يشقها اليوم شارع المستنصر المعروف بشارع النهر قبل عدة سنين .

وبسبب ما ذكرنا من التحول عسر البحث في خطط بغداد والتوى على كثير ممن زاولوه بغير دراسة علمية منظمة ، وعالجوه بغير إحاطة بأطوار التغيّر والتحوّل والتبدُّل ولا إلمام بها ، وكثر التخليط والتخبيط ، وراج التدليس أحياناً ممن يريدون أن يدسُّوا أنوفهم فى كل

شيء كما يقول الافرنج ، فتراهم يتكلمون على ما يريدون من خطط بغداد من غير خشية ولا تورع ولا تحرُّج ، ويوزعون المباني والمدافن والمواضع بين من يختارون من رجال التاريخ ، وكثير منهم لا يزالون يعتقدون أنّ الرُصافة هي الجانب الشرقي من بغداد الذي يشقه اليوم شارع الرشيد ، وأن الكرخ هو الجانب الغربيّ الحالي بين محلة الجعيفر والكريمات ، مع أن الكرخ كان محلة كبيرة في الجنوب الغربي من مدينة المنصور وتمتد حول مجرى نهر عيسى نحو الشرق حتى تكون قريبة من دجلة فوق محلة الجعيفر ، ولذلك سميت الشريعة التي كانت في أعلى الجعيفر « مشرعة الكرخ » قال مؤلف كتاب « الحوادث » في أخبار سنة « ٦٤٠ هـ » : « في يوم الخميس خامس عشر شهر رجب ركب المستعصم بالله في شبارة ومعه شرف الدين إقبال الدين الشرابي وعز الدين مرشد الهندي المستعصميّ ، وأصعد في دجلة إلى مشرعة الكرخ وعاد منحدراً إلى باب الأزج ثم عاد إلى داره (١) » . وقال تاج الدين علي ابن أنجب المعروف بابن الساعي في سيرة سلجوقي خاتون زوجة الناصر لدين الله القدم ذكرها في هذا الكتاب : « كانت قد اختارت أن تنشىء تُربة إلى جانب مشهد عون ومعين ولدي علي — عليه السلام — بالجانب الغربيّ في مشرعة الكرخ لتدفن فيها إذا ماتت ، فشُرع في بنائها فلم تصعد حيطانها قامة حتى أدركها أجلها فدفنت فيها وتُمم بناؤها (٢) » . وقد ذكرنا أن هذه التربه كانت في شريعة الخضر إلياس وجرفتها دجلة مع رباط السيدة القدم ذكرها وتربة عون ومعين المذكورة .

وتقلصت محلة الكرخ بعد شيوع تسوير المحلات ببغداد ، ولا سيما المحلات الغربية التي كثرت بين أهلها الفتن المذهبية ، منذ القرن الرابع للهجرة ، قال ابن الجوزي في حوادث

---

(١) الحوادث « ص ١٧٠ » .

(٢) جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء « الورقة ٤٠ من نسخة أحد المؤلفين الدكتور مصطفى جواد ، المصورة من خزانة كتب من خزائن استانبول » .

سنة « ٤٤١ هـ » : وفي شعبان نقض أهل الكرخ سوق الأنماط : دكاكينها وأرحاءها وبنوا بآجرّها سوراً من ورائها يحصنون بها الكرخ ويقطعون ما بين خراب القلائين وبينه ، فلما رأى ذلك أهل السنة من القلائين ومن يجري مجراهم شرعوا في بناء سور على سوق القلائين وبدؤوا بعمل بابه محاذياً لباب السماكين ونقضوا كل حائط أمكنهم نقضه وأخذوا كل آجرّ وجدوه ... وعنّ لأهل الكرخ أن يبنوا باباً آخر من آجر الدقاقين وحملوا الآجر إلى موضعه على رؤوس الرجال في البافدانات المجلّلة بالثياب الديباج والمناديل الدبيقي وقدامها الطبول والزمور والمخانيث ، معهم آلات الحكاية [1] ... وجرى في عمل هذه الأبواب وبنائها وجمع آجرها وآلاتها وتقسيط نفقاتها والخلع على بناتها وطرح ماء الورد في أساساتها ما خرج عن الحدّ [2] » .

وقد جاز إطلاق اسم « الكرخ » على الجانب الغربيّ الحاليّ لاتصال عمارة الكرخ به قديماً ، أمّا موضع الرُّصافة فبينه وبين بغداد الشرقية الحالية المسافةُ التي بين محلة السفينة بالاعظمية وشارع الرشيد اليوم ، فلا يصح إطلاق اسم الرُّصافة على الموضع المذكور .

ودليلنا على تبدل أسماء المواضع الذي أشرنا إليه أننا ما نجد اليوم من الأسماء القديمة شيئاً سوى نادر من أسماء المحلات وقسم من أسماء المشاهد والقبور التي حفظتها الأمة وحافظت على مواضعها ، كتربة الجنيد وتُربة داود الطائي وتربة الشيخ معروف الكرخي وتُربة الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد ومشهد المنطقة وتربة الشيخ صندل وقبر الشيخ علي بن بشار ، وتربة الشيخ عمر السهروردي وتربة الشيخ عبد القادر الجيلي وتربة غلام الخلال ولكنه تغيّر اسمه الى « الخلاّني » وتربة قمر الدين وتربة جمال الدين الماقولي ، غير أن الأسماء العامة قد نسيت أيضاً فلم يبق من مقابر قريش إلا صحن قريش ، وذهب اسم مقبرة الدير التي هي مقبرة معروف

---

(١) الحكاية يسمونها اليوم « التمثيل » .

(٢) المنتظم « ٨ : ١٤١ » .

الكرخي ونُسي اسم « النجميّ » الذي دفن فيه الشيخ علي بن بشار ، ونسيت محلة المقبرة حيث دفن الشيخ صندل ، وزال اسم باب الأزج والحلبة حيث رُمس الشيخ عبدالقادر الجيلي ، وذهبت الوردية وهي اسم مقبرة الشيخ عمر ، ونسي باب أبرز حيث دفن قمر الدين وذهب اسم « درب الخبازين » الذي دفن فيه الماقولي . وما سوى هذه من المشاهد والتُرب قد غير أسماءه الجاهلون بخطط بغداد ، وقد مرّ في الكتاب تنبيهنا على قسم من ذلك وتصحيح عدة أسماء ، ولا يسعنا استقصاء البحث فالاختصار يغني عن الاكثار .

والنادر الباقي من أسماء المحلّات والدروب « درب الجوبة » بالجانب الشرقي ، في الجهة الشرقية من محلة المهدية مما يلي محلة قره شعبان وفضوته ، وهذا الدرب كان معروفاً في أواخر أيام الدولة العباسية ، قال ابن الفوطي في ترجمة « قوام الدين أبي الفتح مسعود بن محمد بن قراتكين التركي البغدادي الصوفي : «كان جده من الأتراك الموصوفين بالشجاعة والشهامة ، وخدم مسعود في أعمال الديوان مدة ثم استعفى وأحب الزهد والانقطاع إلى العبادة وصحب الشيخ صدقة بن وزير الواسطي ولبس منه خرقة التصوف ، وهو الذي أعطى الشيخ صدقة أرض الرباط الذي بناه بقراح القاضي (١) ... وبنى لنفسه رباطاً مجاوراً لداره بدرب الجَوْبة ، وخرج لزيارة بيت المقدس فتوفي بنابلس في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وخمسمائة (٢) » .

ومنها محلة « درب فراشة » ويقال « فراشا » أيضاً بالجانب الشرقي من بغداد ، وتعرف اليوم بمحلة الدشتي والامام طه وما يليها فقد ذكرلنا بعض الفضلاء أنّ محلة الدشتي

(١) راجع الكلام على محلة قراح القاضي « ص ١٧٧ » وقد عيناها بمحلة قره شعبان وفرج الله والقسم الأعلى من الطاطران ولا نستبعد اتصالها بالمهدية .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣٤٩ » من نسخة الدكتور مصطفى جواد ، وراجع ترجمة « صدقة بن وزير » في المنتظم « ١٠ : ٢٠٤ » وغيره .

وما يليها من الشمال كانت تسمى قبل عدة سنين محلة « الفراشين » وذكرها قبل ذلك فيلكس جونس الانكليزي في محلات بغداد ودروبها وأسواقها في كتابه ، وسماها «محلة الفراشة [١]» ، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : « وببغداد محلة في نهر مُعلّى يقال لها درب فراشة » ولهذا الدرب ذكر غير قليل في كتب التاريخ ، ففي شوال من سنة « ٤٦٧ هـ » وقعت نار في محلة نهر المعلى فأتت على السوق جميعه وأحرقت اثنين وثمانين دكاناً غير الدور ، وأصابت النار درب الفراشة وغيره [٢] . وقد احترق هذا الدرب أيضاً في سنة « ٥٥١ هـ [٣] » وفي سنة « ٥٥٨ هـ » قال ابن الجوزي : « وقع حريق عظيم من باب درب فراشة الى مشرعة الصبّاغين من الجانبين [٤] » . وذكر ابن الأثير في الكامل مثل ذلك في حوادث سنة « ٥٥١ هـ » وسنة « ٥٥٨ هـ » . ثم قال ابن الجوزي في حوادث سنة « ٥٦٠ هـ » : « وفي ذي القعدة وقع الحريق في السوق الجديد من درب فراشة الى مشرعة الصباغين من الجانبين فذهب في ساعة حتى لم يبق للخشب الذي في الحيطان أثر [٥] » . وهذا الخبر يدل على أن السوق الجديد لم يكن من درب فراشة .

وجاء في حوادث سنة « ٧٠٠هـ » أن الملك إمام الدين يحيى البكري القزويني صاحب ديوان بغداد توفي بالحلة وحملت جثته إلى بغداد فدفن في تربة عملها في مدرسته بدرب فراشا [٦] . ويظهر لنا أن « درب فراشة » منسوب الى « فراشة » مولى الخليفة المهدي

(١) راجع قائمة المحلات التي ذكرها الضابط المذكور ، فيما يأتي من الكتاب .

(٢) المنتظم « ٨ : ٢٩٤ » .

(٣) المنتظم « ١٠ : ١٤٥ » .

(٤) المنتظم « ١٠ : ٢٠٥ » .

(٥) المنتظم « ١٠ : ٢١٢ » .

(٦) الحوادث « ص ٥٠٤ » قال الصفدي في نكت الهميان – ص ٢٠٤ – في ترجمة تاج الدين علي بن أبي القاسم بن أحمد القزويني الشافعي : « وعمر له خواجا إمام الدين الافتخاري القزويني حاكم بغداد

ابن المنصور وقد ذكره الطبري في تاريخه ، كما نرى في أخبار سنة ١٦٦ وسنة ١٦٧ فقد كان والياً على دنباوند وقومس وجرجان [1] .

ومنها محلة القُـريَّـة الشرقية التي بقي منها اسم « رأس القُـرية » وهي فيما حول وسط شارع الرشيد وتسميها العامة « راس الـگريَّـة » .

وقد تغيرت أسماء مواضع بغداد منذ عصور طويلة ، حتى آل أمرها إلى النسيان الغريب الذي أشرنا إليه آنفاً ، وحاول جماعـة من المتحذلقين المتأخرين أن يظهروا بمظهر العارفين بخطط بغـــداد ، فكانوا يذكرون أحياناً أسماءً قديمة بدلاً من الأسماء الشائعة في زمانهم فيقعون في خطأ مبين ، وهذا من أضر الأخطاء التي يرتكبها المؤرخون ، فمن ذلك ما ذكره المؤرخ أحمد بن عبد الله البغدادي الغرابي المتوفى ببغداد سنة « ١١٠٢ هـ » بالطاعون ، قال في حوادث سنة « ١٠٤٣ هـ » من سني حكم الصفويين بالعراق وبغداد :

« وفي سـنة ثلاث وأربعين وألف زادت دجلة وغرقت من بغـداد محلة باب الأزج وغيرها . والسبب أن إسماعيل بن نجيم كانت بستانه محاذية لبدن القلعة ، فبثق من البـدن بثقاً ليسقي بستانه سيحاً ، فاتسع وهدم جانباً من البدن ، فتركه وانهزم ، فأخبر والي بغداد (بكتاش خان) فقام مهرولاً حتى وقف عليه ، فشاور بعض المهندسين بهذا الأمر ، فطلبوا ثلاث طيـارات فملؤوها تراباً وحجراً وخسفت في الهدم ، وترك خلفها الخشب والحطب والتراب حتى انقطع سيل الماء ، واطمأن الناس بعد ما ذاقوا مشقة عظيمة » [2] .

= إذ ذاك مدرسة بدرب فراشا شرقي بغداد ، أجاد بناءها وتحسينها وأسكنه إياها وفوض اليه التدريس بها وولاية أوقافها وهي معروفة بـه » . وقد عرفت بالمدرسة الامامية نسبة الى إمام الدين المذكور ، فهل من بقاياها المنارة المقطوعة التي هدمت أخيراً ؟ هذا مما لا نستطيع الجزم به .

(١) ج ١٠ ص ٩١٨ من الطبعة المصرية الأولى .

(٢) عيون أخبار الأعيان ممن مضى في سالف العصور والأزمان « نسـخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦٦٧٧ الورقة ٢٠٨ » .

وقد خلط ـ ر ح ـ بين باب السلطان وباب الأزج ، فباب السلطان هو القسم الأعلى من بغداد الشرقية وهو المجاور لقلعة بغداد ، وأما « باب الأزج » فهو القسم الجنوبي منها ولا صلة له بالقلعة ولا يخشى منه غرق بغداد أصلاً لأن بثق الغرق حسب تسميته، يكون خارج السور من الجنوب . فهذا المؤرخ استعمل « باب الأزج » مكان « باب السلطان » ليظهر بمظهر العالم بخطط بغداد ، على أن الاسمين المذكورين لم يكونا شائعين في زمانه حتى يستعمل أحدهما .

ومن غريب الظواهر أن أسماء المحلات الأخيرة أخذت من أسماء الأولياء بالاضافة فمحلة باب الحلبة صارت « باب الشيخ عبد القادر » ثم « باب الشيخ » ، ومقابر قريش ومنها المشهد الكاظمي صارت « الكاظمين » ثم الكاظمية ، ومقابر الخيزران صارت « محلة أبي حنيفة » ثم « المعظم » ثم « الأعظمية » فالأولى نسبة إلى الإمام المعظم النعمان بن ثابت والثانية إلى « الأعظم » وهي صفة ثانية له ، ومحلة باب أبرز صارت « محلة قمر الدين » لأنه مدفون فيها ، ومحلة العقبة أصبحت « محلة الشيخ صندل » ، ومحلة النجمي وقصر عيسى صارتا محلة الشيخ بشار لكون علي بن بشار مدفوناً هناك ، ومقبرة الزرادين صارت « محلة الشيخ سراج الدين والمحلة الصدرية » نسبته الى صدر الدين إبراهيم الجويني ، وقسم من محلة باب أبرز صار محلة « السيد عبد الله » لأن عبد الله العلوي قد دفن فيها قديماً ، وكذلك القول في محلة الفضل ومحلة قاضي الحاجات ومحلة الخاج فتحي والمحلة الماقولية نسبة الى الرجال المذكورين الذين أضيفت إليهم .

أسماء المدارس البغدادية في عصور العباسيين

١ — مدرسة ابن الأبرادي بالجانب الشرقي

٢ — مدرسة إبراهيم بن دينار » »

٣ — مدرسة السيدة زمرد خاتون وهي مدرسة الأصحاب بالجانب الغربي

٤ — المدرسة الثقتية بالجانب الشرقي

٥ — مدرسة السيدة بنفشة » »

٦ — المدرسة التاجية » »

٧ — المدرسة التُتُشية » »

٨ — مدرسة تركان خاتون بالجانب الشرقي

٩ — مدرسة الخاتون المستظهرية » »

١٠ — مدرسة ابن الخل وهي المدرسة الكمالية بالجانب الشرقي

١١ — مدرسة أبي الفرج ابن الجوزي » »

١٢ — مدرسة زيرك بالجانب الشرقي

١٣ — مدرسة دار الذهب وهى المدرسة الفخرية بالجانب الشرقي

١٤ — المدرسة الاسبهبذية بالجانب الشرقي

١٥ — مدرسة جامع السلطان ملكشاه بالجانب الشرقي

١٦ — مدرسة أبي النجيب السهروردي » »

١٧ — مدرسة الامام أبي حنيفة بالجانب الشرقي وهي أولى المدارس ببغداد .

١٨ — مدرسة درب القيار وهي مدرسة ابن بكروس بالجانب الشرقي

١٩ — مدرسة الأمير سعادة الرسائلي بالجانب الشرقي

٢٠ — مدرسة ابن الصقال » »

٢١ — مدرسة المخرمي وهي مدرسة عبد القادر الجيلي بالجانب الشرقي

٢٢ — المدرسة الغياثية بالجانب الشرقي

٢٣ — المدرسة المغيثية بالجانب الشرقي

٢٤ — المدرسة القيصرية » »

٢٥ — مدرسة ابن العطار » »

٢٦ — المدرسة الموفقية » »

٢٧ — مدرسة فخر الاسلام الشاشي بالجانب الشرقي

٢٨ — المدرسة البهائية » »

٢٩ — مدرسة ابن البل بالجانب الغربي

٣٠ — المدرسة النظامية » الشرقي

٣١ — مدرسة ابن هبيرة الوزير بالجانب الغربي

٣٢ — مدرسة عمر بن الشمحل بالجانب الشرقي

٣٣ — المدرسة المستنصرية بالجانب »

٣٤ — المدرسة البشيرية » الغربي

مدارس العصر المغولي

١ — المدرسة الامامية بدرب فراشة بالجانب الشرقي

٢ ـ مدرسة جمال الدين الماقولي بالجانب الشرقي

٣ ـ المدرسة العلائية » »

٤ ـ المدرسة المرجانية » »

٥ ـ المدرسة الايكجية » »

٦ ـ المدرسة المسعودية » »

٧ ـ مدرسة ابن قاضي دقوق » »

٨ ـ مدرسة بهاء الدين الدنبلي » »

٩ ـ المدرسة الغزانية » »

١٠ ـ مدرسة مجد الدين محمد بن الأثير

١١ ـ المدرسة العصمتية بالجانب الشرقي

١٢ ـ المدرسة الاسماعيلية

١٣ ـ المدرسة الجمالية بالجانب الغربي

١٤ ـ المدرسة الوفائية بالجانب الشرقي

الربط البغدادية في عصور بني العباس
والزوايا

١ ـ رباط الاخلاطية ويقال الخلاطية وهو رباط سلجوقي خاتون زوجة الناصر لدين الله بالجانب الغربي

٢ ـ رباط السيدة أرجوان والدة المقتدي بأمر الله بالجانب الشرقي

٣ ـ رباط البديع الزنجاني بالجانب الشرقي

٤ ـ رباط البسطامي بالجانب الغربي

٥ ـ الرباط البشيري » »

٦ ـ رباط ابن البَّل الدوري » »

٧ ـ رباط بهروز الأسفل وهو دار الشفاء في عصر آل جلاير بالجانب الشرقي

٨ ـ رباط بهروز الأعلى وهو المجلس النيابي أو دار الضباط أو تحتهـا بقليل بالجانب الشرقي

٩ ـ رباط السيدة بنفشا حظية الخليفة المستضيء بأمر الله بالجانب الشرقي

١٠ ـ رباط ثقة الدولة الدُرَيني وهو منشيء المدرسة الثقتية » »

١١ ـ رباط الحريم الطاهري للناصر لدين الله بالجانب الغربي

١٢ ـ رباط دار سوسيان » »

١٣ ـ رباط دار الشط بالجانب الشرقي

١٤ ـ رباط ابن الخبّازة » »

١٥ ـ رباط ابن رئيس الرؤساء داخل دار الخلافة بالجانب الشرقي

١٦ ـ رباط ابن رئيس الرؤساء خارج دار الخلافة » »

١٧ ـ رباط السيدة زمرد خاتون بجوار تربتها ومدرستها بالجانب الغربي

١٨ ـ رباط الزوزني » »

١٩ ـ رباط الزياتين » »

٢٠ ـ الرباط الزيني

٢١ ـ رباط سعادة صاحب المدرسة بالجانب الشرقي

٢٢ ـ رباط السيدة شُهدة » »

٢٣ ـ رباط شيخ الشيوخ النيسابوري بالجانب الشرقي

٢٤ ـ رباط الشيرازي » »

٢٥ ـ رباط صدقة بن الحسين الواسطي » »

٢٦ ـ رباط عماد الدين صندل بالجانب الغربي

٢٧ ـ رباط العباس بن محمد الهاشمي بالجانب الشرقي

٢٨ ـ رباط عبد الصمد المأموني » »

٢٩ ـ رباط الشيخ عبد القادر الجيلي » »

٣٠ ـ رباط عبد المحمود السهروردي » »

٣١ ـ رباط عبيد الله العلوي » »

٣٢ ـ رباط عتاب بالجانب الغربي

٣٣ ـ رباط عز الدين بن النيار بالجانب الشرقي

٣٤ ـ رباط علي الخباز بالجانب الشرقي

٣٥ ـ رباط علي بن الزاهدة » »

٣٦ ـ رباط علي بن عبد الجبار » »

٣٧ ـ رباط علي بن بختيار » »

٣٨ ـ رباط عمر بن مسعود البزاز المعروف بحبيب العجمي

٣٩ ـ رباط العميد بالجانب الغربي

٤٠ ـ رباط ابن العوادة بالجانب الشرقي

٤١ ـ رباط علي بن سالم » »

٤٢ ـ رباط عوض بن سلامة » »

٤٣ ـ رباط ابن الغزال بالجانب الشرقي

٤٤ ـ رباط الغزنوي » »

٤٥ ـ رباط فاطمة الرازية » »

٤٦ ـ رباط أبي الفتوح الاسفراييني بالجانب الشرقي

٤٧ ـ رباط فخر الدولة بن المطلب » »

٤٨ ـ رباط الفيروزجية » »

٤٩ ـ رباط القيسارية » »

٥٠ ـ رباط المأمونية وهو رباط زمرد خاتون أيضاً بالجانب الشرقي

٥١ ـ رباط المبارك بن عبد الله

٥٢ ـ رباط محمود النعال » »

٥٣ ـ رباط مسعود بن قراتكين » »

٥٤ ـ رباط الشونيزى بالجانب الغربي

٥٥ ـ رباطا المستنصر بالله بالجانب الشرقي و بالجانب الغربي

٥٦ ـ رباط المرزبانية بالجانب الغربي

٥٧ ـ رباط هاجر والدة المستعصم بالله » »

٥٨ ـ رباط الوهباني بالجانب الشرقي

٥٩ ـ رباط ياسمين » »

٦٠ ـ رباط الناصر بالمرزبانية بالجانب الغربي

٦١ ـ زاوية ابن نقطة بالجانب الشرقي

٦٢ ـ زاوية عثمان المطرز بالجانب الشرقي

٦٣ ـ زاوية عمر البزاز مع رباطه المذكور بالجانب الغربي

٦٤ ـ زاوية علي الخباز » الشرقي

٦٥ ـ زاوية الرملة » الغربي

ولمعرفة المدارس البغدادية في العصور التركية العثمانية يراجع كتاب « مساجد بغداد وآثارها » للعلامة محمود شكري الآلوسي ، وكتاب « العراق بين احتلالين » للأستاذ المؤرخ عباس العزاوي المحامي .

دور علم بغداد

وهي دور الكتب العامة في العصور العباسية

دون الخاصة

١ — بيت الحكمة أو دار الحكمة بالجانب الغربي

٢ — دار العلم السابورية بين السورين بالجانب الغربي من بغداد

٣ — » علم الشريف المرتضى بالجانب الغربي

٤ — » » حبشي بن معزالدولة

٥ — » » غرس النعمة بن الصابي بالجانب الغربي

٦ — » » ابن العلقمي بالجانب الشرقي

٧ — » » ابن المارستانية بالجانب الشرقي

٨ — » » المدرسة النظامية » »

٩ — » » دار المسناة » »

١٠ — » » المدرسة المستنصرية » »

١١ — » » الشريف الزيدي » »

١٢ — » » السيدة زمرد خاتون في تربتها بجوار معروف الكرخي بالجانب الغربي

١٣ — » » رباط المأمونية بالجانب الشرقي

١٤ — » » التربة السلجوقية » بالجانب الغربي

١٥ — دار علم الرباط السلجوقي بالجانب الغربي
١٦ — » » مشهد أبي حنيفة » الشرقي
١٧ — » » المدرسة البشيرية » الغربي
١٨ — » العلم الناصرية بالنظامية » الشرقي
١٩ — دار علم ابن القصاب » »

ولم نذكر دور العلم الخاصة أي خزائن كتب الأفراد التي لا تنتفع بعلمها العامة من الأمة ، فانها لم تبلغ أن تسمى « دور علم » .

وقد قدمنا الكلام على عدة من دور العلم هذه في أثناء فصول الكتاب ، كبيت الحكمة ، ودار العلم السابورية بالجانب الغربي من بغداد . ودار العلم بدار المسناة التي قلنا إنها القصر العباسي بالقلعة العتيقة ودار العلم بمسجد الشريف الزيدي التي استرجحنا أنها الجامع القبلاني الحالي . ونود أن نذكر للتمثيل « دار كتب ابن العلقمي » الوزير ، قال ابن الطقطقي : « حدثني ولده شرف الدين أبو القاسم علي - ح - قال : اشتملت خزانة والده على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب » [١] . وجاء في حوادث سنة ٦٤٤ من كتاب الحوادث « وفيها فتحت دار الكتب التي أنشأها الوزير مؤيد الدين بن العلقمي في داره ، ونُقل إليها كتبٌ في أنواع العلوم » [٢] . وجاء في آخر كتاب « الموشح » للمرزباني - ص ٣٨١ - «ونقلته من نسخة الوزير محمد بن العلقمي وعليها خطّه ، وهي بخط الناسخ محمد بن علي يعرف بالنقاش » .

(١) التاريخ الفخري « ص ٢٤٨ » من الطبعة المصرية .
(٢) الحوادث « ص ٢٠٩ »

محلات بغداد في أواخر العهد التركي

سنة ١٨٤٦ م ، نقلاً من كتاب فيليكس جونس

١ — محلة سوق الغزل وفيها :

جامع سوق الغزل

سوق الغزل

عقد الدجيلاويين

» الحفرجية

» الشيشرجية

» الكنيسة

» المزراقچي

» كلمخانه

» التنانير

» دكة صمور

» قهوة المخضر

٢ — محلة رأس الكرية «القُريّة» وفيها :

عقد السقاقي

عقد الخاصكي

» الكاوور

العقد الگصيف « القصيف »

عقد الرواق

» حاجي أمين

» حمام حيدر

» الجنابيين

» العمار

» تكية البدوي

العقد الضيق

عقد أبو يعقوب

٣ — محلة السيد سلطان علي وفيها :

جامع السيد سلطان علي

عقد الجاموس

تـكية قزره علي (كذا)
عقد سيد سلطان علي
عقد سبع بـكار
قهوة مسجد
جامع حاجي نعمان
بقچه لي قهوة
عقد المجيليين
عقد القاطرخانة
قهوة »
سوق »
قهوة ذياب
القهوة أم النخلة
عقد الـكشيش « القسيس »
» سيد فرج الله
قهوة خان العدبين (كذا)
» » الدهن
» » الميوة
عقد الملاوي
» الفتاتيل
» اليهود

٤ — محلة باب الأغا وفيها :
جامع المرجانية
خان »
قهوة الأورتمة
خان »
القهوة الصغيرة
عقد باب الأغا
عقد علوية
قهوة روازي
سوق الحدادين
العقد الضيق
حمام پنجه علي
سوق باب الأغا
عقد المنارة المـكطومة

٥ — محلة عقد الصفافير وفيها :
عقد قائم المقام
عقد حاجي خضر أغا
عقد السكة خانه
قهوة القزازين
خان قابچي كهيه سي

خان الصفار

» المظاوي

عقد كبلانية « قبلانية »

قهوة الصفافير

٦ — محلة الحيدرخانة وفيها :

عقد الحيدرخانة

» الجامع

جامع داود باشا

عقد شفتالي

» الخشالات

عقد إمش

قهوة »

» البزازة

» حسن

قهوة كنبتلي

٧ — محلة حسين باشا وفيها :

جامع حسين باشا

عقد الجامع

» مظفر أغا

» الباب الصغيرة

عقد مجي خليل

» الجيبه‌جي

» دابات

» طاق أبو صلال

» التبانة

» خان اللاوند

حمام عيفان

قهوة تحت بند مال أبو عصفور

عقد دكان شلال

» سيد عبد الله

٨ — محلة الفضل وفيها :

جامع الفضل

عقد الجامع

قهوة أحمد أفندي

قهوة الوقف

عقد الجيبه‌جي

٩ — محلة المهدية وفيها :

قهوة المهدية

عقد الشيخ نصر

عقد أبو عامر

عقد الشبّة

» تيرة (كذا)

» السيدة هدية

» شراد

» عقد الدوريين

١٠ — محلة عباس أفندي وفيها :

قهوة ابن بشبس

» سالم

» خضير

» أبو علي

» إيكنجي

» إبراهيم بك

عقد طاق سلطان بك

» ديوان أفنديسي

» شيخ محمود بشيرلي

» وشوش

» خليل أغا

١١ — محلة جامع الوزير وفيها :

الجسر والقشلة

السراي

الحرم

سوق الهرج

» المولة خانه

١٢ — محلة خان المصبغة وفيها :

الكمرك

خان الكمرك

حمام »

قهوة كافل حسين

الصياغ

١٣ — محلة باب المعظم وفيها :

جامع الباشا

جامع الأزبكية

عقد الطوب

» قصاب باشي

» قمر الدين

» دلّي عباس

» قهوة المجارية

قهوة سمدي

» الوقف

» السقه خانه

١٤ — محلة المفرج وفيها :

قهوة أبو غزال

قهوة مبارك

» المفرج

عقد أبو شبل

» أحمد حسن

» الملوازية

» التقافية (كذا) « السقاقية ؟ »

» المسجد

» علوش

١٥ — محلة شاه قولي وفيها :

جامع حسن باشا

عقد باب السراي

» كلخانة

» صاري كهيه

» قليج أصلان

» السّراريج

» السطالجيّة

» أيتمك خانه

» المطبخ

١٦ — محلة الميدان وفيها :

قهوة المصلّى

باب القلمة

جامع القلمة

قهوة السقاقي

عقد البَقچة

» نجم الدين

» المدرسة

» أنبار

» كنج آغا

خان حسن بك

» أحمد كهية

قهوة الخان

١٧ — المحلة المرادية وفيها :

جامع مُراد باشا

خان المُرادية

عقد مير البحر

» طاطران

» دكان ضاحي

» پير داود

١٨ — محلة الطوبجية وفيها :

جامع الخاتون

عقد الباشا

» مير آخور

» فيض الله كهية

» قهوة دودي (كذا)

» دودي

» الطوبجية

١٩ — محلة كنج عثمان وفيها :

عقد أكرم

» المدرسة

» سوري قهوة

جامع النعمانية

قهوة كنج عثمان

سوق كنج عثمان

مدرسة علي باشا

٢٠ — محلة البلانجية وفيها :

سوق البلانجية

قهوة البلانجية

عقد بابا كركر

» الروزنامجي

» عبد الله باشا

» شاهين

عقد ريس البلانجية

» تخت بند

» أجق باشي

حمام الباشا

سوق الحمام

٢١ — محلة ايلان دبلي وهي :

جامع أحمد أفندي

عقد شاهبندر

عقد الساقية

جامع علي أفندي

عقد الكرد

عقد الطاق

قهوة إيلان دبلي

٢٢ — محلة كوك نظر وفيها :

عقد الصابونجية

» كلججية

» رأس الكنيسة

قهوة تخت روانجي

عقد تبة الكاوور

» قليج عبد الله

» شيخ محمد

» مسجد حاجي علي

٢٣ — محلة دكان شناوة وفيها :

قهوة المختار

عقد السراريج

» حاجي علي

» السبيل خانه

» الخانم

جامع الخانم

عقد رسول أغا

» حمادي

» جوقدار أغا

٢٤ ـ محلة قنبر على وفيها :

جامع قنبر علي

قهوة إسماعيل كهيه

قهوة الوقف

قهوة تخته بند

حمام قنبر علي

عقد مسجد عبد الغني

عقد الحمام

عقد السيد عبد الله

عقد التكية

العقد الضيق

عقد اليهود

عقد النجاجير

عقد الجنائز

عقد القلوغ

٢٥ ـ محلة الفراشة[1] وفيها :

عقد المنارة المكطومة

عقد قره أصلان

عقد الخفافيش

عقد علوة الخيار

عقد سوق الشورجة

قهوة البزازة

عقد كواس

حمام الشورجة

عقد المواد (كذا)

عقد العينهجية

سوق البقال

سوق التمارة

جامع الشيخ

٢٦ ـ محلة خضر بك وفيها :

عقد كمش حلقه

عقد إمام طه

---

(١) هو الموضع الوحيد الذي حافظ على اسمه العباسي الى ما قبل عدة سنين .

عقد علي أفندي

عقد باب الجامع

« أبو دراج

جامع الخاتم

عقد باب الجامع

عقد حمص جي

العقد الضيق

٢٧ ـ محلة العاقولية وفيها :

عقد العاقولية

عقد رزاق حسين

عقد الطاق

عقد أسطه محمود

عقد الصخر

عقد الزَّبَيْـدي

عقد أبو دبس

حمام كيجه جية

قهوة كيجه جية

٢٨ ـ محلة جامع العادلية وفيها :

جامع العادلية

خان العادلية

٢٩ ـ محلة قره ول وفيها :

عقد أفطجير

عقد قره ول

عقد مهدي آغا

عقد الباجه جي

عقد زند

٣٠ ـ محلة الدهانة وفيها :

قهوة حسين الـكرادي

عقد قهوة علي خان

قهوة الدهانة

عقد الدساميل

عقد قهوة المفاليس

عقد طاق السقا

عقد عمران أغا

عقد الفانوس

٣١ ـ محلة صبابيغ الآل وفيها :

عقد صبابيغ الآل

قهوة صبابيغ الآل

عقد كش آب

عقد برغانچي

عقد النصارى
قهوة الصندوقجي
عقد الصندوقجية
عقد السبچية
عقد شبارة
العقد الضيق
٣٢ ـ محلة البو شبل وفيها :
عقد أبو شيطح
عقد حنون
عقد اليهود
عقد التوراة
عقد البرغانچية
عقد أبو سيفين
عقد الكُوَر
قهوة الكورجية
سوق السراريج
سوق النفطچية
سوق الخرده فروشجيّة
٣٣ ـ محلة العوينة وفيها :
عقد العوينة
عقد عكيل « عُقيل »
قهوة سليم
قهوة باب الجامع
قهوة ريّس العوينة
عقد دكان سيد ملا حسين
جامع الحاج فتحي
عقد البرداويين
عقد الجنابيّين
٣٤ ـ محلة طاطران وفيها :
عقد الطابوقچية
عقد النقاقيب
عقد حسين الوتار
عقد بني سعيد
قهوة مرط (كذا)
عقد دكزنلية
عقد الحياچ
عقد باس
عقد شمسي
٣٥ ـ محلة الهيتاويين وفيها :
عقد قشلة « القشل »

عقد نيار « النيار »

عقد خان الششترلي

عقد سبتي

عقد رغانجي

عقد الصندوقجية

عقد شيخ ابراهيم القدسي

عقد الاكجية

عقد التنكهجية

عقد الدوكجية

قهوة الهيتاويين

سوق الهيتاويين

عقد السويدان

حمام السيد

عقد السكلخانة

قهوة تختهبند

٣٦ ـ محلة الدلال وفيها :

عقد الصخر

عقد صالح بيك

عقد المتولي

عقد كشن دزكين

عقد الملدار

عقد خرطوم الفيل

قهوة خرطوم الفيل

٣٧ عقد آت أغاجي وفيها :

عقد الحطابة

عقد السميكة

عقد السكاوور

عقد أوبنجي

» المطاطير

» كشن دزكين(١)

٣٨ ـ محلة بنات الحسن وفيها :

جامع بنات الحسن

عقد الوزري « الأزري »

» السكولية

» طاق صقر

» رأس العمار

» كاتب العربية

» البصاصيم

---

(١) تقدم ذكرها في محلة الدلال .

٣٩ ـ [محلة الأسواق والخانات] وفيها :

قهوة الجبوغچية
خان التوتن
سوق التوتنچية
سوق التحميس
قهوة زنبور
سوق الطول
خان الرماح
سوق اليورغانچية
سوق الجوخچية
سوق الصياغين
قهوة ملوكي
جامع الصياغين
خان الپاچهچي
سوق الزنجيل
قهوة السختيانچية
سوق اليمنچية
قهوة حاج وهب
سوق الكبابچية
قهوة سلطان حمودة
خان سلطان حمودة

خان العفص
سوق الجايف
» القزازين
خان الذهب
» البريسم
سوق الطمغة
قهوة الطمغة
سوق القز
» البزازين
» التكيچية
خان الزرور
سوق الخياطين
» القيصرية
خان الماملچية
سوق الضرب
» القلوغ
خان بكر
سوق الدساميل
خان الكتان
» مخزوم
سوق الاسكچية

قهوة الاسكجية
» القلوغ
السوق العريض
خان جني مراد
» اليهود
» الحياج « الحواك »
» أحمد أغا
سوق السريجية
خان أندره حنا
خان حاجي محمد البقال
قهوة الوقف
سوق رأس القرية
قهوة السقاقي
خان الجص
قهوة حاجي أمين
جامع حاجي أمين

٤٠ ـ محلة سراج الدين وفيها :

جامع سراج الدين
عقد الأباريقي
» صدري
» التكمهجية
» السبيل خانه
عقد طاق العينونية (كذا)
» عقد أهل برشت
» الحياج « الحواك »
» حبيب

٤١ ـ محلة الشيخ (عبد القادر) وفيها :

عقد الحروب
» الأغوان « الأفغان »
» الشيخ الألفي
» القصاب خانه
قهوة سلمان
» المزنبلة « المزمّلة »
عقد الفسلان
القهوة أم النخلة
عقد الشيخ رفيع
» المطبخ
» المندلاوي
» فضوة عرب
» الخفاق
» تكية القنديلجي
» تكية البكري

٤٢ — محلة رأس الساقية وفيها :

عقد التسابيل « الدزافيل »
قهوة التسابيل
عقد الساقية
» الطاق
» قهوة شكر
» الفناهرة
» القزازة
» العبايچية
» المهار
جامع القزازة

٤٣ — محلة السنك وفيها :

جامع عبد الفتاح
عقد الطاق الأعظم
» الشطية
» الراعي
» السادة
» القصاصير
» الدباغخانه
» الباب الشرقي
» الشريعة

٤٤ — محلة جميلة وفيها :

عقد الشيخ الخلاني
» الأزهري
» العيدروسي
» فسچي (كذا)
» الرهلتيين (كذا)
الجامع النعماني
جامع المچارية
عقد البهادرية
» الشيخ بهاء الدين
قهوة أبو علي

٤٥ — محلة المربعة وفيها :

عقد الشريعة
قهوة المربعة
عقد هرموش
» الفتال
» دكان حبوب
» خريب
» الشالچية
» شفتالي

٤٦ ـ محلة الجامع المالح وفيها :

الجامع المالح
الحمام »
قهوة »
» صالح أغا
عقد القوشچية
» الدربيين
» أبو خشيم
» إبراهيم بن نصر الدين
» باب الجامع الصغيرة
» الفرانچي
» كلخان
» سُمير

محلة الدهامش
» الخضر إلياس « التكارتة »
جامع الخضر الياس
محلة الحجاج
» الدهدوانة
» السوق الجديد
» سوق العجمي
» الفلاحات
» المشاهدة
» العلوة
» الكريمات
» رأس الجسر
» الشواكة
» منصور الحلاج

٤٧ ـ محلات الجانب الغربي وفيها :

محلة الشيخ صندل
جامع الشيخ صندل
» سرير (كذا)
تكية باب الكاظم « البكتاشية »
جامع الشيخ موسى
محلة الجعافر « الجعيفر »

الشيخ معروف
ست زبيدة
الشيخ داود « الطائي »
جامع الخنان
» ابن عطاء
» الست نفيسة

مسجد علاوي الحلة
» باب السيف
» رأس الجسر
» دساب (كذا)
» سوق العجمي
» سليمان الغنام
» بيت الشواف
» محمود سوزة
» ابن عبيد
» حمام شامي
» محلة الجبور
» سوق حمادة

مسجد حاجي أمين
» حاجي محمد
» ملا نعمان
» الشيخ علي الجبوري
» الملا شريف
» ثان (كذا)
» الملا كاظم
» الحاجي عبد الله
حمام شامي
» الجسر
» ايتيم

***

قسم من أسماء محلات بغداد

قبل قرن أو أكثر (1)

١ — محلة الشطّ « محلة السنك (2) »

٢ — سبع أبكار

٣ — عمارة لنج

٤ — محلة حمام الراعي « محلة الدباغخانه (3) »

٥ — » الزهري « من جملة محلة السنك »

٦ — » البيجارية « غير معروفة المحل »

٧ — » شريعة الغالبية « شريعة الميدان »

٨ — » كاتب العربية (4) « من أزقة رأس القُرية »

٩ — » سعدي كاشان « من أزقة رأس القرية »

١٠ — » شفتالي « منها شارع الاطفائية السابق » وهي غير عقد شفتالي المذكور في محلة الحيدرخانه سابقاً في هذا الكتاب

---

(١) عبد الحميد عبادة في مجلة لغة العرب « ٧ : ١٢٦ » وهي على عهدته .

(٢) قدمنا نقلا من كتاب فيلكس جونس أن محلة السنك كانت معروفة في أيامه سنة ١٨٤٦ وأن « عقد الشطية » منها وهو محلة الشط فلا يصح قول الكاتب « وتعرف اليوم بمحلة السنك » .

(٣) نقلنا آنفاً في مواضع محلة السنك « عقد الراعي وعقد الدباغخانة » .

(٤) قدمنا في توابع محلة بنات الحسن « عقد كاتب العربية » .

١١ — محلة القوشجية باسم قوشجي إبراهيم أغا بن محمد أغا وراء الحمام المالح نحو الباب الشرقي . وقد قدمنا أن من مواضع محلة الحمام المالح عقد القوشجية .

١٢ — محلة شلال شاه قولي [١] « خلف المطبخ العسكري والاطفائية العتيقة » دفن فيها قليج أصلان وهي اليوم محلة جديد حسن باشا .

١٣ — محلة طاق صلال « محلة الحيدرخانة [٢] »

١٤ — محلة التمارة جمع التمّار « محلة الشورجة »

١٥ — محلة الحطابة « أطه أغاج [٣] » من أزقة رأس القرية

١٦ — محلة النقاشين « غير معلومة المحل »

١٧ — محلة درزي صالح « زقاق المصرف »

١٨ — كموش حلقه‌سي « محلة خضر بك [٤] »

١٩ — محلة الطوبچية « محادّة للماقولية »

٢٠ — محلة خرطوم الفيل « باب الأغا [٥] »

٢١ — قرانلق قپوسي « الباب الشرقي »

٢٢ — باب سفيد « الباب الوسطاني [٦] »

---

(١) قدمنا محلة شاه قولي ومنها عقد قليج أصلان .

(٢) نقلنا أن « عقد طاق أبو صلال من محلة حسين باشا » والفرق عظيم .

(٣) قدمنا محلة « آت آغاجي » وفيها عقد الحطابة .

(٤) نقلنا سابقاً أن من مواضع محلة خضر بك « كمشي حلقة » أي الحلقة الفضة » .

(٥) ذكرنا قبلا أن قهوة خرطوم الفيل وعقد خرطوم الفيل من توابع محلة الدلال .

(٦) قال الكاتب « أي الباب الأبيض والكلمة فارسية وتركية وهو الباب المعروف اليوم بالباب الوسطاني من أبواب السور الزائل » ، والصحيح أنه كان يسمى « الباب الوسطي » قبل سنة « ١٠٥٧ هـ » كما جاء في التاريخ المسمى « عيون أخبار الأعيان . نسخة باريس ٦٦٧٧ الورقة ٢١٠ » .

الملحق الأول

الخلفاء العباسيون وتواريخ خلافتهم في بغداد

١٤٥ — ٦٥٦ هـ (٧٦٢ — ١٢٥٨ م)

أول أدوار العهد العباسي ١٤٥ ـ ٣٣٤ هـ (٧٦٢ ـ ٩٤٦ م)

أسماء الخلفـــاء	تواريخ خلافتهم	عدد سني خلافتهم
١ ـ أبو جعفر عبدالله المنصور (مؤسس بغداد)	(١٤٥ ـ ١٥٨ هـ) (٧٦٢ ـ ٧٧٥ م)	١٣
٢ ـ محمد المهدي ابن المنصور	(١٥٨ ـ ١٦٩ هـ) (٧٧٥ ـ ٧٨٥ م)	١١
٣ ـ موسى الهادي ابن المهدي	(١٦٩ ـ ١٧٠ هـ) (٧٨٥ ـ ٧٨٦ م)	١
٤ ـ هرون الرشيد ابن المهدي	(١٧٠ ـ ١٩٣ هـ) (٧٨٦ ـ ٨٠٩ م)	٢٣
٥ ـ محمد الأمين ابن الرشيد	(١٩٣ ـ ١٩٨ هـ) (٨٠٩ ـ ٨١٣ م)	٥
٦ ـ عبد الله المأمون ابن الرشيد	(١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) (٨١٣ ـ ٨٣٣ م)	٢٠
٧ ـ محمد المعتصم بالله ابن الرشيد	(٢١٨ ـ ٢٢١ هـ) (٨٣٣ ـ ٨٣٦ م)	٣

فترة انتقال الخلافة الى سامرا

= محمد المعتصم بالله ابن الرشيد	(٢٢١ ـ ٢٢٧ هـ) (٨٣٦ ـ ٨٤٢ م)	
٨ ـ هارون الواثق بالله ابن المعتصم	(٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ) (٨٤٢ ـ ٨٤٧ م)	

أسماء الخلفـــــاء	تواريخ خلافتهم	عدد سني خلافتهم
٩ ـ جعفر المتوكل على الله ابن المعتصم	(٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) (٨٤٧ ـ ٨٦١ م)	
١٠ ـ محمد المنتصر بالله ابن المتوكل	(٢٤٧ ـ ٢٤٨ هـ) (٨٦١ ـ ٨٦٢ م)	
١١ ـ أحمد المستعين بالله ابن محمد بن المعتصم فى ساصراء	(٢٤٨ ـ ٢٥٠ هـ) (٨٦٢ ـ ٨٦٥ م)	
= ـ المستعين بالله ابن محمد بن المعتصم فى بغداد (حصار بغداد الثاني ومقتل المستعين)	(٢٥١ ـ ٢٥٢ هـ) (٨٦٥ ـ ٨٦٦ م)	
١٢ ـ الزبير المعتز بالله ابن المتوكل	(٢٥٢ ـ ٢٥٥ هـ) (٨٦٦ ـ ٨٦٩ م)	
١٣ ـ محمد المهتدي بالله ابن الواثق	(٢٥٥ ـ ٢٥٦ هـ) (٨٦٩ ـ ٨٧٠ م)	
١٤ ـ أحمد المعتمد على الله ابن المتوكل	(٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ) (٨٧٠ ـ ٨٩٢ م)	

عودة الخلافة من سامرا الى بغداد

المعتمد على الله يعود الى بغداد قبل أن يأتيه الأجل بستة أشهر ١/٢

١٥ ـ أحمد المعتضد بالله ابن الموفق	(٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ) (٨٩٢ ـ ٩٠٢ م)	١٠
١٦ ـ علي المكتفي بالله ابن المعتضد	(٢٨٩ ـ ٢٩٥ هـ) (٩٠٢ ـ ٩٠٨ م)	٦
١٧ ـ جعفر المقتدر بالله ابن	(٢٩٥ ـ ٢٩٥ هـ) (٩٠٧ ـ ٩٠٧ م)	ـ

أسماء الخلفاء	تواريخ خلافتهم	عدد سني خلافتهم
المعتضد (خلعه الجند وبايعوا عبد الله ابن المعتز)		
١٨ ـ عبد الله ابن المعتز (ملك يوماً واحداً ثم قتله المقتدر)	(٢٩٦ ـ ٢٩٦ هـ) (٩٠٨ ـ ٩٠٨ م)	ـ
= ـ المقتدر ثانية	(٢٩٦ — ٣١٦ م) (٩٠٨ ـ ٩٢٨ م)	٢١
١٩ ـ محمد القاهر بالله ابن المعتضد (ملك يومين ثم عاد المقتدر)	(٣١٧ ـ ٣١٧ هـ) (٩٢٩ ـ ٩٢٩ م)	
= ـ المقتدر ثالثة	(٣١٧ ـ ٣٢٠ هـ) (٩٢٩ ـ ٩٣٢ م)	٤
= ـ القاهر ثانية (خلع وسُملت عيناه)	(٣٢٠ ـ ٣٢٢ هـ) (٩٣٢ ـ ٩٣٤ م)	٢
٢٠ ـ محمد الراضي بالله ابن المقتدر	(٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ) (٩٣٤ ـ ٩٤٠ م)	٧
٢١ ـ إبراهيم المتقي بالله ابن المقتدر (خلع وسمل)	(٣٢٩ ـ ٣٣٣ هـ) (٩٤٩ ـ ٩٤٤ م)	٤
٢٢ ـ عبد الله المستكفي بالله ابن المكتفي (خُلع)	(٣٣٣ ـ ٣٣٤ هـ) (٩٤٤ ـ ٩٤٦ م)	١
العهد البويهي ٣٣٤ ـ ٤٤٧ هـ (٩٤٦ ـ ١٠٥٥ م)		
٢٣ ـ الفضل المطيع لله ابن المقتدر	(٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ) (٩٤٦ ـ ٩٧٤ م)	٢٩
٢٤ ـ عبد الكريم الطائع لله ابن المطيع	(٣٦٣ ـ ٣٨١ هـ) (٩٧٤ ـ ٩٩١ م)	١٨
٢٥ ـ أحمد القادر بالله	(٣٨١ ـ ٤٢٢ هـ) (٩٩١ ـ ١٠٣١ م)	٤١

أسماء الخلفاء	تواريخ خلافتهم	عدد سني خلافتهم
العهد السلجوقي ٤٤٧_٥٤٧ هـ (١٠٥٥ _ ١١٥٢ م)		
٢٦ _ عبد الله القائم بأمر الله ابن القادر	(٤٢٢ _ ٤٦٧ هـ) (١٠٣١ _ ١٠٧٥ م)	٤٥
٢٧ _ عبدالله المقتدي بأمرالله حفيدُ القائم	(٤٦٧ _ ٤٨٧ هـ) (١٠٧٥ _ ١٠٩٤ م)	٢٠
٢٨_ أحمد المستظهر بالله ابن المقتدي	(٤٨٧ _ ٥١٢ هـ) (١٠٩٤ _ ١١١٨ م)	٢٥
٢٩ _ الفضل المسترشد بالله ابن المستظهر	(٥١٢ _ ٥٢٩ هـ) (١١١٨ _ ١١٣٥ م)	١٧
٣٠ _ منصور الراشد ابن المسترشد (حصار بغداد الثالث سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م)	(٥٢٩ _ ٥٣٠ هـ) ١١٣٥ _ ١١٣٦ م	١
آخر إدوار العهد العباسي ٥٤٧_٦٥٦ هـ (١١٥٢ _ ١٢٥٨ م)		
٣١ _ محمد المقتفي لامر الله ابن المستظهر (حصار بغداد الرابع سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨ م) والخامس ٥٥٢ هـ (١١٥١ م)	(٥٣٠ _ ٥٥٥ هـ) (١١٣٦ _ ١١٦٠ م)	٢٥
٣٢ _ يوسف المستنجد بالله ابن المقتفي	(٥٥٥ _ ٥٦٦ هـ) (١١٦٠ _ ١١٧٠ م)	١١
٣٣_ الحسن المستضيء بأمر الله ابن المستنجد	(٥٦٦ _ ٥٧٥ هـ) (١١٧٠ _ ١١٨٠ م)	٩
٣٤ _ أحمد الناصر لدين الله ابن المستضيء	(٥٧٥ _ ٦٢٢ هـ) (١١٨٠ _ ١٢٢٥ م)	٤٧

٣٥ ـ محمد الظاهر بأمر الله ابن الناصر	(٦٢٢ ـ ٦٢٣ ﻫ) (١٢٢٥ ـ ١٢٢٦ م)	١
٣٦ ـ منصور المستنصر بالله ابن الظاهر	(٦٢٣ ـ ٦٤٠ ﻫ) (١٢٢٦ ـ ١٢٤٢ م)	١٧
٣٧ ـ عبد الله المستعصم بالله ابن المستنصر	(٦٤٠ ـ ٦٥٦ ﻫ) (١٢٤٢ ـ ١٢٥٨ م)	١٦
		٤٥٤ ١/٢ س . ﻫ

ـ ١ ـ

الامراء البويهيون وتواريخ حكمهم فى بغداد

٣٣٤ ـ ٤٤٧ ﻫ (٩٤٦ ـ ١٠٥٥ م)

الاسماء	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
معز الدولة أحمد بن بويه	٣٣٤ ـ ٣٥٦ ﻫ (٩٤٦ ـ ٩٦٧ م)	٢٢
عز الدولة بختيار بن معز الدولة	٣٥٦ ـ ٣٦٧ ﻫ (٩٦٧ ـ ٩٧٨ م)	١١
عضد الدولة بن ركن الدولة	٣٦٧ ـ ٣٧٣ ﻫ (٩٧٨ ـ ٩٨٢ م)	٦
صمصام الدولة بن عضد الدولة	٣٧٣ ـ ٣٧٧ ﻫ (٩٨٢ ـ ٩٨٧ م)	٤
شرف الدولة « « «	٣٧٧ ـ ٣٧٩ ﻫ (٩٨٧ ـ ٩٨٩ م)	٢
بهاء الدولة « « «	٣٧٩ ـ ٤٠٣ ﻫ (٩٨٩ ـ ١٠١٢ م)	٢٤
سلطان الدولة بن بهاء الدولة	٤٠٣ ـ ٤١١ ﻫ (١٠١٢ ـ ١٠٢٠ م)	٨
مشرف الدولة « « «	٤١١ ـ ٤١٦ ﻫ (١٠٢٠ ـ ١٠٢٥ م)	٥
جلال الدولة « « «	٤١٦ ـ ٤٣٥ ﻫ (١٠٢٥ ـ ١٠٤٣ م)	١٩
أبو كاليجار بن سلطان الدولة	٤٣٥ ـ ٤٤٠ ﻫ (١٠٤٣ ـ ١٠٤٨ م)	٥
أبو نصر (الملك الرحيم)	٤٤٠ ـ ٤٤٧ ﻫ (١٠٤٨ ـ ١٠٥٥ م)	٧
		١١٣ س . ﻫ

ـ ٢ ـ

السلجوقيون وتواريخ حكمهم في بغداد

٤٤٧ ـ ٥٤٧ هـ (١٠٥٥ ـ ١١٥٢ م)

الاسماء	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
طغرل بك محمد بن ميكائيل ابن سلجوق	٤٤٧ ـ ٤٥٥ هـ (١٠٥٥ ـ ١٠٦٣	٨
ألب أرسلان محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق	٤٥٥ ـ ٤٦٥ هـ (١٠٦٣ ـ ١٠٧٢ م)	١٠
ملكشاه الأول بن ألب أرسلان	٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ (١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م)	٢٠
محمود بن ملكشاه	٤٨٥ ـ ٤٨٧ هـ (١٠٩٢ ـ ١٠٩٤ م)	٢
بركيارق بن ملكشاه	٤٨٧ ـ ٤٩٨ هـ (١٠٩٤ ـ ١١٠٤ م)	١١
ملك شاه الثاني بن بركيارق	٤٩٨ ـ ٤٩٨ هـ (١١٠٤ ـ ١١٠٤ م	—
محمد بن ملكشاه	٤٩٨ ـ ٥١١ هـ (١١٠٤ ـ ١١١٧ م)	١٣
محمود بن محمد بن ملكشاه	٥١١ ـ ٥٢٥ هـ (١١١٧ ـ ١١٣١ م)	١٤
داود محمود بن محمد	٥٢٥ ـ ٥٢٦ هـ (١١٣١ ـ ١١٣٢ م)	١
طغرل الثاني بن محمد بن ملكشاه	٥٢٦ ـ ٥٢٧ هـ (١١٣٢ ـ ١١٣٣ م)	١
مسعود بن محمد بن ملكشاه	٥٢٧ ـ ٥٤٧ هـ (١١٣٣ ـ ١١٥٢ م)	٢٠
		١٠٠ س . هـ

(زوال حكم السلجوقيين من بغداد والعراق)

ملك شاه بن محمود محمد	٥٤٧ ـ ٥٤٨ هـ (١١٥٢ ـ ١١٥٣ م)	١
محمد بن محمود بن محمد	٥٤٨ ـ ٥٥٣ هـ (١١٥٣ ـ ١١٥٨ م)	٥
سليمان شاه	٥٥٣ ـ ٥٥٥ هـ (١١٥٨ ـ ١١٦٠ م)	٢
أرسلان شاه بن طغرل الثاني	٥٥٥ ـ ٥٧٠ هـ (١١٦٠ ـ ١١٧٤ م)	١٥
طغرل الثالث بن أرسلان شاه	٥٧٠ ـ ٥٩٠ هـ (١١٧٤ ـ ١١٩٤ م)	٢٠

(انقراض الدولة السلجوقية الكبرى) .

الملحق الثاني

المغول والفرس والترك وتواريخ حكمهم فى بغداد

(٦٥٦ ـ ١٣٣٥ هـ) (١٢٥٨ ـ ١٩١٧ م)

السلطات الحاكمة	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
الايلخانيون	٦٥٦ ـ ٧٣٨ هـ (١٢٥٨ ـ ١٣٣٨ م)	٨٢
الجلائريون	٧٣٨ ـ ٨١٤ هـ (١٣٣٨ ـ ١٤١١ م)	٧٦
أسرة قراقوينلو	٨١٤ ـ ٨٧٤ هـ (١٤١١ ـ ١٤٦٨ م)	٦٠
أسرة آق قوينلو	٨٧٤ ـ ٩١٤ هـ (١٤٦٩ ـ ١٥٠٨ م)	٤٠
الصفويون	٩١٤ ـ ٩٣٠ هـ (١٥٠٨ ـ ١٥٢٣ م)	١٦
أسرة كلهر الكردية	٩٣٠ ـ ٩٣٦ هـ (١٥٢٣ ـ ١٥٢٩ م)	٦
الصفويون (ثانية)	٩٣٦ ـ ٩٤١ هـ (١٥٢٩ ـ ١٥٣٤ م)	٥
الأتراك العثمانيون	٩٤١ ـ ١٠٣٢ هـ (١٥٣٤ ـ ١٦٢٢ م)	٩١
الصفويون (ثالثة)	١٠٣٢ ـ ١٠٤٨ هـ (١٦٢٢ ـ ١٦٣٨ م)	١٦
الأتراك العثمانيون (ثانية)	١٠٤٨ ـ ١٣٣٥ هـ (١٦٣٨ ـ ١٩١٧ م) (١)	٢٨٧
		٦٧٩ س . هـ

(١) يتوسط هذا العهد فترة حكم المماليك من ١١٦٢ هـ حتى سنة ١٢٤٧ هـ (١٧٤٩ ـ ١٨٣١م) .

- ١ -

ملوك الدولة المغولية التترية الايلخانية الذين كان لهم حكم في بغداد وكان لهم لقب « خان »

٦٥٦ - ٧٣٨ هـ (١٢٥٨ - ١٣٣٨ م)

الأسماء	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
هولاكو	٦٥٦ - ٦٦٣ هـ (١٢٥٨ - ١٢٦٤ م)	٧
أبغا (أباقا) بن هولاكو	٦٦٣ - ٦٨١ هـ (١٢٦٤ - ١٢٨٢ م)	١٨
تكودار أغول المتسمى		
احمد بن هولاكو	٦٨١ - ٦٨٣ هـ (١٢٨٢ - ١٢٨٤ م)	٢
أرغون بن أباقا	٦٨٣ - ٦٩٠ هـ (١٢٨٤ - ١٢٩١ م)	٧
السلطان كيخاتو بن أباقا	٦٩٠ - ٦٩٤ هـ (١٢٩١ - ١٢٩٤ م)	٤
بايدو بن طرغاي بن هولاكو	٦٩٤ - ٦٩٥ هـ (١٢٩٤ - ١٢٩٥ م)	١
السلطان (محمود) غازان بن أرغون	٦٩٥ - ٧٠٣ هـ (١٢٩٥ - ١٣٠٣ م)	٨
السلطان أولجايتو محمد خربنده	٧٠٣ - ٧١٦ هـ (١٣٠٣ - ١٣١٦ م)	١٣
أبو سعيد بن أولجايتو	٧١٦ - ٧٣٦ هـ (١٣١٦ - ١٣٣٥ م)	٢٠
أربا بن آريق بوقا	٧٣٦ - ٧٣٦ هـ (١٣٣٥ - ١٣٣٥ م)	—
موسى بن علي بن بايدو ومحمد	٧٣٦ - ٧٣٨ هـ (١٣٣٥ - ١٣٣٧ م)	٢
ابن يول قوتلق		٨٢ س . هـ

نهاية حكم أسرة هولاكو الايلخانية وبداية حكم الأسرة الجلايرية .

ملوك الدولة المغولية التترية الجلايرية الذين كان لهم حكم في بغداد وكان لهم لقب « نويان »

٧٣٨ ـ ٨١٤ هـ (١٣٣٨ ـ ١٤١١ م)

الأسماء	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
الشيخ حسن الكبير (بزرگ)	٧٣٨ ـ ٧٥٧ هـ (١٣٣٨ ـ ١٣٥٦ م)	١٩
أويس ابن الشيخ حسن الكبير	٧٥٧ ـ ٧٧٦ هـ (١٣٥٦ ـ ١٣٧٤ م)	١٩
حسين بن أويس	٧٧٦ ـ ٧٨٤ هـ (١٣٧٤ ـ ١٣٨٢ م)	٨
أحمد بن أويس	٧٨٤ ـ ٧٩٥[1] هـ (١٣٨٢ ـ ١٣٨٣ م)	١١
الشيخ علي بن أويس	٧٨٥ ـ ٧٨٦ هـ (١٣٨٣ ـ ١٣٨٤ م)	٢
السلطان أحمد (ثانية)	٧٩٧ ـ ٨٠٣ هـ[2] (١٣٩٤ ـ ١٤٠٠ م)	٦
السلطان أحمد (ثالثة)	٨٠٨ ـ ٨١٣ هـ (١٤٠٥ ـ ١٤١٠ م)	٥
دُندي (تندي) بنت حسين	٨١٣ ـ ٨١٤ هـ (١٤١٠ ـ ١٤١١ م)	١
		٦٨ س . هـ

نهاية حكم الأسرة الجلايرية وبداية حكم أسرة قره قوينلو التركمانية .

(١) حكم بعد هذه السنة تيمورلنك في المرة الأولى الى التاريخ الذي يليه .

(٢) حكم بعد هذه السنة تيمورلنك في المرة الثانية الى التاريخ الذي يليه .

ملوك الدولة التركمانية القرەقويِنلية الذين كان لهم حكم في بغداد

٨١٤ ـ ٨٧٤ هـ (١٤١١ ـ ١٤٦٩ م)

الاسمـــــاء	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
الشاه محمد بن قره يوسف	٨١٤ ـ ٨٣٦ هـ (١٤١١ ـ ١٤٣٢ م)	٢٢
اسپان بن قره يوسف	٨٣٦ ـ ٨٤٨ هـ (١٤٣٢ ـ ١٤٤٤ م)	١٢
جهان شاه بن قره يوسف	٨٤٨ ـ ٨٧٢ هـ (١٤٤٤ ـ ١٤٦٧ م)	٢٤
حسن علي بن جهان شاه	٨٧٢ ـ ٨٧٣ هـ (١٤٦٧ ـ ١٤٦٨ م)	١
حسين علي بن زينل	٨٧٣ ـ ٨٧٤ هـ (١٤٦٨ ـ ١٤٦٩ م)	١
الشاه منصور بن زينل	٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م)	ـ

٦٠ س.هـ

نهاية حكم دولة قره قوينلو التركمانية وبداية حكم دولة آق قوينلو التركمانية

ملوك الدولة الآق قوينلية التركمانية الذين كان لهم حكم فى بغداد

٨٧٤ ـ ٩١٤ هـ (١٤٦٩ ـ ١٥٠٨ م)

الاسماء	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
حسن الطويل « أوزون »	٨٧٤ ـ ٨٨٢ هـ (١٤٦٩ ـ ١٤٧٧ م)	٨
خليل بن حسن الطويل	٨٨٢ ـ ٨٨٣ هـ (١٤٧٧ ـ ١٤٧٨ م)	١
يعقوب بن حسن الطويل	٨٨٤ ـ ٨٩٦ هـ (١٤٧٩ ـ ١٤٩٠ م)	١٢
باي سنقر بن يعقوب	٨٩٦ ـ ٨٩٨ هـ (١٤٩٠ ـ ١٤٩٢ م)	٢
رستم بن مقصود بن حسن	٨٩٨ ـ ٩٠٤ هـ (١٤٩٢ ـ ١٤٩٨ م)	٦
احمد بن محمد أوغرلو بن حسن	٩٠٢ ـ ٩٠٣ هـ (١٤٩٦ ـ ١٤٩٧ م)	١
محمدي بن يوسف بن حسن	٩٠٣ ـ ٩٠٥ هـ (١٤٩٧ ـ ١٩٤٤ م)	٢
مراد بن يعقوب	٩٠٥ ـ ٩١٤ هـ (١٤٩٧ ـ ١٤٩٩ م)	٩
		٤١ س.هـ

نهاية حكم دولة آل قراقونيلو التركمانية وبداية الدولة الصفوية (الدور الاول) .

ملوك الدولة الصفوية الذين كان لهم حكم فى بغداد

الدوران : الاول والثاني

٩١٤ ـ ٩٤١ هـ (١٥٠٨ ـ ١٥٣٣ م)

الاسماء	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
الشاه إسماعيل الصفوي	٩١٤ ـ ٩٣٠ هـ (١٥٠٨ ـ ١٥٢٣ م)	١٦
الشاه طهماسب الأول (١)	٩٣٠ هـ (١٥٢٣ م)	ـ
الشاه طهماسب الاول (ثانية)	٩٣٦ ـ ٩٤١ هـ (١٥٢٩ ـ ١٥٣٤ م)	٥
		٢١ س. هـ

نهاية حكم الدولة الصفوية فى دوريها الاول والثاني وبداية حكم الاتراك العثمانيين .

(١) انتزع منه العراق الأمير ذو الفقار رئيس قبيلة موصلو الكردية الى التاريخ الذي يليه .

ولاة الدولة التركية العثمانية في بغداد

الدور الأول

يبدأ باحتلال السلطان سليمان القانوني لبغداد سنة ٩٤١ ﻫ (١٥٣٤ م) وينتهي باحتلال الصفويين للمدينة ثانية في سنة ١٠٣٢ ﻫ (١٦٢٢ م) [١] .

أسماء الولاة	تواريخ حكمهم في بغداد	عدد سني حكمهم
سليمان باشا	٩٤١ ـ ٩٤٣ ﻫ (١٥٣٤ ـ ١٥٣٦م)	٢
	« فترة مجهولة الولاة »	٨
فرهاد باشا الصولاق	٩٥١ ـ ٩٥٢ ﻫ (١٥٤٤ ـ ١٥٤٥م)	١
إياس باشا	٩٥٢ ـ ٩٥٤ ﻫ (١٥٤٥ ـ ١٥٤٧م)	٢
فرهاد باشا الصولاق (ثانية)	٩٥٤ ﻫ (١٥٤٧ م)	ـ
تمرد علي باشا	٩٥٤ ﻫ (١٥٤٧ م) ـ ٩٥٦ ﻫ (١٥٤٩ م)	٢
محمد باشا البالطهجي	٩٥٦ ـ ٩٥٧ ﻫ (١٥٤٩ ـ ١٥٥٠ م)	١
بهرام باشا	٩٥٧ ﻫ (١٥٥٠ م)	ـ
		١٦ س . ﻫ

(١) كان السلطان سليمان قد قسم العراق الى ايالات وألوية متعددة وقضى على الادارات القديمة فجعل العراق خمس إيالات : ١ ـ ايالة بغداد ٢ ـ ايالة البصرة ٣ ـ ايالة الموصل ٤ ـ ايالة شهرزور ٥ ـ ايالة الاحساء . أما ولاية بغداد فيقوم باشا بادارتها ويغلب عليه لقب وزير ولكل وال كتخدا أو كهية وهو بمنزلة معاون له وفي الأكثر يتولى الادارة باسم الوالي . وقد تقلصت التقسيمات الادارية في العهد الأخير فأصبحت ثلاث ولايات وهي بغداد والبصرة والموصل .

أسماء الولاة	تواريخ حكمهم في بغداد	عدد سني حكمهم
تمرد علي پاشا (ثانية)	٩٥٧ ـ ٩٥٩ هـ (١٥٥٠ ـ ١٥٥١ م)	٢
محمد پاشا البالطهچي (ثانية)	٩٥٩ ـ ٩٦٣ هـ (١٥٥١ ـ ١٥٥٥ م)	٤
خضر پاشا	٩٦٣ ـ ٩٧٤ هـ (١٥٥٥ ـ ١٥٦٦ م)	١١
إسكندر پاشا	٩٧٤ ـ ٩٧٧ هـ (١٥٦٦ ـ ١٥٦٩ م)	٣
مراد پاشا	٩٧٧ ـ ٩٧٨ هـ (١٥٦٩ ـ ١٥٧٠ م)	١
علي پاشا الصوفي	٩٧٨ ـ ٩٧٩ هـ (١٥٧٠ ـ ١٥٧١ م)	١
حسين پاشا	٩٧٩ ـ ٩٨١ هـ (١٥٧١ ـ ١٥٧٣ م)	٢
عبد الرحمن پاشا	٩٨١ ـ ٩٨٢ هـ (١٥٧٣ ـ ١٥٧٤ م)	١
علي پاشا الدرويش	٩٨٢ هـ (١٥٧٤ م)	ـ
ألوند زاده علي پاشا (١)	٩٨٢ ـ ٩٩٥ هـ (١٥٧٤ ـ ١٥٨٦ م)	١٣
جغاله زاده سنان پاشا	٩٩٥ ـ ٩٩٨ هـ (١٥٨٦ ـ ١٥٨٩ م)	٣
قاضي زاده علي پاشا	٩٩٨ ـ ٩٩٩ هـ (١٥٨٩ ـ ١٥٩٠ م)	١

(١) جاء في الدر المكنون لياسين العمري في حوادث سنة « ٩٩٠ هـ » : « وفيها ولي مدينة بغداد الوزير حسن باشا ابن الوزير محمد باشا فسار إليها ودخلها وأجرى شعبة ماء من دجلة إلى أراض كثيرة وتعرف الآن بنهر دجيل ، فكان محصول ذلك النهر في السنة عشرين ألف دينار . ثم حصل للوزير حسن باشا فتنة بينه وبين زمر الينكجرية وعساكر العراق فرحل عن بغداد وأقام بالموصل يجمع العساكر » وقال في حوادث سنة ٩٩١ هـ : « وفيها عاد الى بغداد حسن باشا ابن محمد باشا ومعه عسكر عظيم وقاتل أهل بغداد وجرت له معهم عدة وقائع ثم عزل عن بغداد وولي مدينة ديار بكر فسار إليها » . فتأمل هذا الاضطراب لأن حسن باشا ولي بغداد سنة « ١٠٠٦ هـ » .

أسماء الولاة	تواريخ حكمهم في بغداد	عدد سني حكمهم
جغاله زاده سنان پاشا (ثانية)	٩٩٩ ـ ١٠٠١ هـ (١٥٩٠ ـ ١٥٩٢ م)	٢
خادم جعفر پاشا	١٠٠١ ـ ١٠٠٦ هـ (١٥٩٢ ـ ١٥٩٧ م)	٥
حسن پاشا	١٠٠٦ ـ ١٠٠٩ هـ (١٥٩٧ ـ ١٦٠٠ م)	٣
محمد آل سنان پاشا	١٠٠٩ ـ ١٠١٢ هـ (١٦٠٠ ـ ١٦٠٣ م)	٣
صارقجي مصطفى پاشا	١٠١٢ هـ (١٦٠٣ م)	ـ
محمد بن أحمد الطويل		
مصطفى بك بن أحمد الطويل	١٠١٢ـ١٠١٧ هـ(١٦٠٣ـ١٦٠٨)	٥
نصوح پاشا		
جغاله زاده محمود پاشا ابن سنان پاشا	١٠١٧ ـ ١٠١٩ هـ (١٦٠٨ ـ ١٦١٠ م)	٢
قاضي زاده علي پاشا (ثانية)	١٠١٩ ـ ١٠٢٥ هـ (١٦١٠ ـ ١٦١٦ م)	٦
يوسف پاشا	١٠٢٥ ـ ١٠٣١ هـ (١٦١٦ ـ ١٦٢١ م)	٦
بكر صوباشي (انتقاضه على الدولة العثمانية)	١٠٣١ ـ ١٠٣٢ هـ (١٦٢١ ـ ١٦٢٢ م)	١
سليمان پاشا (عيّن والياً ولكنه لم يستطع التغلب على بكر صوباشي)		

---

٩١ س . هـ

نهاية الدور الأول من الحكم التركي العثماني في بغداد وبداية الدورة الثاني من الدولة الصفوية .

ـ ٧ ـ

ملوك الدولة الصفوية الذين كان لهم حكم في بغداد

الدور الثالث

الاسماء	تواريخ حكمهم	عدد سني حكمهم
الشاه عباس الصفوي	١٠٣٢ ـ ١٠٣٧ هـ (١٦٢٢ ـ ١٦٢٨ م)	
الشاه صفي بن عباس	١٠٣٧ ـ ١٠٤٨ هـ (١٦٢٧ ـ ١٦٣٨ م)	

نهاية الدولة الصفوية في دورها الثالث وبداية حكم الأتراك العثمانيين في دوره الثاني

ـ ٨ ـ

ولاة الدولة التركية العثمانية في بغداد (١)

الدور الثاني ، يبدأ بانتزاع السلطان مراد الرابع مدينة بغداد من الصفويين في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) وينتهي باحتلال الجيش البريطاني لبغداد في سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) .

أسماء الولاة	تواريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
١ ـ كوچك حسن پاشا	١٠٤٨ ـ ١٠٤٩ هـ (١٦٣٨ ـ ١٦٣٩ م)	١
٢ ـ درويش محمد »	١٠٤٩ ـ ١٠٥٢ هـ (١٦٣٩ ـ ١٦٤٢ م)	٣
٣ ـ كوچك حسن پاشا (ثانية)	١٠٥٢ ـ ١٠٥٤ هـ (١٦٤٢ ـ ١٦٤٤ م)	٢
٤ ـ دلي حسن پاشا	١٠٥٤ هـ (١٦٤٤ م)	ـ
٥ ـ محمد پاشا آل حيدر أغا	١٠٥٤ ـ ١٠٥٥ هـ (١٦٤٤ ـ ١٦٤٥ م)	١

(١) استعين بتنظيم هذه القائمة بكتاب « تاريخ العراق بين احتلالين » للأستاذ المؤرخ عباس العزاوي .

أسماء الولاة	تواريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
٦ ـ كوچك موسى پاشا	١٠٥٥ ـ ١٠٥٦ هـ (١٦٤٥ ـ ١٦٤٦ م)	١
٧ ـ ابراهيم پاشا	١٠٥٦ ـ ١٠٥٧ هـ (١٦٤٦ ـ ١٦٤٧ م)	١
٨ ـ سميز موسى پاشا (أي موسى پاشا السمين) ولقب أيضاً « توپچي »	١٠٥٧ ـ ١٠٥٨ هـ (١٦٤٧ ـ ١٦٤٨ م)	١
٩ ـ ملك أحمد پاشا	١٠٥٨ ـ ١٠٥٩ هـ (١٦٤٨ ـ ١٦٤٩ م)	١
١٠ ـ أرسلان پاشا ابن نوغاي پاشا	١٠٥٩ ـ ١٠٦٠ هـ (١٦٤٩ ـ ١٦٥٠ م)	١
١١ ـ حسين پاشا	١٠٦٠ ـ ١٠٦١ هـ (١٦٥٠ م)	١
١٢ ـ سلحدار قره مصطفى پاشا	١٠٦١ ـ ١٠٦٣ هـ (١٦٥٠ ـ ١٦٥٢ م)	٢
١٣ ـ سلحدار مرتضى پاشا	١٠٦٣ ـ ١٠٦٥ هـ (١٦٥٢ ـ ١٦٥٤ م)	٢
١٤ ـ آق محمد پاشا (أي محمد پاشا الابيض)	١٠٦٥ ـ ١٠٦٧ هـ (١٦٥٤ ـ ١٦٥٦ م)	٢
١٥ ـ محمد پاشا الخاصكي	١٠٦٧ ـ ١٠٦٩ هـ (١٦٥٦ ـ ١٦٥٨ م)	٢
١٦ ـ سلحدار مرتضى پاشا (ثانية)	١٠٦٩ ـ ١٠٧٢ هـ (١٦٥٨ ـ ١٦٦١ م)	٣
١٧ ـ مصطفى پاشا القنبور (أي الأحدب)	١٠٧٢ ـ ١٠٧٤ هـ (١٦٦١ ـ ١٦٦٣ م)	٢
١٨ ـ مصطفى پاشا الينبوع (أي القطني)	١٠٧٤ هـ (١٦٦٣ م)	ـ
١٩ ـ سلحدار قره مصطفى پاشا (ثانية)	١٠٧٥ هـ (١٦٦٤ م)	١

أسماء الولاة	تواريخ توليهم	عدد سني ولايتهم
٢٠ ـ أوزون ابراهيم باشا (أي ابراهيم باشا الطويل)	١٠٧٥ ـ ١٠٧٧ هـ (١٦٦٤ ـ ١٦٦٦ م)	٢
٢ ـ سلحدار قره مصطفى باشا (ثالثة)	١٠٧٧ ـ ١٠٨١ هـ (١٦٦٦ ـ ١٦٧٠ م)	٤
٢٢ ـ سلحدار حسين باشا	١٠٨٢ ـ ١٠٨٥ هـ (١٦٧١ ـ ١٦٧٤ م)	٣
٢٣ ـ عبد الرحمن باشا	١٠٨٥ ـ ١٠٨٧ هـ (١٦٧٤ ـ ١٦٧٦ م)	٢
٢٤ ـ قبلان مصطفى باشا	١٠٨٧ ـ ١٠٨٨ هـ (١٦٧٦ ـ ١٦٧٧ م)	١
٢٥ ـ سلحدار عمر باشا	١٠٨٨ ـ ١٠٩٢ هـ (١٦٧٧ ـ ١٦٨١ م)	٤
٢٦ ـ ابراهيم باشا	١٠٩٢ ـ ١٠٩٥ هـ (١٦٨١ ـ ١٦٨٣ م)	٣
٢٧ ـ سلحدار عمر باشا (ثانية)	١٠٩٥ ـ ١٠٩٨ هـ (١٦٨٣ ـ ١٦٨٦ م)	٣
٢٨ ـ أحمد باشا البوشناق	١٠٩٨ ـ ١٠٩٩ هـ (١٦٨٦ ـ ١٦٨٧ م)	١
٢٩ ـ سلحدار عمر باشا (ثالثة)	١٠٩٩ ـ ١١٠١ هـ (١٦٨٧ ـ ١٦٨٩ م)	٢
٣٠ ـ حسن باشا	١١٠١ ـ ١١٠٢ هـ (١٦٨٩ ـ ١٦٩٠ م)	١
٣١ ـ أحمد باشا البازركان	١١٠٢ ـ ١١٠٣ هـ (١٦٩٠ ـ ١٦٩١ م)	١
٣٢ ـ أحمد باشا الكتخدا	١١٠٣ ـ ١١٠٥ هـ (١٦٩١ ـ ١٦٩٣ م)	٢
٣٣ ـ أحمد باشا	١١٠٥ ـ ١١٠٧ هـ (١٦٩٣ ـ ١٦٩٥ م)	٢
٣٤ ـ علي باشا	١١٠٧ ـ ١١١٠ هـ (١٦٩٥ ـ ١٦٩٨ م)	٣
٣٥ ـ اسماعيل باشا	١١١٠ ـ ١١١١ هـ (١٦٩٨ ـ ١٦٩٩ م)	١
٣٦ ـ مصطفى باشا (دالطبان)	١١١١ ـ ١١١٤ هـ (١٦٩٩ ـ ١٧٠٢ م)	٣

أسماء الولاة	تواريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
٣٧ ـ يوسف پاشا	١١١٤ ـ ١١١٥ هـ (١٧٠٢ ـ ١٧٠٣ م)	١
٣٨ ـ علي پاشا (ثانية)	١١١٥ ـ ١١١٦ هـ (١٧٠٣ ـ ١٧٠٤ م)	١
٣٩ ـ حسن پاشا الجديد (أدخل نظام المماليك)	١١١٦ ـ ١١٣٦ هـ (١٧٠٤ ـ ١٧٢٣ م)	٢٠
٤٠ ـ حسن پاشا زادة أحمد پاشا	١١٣٦ ـ ١١٤٧ هـ (١٧٢٣ ـ ١٧٣٤ م)	١١
٤١ ـ حاج اسماعيل پاشا	١١٤٧ ـ ١١٤٨ هـ (١٧٣٤ ـ ١٧٣٥ م)	١
٤٢ ـ صدر أسبق محمد پاشا	١١٤٨ ـ ١١٤٩ هـ (١٧٣٥ ـ ١٧٣٦ م)	١
٤٣ ـ أحمد پاشا (ثانية)	١١٤٩ ـ ١١٦٠ هـ (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧ م)	١١
٤٤ ـ صدر أسبق الحاج أحمد پاشا	١١٦١ هـ (١٧٤٨ م)	١
٤٥ ـ كسريه لي الحاج أحمد پاشا	١١٦١ هـ (١٧٤٨ م)	١
بداية حكم المماليك		
٤٦ ـ سليمان پاشا (أبو ليلة)	١١٦٢ ـ ١١٧٥ هـ (١٧٤٨ ـ ١٧٦١ م)	١٣
٤٧ ـ علي پاشا	١١٧٦ ـ ١١٧٧ هـ (١٧٦٢ ـ ١٧٦٣ م)	١
٤٨ ـ عمر پاشا	١١٧٧ ـ ١١٨٩ هـ (١٧٦٣ ـ ١٧٧٥ م)	١٢
٤٩ ـ امين پاشا الجليلي	١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م)	١
٥٠ ـ مصطفى پاشا	١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م)	١
٥١ ـ عبدي پاشا	١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م)	١
٥٢ ـ عبد الله الـكيه	١١٩٠ ـ ١١٩٢ هـ (١٧٧٦ ـ ١٧٧٨ م)	٢

أسماء الولاة	تواريخ توليهم	عدد سني ولايتهم
٥٣ ـ حسن باشا	١١٩٢ ـ ١١٩٤ هـ (١٧٧٨ ـ ١٧٨٠ م)	٢
٥٤ ـ سليمان باشا الكبير	١١٩٤ ـ ١٢١٧ هـ (١٧٨٠ ـ ١٨٠٢ م)	٢٣
حافظ علي باشا	١٢١٧ ـ ١٢٢٢ هـ (١٨٠٢ ـ ١٨٠٧ م)	٥
٥٦ كوچك سليمان باشا	١٢٢٢ ـ ١٢٢٥ هـ (١٨٠٧ ـ ١٨١٠ م)	٣
٥٧ ـ عبد الله باشا	١٢٢٥ ـ ١٢٢٨ هـ (١٨١٠ ـ ١٨١٣ م)	٣
٥٨ ـ سعيد باشا	١٢٢٨ ـ ١٢٣٢ هـ (١٨١٣ ـ ١٨١٦ م)	٤
٥٩ ـ داود باشا	١٢٣٢ ـ ١٢٤٧ هـ (١٨١٦ ـ ١٨٣١ م)	١٥
نهاية حكم المماليك		
٦٠ ـ لاز علي رضا باشا	١٢٤٧ ـ ١٢٥٨ هـ (١٨٣١ ـ ١٨٤٢ م)	١١
٦١ ـ محمد نجيب باشا	١٢٥٨ ـ ١٢٦٥ هـ (١٨٤٢ ـ ١٨٤٨ م)	٧
٦٢ ـ عبد الكريم نادر باشا	١٢٦٥ ـ ١٢٦٧ هـ (١٨٤٨ ـ ١٨٥٠ م)	٢
٦٣ ـ وجيهي باشا	١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م)	١
٦٤ ـ محمد نامق باشا	١٢٦٧ ـ ١٢٦٨ هـ (١٨٥٠ ـ ١٨٥١ م)	١
٦٥ ـ كوزلكلي محمد رشيد باشا	١٢٦٨ ـ ١٢٧٣ هـ (١٨٥١ ـ ١٨٥٦ م)	٥
٦٦ ـ سردار اكرم عمر باشا	١٢٧٤ ـ ١٢٧٦ هـ (١٨٥٧ ـ ١٨٥٩ م)	٢
٦٧ ـ سركاتبي مصطفى نوري باشا	١٢٧٦ ـ ١٢٧٧ هـ (١٨٥٩ ـ ١٨٦٠ م)	
٦٨ ـ أحمد توفيق باشا	١٢٧٧ ـ ١٢٧٨ هـ (١٨٦٠ ـ ١٨٦١ م)	١
٦٩ ـ محمد نامق باشا (ثانية)	١٢٧٨ ـ ١٢٨٤ هـ (١٨٦١ ـ ١٨٦٧ م)	٦

أسماء الولاة	تواريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
٧٠ ـ تقي الدين پاشا	١٢٨٤ ـ ١٢٨٥ هـ (١٨٦٧ ـ ١٠٦٨ م)	٢
٧١ ـ عهد مدحت پاشا	١٢٨٦ ـ ١٢٨٩ هـ (١٨٦٨ ـ ١٨٧٢ م)	٣
١٨ المحرم ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) الى أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م)		
٧٢ ـ رؤف پاشا	١٢٨٩ ـ ١٢٩٠ هـ (١٨٧٢ ـ ١٨٧٣ م)	١
٧٣ ـ رديف پاشا	١٢٩٠ ـ ١٢٩٢ هـ (١٨٧٣ ـ ١٨٧٥ م)	٢
٧٤ ـ عبد الرحمن پاشا	١٢٩٢ ـ ١٢٩٤ هـ (١٨٧٥ ـ ١٨٧٧ م)	٢
٧٥ ـ عاكف »	١٢٩٤ ـ ١٢٩٥ هـ (١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ م)	١
٧٦ ـ قدري »	١٢٩٥ هـ (١٨٧٨ م)	١
٧٧ ـ عبد الرحمن » (ثانية)	١٢٩٦ ـ ١٢٩٧ هـ (١٨٧٩ ـ ١٨٧٩ م)	١
٧٨ ـ تقي الدين » »	١٢٩٧ ـ ١٣٠٤ هـ (١٨٧٩ ـ ١٨٨٦ م)	٧
٧٩ ـ مصطفى عاصم پاشا	١٣٠٤ ـ ١٣٠٧ هـ (١٨٨٦ ـ ١٨٨٩ م)	٣
٨٠ ـ سري »	١٣٠٧ ـ ١٣٠٨ هـ (١٨٨٩ ـ ١٨٩٠ م)	٢
٨١ ـ حاج حسن رفيق پاشا	١٣٠٩ ـ ١٣١٤ هـ (١٨٩١ ـ ١٨٩٦ م)	٥
٨٢ ـ عطا الله »	١٣١٤ ـ ١٣١٧ هـ (١٨٩٦ ـ ١٨٩٩ م)	٣
٨٣ ـ نامق پاشا الصغير	١٣١٧ ـ ١٣٢٠ هـ (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ م)	٣
٨٤ قاضي بغداد أبو بكر حازم (وكالة) ٨٥ أحمد فيضي پاشا »	١٣٢٠ ـ ١٣٢٢ هـ (١٩٠٢ ـ ١٩٠٤ م)	٢
٨٦ ـ عبد الوهاب پاشا	١٣٢٢ ـ ١٣٢٣ هـ (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ م)	١
٨٧ ـ مجيد بك	١٣٢٣ ـ ١٣٢٤ هـ (١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ م)	١
٨٨ ـ حازم بك	١٣٢٥ ـ ١٣٢٦ هـ (١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ م)	١

أسماء الولاة	تواريخ توليتهم	عدد سني ولايتهم
٨٩ ـ نجم الدين بك (عهد المشروطية وإعلان الدستور)	١٣٢٦ ـ ١٣٢٧ هـ (١٩٠٨ ـ ١٩٠٩ م	١
٩٠ ـ محمود شوكت پاشا	١٣٢٧ (١٩٠٩ م)	١
٩١ ـ ناظم »	١٣٢٨ ـ ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ ـ ١٩١١ م)	١
٩٢ ـ يوسف آكاه » (وكالة)	١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)	ـ
٩٣ ـ جمال بك	١٣٢٩ ـ ١٣٣٠ هـ (١٩١١ ـ ١٩١٢ م)	١
٩٤ ـ محمد زكي پاشا	١٣٣٠ ـ ١٣٣١ هـ (١٩١٢ ـ ١٩١٣ م)	١
٩٥ ـ حسين جلال بك	١٣٣١ (١٩١٣ م)	ـ
٩٦ ـ محمد فاضل پاشا الداغستاني (وكالة)	١٣٣١ ـ ١٣٣٢ (١٩١٢ ـ ١٩١٤)	١
٩٧ ـ جاويد پاشا	١٣٣٢ ـ ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ ـ ١٩١٥ م)	١
٩٨ ـ رشيد بك (وكالة)	١٣٣٣ (١٩١٥)	ـ
٩٩ ـ سليمان نظيف بك	١٣٣٣ هـ (١٩١٥ م)	ـ
١٠٠ ـ نور الدين بك	١٣٣٣ ـ ١٣٣٤ هـ (١٩١٥ ـ ١٩١٦ م)	١
١٠١ ـ خليل بك	١٣٣٤ ـ ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ ـ ١٩١٧ م)	١
المجموع		٢٨٧ س . ه

١٠٢ ـ ممدوح بك ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) بقي وكالة لمدة اسبوعين قبل سقوط بغداد فى الاحتلال البريطاني لها فى شهر آذار ١٩١٧ م (١٣٣٥ هـ)

الملحق الثالث

جوامع[1] بغداد ومعابدها ومساجدها ومشاهدها

القائمة اليوم ، والتي خربت قبل عدة سنين

(أ)

جامع إبراهيم « السيد » في محلة علاوي الحلة بالجانب الغربي

» أبي حنيفة : جامع الامام الأعظم

» أبي يوسف قاضي القضاة في الكاظمية

زاوية ابراهيم أبي يطغان بباب الشيخ بالجانب الشرقي

جامع الاحسائي ويقال له « التكية الخالدية » أيضاً في شارع المستنصر بالجانب الشرقي

» أبي سيفين بمحلة أبي سيفين بالجانب الشرقي

» أحمد بوشناق « جامع الحمام المالح » في محلة الحمام المالح بالجانب الشرقي

الجامع الأحمدي « الأحمدية » في الميدان في أول السوق بالجانب الشرقي

جامع الأزبكية عند باب المعظم بالجانب الشرقي من بغداد

» أسماء خاتون قرب أمانة العاصمة بالجانب الشرقي

» إسماعيل الصفوي بلصق مشهد الكاظمين بالكاظمية

---

(١) يسمى أهل بغداد وأكثر البلدان العراقية كل مسجد « جامعاً » مع أن الجامع كان صفة للمسجد الجامع أي المسجد الذي تقام فيه صلاة الجمعة ثم ترك لفظ « المسجد » فقيل « الجامع » لجامع المنصور في المدينة المدورة وجامع المهدي بالرصافة وحدث في أيام الأتراك العثمانيين تأنيث الجامع فكان يقال « جامع الآصفية » مثلا بالاضافة و « جامع الأحمدية » وهو أمر غريب جداً

جامع الاسماعيلية [1] في سوق الكبابجية بالجانب الشرقي

» الآصفية « تكية المولوية » في آخر شارع المأمون بالجانب الشرقي

» الامام الأعظم « مقبرة الخيزران » في الجانب الشرقي بالأعظمية

» أغا زاده ، خرب منذ سنين وكان بالجانب الشرقي

» آل جميل بمحلة قنبر علي ، بالجانب الشرقي

» الألفي محمد بمحلة الصدرية بالجانب الغربي

» الحاج أمين بسوق حمادة بالجانب الغربي

» أمين الباججي برأس القُرَية بالجانب الشرقي

(ب)

جامع بابا كركر في محلة الميدان ، بالجانب الشرقي

» براثا [2] (الصحيح جامع المنطقة) بين بغداد والكاظمية

تكية البدوي في رأس القُرَية بالجانب الشرقي

جامع البرزنلي خرب واتخذ مقبرة بالجانب الشرقي

» الشيخ بشار (علي بن محمد بن بشار) وتربته بالجانب الغربي [3]

» بشر الحافي (الصحيح الحنفي) في الأعظمية

» بنات الحسن في محلة بنات الحسن بالجانب الشرقي

» بنات الحسن قرب رأس جسر المأمون بالجانب الغربي

---

(١) أصله المدرسة الوفائية التي ذكرناها في « ص ٢٤٩ » .

(٢) عرف قديماً بمشهد العتيقة « سونايا » وبمشهد المنطقة وقد أطلق عليه بعض المتأخرين غلطاً « جامع براثا » وهو اسم الجامع العتيق الذي كان في جنوب مدينة المنصور وزال منذ عصور .

(٣) هدم قبل عدة سنين بسبب الشارع الجديد ونقل رفاة الشيخ ابن بشار الحنبلي الى مقبرة الشيخ معروف الكرخي ، ولا تزال المحلة تعرف بالشيخ بشار .

مشهد پنجه علي أي كف علي ، كان بباب الأغا بالجانب الشرقي

تكية البندنيجي[1] في محلة باب الشيخ عبد القادر » »

جامع پير داود قرب جامع المرادية » »

(ت)

جامع تحت التكية في محلة تحت التكية (قسم من الجعفرية قديماً) بالجانب الشرقي

» التسابيل (الدسابيل) بباب الشيخ بالجانب الشرقي

» التكارتة (جمع التكريتي) في محلة التكارتة بالجانب الغربي

(ث)

جامع ثريا بنت معروف ، في محله التكارتة بالجانب الغربي

(ج)

جامع الجنائز ، بقيت منارته بلصق تربة معروف الكرخي بالجانب الغربي

جامع الجنيد (جنيد) وتربته (بالشونيزية القديمة) بالجانب الغربي

جامع حادي بادي[2] « مسجد الآجرة العتيق » في عقد القشل بالجانب الشرقي

(١) هو السيد علي البندنيجي كما في كتاب « غاية المرام » لياسين العمري المتوفى في الثلث الأول من القرن الثالث عشر للهجرة .

(٢) ذكر خبره ابن الجوزي في حوادث سنة « ٤٥٥ هـ » من المنتظم « ٨ : ٢٣٠ » قال : « وفي ليلة الأربعاء لثمان بقين من شعبان رأت امرأة هاشمية في منامها النبي — ص — وعلي بن أبي طالب في مسجد صغير بالمأمونية من الحريم الشريف ، فقال لها النبي — ص — : مريهم أن يعمروا هذا المسجد . فقالت : لا يصدقوني في رؤيتي لكم . فمد يده إلى حائط عقد هناك قديم مبني بالجص والآجر ، وهو من أحد حيطان المسجد ، وجر آجرة من وسطها حتى برز ثلثها وقال لها : هذا دليل على صدق قولك وصحة رؤياك » . وقد سمي هذا المسجد بعد ذلك « مسجد الآجرة » قال ابن النجار في ترجمة أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن الحسين الباجسرائي الفقيه الحنبلي المتوفى سنة « ٦١٢ هـ » : « ثم درس بمسجد ابن المني بالمأمونية مدة وكان يؤم الناس في الصلوات بمسجد الآجرة » . « التاريخ المجدد لمدينة السلام ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق الورقة ٢٩ » . ونقل هذا الخبر ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٨٦ » .

جامع حاجية خاتون في محلة الامام طه بالجانب الشرقي

» حبيب العجمي [1] وتربته ، قريبان من دجلة بمحلة الشيخ بشار بالجانب الغربي .

» حسب الله في محلة تحت التكية بالجانب الشرقي

» حسن باشا الجديد مقابل السراي العتيق بالجانب الشرقي

---

(١) ذكره العلامة محمود شكري الآلوسي في تاريخ مساجد بغداد « ص ١٢: » وذكر أنه توفي في حدود سنة « أربعين ومائة » من الهجرة . فهو إذن قد توفي قبل أن تنشأ مدينة السلام على يد المنصور العباسي ، وقال صفاء الدين عيسى البندنيجي في ترجمة « جامع الأنوار في مناقب الأخيار » : « ومنهم قدوة الأولياء حبيب العجمي ـ ق ـ وهذا هو أحد المشايخ المتقدمين وأحد السادة المتصوفين ... ولم نظفر بتاريخ ولادته وزمن وفاته ومكان تربته في كتاب من الكتب التي اتفق النظر إليها ولكن اشتهر بين الناس أن مرقده في بغداد في الجانب الغربي على شاطيء دجلة مقابل قصر الإمارة وذلك قريب من جامع القمرية يتبرك به ويزار . وفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف جدد آثاره وعمر الجامع ... وزير إيالة بغداد السابق داود باشا ... » .

ولم يذكره سيدي علي فيمن زارهم من الأولياء ببغداد سنة « ٩٦١ هـ » (العراق بين احتلالين ٤ : ٧٢) . وإنما ذكره مصطفى الصديقي في رحلته سنة ١١٣٩ هـ « و ٢٥ ، ٣٢ » .

والصحيح أن حبيباً العجمي توفي بالبصرة ، وقد زار قبره ابن بطوطة سنة « ٧٢٧ هـ » « الرحلة ١ : ١١٧ » قال : « ذكر المشاهد المباركة بالبصرة فنها مشهد طلحة بن عبيد الله أحد العشرة — رضي — ... ومنها قبر حبيب العجمي — رضي — ... » وفي خطط بغداد يكون قبر حبيب العجمي أقرب إلى قبر « أبي القاسم عمر بن مسعود البزاز » قال ابن النجار : « كان من أعيان أصحاب الشيخ عبد القادر الجيلي ، صحبه مدة طويلة وتفقه عليه وسمع منه الحديث من جماعة وتخلق بأخلاقه وتأدب بآدابه، وسلك طريقته وكان له دكان بخان الصفة بسوق الثلاثاء يبيع فيه البز ، ويطلب الكسب الحلال ثم إنه ترك ذلك وانقطع الى زاوية له إلى جانب مسجد بالجانب الغربي قريباً من جامع العقبة ، وانضاف إليه جماعة من الأصحاب والأتباع ... وكان كثير العبادة والمجاهدة ... توفي شيخنا عمر البزاز في يوم السبت الرابع عشر من شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بزاويته بالجانب الغربي » . وقال ابن الدبيثي : « وبنى لنفسه رباطاً أسكنه جماعة من الفقراء وكان له زاوية قريبة منه ... توفي ... وصلي عليه ... عند جامع العقبة ... ودفن برباطه » (التاريخ المجدد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١١٣١ الورقة ٢٢ وذيل تاريخ بغداد نسخة الدار المذكورة ٥٩٢٢ الورقة ٢٠٣ » .

جامع حسن باشا العتيق المعروف بجامع الوزير بسوق السراي على دجلة بالجانب الشرقي

« حسين باشا ، فيه مقام السيد إبراهيم الفضل في محلة الحيدرخانة بالجانب الشرقي

« حمادي (الملا) في محلة المربعة بالجانب الشرقي

« الحسين [1] بن روح النوبختي وقبره (كذا) بسوق المطارين بالجانب الشرقي

« حنّان قرب رأس جسر المأمون بالجانب الغربي

حسينية الشيخ بشار ، بمحلة الشيخ بشار بالجانب الغربي

حسينية عبد الكريم الحيدري (السيد) في محلة الدهانة بالجانب الشرقي

---

(١) كان يسمى بنائب صاحب الزمان وهو من النواب الأربعة الممدوحين عند الشيعة الامامية الأثنا عشرية . توفي في شعبان سنة « ٣٢٦ هـ » ودفن في النوبختية بالجانب الغربي من بغداد ، قال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي المتوفى سنة « ٤٦٠ هـ » في كتاب الغيبة --- ص ٢٥٢ --- : « أخبرني الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر (محمد بن عثمان بن سعيد) العمري -- رض -- أن قبر أبي القاسم الحسين بن روح في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي ، النافذ الى التل وإلى درب الآجر والى قنطرة الشوك ... » . وقنطرة الشوك كانت إحدى قناطر نهر عيسى بالجانب الغربي (راجع نهر عيسى وقنطرة الشوك ص ٦٣ -- ٧١) . ودرب الآجر الذي كان بالجانب الغربي ذكره ياقوت الحموي في معجمه قال : « درب الآجر محلة كانت ببغداد من محال نهر طابق بالجانب الغربي سكنها غير واحد من أهل العلم وهو الآن (سنة ٦٢٦ هـ) خراب » . وهو غير درب الآجر الذي كان بمحلة الجعفرية بالجانب الشرقي من بغداد ، قال مؤلف مراصد الاطلاع : « وبنهر معلى درب الآجر بالجعفرية عامر آهل » . والجعفرية منسوبة الى الأمير جعفر بن المقتدي بأمر الله (راجع الجعفرية في ص ١٦٠) وكانت الجعفرية قريبة من محلة سوق السلطان وكان سوق السلطان يمتد شمالا الى قريب من باب السلطان « باب المعظم الحالي » فسوق الميدان يصلح لأن يكون ابتداءاً لسوق السلطان الممتد نحو الجنوب الى محلة سوق السلطان وكانت هذه المحلة كبيرة جداً ، وقد ذكر ابن الأثير في حوادث « ٦٠١ هـ » وابن الساعي في الجامع المختصر « ٩ : ١٤٨ » أنه وقع قتال في تلك السنة بين أهل محلة سوق السلطان و المحلة الجعفرية بباب الجعفرية في المقبرة . وكان في الجعفرية رباط علي بن بختيار البغدادي المتوفى سنة « ٥٩٠ » المدفون في تربته بجوار الرباط . كما ذكر ابن الدبيثي ، ودفن بالرباط ابنه أحمد بن علي الصفار المتوفى سنة ٦٤٢ كما ذكر ابن النجار . ومقبرة الجعفرية تشبه أن تكون موضع دار المعلمات الابتدائية وجامع الخاتون القائمين اليوم ، وكان في الجعفرية أيضاً « مشهد البرمة » ذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٤ : ٢٠٤ » (من نسخة مصطفى جواد) .

جامع حمادي (الملا) في محلة المربعة بالجانب الشرقي

» حمام شامي في محلة الفحامة بالجانب الغربي

» الحمام المالح : جامع أحمد باشا بوشناق

» حنان قرب رأس جسر المأمون بالجانب الغربي

» الحيدرخانة بمحلة الحيدرخانه بشارع الرشيد بالجانب الشرقي

(خ)

جامع الخضر إلياس كان مدرسة محمد أمين السويدي بالجانب الغربي

» الخاتون [١] ، قرب محلة عباس أفندي ومحلة الحيدرخانة بالجانب الشرقي

» الخاصكي محمد باشا الوالي برأس القرية غربي شارع الرشيد

التكية الخالدية : جامع الأحسائي

جامع الخفافين : جامع الصاغة

» الخلاني جامع غلام الخلال

» الخلفاء [٢] « جامع سوق الغزل » هدم أخيراً وكان بالجانب الشرقي

» الخنيني ، بناه عبد الله بن صالح النجدي من آل خنين بالجانب الغربي

(د)

جامع الحاج داود أبي التمن بمحلة صبابيغ الآل بالجانب الشرقي

» الدسابيل (الدسافيل [٣]) : جامع التسابيل

---

(١) هي منور خاتون زوجة سليمان باشا كما في « مساجد بغداد ص ٣٦ ، ٣٧ » .

(٢) قدمنا الكلام على جامع الخليفة « جامع القصر » وقد سمي في العصور الأخيرة « جامع الخلفاء » . وخرب أكثر الجامع واتخذ دوراً وسوقاً يعرف بسوق الغزل ، ثم أنشأ سليمان باشا المتوفى سنة ١٢١٧ هـ مسجداً في القسم الغربي من أرضه وقد هدم هذا المسجد سنة ١٩٥٨ م عند اشتقاق شارع بغداد الأوسط من الجنوب إلى الشمال .

(٣) الدسافيل جمع الدسفولي نسبة الى دسفول من بلدان عربستان بإيران .

» زين العابدين وقبره (الشيخ محمد ١١٠٥ هـ) في الطاطران بالجانب الشرقي

(س)

جامع السادات ، في محلة السنك قرب الجامع النعماني بالجانب الشرقي

» سراج الدين (١) وتربته (مقبرة الزرادين قديماً) بالجانب الشرقي

» السكخانة بين سوق الصفارين وخان الأورتمة » »

» السلطان علي (٢) وتربته في محلة المربعة على شاطئ دجلة بالجانب الشرقي

---

٢٣٥ » وجاء في مختصر تاريخ ابن الدبيثي للذهبي : « زمرد خاتون التركية أم أمير المؤمنين الناصر ، عاشت في دولة ابنها نيفاً وعشرين سنة وكانت كثيرة البر والصدقة ، منعمة على الفقراء ، والأيتام . توفيت سنة ٥٩٩ » ، « الورقة ١٣١ » وقال الصديقي المقدم ذكره : « كانت كثيرة البر والصدقة والصلة ، مقبلة على الخير ، منعمة على الفقراء والمساكين ، متفقدة لذوي الحاجات والفاقات ، رحيمة للأيتام بنت المدارس والربط والمساجد وعمرت السبل والجوامع والمشاهد ، ووقفت الوقوف السنية ، وتصدقت بالصدقات الهنية . وكانت متفضلة على أهل العلم والدين ، ملاحظة لأهل الصلاح والمنقطعين ... » . وترجمتها في التواريخ المطبوعة معروفة متيسرة .

(١) يراجع تاريخ هذا الشيخ في « ص ٢٣٧ » من هذا الكتاب .

(٢) يوافق موضع هذا المسجد وتربته في خطط بغداد موضع « المدرسة الثقتية » و« الرباط الثقتي» اللذين أنشأهما للشافعية ثقة الدولة أبو الحسن علي بن الانباري الدريني المتوفى سنة ٥٤٩ ، وهو زوج فخر النساء شهدة بنت الابري الكاتبة ، كان خصيصاً بالخليفة المتقي لأمر الله فلقبه « ثقة الدولة » ونسبت المدرسة والرباط الى لقبه كجاري العادة ، قال محب الدين بن النجار « كان فيه أدب ويقول الشعر اللطيف ، وبنى مدرسة لأصحاب الشافعي على شاطيء دجلة بباب الأزج وبنى الى جانبها رباطاً للصوفية ووقف عليهما وقوفاً حسنة » . ولكنه لم يدفن في المدرسة ولا في الرباط على ما ذكر ابن النجار « التاريخ المجدد . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ٢٩ ، ٣٠ » ونقل ذلك ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة زوجه شهدة » وللدريني ومدرسته ذكر في خريدة القصر للعماد الاصفهاني « ١ : ١٤٤ » . وذكر السيد السلطان علياً هذا مصطفى الصديقي سنة « ١١٣٩ هـ » في رحلته « كشط الصدأ » ـ الورقة ٧١ ـ قال : « وأتينا قرب مزار سيدي علي بن الامام موسى الكاظم » ، وقال صفاء الدين عيسى البندنيجي في ترجمته لكتاب جامع الأنوار في مناقب الأخيار لنظمي مرتضى البغدادي المتوفى في الثلث الأول من القرن الثاني عشر للهجرة : « ومنهم السيد علي ـ ر ح ـ قال المؤلف : وهو الآن مشهور فيما =

جامع سلمان النقيب خارج الباب الشرقي جنوبي محلة باب الشيخ بالجانب الشرقي

» سليمان القانوني (السلطان) هو جامع اسماعيل الصفوي بالكاظمية

» » بن غنام العقيلي فى محلة الشيخ بشار بالجانب الغربى

» السور ، فى محلة السور ، فى الشمالي الغربي من الجانب الشرقي

» سوق حمادة عند مقاهي سوق حمادة بالجانب الغربي

» سوق الغزل : جامع الخلفاء

» سوق الهرج ، فى منتهى سوق الهرج فى الميدان بالجانب الشرقي

» السَّيْف ، على شاطئ دجلة ، بمحلة باب السيف (القُرية القديمة) بالجانب الغربي

ـ ش ـ

جامع الشواف ، فى سوق حمادة بالجانب الغربي

= بين أهل بغداد بالسيد سلطان علي ، من المشايخ العظام » والسادات الكرام ، ومدفنه فى بغداد مأوى الغرباء ، ومجمع الفقراء . قلت : هو واقع على دجلة فيما بين محلة يقال لها الآن محلة السبع أبكار وبين محلة يقال لها صبابغة ، وعلى مرقده الآن جامع تقام فيه الصلوات الخمس والجمع » . ونحن لم نجد في رجال العراق من تسمى « بالسيد السلطان علي » إلا السيد السلطان علي بن محمد بن فلاح المشعشع المقتول سنة « ٨٦١ هـ » قتل في أيام بيربوداق بن جهان شاه بن قره يوسف التركماني القره قويللي في خوزستان . وسلخ جلده وحشي تبناً وجيء به الى بغداد في ١٦ جمادى الآخرة سنة « ٨٦١ » وأرسل برأسه الى جهان شاه كما في التاريخ الغياثي « ص ٢٧٤ » ونقل الأستاذ عباس العزاوي تعليقاً للشيخ علي علاء الدين الآلوسي على كتاب « كلشن خلفا » عند ذكر وفاة الشيخ علي شاهزاده بن أويس الجلايري سنة « ٧٨٥ هـ » هذا نصه « والظاهر أن شيخ علي هذا ، هو المنسوب اليه جامع السيد سلطان علي . فانه ولي بغداد وتوفي فيها ، وموضع الجامع من مرافق دار الخلافة العباسية وهو الأنسب بالسلاطين . وأما ما يقال من أنه أبو الرفاعي فذلك من الموضوعات . « تاريخ العراق بين احتلالين ٢ : ١٧٣ » قلنا : لم نجد فيما بين أيدينا من التواريخ أن الشيخ علياً توفي ببغداد فانه قتل في وقعة بينه وبين أخيه أحمد في بلاد إيران كما جاء في التاريخ الغياثي وتاريخ العراق بين احتلالين « ٢ : ١٧٣ » ولا يزال الاختلاف في تاريخ القبر قائماً .

(ص)

جامع الصاغة « جامع الخفافين » وهو مسجد زمرد خاتون على دجلة بالجانب الشرقي (راجع ص ١٨٨)

جامع صبابيغ الآل ، لعله جامع داود أبي التمن بالجانب الشرقي

» صدر الدين [1] وتربته في محلة الصدرية بالجانب الشرقي

» الصفافير [2] أي الصفارين ، في سوق الصفافير بالجانب الشرقي

» صندل [3] وتربته بمحلة الشيخ صندل بالجانب الغربي

» الصياغ [4] : جامع الصاغة

(ط)

جامع طه « الامام » كان في محلة الإمام طه « ساحة الأمين » بالجانب الشرقي

» الطوب : جامع عائشة خاتون

(ظ)

جامع ظهير الدين : جامع نور الدين بمحلة الحاج فتحي بالجانب الشرقي

» عائشة خاتون ، في محلة الطوب في الشمال الغربي من الجانب الشرقي

» عادلة خاتون [5] الكبير في شارع المستنصر تجاه المحكمة الشرعية بالجانب الشرقي

» عادلة خاتون الصغير قرب الجسر المأموني » »

(١) قدمنا الكلام عليه في هذا الكتاب « ص ٢٣٧ » .

(٢) يجمع أهل بغداد « فعال » كعطار على « فعاعيل » خلافاً للقياس فيقولون في جمع عطار « عطاطير » وفي جمع نجار « نجاجير » وفي جمع الصفار « صفافير » .

(٣) قدمنا الكلام على عماد الدين صندل بن عبد الله الحبشي » هذا في هذا الكتاب « ص ١٩٥ » .

(٤) تجمع العامة « الصايغ » على « الصياغ » بدلا من الصواغ ، ويفعل الكتاب العكس فيجمعون « السائح » على « السواح » .

(٥) راجع « ص ٢٣٩ »

جامع العاقولي [1] وتربته في المحلة العاقولية بالجانب الشرقي

» عباس الجراح « الحاج » في محلة السنك » »

» عبد الرزاق الخضيري ، في محلة سراج الدين (مقبرة الزرادين قديماً) بالجانب الشرقي (راجع ص ٢٤٦) .

جامع عبد القادر « الشيخ » ومشهده بمحلة باب الشيخ بالجانب الشرقي

» عبد الكريم الجيلي في محلة المربعة بالجانب الشرقي

» عثمان أفندي في محلة حديد حسن باشا بالجانب الشرقي

» » بن سعيد [2] وتربته (كذا) بسوق الميدان بالجانب الشرقي

---

(١) قدمنا الكلام على هذا المسجد وصاحبه جمال الدين عبد الله العاقولي المتوفى سنة « ٧٢٨ هـ » . في ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ » من هذا الكتاب .

(٢) كان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الأسدي السمان يتسمى بنائب صاحب الزمن ، وهو أول السفراء عند الشيعة الامامية الاثنا عشرية ، عاصر الامامين أبا محمد علياً الهادي وابنه الحسن العسكري ، وبقي بعد الحسن وتجرد لما ذكرنا من شأنه ، وقد روى شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في كتاب الغيبة « ص٢٢٨-٢٣٢ » أن قبر عثمان بن سعيد بالجانب الغربي من بغداد في شارع الميدان في أول الموضع المعروف (كذا) في الدرب المعروف بدرب جبلة في مسجد الدرب يمنة الداخل الى المسجد ، والقبر في نفس قبلة المسجد » . قال الطوسي : « رأيت قبره في الموضع الذى ذكره ، وكان بني في وجهه حائط وبه محراب المسجد وإلى جنبه باب يدخل (منه) الى موضع القبر في بيت ضيق مظلم ، فكنا ندخل اليه ونزوره مشاهدة وكذلك من وقت دخولي بغداد وهو سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة ثم نقض ذلك الحائط الرئيس أبو منصور محمد بن الفرج وأبرز القبر إلى برا وعمل عليه صندوقاً وهو تحت سقف يدخل اليه من أراده ويزوره ويتبرك به جيران المحلة بزيارته ويقولون : هو رجل صالح وربما قالوا هو ابن داية الحسين ـ ع ـ ولا يعرفون حقيقة الحال فيه ، وهو إلى يومنا هذا وذلك سنة سبع وأربعين وأربعمائة على ما هو عليه » . ورواية الطوسي أن قبر عثمان هذا كان بالجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان ـ يعني شارع ميدان الأشنان الذي قدمنا ذكره في الكلام على قبر الحسين بن روح النوبختي « ص٣٠٠ » ـ تدل على أن هذا القبر الحالي في سوق ميدان القلعة بالجانب الشرقي هو لرجل آخر ، وإنما الشبهة جاءت من ذكر « الميدان » مع أن ميادين بغداد كانت كثيرة في الجانبين : الغربي والشرقي « راجع ص٢٢٨ » . وقد زال قبر عثمان بن سعيد كغيره من قبور السفراء ـ رح ـ . وقد جهل صاحبه عند كثير من الناس منذ عصر الطوسي .

جامع عدوان في محلة الشاهدة بالجانب الغربي

» عطاء » » عطاء » »

» علاوي الجص ، قرب رأس الجسر ومبيع الجص بالجانب الغربي

» » الفورة ، قرب الجسر » »

» علي أفندي (الخواجه) في محلة البارودية بالجانب الشرقي

» العَمَّار قرب جامع بنات الحسن الذي » »

» عمر السهروردي[1] وتربته قرب الباب الوسطاني بالجانب الشرقي

» العيدروسي في محلة رأس الساقية » »

» غلام الخلال عبد العزيز بن جعفر قرب باب الشيخ » »

(ف)

» فتحي « الحاج » في محلة الحاج فتحي » »

» الفضل[2] في محلة الفضل « مقبرة باب أبرز قديماً » »

(ق)

التكية القادرية بشارع الرشيد غربي جامع المرادية » »

جامع قاضي الحاجات وقبره في محلة القشل » »

الجامع القپلاني[3] قرب المدرسة المستنصرية » »

---

(١) قدمنا الكلام على هذا الجامع وهذه التربة من المقبرة الوردية العتيقة في « ص ٢٣٥ » من الكتاب .

(٢) قدمنا الكلام على هذا الجامع والرجل المنسوب هو إليه في « ص ٢٣٨ » من الكتاب .

(٣) ذكرنا هذا الجامع الذي هو مسجد علي بن أحمد العلوي الزيدي ودار كتبه في « ص ٢٥٥ » وقد سماه مؤلف « كلشن خلفا » بجامع الشيخ القدوري وذكر أن قبره فيه ، كما في « العراق بين احتلالين ٥ : ١١٣ » . واعتمد على هذا القول السيد محمود الآلوسي في مساجد بغداد « ص ٥٩ » . مع =

جامع قره‌پير : جامع رأس الساقية

» القزازة فى محلة الفناهرة في الجنوب الشرقي من الجانب الشرقي

» القلمة فى القلمة العتيقة الداخلية » »

» قرية « مسجد المستنصر بالله قديماً » على دجلة بالجانب الغربي

» قنبر علي فى محلة قنبر علي بالجانب الشرقي

(ك)

جامع الكاظمية ومشهد الامامين الكاظم والجواد « مقابر قريش قديماً » بالكاظمية

» كنمان « الشيخ » فى محلة قهوة شكر بالجانب الشرقي

» الكهيه (كامل بك بن الكهيه أمين الزند) فى محلة رأس الكنيسة بالجانب الشرقي

(م)

جامع محبوبة « الحاجّة [1] » .

» محمد الألفي : جامع الألفي

» محمد « الملا » في محلة باب الأغا « سوق الثلاثاء قديماً » بالجانب الشرقي

» محمد پاشا الخاصّكي : جامع الخاصكي (راجع ص ٢٣٤) .

الجامع المُرادي ، بناه مُراد پاشا الوالي ، فى محلة الميدان بالجانب الشرقي

جامع مرجان هو المدرسة المرجانية وسط شارع الرشيد بالجانب الشرقي

= أن الامام القدوري دفن بالجانب الغربي من بغداد ، في تربة في سويقة غالب بشارع المنصور ، إلى جنب قبر أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي الفقيه الحنفي ، كما في وفيات الأعيان ، والجواهر المضيئة « ١ : ٩٣ » . « ٢ : ١٣٥ » . وشارع المنصور وسويقة غالب كانا في الجانب الغربي من بغداد « تاريخ بغداد للخطيب ١ : ٨٨ ، ١١٣ » .

(١) ذكر في فوائت تاريخ مساجد بغداد من غير تعيين لموضعه .

جامع المصرف ، قرب جامع الفضل بالجانب الشرقي

» المصلوب[1] في محلة القشل ، بالجانب الشرقي

» معروف الكرخي وتربته (مقبرة باب الدير قديماً) بالجانب الغربي

» معروف في محلة باب الشيخ عبد القادر بالجانب الشرقي

تكية المكي[2] وتربته في محلة فضوة عرب بالجانب الشرقي

جامع المنطقة « مشهد العتيقة » بين بغداد والكاظمية بالجانب الغربي

» مُنوَّر خاتون : جامع الخاتون

» موسى الجبوري ، قرب تربة معروف الكرخي بالجانب الغربي

» موسى الكاظم : جامع الكاظمية

» المهديّة في محلة المهدية بالجانب الشرقي

» الميدان : جامع الأحمدية

(ن)

جامع نائلة خاتون مشرف على شارع الرشيد تجاه جامع الحيدرخانة بالجانب الشرقي

» نازنده خاتون بين الحيدرخانة والميدان قرب شارع الرشيد بالجانب الشرقي

(١) صلب على بعض خشباته بعض الفتاك في أيام الأتراك فسمي جامع المصلوب .

(٢) هو الشيخ أحمد المكي ، كتب الى الأديب أحمد الرجيبي البعقوبي أنه سمع من ذرية الشيخ أحمد المكي هذا أن المستفيض عندهم من خبره هو أن أحمد المكي وأخاه محمداً كانا من بني شيبة وقد نزحا من مكة الى بغداد ، وكان أحمد حنبلياً فقيهاً فصار مدرساً ومفتياً بمحلة الشيخ عبد القادر وألف كتباً في ذلك هي عند أحفاده ، وأن أخاه محمداً ترك بغداد الى قرية سفيجة . ولم يبق من ذرية أحمد المكي إلا نساء يسكن في الدور الموقوفة على تكيته في المحلة عينها . وكتب الى السيد فاضل درويش أنه عثر في سنة ١٩٥٧ في تكية المكي على قبر كتب عليه أن اسم صاحبه « عبد الوهاب بن داود » المتوفى سنة « ١٢٨٠ هـ » . قيل إنه كان شيخ التكية ، وقد سمي هذا الجامع في فوائت مساجد بغداد « مسجد الشيخ مكي » . « ص ١٤٣ » .

جامع نجيب الدين عبد القاهر السهروردي وتربته مقابل دار الضباط بالجانب الشرقي

» نعمان الباجه‌جي في محلة السبع الأبكار [1] بالجانب الشرقي

الجامع النعماني الأعلى قرب دائرة البريد المركزية بالجانب الشرقي

» النعماني الأسفل بشارع رأس الساقية بالجانب الشرقي

جامع نفيسة « الست » في محلة الست نفيسة بأعلى الجانب الغربي

» النقيب : جامع سلمان النقيب

» نور الدين في محلة الحاج فتحي بالجانب الشرقي

(هـ)

جامع هداية الله قرب محلة أبي سيفين « قراح ابن رزين قديماً » بالجانب الشرقي

(و)

جامع واصل « الشيخ » في فضوة مرجان قرب باب الشيخ بالجانب الشرقي

» الوزير : جامع حسن پاشا

---

(١) ذكر المرحوم العلامة محمود شكري الآلوسي في مساجد بغداد « ص ٨٠ » أن هذا المسجد « في محلة نهر المعلى الشهيرة اليوم بمحلة سبع أبكار » . وجاء في « ص ٤١ » منه في ذكر جامع السيد سلطان علي قوله « واقع على دجلة من نهر المعلي » . ونقل في ص ٩٣ قول ابن أبي الحديد في وصف المدرسة المستنصرية :

مخيمة على نهر المعلى فدجلة لا المنيفة فالصمار

فاذا كانت المستنصرية ، وهي قائمة اليوم ، مخيمة على نهر المعلى ، فهي بعيدة عن محلة السبع الأبكار والسيد سلطان علي ، وقد جاء في مراصد الاطلاع المؤلف في الثلث الأول من القرن الثامن للهجرة أن حد محلة نهر المعلى من الجنوب هو جامع القصر أي جامع الخليفة (الذي عرف في أيام العثمانيين بجامع الخلفاء وفي العصر الأخير بجامع سوق الغزل) وكانت المحلة الجعفرية من محال نهر المعلى ، كما في المراصد ، وهي متصلة بمحلة تحت التكية وما يليها من جنوبي محلة قنبر علي ، واستفاد بعضهم أنها غير بعيدة من محلة السنك والمربعة وهذا خطأ مبين ، ذلك لأنهما من باب الأزج والبصلية قديماً . وللاختصاص والتخصص فضلهما في مثل هذه الأمور .

الجامع الوفائي : الجامع الاسماعيلي

(ي)

جامع ياسين « السيد » في محلة رأس القرية قرب جامع الاحسائي بالجانب الشرقي

« يوشع المدّعى أنه النبي يوشع قرب جامع الجنيد بالجانب الغربي[1]

هذا وقد فاتنا ذكر عدة مساجد وترب لعسر الاستقصاء في هذا البحث ، ومن ذلك « جامع السيد عبدالله وتربته » في محلة السيد عبد الله قرب جامع الفضل بالجانب الغربي ، وقد كتب عليه بعض المتأخرين أنه « قبر عبيدالله العلوي » الذي ذكرنا في هذا الكتاب أن قبره متصل الموضع بقبر أم رابعة « شاهلبني » القائم اليوم في شرقي الأعظمية ، فادعاء أنه قبر عبيدالله العلوي باطل أصلاً .

أما قبر السيد عبدالله الخالي فهو معدود من مقبرة باب أبرز الواسمة العتيقة « راجع ص ١٧٦ » وقد اختلف في حقيقته قديماً ، فأبو الفرج بن الجوزي ذكر في خبر غرق بغداد الهائل سنة « ٤٦٦ هـ = ١٠٧٣ م أنه « وقع مشــهد باب أبرز ومنارته وغرقت المقابر »[2] . وكذلك سماه ابن الدبيثي في تاريخه ، قال في ترجمة بعض الأمراء العباسيين : « عيسى بن الأمير أبي جعفر — واسمه إسماعيل — ابن الامام المقتفي لأمر الله ... توفي يوم الأربعاء حادي عشر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، ويقال كان عمره ثماني عشرة سنة ، ودفن ببـاب أبرز بالمشهد ذي المنارة ، ومشى في جنازته أبو المظفر بن هبيرة [الوزير] وسائر أرباب المناصب من دار الخلافـة ـ شيد الله قواعدها بالعز ـ الى المشهد

---

(١) جل اعتمادنا في تسمية مساجد بغداد ومشاهدها ومعابدها وتكياتها على كتاب « مساجد بغداد وآثارها » للعلامة محمود شكري الآلوسي و « فوائده » للاستاذ محمد بهجة الأثري .

(٢) المنتظم « ٨ : ٢٨٦ » .

المذكور »[1]. ونقل الفتح بن علي البنداري من تاريخ ابن السمعاني لبغداد قوله : « محمد ابن علي بن محمد بن المنصوري أبو الحسن وقيل أبو الحسين المعروف بابن بكير حدّث ... روى لنا عنه أبو القاسم بن السمرقندي الحافظ وسألته عنه فقال : كان يسكن مشهد باب أبرز . قلت له : ذاك أبو الحسن علي بن عبد الواحد المنصوري ، حدث عن أبي الحسين بن بشران ... »[2].

وسماه ابن النجار « مشـــهد علي بن أبي طـــالب » ، قال : « علي بن محمود بن عبد الله القطان أبو الحسن السمسار ، جارنا بالظفرية . سمع عمر بن ظفر بن أحمد المغازلي كتبت عنه شيئاً يسيراً ، وكان شيخاً متيقظاً فهما حسن الاخلاق لابأس به ... سألته عن مولده فقال فى جمادى الآخرة أو رجب سنة أربع وثلاثين وخمسمائة . وتوفي فى سحرة يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستمائة ، وصلينا عليه من الغد بمشهد علي بن أبي طالب — رض — بباب أبرز ، ودفن بالمحمدية (كذا) بين يدي تربة أبي سعد الصوفي »[3] . وذكر ابن رجب أن أبا إسحاق إبراهيم بن بكروس الحنبلي المتوفى سنة « ٦١١ هـ » حملت جنازته إلى باب أبرز فدفن إلى جانب مشهد أولاد الحسن ابن علي — رض —[4].. فتربة السيد عبد الله الحالية تشبه أن تكون المشهد الذي قدمنا أخبـاره .

وفى الجامع الآصفي الذي هو دار القرآن[5] المستنصرية ، قديماً ، قبر ، قلنا فيه سابقاً « والظاهر أنه أحد شيوخ الطريقة المولوية المتأخرين » . ثم وجدنا ما لعله يزيل الغموض

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ١٧٨ » .

(٢) تاريخ بغداد للبنداري « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦١٥٢ الورقة ٥٠ » .

(٣) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة الدار المذكور ٢١٣١ الورقة ٣٦ ، ٣٧ » .

(٤) ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٧٠ من طبعة مصر » .

(٥) راجع الكلام عليها في « ص ١٨١ » من هذا الكتاب .

عن تاريخه ، وذلك في ترجمة « عزالدين أبي محمد الحسن بن القاسم بن هبة الله النيلي مدرس المالكية بالمستنصرية وقاضي القضاة » قال ابن الفوطي : « كان من أكابر العلماء ، وأعيان الأفاضل ، وأفراد الفقهاء . قدم بغداد واشتغل وحصل ودأب ، قرأ على سراج الدين الشارمساحي تصانيفه والأصولين ، ولما توفي رتب مدرساً للطائفة المالكية بالمدرسة المستنصرية ، ورتبه قاضي القضاة عزالدين أحمد بن الزنجاني في نيابته ، واعتمد على فضله وأمانته وعلمه وديانته ، وشهد عنده في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثمانين [وستمائة] ثم رتب في الجانب الغربي قاضياً ، ورتب قاضي القضاة في رجب سنة سبعمائة ، وشكرت طريقته ، وحمدت سيرته ، وتوجه الى الحضرة [١] ، وأنعم عليه الوزير المخدوم رشيدالدين ، ورجع إلى مقر عزه بمدينة السلام ، منفذ الأحكام [٢] ، ولم يزل على منصبه ، موفر الجاه ، محروس الجانب ، رسله تترادف الى الأردو [٣] ، وينفذ التحف والهدايا والطرف ، وهو مقبول القول ، مقابلاً (كذا) بالانعام والطول ، إلى أن توفي في شعبان سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ودفن بدار [٤] القرآن الم[ستنصرية] » [٥] .

فعلى هذه القراءة لهذا الخبر يكون القبر الذي في دار القرآن المستنصرية أي الجامع الآصفي الحالي قبر « عز الدين أبي محمد الحسن بن القاسم بن هبة الله النيلي المالكي

(١) يعني حضرة السلطان محمود غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو .

(٢) قال ابن الفوطي في أثناء الترجمة : « وشهدت عنده في سنة ثمان وسبعمائة من غير تزكية أحد ، وذكر للقاضي تاج الدين علي بن أبي القاسم السباك (قال) إنه عندي عدل ثقة . فأثنى مولانا تاج الدين أيضاً » .

(٣) يعني مخيم السلطان ومقره .

(٤) واضحة بعض الوضوح ، و « المستنصرية » قد ألصق عليها ورقة لتقوية هامش الصفحة .

(٥) تلخيص معجم الألقاب « النسخة المصورة في مكتبة المتحف الصفحة ٢٠ والصفحة ١٥٠ » . وقد وفقنا بين الورقتين بعد تباينهما هذا التباين الذي مسافته « ١٣٠ صفحة » . وألف بينهما الأستاذ عبد القدوس القاسمي فيما نشر من هذا الكتاب سنة ١٩٥٨ من غير أن يشير الى أرقامها .

القاضي المدرس » . وذلك أدعى الى القبول لأنه كان مدرساً بالمدرسة المستنصرية ، وقاضي قضاة العراق فى عهد السلطانين الأخوين محمود غازان ومحمد أولجايتو خربنده ابني أرغون ابن أباقا بن هولاكو ، وقد بقي في القضاء برهة قلما بقيها قاضٍ من القضاة وقاضي قضاة .

والواجب الأدبي فى هذا الأمر يحدونا على أن نذكر الأقوال الأخرى فى صاحب هذا القبر ، بعد أن نفينا سابقاً أن يكون قبر الخليفة المستنصر بالله « ص ١٨٩ » واسترجحنا لاحقاً أن يكون قبر عز الدين الحسن النيلي المالكي ، فقد ذكر الشيخ الصديقي الدمشقي فى رحلته الى العراق سنة « ١١٣٩ هـ » . أن صاحب هذا القبر هو « الحارث بن أسـد المحاسبي » الصوفي المشهور ، قال : « ودعانا ليلة السبت النلا محمود لمنزله المعهود ، فبتنا لديه، فهمعت السحب السماوية ، وأوصل الله أمداده إليه ، وسرنا إلى الزيارة المعروفية ، فرأينا الجسر مقطوع (كذا) ، فقلنا انتظار الفرج عبادة ، فعسى أن يتصل بالأحباب القطوع ، وانتظرنا نصبه ، فى (التكية المولوية) ، وجاء للانتظار الصديق عثمان النجدي — بلغه الله كل أمنية — ثم لم يتعوق أن نصب ، فزال عن الحشا النصب ، فبادرنا لزيارة الحارث بن أسد [المحاسبي] ، رفيع الحسب ، منيع الرتب ، ودخلنا عليه من الباب ، للأمر الوارد فى محكم الكتاب [1] » .

وقد عيّن موضع القبر بالتكية المولوية وبالجسر ولا يزالان فى موضعيها ، وذكره فى موضع آخر قال : « وعندما دخلنا المدينة ، متدرعين بدروع السكينة ، قصدنا زيارة سيدي الحارث بن أسد المحاسبي ... [2] » .

ولا يجوز فى وجه من الوجوه نسبة هذا القبر الى المحاسبيّ ، فقد ذكر الخطيب البغدادي أن المحاسبي اختفى في دار ببغداد ومات فيها ولم يصل عليه إلا أربعة نفر، وكان موته سنة ثلاث

---

(١) كشط الصدى وغسل الران فى زيارة العراق وما ولاها من البلدان « الورقة ٧٠ » .

(٢) المرجع المذكور « الورقة ٣٢ ، ٣٣ » .

وأربعين ومائتين [1] . ولم يذكر الخطيب موضع دفنه ، ولا ذكره ابن خلكان [2] ، ولم يذكره قبلها أبو عبد الرحمن السُلَمي [3] ، وسكت عنه تاج الدين السبكي [4] وغيره ، ولكن تعيين الصديقي له على النحو المقدم ذكره يدل على شيوعه في عصره أي القرن الثاني عشر للهجرة ، ويؤيد هذا ما قال عيسى البندنيجي في ترجمة « جامع الأنوار في مناقب الأخيار » المقدم ذكره وقد أتمه مؤلفه الشيخ مرتضى النظمي البغدادي سنة « ١٠٩٢ هـ » وأهداه إلى « إبراهيم [5] باشا » والي بغداد ، قال : « ومنهم الحارث المحاسبي ـ ق ـ قلت : ونذكره بترجمة وافية ، فيها ما ذكره المؤلف وزيادة ، بعبارة شافية ، فنقول : هو أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبي ، من أجلاء المشايخ في علوم الباطن ... هذا ومات — روح الله روحه — ببغداد سنة ثلاثة وأربعين ومائتين ، ودفن في الجانب الشرقي منها في زاوية المولوية التي بناها الوزير العديم النظير ... والي بغداد سابقاً داود باشا ... جامعاً ذات مئذنتين ، وقفاً للجامع والمدرسة سنة ألف ومائتين واثنتين وأربعين ... ومرقده — رح — الآن في رواق الجامع المذكور ، معروف هناك ومشهور [6] » .

ونحن لانشك في أن البندنيجي اعتمد في هذا التعيين على قول مؤلف الكتاب المقدم ذكره ، وكان المؤلف معاصراً لمصطفى الصديقي صاحب الرحلة .

وممن قال بذلك القول ، على كونه خطأ ، الشيخ ياسين العمري المتوفى في الثلث الأول من

---

(١) تاريخ بغداد « ٨ : ٢١٥ ، ٢١٦ » واختصر ترجمته السمعاني في « المحاسبي » من الأنساب .

(٢) وفيات الأعيان « ١ : ١٣٧ طبعة بلاد العجم » .

(٣) طبقات الصوفية « ص ٥٦ » .

(٤) طبقات الشافعية « ٢ : ٣٧ » .

(٥) راجع ثبت الولاة « ص ٢٩١ » من هذا الكتاب .

(٦) جامع الأنوار « نسخة المتحف العراقي ص ١٩٧ — ٢٠٤ » .

القرن الثالث عشر ، قال : « مرقد حارث المحاسبي في تكية المولوية في بغداد [1] » .

ومن الأقوال في صاحب قبر التكية المولوية نسبته الى الشيخ « أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني » المحدث الامامي المتوفى ببغداد سنة « ٣٢٩ هـ » فقد جاء في كتاب « الرجال » تأليف محمد بن إسماعيل المدعو بأبي علي المولود في كربلاء سنة « ١١٥٩ هـ » : « وقبره — ق — معروف في بغداد الشرقية مشهور ، تزوره الخاصة والعامة [2] في تكية المولوية ، وعليه شباك من الخارج إلى يسار العابر من الجسر ، نقل صاحب كتاب (روضة العارفين) عن بعض الثقات المعاصرين له أن بعض حكام بغداد رأى بناء قبره — عطر الله مرقده — فسأل عنه فقيل إنه قبر بعض الشيعة ، فأمر بهدمه ، فحفر القبر فرئي بكفنه لم يتغير (كذا) ومدفون معه آخر صغير بكفنه أيضاً ، فأمر بدفنه وبنى عليه قبة ، فهو إلى الآن قبره معروف يزار ومشهد (انتهى ما نقله) [3] » .

وقال محمد باقر الخونساري ناقلاً من كتاب الرجال للعلامة الطباطبائي : « قال النجاشي : قال ابن عبدون : كنت أعرف قبر محمد بن يعقوب الكليني ، وقد درس ، قلت : ثم جدّد وهو الآن مزار معروف بباب الجسر وهو باب الكوفة وعليه قبة عظيمة (انتهى كلام السيد العلامة أعلى الله مقامه) [4] » . وذكر الخونساري بعد ذلك قول أبي عليّ ولم ينسبه إليه وإنما قال « أقول : والقبر المطهر ... » . كأنه هو القائل الأول . وكلا القولين

---

(١) غاية المرام في تاريخ بغداد دار السلام ص ٣٢ من نسخة خطية » . وهو ممن ذكر قبر حبيب العجمي المزور المقدم ذكره قال : « قبر حبيب العجمي بالجانب الغربي في مسجد وسط محلة في بغداد » . « ص ٣٢ » .

(٢) الظاهر أن العامة كانت تزوره باعتبار أنه قبر الحارث المحاسبي ، وهذا على حسبان أن الخاصة هم الامامية عند المؤلف .

(٣) رجال أبي علي « ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ » .

(٤) روضات الجنات « ص ٥٥٣ » .

خطأ ، فلا الشيخ محمد بن يعقوب الكليني مدفون في التكية المذكورة ولا الموضع المذكور يسمى باب الكوفة ، فباب الكوفة باجماع المؤرخين والبلدانيين كان أحد أبواب مدينة السلام أي مدينة المنصور بالجانب الغربي من بغداد [1] ، وقد ذكرنا في هذا الكتاب « ص ٤٨ » أنه كان الباب الجنوبي الغربي لمدينة المنصور ، فكأن المسافر من مدينة السلام الى الكوفة كان يخرج منه ليسلك الطريق إليها ، قال أبو العباس أحمد بن علي النجاشي المتوفى سنة « ٤٥٠ » للهجرة في ترجمة محمد بن يعقوب الكليني : « مات أبو جعفر الكليني - رح - ببغداد سنة تسع وعشرين وثلاثمائة : سنة تناثر النجوم ، وصلى عليه محمد بن

---

(١) قال ابن واضح في كتاب البلدان - ص ٧ - : « وجعل المنصور للمدينة أربعة أبواب : باباً سماه باب الكوفة وباباً سماه باب البصرة وباباً سماه باب خراسان وباباً سماه باب الشام » . وقال أبو جعفر الطبري : « ولمدينة المنصور ثمانية أبواب : أربعة داخلة وأربعة خارجة ... وصير على باب خراسان الخارج باباً جيء به من الشام من عمل الفراعنة وصير على باب الكوفة الخارج باباً جيء به من الكوفة كان عمله خالد بن عبد الله القسري ، وأمر باتخاذ باب لباب الشام فعمل ببغداد فهو أضعف الأبواب كلها ، وبنيت المدينة مدورة ... » . « تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٦١ من طبعة مصر الأولى » ، وقال المسعودي : « ذكر ابن عياش المنتوف أن المنصور كان جالساً في مجلسه المبني على طاق باب خراسان من مدينته التي بناها وأضافها إلى اسمه وسماها مدينة المنصور ، مشرفاً على دجلة ، وكان قد بنى على كل باب من أبواب المدينة في الأعلى من طاقه المعقود مجلساً يشرف منه على ما يليه من البلاد من ذلك الوجه ، وكانت أربعة أبواب شوارع مخرقة وطاقات معقودة ، وهي باقية الى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، فأول أبوابها باب خراسان .. ثم باب الشام وهو تلقاء الشام ثم باب الكوفة ، وهو تلقاء الكوفة ثم باب البصرة وهو تلقاء البصرة » . « المروج ج ٣ ص ٤١٢ طبعة دار الرجاء » . وقال الخطيب البغدادي : « وبنى المنصور مدينة وبنى لها أربعة أبواب فاذا جاء أحد من الحجاز دخل من باب الكوفة ... » « ج ١ ص ٧٢ » . وقال ياقوت في معجم البلدان : « والقاصد من الحجاز يدخل من باب الكوفة » . وقال في مادة « سوق عبد الواحد » من المعجم أيضاً : « سوق عبد الواحد كان ببغداد بالجانب الغربي عند باب الكوفة قرب باب البصرة » . وقال ابن شهراشوب في وفاة الامام موسى الكاظم - ع - : « وكانت وفاته في مسجد هارون الرشيد وهو المعروف بمسجد المسيب وهو في الجانب الغربي ، من باب الكوفة » . « مناقب آل أبي طالب ٢ : ٣٨٤ » .

جعفر الحسني أبو قيراط ودفن بباب الكوفة . وقال لنا أحمد بن عبدون : كنت أعرف قبره وقد درس ـ رح ـ (١) » . فالنجاشي المتوفى سنة « ٤٥٠ هـ » ينقل عن أحمد بن عبدون أن قبر الكليني كان بالجانب الغربي من بغداد وأنه قد درس ، فكيف جُدّد بعد أكثر من ثمانمائة سنة بالجانب الشرقي في « دار القرآن المستنصرية » التي صارت التكية المولوية التي أصبحت الجامع الآصفي ، مع دروس قبره وزواله وانقطاع تاريخه ، من حيث الشخوص والظهور ، ونقلِ موضعه من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي ؟ فهو أمر غريب جداً . وقال السيد محمد مرتضى الزَّبيدي في تاج العروس الذي هو شرح القاموس ناقلاً وشارحاً : « وكَلِينٌ كأمير . هكذا في النسخ ، وفي بعضها (وكلين بالكسر) وضبطه ابن السمعاني كزبير . قلت : وهو المشهور على الألسن ، والصواب بضم الكاف وإمالة اللام ، كما ضبطه الحافظ في التبصير : قرية بالري منها أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، من فقهاء الشيعة ورؤوس فضلائهم في أيام المقتدر ، ويعرف أيضاً بالسِّلْسِلِيّ لنزوله درب السِّلْسلة ببغداد » (٢) . وكان درب السلسلة المذكور في محلة باب الكوفة من أبواب مدينة المنصور بالجانب الغربي من بغداد ، كما ذكرنا ، فالسيد محمد مرتضى كان قد قال ناقلاً : « ودرب السلسلة ببغداد عند باب الكوفة نزله أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي من فقهاء الشيعة فنسب اليه ، قاله الحافظ » (٣) .

فهذا الذي ذكره مؤلف التاج لاصلة له بمدفن أبي جعفر الكليني وإنما فيه ذكر للدرب الذي سكن فيه في الجانب الغربي من بغداد ، وهو درب السلسلة من محلة باب الكوفة ، فدفنه منصوص عليه في التاريخ ، واضح الخبر ، بيّن التعيين ، ولعل ذكر الدرب الذي

(١) رجال النجاشي « ص ٢٦٧ » .
(٢) تاج العروس « ج ٩ ص ٣٢٢ » .
(٣) التاج « ج ٧ ص ٣٨٠ » .

سكن فيه حمل بعض الباحثين غير الموفقين على نسبة القبر الذي في تكية المولوية اليه ، بشبهة أن درب السلسلة في الجانب الشرقي [1] . مع أن درب السلسلة المذكور في سيرة الكليني كان من دروب الجانب الغربي .

وقد كان بالجانب الشرقي في محلة سوق الثلاثاء « محلة باب الأغا الحالية » درب يسمى درب السلسلة أيضاً ، وهو فرع سوق البزازين الكبير القريب من « خان دلة » الممتد نحو الشمال حتى جامع القبلانية « مسجد الشريف علي بن أحمد الزيدي ودار كتبه قديماً » . قال ابن الجوزي في وفيات سنة « ٤٦٣ هـ » في سيرة الخطيب البغدادي : « توفي ضحوة نهار يوم الاثنين سابع ذي الحجة من هذه السنة في حجرة كان يسكنها بدرب السلسلة في جوار المدرسة النظامية ، وحمل جنازته أبو إسحاق الشيرازي وعبر به على الجسر وجازوا به في الكرخ وحمل الى جامع المنصور وحضر الأماثل والفقهاء والخلق الكثير » [2] . وقال مكي بن عبد السلام المقدسي : « وأخرجت جنازة الخطيب من حجرة تلي المدرسة النظامية من نهر معلى » [3] . وقد ذكرنا أن المدرسة النظامية كانت في موضع سوق الخفافين الحالي.

وفي الحق أن البحث في خطط بغداد وتطبيقها على مواضع بغداد الحالية كثير المخاوف، لا يسلم الباحث فيه من أوهام يسيرة كأن يسمى مشرعة باسم مشرعة قريبة منها ، ويسمي

---

(١) جاء في كتاب الاجازات من بحار الأنوار للعلامة المجلسي - ج ٢٦ ص ١٠٧ ، ١٨ - « وذكر السيد غياث الدين بن طاوس في إجازته ... أنه يروي جميع كتب السيد المرتضى عن الوزير العلامة السعيد نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي عن والده عن السيد فضل الله الراوندي الحسني عن مكي بن أحمد المخلطي عن أبي علي بن أبي غانم العصمي وأنه يروي نهج البلاغة بحق سماعه على القاضي عبدالله ابن محمود بن بلدجي سنة سبعين وستمائة ببغداد بدرب السلسلة ... » . فدرب السلسلة هذا كان بالجانب الشرقي وسيأتي بيانه في أعلى الصفحة .

(٢) المنتظم « ٨ : ٢٦٩ » .

(٣) معجم الأدباء « ١ : ٢٥٩ طبعة مرغليوث » وهذا يؤيد قولنا في المحلة الجعفرية .

درباً باسم درب قريب منه ، لعسر التحديد والضبط ، وعدم حدود حقيقية للمحلات ، ولكن الاصرار على نقل المواضع من أحد جانبي بغداد إلى الآخر مع وجود النص على خلاف ذلك ، أمر يبعث على الاستهجان ؛ والاستمرار على التصديق بتلك الأوهام يدعو إلى الاستغراب ، فالخطأ يجب أن يتجنب بعد انكشافه للناس .

وتزوير أسماء المواضع والمشاهد والمعابد ، واختراعها أحياناً ، معروفان منذ القديم ، قال أبو الفرج بن الجوزي في حوادث سنة « ٥٣٥ هـ » : « ووصل إلى بغداد رجل أظهر الزهد والنسك وأقام في قرية [١] السلطان بباب بغداد ، فقصده الناس ، واتفق أن بعض أهل السواد دفن ولداً له قريباً من قبر السَّبتي [٢] ، فمضى ذلك المتزهد فنبشه ودفنه في موضع ثم قال للناس في بعض الأيام : اعلموا أنني قد رأيت عمر بن الخطاب في المنام ومعه علي بن أبي طالب ، فسلمت عليهما وسلما علي وقالا لي : إن في هذا الموضع صبياً من أولاد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وخطّا لي المكان . وأشار إلى ذلك الموضع . فحفروه فرأوا الصبي وهو أمرد ، فمن وصل إلى قطعة من أكفانه فكأنه قد ملك الملك . وخرج أرباب الدولة وأهل

---

(١) يعني القرية التي أنشئت حول دار السلطنة السلجوقية بالمخرم « العلوازية الحالية » .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن هارون الرشيد ، قيل له السبتي لأنه كان يكتسب بيده في يوم السبت شيئاً ينفقه في سائر أيام الأسبوع ، ويتفرغ فيها للاشتغال بالعبادة ، وكان صالحاً ترك الدنيا في حياة أبيه الخليفة الرشيد مع القدرة عليها وآثر الانقطاع والعبادة والعزلة حتى توفي سنة « ١٨٤ » كما في الوفيات « ١ : ٥٤ طبعة بلاد العجم » . وجاء في « السبتي » من الأنساب لابن السمعاني واللباب لابن الأثير « فالمنتسب الى اليوم (أحمد) السبتي وقبره مشهور ببغداد يزار ، وإنما نسب كذلك لأنه كان يعمل يوم السبت بما يتقوت به باقي الاسبوع فنسب اليه » . وكان قبر السبتي هذا قريباً من « قبر النذور » أي مشهد عبيد الله العلوي كما جاء في ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي ومن قبور ذلك المشهد قبر أم رابعة شرقي الأعظمية. وقد علق المستشرق فريتس كرنكو على السبتي في المنتظم « ١٠ : ٨٨ » : « كذا في الأصل لعله السيبي وهو أبو الفرج عبد الوهاب بن هبة الله المتوفي سنة ٥٠٤ » . فتأمل هذا الوهم المبين ، مع أن ابن الجوزي ذكر غرق قبر السبتي في غرق سنة ٤٦٦ هـ « المنتظم ٨ : ٢٨٦ » .

بغداد ، وانقلب البلد وطرح في الموضع دساتيج ماء الورد والبخور ، وأُخذ التراب للتبرك وازدحم الناس على القبر حتى لم يصل [إليه] أحد من كثرة الزحام . وجعل الناس يقبّلون يد الزاهد ، وهو يظهر التمنع والبكاء والخشوع ، والناس تارة يزدحمون عليه ، وتارة على الميت ، وبقي هذا أياماً ، والميت مكشوف يبصره الناس ، ثم ظهرت رائحته ، وجاء جماعة من أذكياء بغداد فافتقدوا كفنه فرأوه خاماً ، ووجدوا تحته حصيراً جديداً ، فقالوا : هـــذا لا يمكن أن يكون على هذه الصفة منذ أربعمائة سنة . فما زالوا ينقبون عن ذلك حتى جاء السوادي فأبصره وقال : هذا والله ولدي وكنت دفنته عند السبتي . فمضى معه قوم الى المكان فرأوا القبر قد نبش وليست فيه ميت . فلما سمع الزاهد ذلك هرب ، فطلبوه ووقعوا به فأخذوه وقرروه ، فأقر أنه فعل ذلك حيلة ، فأُخذ وأُركب حمارا وشهر ، وذلك في ربيع الآخر هذه السنة » .

وذكر بعض المؤرخين في حوادث سنة « ٦٧١ هـ » من عهد السلطان أباقا بن هولاكو خبراً من بابة ما نقلنا آنفاً ، قال : « فيها رأى رجل ببغداد في المنام أن بعض أولاد الحسن بن علي ـ ع ـ في موضع بقراح أبي الشحم ، فأعلم الناس بذلك ، فنبشوا الموضع فوجدُوا فيه قبراً ، فتبرع بعض الموسرين وأخرج شيئاً من ماله ، وشرع في عمارته ، وشاع ذلك ببغداد وحضر خلق كثير للزيارة ، ونذروا له نذوراً صحّ أكثرها ، فاجتمع من ذلك شـــيء كثير ، فعُمر بالآجرّ والجصّ عبد الله الباهر [1] » .

وهذا الخبر يدل على أن قبراً باسم « عبد الله الباهر » شيد سنة « ٦٧١ هـ » من عهد أباقا أيضاً « في محلة قراح أبي الشحم » ويدخل في هذه المحلة محلات منها القسم الشرقي من محلة الطاطران الحالية وقد تمتد الى محلة بني سعيد [2] . وذكر المؤرخ نفسه في حوادث

(١) كتاب الحوادث الذي سمي الحوادث الجامعة غلطاً « ص ٣٧٣ » .

(٢) راجع « ص ١٧٧ » من هذا الكتاب .

سنة « ٦٧٧ هـ » قال : وفيها رأى الناس في الليلة التاسعة من شهر رمضان بظاهر بغداد نوراً متصلاً بالسماء وفي صبيحتها ، قال بعضهم إنه رأى قبراً فيه أحد أولاد الحسن بمحلة الهروية ، فانهال الناس لزيارته ثم شرعوا في عمارته ، وتواتر بعد ذلك أخبار العوام برؤية المنامات وكثرة الظواهر ، وتحدثوا بقيام الزمنى والمرضى وفتح أعين الأضراء ، ونقل قوم عن قوم أشياء لا أصل لها غير أهوية العوام ، وبطل الناس من معايشهم وأشغالهم بسبب ذلك ، فتقدم صاحب الديوان [علاء الدين عطا ملك الجويني] بنقل كل من يوجد له قبر الى مشهد موسى بن جعفر — ع — ففعلوا ذلك وسكن العوام ، ثم حضر بعض من يدعي أنه علوي وزعم أنه رأى في منامه ما يدل على ظهور قبر بعض أولاد الأئمة — ع — بتل الزَّبيبيَّة [1] ، فأسرع العالم إليه ، فلما كشفوا التراب عنه وجدوا صبياً مقتولاً وعليه قميص وفي جيبه كعاب كان يلعب بها ، فعرفه بعض الناس وقال : هذا ولدي وإني فقدته منذ أيام . وذكر فيه علامات . فلما لُمِحَ بان صدقه ، ووجدوا عند رأسه صخرة عليها مكتوب (هذا قبر عمر بن عبد الله) . فلما أخبر صاحب الديوان بذلك عزم على قتل العلوي الذي أخبر به ، فسأله أكابر الناس الصفح عنه . فأجابهم إلى ذلك ، وافتضح المشار إليه بين العالم ، وعرفوا قلة دينه وفساد عقله — نعوذ بالله من النفس الأمارة بالسوء [2] » .

وخلط مؤلف الكتاب المسمى « غاية الاختصار » بين الحادثتين قال : « قصة طريفة : ظهر ببغداد في سنة خمس وسبعين وستمائة بتل الزبيبية — وهي محلة من محال مدينة السلام — قبر زعم جماعة أنه قبر عبد الله الباهر ... وبنوا عليه الأبنية الجليلة ووضعوا عليه

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان : الزبيبية : منسوب الى الزبيب الذي من العنب ، محلة ببغداد يقال لها تل الزبيبية ... » . وفي مراصد الاطلاع .. « الزبيبية : منسوب الى زبيب العنب ، محلة ببغداد إلى جانبها تل يقال له تل الزبيبية » . والظاهر أن هذه المحلة كانت بالجانب الشرقي .

(٢) كتاب الحوادث « ص ٤٠٥ »

للخطط من معرفة التاريخ ويكثر أن يكون الخططي مؤرخاً ، وقلما يكون المؤرخ خططياً لأن كثيراً من التاريخ لايتعلق بالخطط ، والتاريخ ضروب وأنواع لانرى حاجة إلى ذكرها . وإنما تجب معرفة الخطط على المؤرخ إذا أراد أن يؤرخ مدينة بعينها كمدينة بغداد .

والسبب الثالث تشابه الأسماء « فالقُرَيّة » ببغداد ، كانت اسماً لمحلتين إحداهما بالجانب الشرقي في موضع محلة السيف وما يليها من الشمال والغرب ، والثانية في دار الخلافة ومنها محلة رأس القُرية الحالية . و « الميدان » ببغداد اسم لعدة ميادين في الجانبين الشرقي والغربي ، كما ذكرنا سابقاً . ودرب السلسلة كان اسماً لدربين : أحدهما كان بالجانب الغربي وهو الدرب الذي سكن فيه أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في محلة باب الكوفة وقد ذكرناه ، والآخر بالجانب الشرقي بجوار النظامية ، وقد عيّناه سابقاً ، وقد زال درب السلسلة الذي كان بالجانب الغربي منذ عصور طويلة ، وبقي درب السلسلة الذي بالجانب الشرقي وإن تبدل اسمه ، وكان مما سبب خراب بعض الدروب في محلة باب الكوفة النمل ، قال الجاحظ : « حدثني بعض من أصدق خبره قال : سألت رجلاً كان ينزل ببغداد في بعض الدروب التي في ناحية باب الكوفة التي جلا عنها أهلها لغلبة النمل والذَّرّ عليها ، فسألته عن ذلك . فقال : وما تصنع بالحديث ، امضِ معي الى داري التي أخرجني منها النمل (1) ... » . وذكر ما يكون مصداقاً لقوله .

ونحن لا نبحث عن هذه المواضع والمشاهدة والتُرب إلا من أجل الحفاظ على المعارف التاريخية ، وتثبيت الخطط البغدادية على صحّتها ومواقعها ، والاستعانة بها على إيضاح معلومات خططيّة أخرى ، ولا يعنينا من أمرها شيء آخر .

حدث ابن النجار بسنده إلى أبي الحسن علي بن محمد بن عمير الكناني أنه حدث في

(1) شرح نهج البلاغة لعز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد « ٣ : ٢٠١ » طبعة دار الكتب العربية الكبرى » .

سنة « ٤١٧ هـ » بعض من رووا عنه قال اله :

« اجتزت ببغداد على تربة عليها مكتوب بآجر مكحول أبيات [هي] :

كنتُ العـزيزة في قومي فما انتفعت نفسي بعزّتها لما أتى القَدَرُ

لما أتاني الذي قد كنت أحذره أسلِمْتُ واستُعجِلَتْ من دمعتي دِرَرُ

فأخرجوني من الدنيا وزينتها فكان ألْيَنَ ما وُسِّدْتُهُ الحَجَرُ

فسألت عنها ، فقيل : هذه تُربة بنت موسى ذا نحو (١) . وكان أبوها أميراً من أمراء الديلم ببغداد . ثم خرجت الى الشام وعدت إلى بغداد (٢) عدتُ الى الموضع للتذكر فاذا بالتُربة قد صارت مزرعة (٣) » .

وهكذا ذهبت مقبرة العباسيين بالرصافة جنوبي الأعظميّة الحالية ، وعدة من الترب والمشاهد ، والجوامع والمساجد ، كجامع المنصور ، فضلاً عما جرفته دجلة كجامع فخر الدولة بن المطلب ومسجد معروف الكرخي وتربة سلجوقي خاتون ورباطها ودار القرآن البشيرية وتربة الخليفة المستضيء بأمر الله ، وكانت كلها على شاطىء دجلة الغربيّ بين أعلى محلة الجعيفر وشاطئ محلة الشيخ علي بن محمد بن بشار المعروفة بمحلة الشيخ بشار .

(١) كذا ورد مصحفاً ، والمشهور « موسى فياذه » كما في كامل ابن الأثير « ٨ : ٢٥٧ » .

(٢) في الأصل « الى الشام » وهو من وهم الناسخ

(٣) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ١٠ » .

الملحق الرابع

الحوادث المهمة في تاريخ بغداد

السنة		
الهجرية	الميلادية	
١٣ هـ	٦٣٤ م	غزو العرب لقرية سوق بغداد على عهد أبي بكر ـ رض ـ
١٤١ هـ	٧٥٨ م	تخطيط مدينة المنصور المدورة في غربي بغداد الحالية قرب الكاظمية
١٤٥ هـ	٧٦٢ م	تأسيس مدينة المنصور المدورة وبناء جامع المنصور وقصرباب الذهب
١٤٦ هـ	٧٦٣ م	نقل بيت المال والدواوين من الكوفة الى المدينة المدورة
١٤٩ هـ	٧٦٦ م	إتمام بناء مدينة المنصور المدورة
١٥٠ هـ	٧٦٧ م	وفاة جعفر أكبر أبناء المنصور ودفنه في مقابر قريش موضع « مشهد الكاظمين »
١٥٠ هـ	٧٦٧ م	وفاة الامام أبي حنيفة ودفنه في مقبرته الحالية « مقبرة الخيزران » أي أصل بلدة الأعظمية
١٥١ هـ	٧٦٨ م	تأسيس الرصافة ووضع أسس جامعها وقصرها
١٥٧ هـ	٧٧٤ م	إنشاء المنصور قصر الخلد على ضفة دجلة الغربية
١٥٨ـ١٦٩ هـ	٧٧٥ـ٧٨٥م	إنشاء دار الروم وكنيستها وديرها في محلة دار الروم شرقي الصليخ الحالية في الجانب الشرقي من بغداد

السنة		
الهجرية	الميلادية	
١٥٩ هـ	٧٧٦ م	إنجاز بناء الرصافة في موضع جنوبي الأعظمية الحالية
١٧٠-١٩٣هـ	٧٨٦-٨٠٩م	تأسيس جعفر البرمكي القصر الجعفري في الجانب الشرقي، وتشييد الرشيد قصر القرار في الجانب الغربي
١٨٢ هـ	٧٩٨ م	وفاة قاضي القضاة أبي يوسف يعقوب ودفنه بمقابر قريش (بلدة الكاظمين الحالية)
١٨٣ هـ	٧٩٩ م	وفاة الامام موسى الكاظم (ع) ودفنه في مقابر قريش
١٨٦ هـ	٨٠٢ م	تهديد المياه بغداد بالغرق بعد زيادتها في دجلة
١٩٢-١٩٣هـ	٨٠٧-٨٠٨م	مرمّة بناء جامع المنصور، وكتابة اسم الرشيد عليه
١٩٣-١٩٨ هـ	٨٠٨-٨١٣م	إنشاء محمد الأمين قصر الزندورد في الجانب الشرقي
١٩٨ هـ	٨١٣ م	حصار بغداد في عهد الأمين
١٩٨-٢١٨هـ	٨١٣-٨٣٣م	إتمام القصر الجعفري المسمى بعد ذلك (القصر الحسني والدار الحسنية) في الجانب الشرقي
٢٠٠ هـ	٨١٥ م	وفاة الشيخ معروف الكرخي ودفنه في مقبرته الحالية (مقبرة باب الدير العتيقة)
٢١٥ هـ	٨٣٠ م	زيادة دجلة وارتفاع الماء وتقطع الجسور
٢١٦ هـ	٨٣١ م	وفاة زبيدة زوج هرون الرشيد ودفنها في مقابر قريش (مشهد الكاظمين الحالي)
٢١٨-٢٢١ هـ	٨٣٣-٨٣٦ م	إنشاء المعتصم قصره في الجانب الشرقي
٢١٩ هـ	٨٣٤ م	وفاة الامام محمد الجواد (ع) ودفنه في مقابر قريش (مشهد الكاظمين الحالي)

السنة		
الهجرية	الميلادية	
٢٢١ هـ	٨٣٦ م	انتقال الخلافة العباسية من بغداد الى سامراء
٢٤١ هـ	٨٥٥ م	وفاة الامام أحمد بن حنبل ـ رض ـ ودفنه فى مقبرة باب حرب فى غربي بغداد ، فوق مقابر قريش « الكاظمية »
٢٥١ هـ	٨٦٥ م	إنشاء سور الخليفة المستعين بالله الدفاعي الحربي حول بغداد بجانبيها الشرقي والغربي ؛ حصار بغداد في عهد المستعين
٢٥٦ هـ	٨٧٠ م	مَرَمَّة القصر الحسني وتجديد ما استهدم منه .
٢٧٩ هـ	٨٩٢ م	إعادة مقر الخلافة الى بغداد
٢٧٩ـ٢٨٩هـ	٨٩٢ـ٩٠٢م	مباشرة بناء قصري الثريا والفردوس فى الجانب الشرقي وتوسيع القصر الحسني
٢٨٠ هـ	٨٩٣ م	إضافة « الصحن الأول » الى جامع مدينة المنصور المدورة
٢٨٩ـ٢٩٥هـ	٩٠٢ـ٩٠٨م	إنشاء جامع الخليفة في موضع « جامع سوق الغزل وما حوله » وقد هدم جامع سوق الغزل أخيراً وأدخل فى شارع الجمهورية ؛ إنجاز بناء قصر التاج
٢٩٠ هـ	٩٠٢ م	وفاة عبدالله بن أحمد بن حنبل ودفنه فى مقبرة باب التبن فى غربي بغداد
٢٩٢ هـ	٩٠٤ م	غرق بغداد وانهدام المنازل على شاطىء دجلة
٢٩٥ـ٣٢٠هـ	٩٠٨ـ٩٣٢م	إنشاء حير الوحوش « حديقة الحيوان » ودار الشجرة في الجانب الشرقي ؛ هدم جامع براثا فى غربي بغداد ، من أجل الفتن المذهبية ؛ إنشاء قصر «الجوسق المحدث» فى الجانب الشرقي

السنة		
الهجرية	الميلادية	
٢٩٨ هـ	٩١٠ م	وفاة الجنيد البغدادي ودفنه بالمقبرة الشونيزية (مقبرة الشيخ جنيد الحالية)
٣١٦ هـ	٩٢٨ م	زيادة دجلة زيادة مفرطة قطعت الجسور وأغرقت جماعة من الجسارين
٣٢٠ هـ	٩٣٢ م	انهدام قسم من سور المدينة المدورة « مدينة المنصور »
٣٢٩ هـ	٩٤١ م	غرق المدينة المدورة ، وأبنية نهر الصراة ، وسقوط رأس قبة قصر باب الذهب أي القبة الخضراء : إعادة بناء جامع براثا
٣٣٣ هـ	٩٤٥ م	غرق المدينة المدورة وانهدام طاقات باب الكوفة
٣٣٤ هـ	٩٤٦ م	استيلاء معز الدولة البويهي على بغداد (بداية الدور البويهي)
٣٣٤ـ٣٦٣هـ	٩٤٦ـ٩٧٤م	مباشرة إنشاء « دار الطواويس » و« الدار المربعة » و« الدار المثمنة » الأولى ، في الجانب الشرقي
٣٥٠ هـ	٩٦١ م	إنشاء الدار المعزية ومسناتها في محلة الشماسية أي الصليخ الحالية في الجانب الشرقي
٣٦٨ هـ	٩٧٨ م	طغيان نهر دجلة وغرق عدة محلات في الجانبين الشرقي والغربي
٣٧١ هـ	٩٨١ م	إتمام إنشاء المارستان العضدي على دجلة بالجانب الغربي قرب الجسر
٣٨٣ هـ	٩٩٣ م	إنشاء جسر سوق الثلاثاء في أعلى دار مؤنس المظفر « المحاكم المدنية الحالية »
٤٠١ هـ	١٠١٠ م	فيضان مياه دجلة ودخولها أكثر الدور الشاطئية ودار الرقيق وغيرها كباب التبن وباب الشعير

السنة		
الهجرية	الميلادية	
٤٤٧ هـ	١٠٥٥ م	استيلاء طغرل بك السلجوقي على بغداد (بداية العهد السلجوقي ونهاية الدور البويهي)
٤٥٠ هـ	١٠٥٨ م	تدوين الخطيب البغدادي تاريخه لبغداد
٤٥٧ هـ	١٠٦٥ م	تأسيس المدرسة النظامية في الجانب الشرقي
٤٦٦ هـ	١٠٧٤ م	غرق بغداد الشرقية والجانب الغربي ، تصدع بنيان المارستان العضدي
٤٨٢ هـ	١٠٨٩ م	إنشاء المدرسة التاجية في الجانب الشرقي
٤٨٥ هـ	١٠٩٢ م	شروع ملكشاه في تشييد جامع السلطان في محلة المخرم «العلوازية»
٤٨٨ هـ	١٠٩٥ م	الشروع في إنشاء السور الكبير لمدينة بغداد الشرقية
٥٠٢ هـ	١١٠٨ م	زيادة نهر دجلة وغرق محلات حول حريم دار الخلافة العباسية
٥٠٤ هـ	١١١٠ م	مَرَمَّة بناء المدرسة النظامية وإكمال إنشاء السور الكبير لبغداد الشرقية
٥١٧ هـ	١١٢٣ م	بناء سور بغداد الشرقية وهو السور المقدم ذكر الشروع في بنائه
٥١٨ هـ	١١٢٤ م	إنشاء الخليفة الفضل المسترشد بالله للدار المثمنة الثانية وهي التي جلس فيها هولاكو بعد فتحه بغداد
٥٢٤ هـ	١١٢٩ م	إتمام عمارة جامع السلطان
٥٣٠ هـ	١١٣٦ م	حصار السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه في عهد الخليفة منصور الراشد بالله وخلافة المقتفي لأمر الله

السنــــة

الهجرية	الميلادية	
٥٤٧ هـ	١١٥٢ م	إنتهاء دور السيادة السلجوقية بالعراق بموت السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه
٥٤٩ هـ	١١٥٤ م	احتراق قصر التاج
٥٥٢ هـ	١١٥٧ م	حصار السلطان محمد السلجوقي لبغداد على عهد الخليفة المقتفي لأمر الله .
٥٥٤ هـ	١١٥٩ م	غرق بغداد الشرقية ومحلات من محال الجانب الغربي
٥٦١ هـ	١١٦٥ م	وفاة الشيخ عبد القادر الجيلي (الكيلاني) ودفنه فى باب الحلبة بموضع تربته الحاليـة
٥٦٤ هـ	١١٦٨ م	غرق بغداد الشرقية
٥٦٨ هـ	١١٧٢ م	إصلاح السور الكبير لبغداد الشرقية
٥٦٩ هـ	١١٧٤ م	غرق بغداد الغربية ومنها المارستان العضدي
٥٧٥ هـ	١١٨٠ م	خلافة الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن الحسن المستضيء بأمر الله
٥٨٠ هـ	١١٨٤ م	زيارة ابن جبير الاندلسي لبغداد
٥٨٣ هـ	١١٨٧ م	هدم الخليفة الناصر لدين الله قصور السلاجقـة بالمخرم لمحو أثرهم وابتداء سمو الخلافة وقوتها
٥٩٣ هـ	١١٩٦ م	إصلاح الناصر لدين الله لسور بغداد الشرقية تجديداً و مرمّـة
٦١٤ هـ	١٢١٧ م	غرق بغداد الشرقية والغربية الفظيع
٦١٨ هـ	١٢٢١ م	إنجاز بناء باب الحلبـة « باب الطلسم » فى سور بغـداد الشرقية
٦٢٧ هـ	١٢٢٩ م	إنجاز بناء سور الرصافة بالآجرّ
٦٣٠ هـ	١٢٣٢ م	إتمام بناء المدرسة المستنصرية فى الجانب الشرقي
٦٣٥ هـ	١٢٣٧ م	طغيان نهردجلة وغرق بغداد بجانبيها : الشرقي والغربي

السنة

الهجرية الميلادية

٦٤١ هـ ١٢٤٣ م غرق بغداد الشرقية وخراب محلات من محالها

٦٤٦ هـ ١٢٤٨ م » بغداد الشرقية

٦٥٣ هـ ١٢٥٥ م » » الغربية

٦٥٤ هـ ١٢٥٦ م » المدينة بجانبيها : الغربي والشرقي

٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م احتلال هولاكو لبغداد (١٠ شباط ١٢٥٨ م) نهاية الحكم العباسي وبداية الحكم المغولي الإيلخاني

٦٧٠ هـ ١٢٧١ م سقوط منارة جامع الخليفة « ومنه جامع سوق الغزل الذي نقض أخيراً لفتح شارع الجمهورية »

٦٧٨ هـ ١٢٧٩ م إعادة إنشاء منارة جامع الخليفة (منارة جامع سوق الغزل الحالية)

٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م غرق بعض الجانب الغربي من بغداد

٧٢٥ هـ ١٣٢٤ م غرق بغداد الشرقية والغربية وخراب كثير من المحلات فيها

٧٢٧ هـ ١٣٢٧ م زيارة ابن بطوطة لبغداد

٧٤١ هـ ١٣٤٠ م استيلاء الجلايريين على بغداد (انتهاء حكم الايلخانيين وبداية حكم الجلايريين)

٧٥٧ هـ ١٣٥٦ م غرق بغداد وخراب أكثر محالها

٧٩٥ هـ ١٣٩٢ م استيلاء تيمورلنك على بغداد

٨١٠ هـ ١٤٠٧ م إصلاح سور بغداد الشرقية : أصلحه السلطان أحمد بن السلطان أويس الجلايري

السنـــة		
الهجرية	الميلادية	
٨١٤ هـ	١٤١١ م	استيلاء قبيلة قره‌قويونلو التركمانية على بغداد (انتهاء الحكم الجلايري)
٨٧٤ هـ	١٤٦٩ م	» » آق قويونلو » » »
٩١٤ هـ	١٥٠٨ م	» الشـاه إسماعيل الأول على بغداد (بداية الدور الصفوي الأول » وغرق بغداد
٩٣٠ هـ	١٥٢٣ م	استيلاء الأمير ذي‌الفقـار رئيس قبيلة موصلو الـكلهورية الـكردية على بغـداد
٩٣٦ هـ	١٥٢٩ م	انقراض الدولة الكلهورية الـكرديـة واسترجاع الشاه طهماسب الأول مدينة بغداد
٩٤١ هـ	١٥٣٤ م	احتلال السلطان سليمان القانوني لمدينة بغداد (٢٤ جمادى‌الآخرة ٩٤١) ؛ انتهاء الحكم الصفوي
١٠٣٠ هـ	١٦٢١ م	استيلاء الصفويين ثالثة على بغداد (انتهاء الدور العثماني الأول)
١٠٤٣ هـ	١٦٣٣ م	طغيان دجلة وغرق الجانب الشرقي من بغداد
١٠٤٨ هـ	١٦٣٨ م	احتـلال السلطان مراد الرابع لمدينـة بغداد (١٨ شعبان ١٠٤٨ هـ) ؛ انتهاء الدور الصفوي وبداية الدور العثماني الثاني
١٠٦٨ هـ	١٦٥٧ م	طغيان مياه الرافدين دجلة والفرات وإلحاقها اضراراً جسيمة ببغداد منها خراب باب الطلسم (باب الحلبة) واحتمال توجيه مياه الجانب الغربي الى مجرى النهر « الوشاش » الحالي في ولاية محمد باشا الخاصكي
١٠٦٨ هـ	١٦٥٧ م	رمّ بناء باب الطلسم في عهد محمد باشا الخاصكي
١١٩٣ هـ	١٧٧٩ م	إنشاء جامع سوق الغزل الحـالي في موضع جامع الخليفـة العتيق ؛ تشييد سور للجانب الغربي من بغداد ؛ مرمّة المدرسـة المرجانية وتوسيع مصلاه ؛ تجديد جامع الفضل
١٧٧٩ هـ	١٨٠٢ م	

السنة

الهجرية الميلادية

١٢٣٧ هـ ١٨٢٢ م غرق بغداد وانتشار الطاعون فيها

١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م طغيان مياه دجلة والفرات وانهدام أكثر منازل بغداد ؛ انتشار الطاعون ببغداد

١٢٨٥ هـ ١٨٦٨ م تشكيل بلدية في مدينة بغداد وتعيين إبراهيم الدفتري أول رئيس بلدية لها

١٣١٢ هـ ١٨٩٤ م طغيان مياه دجلة والفرات وغرق جانبي مدينة بغداد

١٣١٣ هـ ١٨٩٥ م » » وغرق بغداد الشرقية

١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م غرق بغداد الشرقية وخراب أكثر محالها

١٣٢٨ هـ ١٩١٠ م طغيان مياه الفرات وغرق بغداد الغربية .

١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م طغيان مياه دجلة وغرق بعض جنوبي بغداد الشرقية

١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م نسف الأتراك لبرج باب الطلسم (باب الحلبة) ، إحتلال الجيش البريطاني لمدينة بغداد (١١ مارت « آذار » ١٩١٧)

١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م ابتداء الثورة العراقية (حزيران ١٩٢٠)

١٣٥٨ هـ ١٩٣٥ م نشوب الحرب العالمية الثانية (ايلول ١٩٣٩)

١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م طغيان مياه دجلة وغرق منطقة المنيدي في القسم الجنوبي من شرقي بغداد

١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م غرق منطقة المنيدي ثانية

١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م » الزوية في القسم الجنوبي من شرقي بغداد

١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م إعلان الثورة العراقية في ١٤ تموز منها ، وقلب الدولة العراقية إلى جمهورية مستقلة .

فهرس الأشخاص والأقوام

(أ)

(ح)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس الأمكنة والبقاع

(ت)

(ر)

(ش)

(ف)

(ق)

(ي)

تابع حرف الخاء [1]

(١) سقط هذا القسم من حرف الخاء سهواً

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـواب
٤	١	نهر المدحتية	نهر المدحية
٢٤	حاشية (١)	The Oovrland	the Overland
٣٤	٤و١٢	قطعية المخرّم	قطيمة المخرّم
٤٨	٢٠	« قصر الذهب »	« قصر باب الذهب »
٦٧	٩	ابن سعد السمعاني	أبو سعد السمعاني
٧٤	١٦	في أول أدواها	في أول أدوارها
٧٤	١٦	لهذا الكتاب	لهذا الكتاب في أطلس بغداد ص ١١ و ٤
٨٧	١٥	محلة التستريين هذه ، ل	محلة التستريين هذه ، قال
٩١	١٨	بعض العجم بتسميته	بعض العجم بتسمية
١٥٠	١٥	اللطيف	اللغيف
١٥٢	١٤	بعمارة جامع بالحزم	بعمارة جامع بالمخرم
١٥٦	٨	سبط الجوزي	سبط ابن الجوزي
١٥٩	٨	كما ذكرنا ذلك	كما ذكرناه
١٦٣	١٥	والثاني	والثالث
١٦٤	٣	فقد وقع	الذي وقع
«	«	وذلك	فذلك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٥	٣	فرباط الاختلاطية	فرباط الاخلاطية
١٩٣	٦	صاحب المدرسية الشاطئية	صاحب المدرسة الشاطئية
٢٠١	١٦	المدرسة الايلجية	المدرسه الايكجية
٢١٦	٢	ميلادي	الميلادي
ه	٢٢	ملنسينون	ماسينيون
٢٣٩	٢	٩٧٣ و٩٨٥هـ (١٥٦٦ـ١٥٧٨م)	٩٧٧و٩٧٨هـ(١٥٦٩ـ١٥٧٠م)
٢٨٨	١٩	الدورة	الدور
٣٠٣	٢٥	لنظمي	لنظمي زاده
٣٠٤	٢٠	موصع	موضع
٣١٨	٦	نقِل موضمه	أما نقلُ موضمه
٣٢٤	٢٠	لعز إلدبن	لعز الدين
٣٢٥	٧	عدت الى المرضم	وعدت الى الموضع

صدر حديثاً

المجلد الخامس من

مجلة المجمع العلمى العراقي

✿

كراسة مصطلحات صناعة النفط

فى الاستكشاف والحفر والانتاج والتصفية التي أقرها

المجمع العلمي العراقي خلال السنة ١٩٥٨

تحت الطبع

الجزء الثاني من كتاب

مؤرخ العراق ابن الفوطى

دليل خارطة بغداد المفصل

في خطط بغداد قديماً وحديثاً

مدينة المنصور المدورة



تأليف

الدكتور مصطفى جواد و الدكتور أحمد سوسة